



الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة

النظم الاقطاعية

في الشرق الأوسط في العصور الوسطى

تأليف

الدكتور إبراهيم علي طرخان

استاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب
جامعة القاهرة بالخرطوم

الناشر

دار الكاتب العربية للطباعة والنشر

القاهرة

١٣٨٨ - ١٩٦٨

اهداءات ٢٠٠١
الاستاذة / دلال راشد
الاسكندرية

النُّظْمُ الْأَقْطَابِيَّةُ

وَالشُّرُقُ الْأَوْسَطُ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى

المكتبة العربية

تصدرها

وزارة الثقافة

المحكمة المصرية العامة للنشر والنشر

بالاشتراك مع

الجمعية لأعلى الرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية



الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة

النظير الاقطائى

فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى

تأليف

الدكتور إبراهيم على طرخان

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب
جامعة القاهرة بالخرطوم

الناشر

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر

القاهرة

١٢٨٨ - ١٩٦٨

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة

التنظيم الإقطاعي مرحلة من مراحل التطور العام في تاريخ الدول الملكية السالفة ، منذ العصور الوسطى في الشرق والغرب . وتختلف أصول التنظيم الإقطاعي وجذوره وأطواره باختلاف البلاد والأزمنة والخصائص الجغرافية والبشرية ، فهو يرجع في غرب أوربا عموماً إلى أزمنة الفرنجة الكارولنجليين وحوادث الفتوح الإسلامية والنورمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط والبحار الشمالية ، كما يرجع إلى ما طرأ على المجتمع الأوربي الغربي وأهله من تغييرات واسعة ناتجة عن تلك الحوادث .

ويستطيع الباحث أن يتنقل بين مختلف الدول الأوربية في العصور الوسطى ليتعرف على بدايات التنظيم الإقطاعي بكل منها ، فهو يرجع في إنجلترا مثلاً إلى عصر الفتح النورماني أي إلى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي . وهو يرجع في روسيا إلى أيام المغول والقيصرية الروسية الأولى ، أي إلى أواسط القرن الثالث عشر الميلادي ، وهكذا .

ومنشأ التنظيم الإقطاعي في مختلف البلاد مجتمع زراعي إقليمي طبقى ، وهو مادي على المجتمع الأوربي الغربي في العصور الوسطى كلها ، من حياة زراعية اكتفائية وإقليمية جغرافية محدودة المعالم والتضاريس ، وطبقية حربية أركانها الملوك والنبلاء والفرسان ورجال الدين . وفي تلك العصور الوسطى نشأت الدولة الإسلامية الأولى في شبه الجزيرة العربية في مجتمع عربي معتمد في أساسه على التجارة ، لا الزراعة ، دون أن يستند ذلك المجتمع إلى شيء من الأركان الإقطاعية التي تقدمت الإشارة إليها بصدد غرب أوربا . ومن

الدليل على صحة ذلك القول خلو السور القرآنية جميعاً من أية إشارة إلى الإقطاع أو التنظيم الإقطاعي من قريب أو بعيد ، والقرآن الكريم كما هو معروف سجل وصفي لأحوال العرب قبل الإسلام ودستور للدولة الإسلامية وأهلها إلى يوم يبعثون .

غير أن تنظيمات إقطاعية مختلفة قامت مبعثرة في مختلف الأقاليم التي شملتها الفتوح الإسلامية ، وظلت الحال على ذلك المنوال المبعثر حتى كانت أيام بني بويه والسلاجقة والزنكيين والأيوبيين والمماليك من بعدهم ، إذ غلبت الناحية الحربية على كل من تلك الدول المتتابعة في الشرق الأوسط . فعمدت إلى تعميم التنظيم الإقطاعي وتطبيقه على المجتمع وتسخير سياستها ، وظهرت من أجل ذلك مؤلفات ودساتير جديدة ، ومنها سياسة نامه للوزير نظام الملك السلجوقي ، وصبح الأعشى الذي كتبه أحمد القلقشندي ، وزبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهري والتحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ليحيى بن الجيعان .

ويتضح من خلال هذه الإشارات الراكضة العابرة لماذا وكيف اختار مؤلف هذا الكتاب الحديد في ميدانه أن يتوفر في الكتابة هنا على عصر التنظيم الإقطاعي في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، إذ استطاع بهذا الاختيار المحدد أن يتعمق في البحث والاستقصاء وأن يخرج من هذه التجربة العلمية بصورة كاملة للإقطاع والإقطاعية في مصر والشام زمن سلاطين الأيوبيين والمماليك . وكل ذلك في أسلوب تاريخي تفصيلي حافل بمعلومات جديدة ليست بحاجة إلى ترجيحها أو التنويه بأهميتها العلمية للقارئ العربي في مختلف البلاد في الشرق الأوسط الحديث .

محمد مصطفى زيادة

مصر الجديدة في { ٢٧ من رمضان سنة ١٣٨٧ هـ
٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٦٧ م

مدخل

**الشرق الأوسط ومدلوله وأهميته - تحديد العصور الوسطى -
الدول السائدة في الشرق الأوسط خلال تلك العصور
خصائص النظم الاقطاعية بهذه البقعة في تلك الحقبة .**

الشرق الأوسط مصطلح حديث ، تمخضت عنه الحرب العالمية الثانية ، ويشمل بلاد الجزيرة العربية كلها ، بما فيها من دول مستقلة ودول ناقصة الاستقلال ، والعراق وإيران وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر والسودان وتركيا وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، وكذلك أثيوبيا وأرتريا والصومال ، وقبرص وكريت ومالطة واليونان . ثم استبعدت تركيا ، وأما أفغانستان ، وغربي باكستان فضممتا أحياناً إلى الشرق الأوسط ، غير أن اتصالهما الأقوى والأقرب قائم بقلب آسيا والقارة الهندية .

ويغطي هذا المصطلح ، ما كان يعرف من قبل باسم : « الشرق الأدنى » قبل الحرب العالمية الأولى ، واستثنيت شبه جزيرة البلقان من الشرق الأدنى سبب الحركات القومية التي ملأتها خلال تدهور الإمبراطورية العثمانية ، ومن ثم صار يشار إلى بلاد البلقان باسم « أوروبا الجنوبية الشرقية » ، وخلال تدهور الإمبراطورية العثمانية ، واستغرق ذلك نحو قرن ونصف ، عرفت جميع المسائل والمشروعات التي قامت بين العثمانيين والدول الأوروبية المتنافسة على اقتسامها ، باسم « مسائل الشرق الأدنى » .

كذلك يغطي مصطلح الشرق الأوسط ، ما عرف باسم بلاد الليفانت Levant ، وهي التي تشمل عالم البحر المتوسط الشرقي ، وتعني هذه الكلمة كما تعني كلمة الأناضول Anatolia بلاد الشمس المشرقة .

ولقد أطلقت جامعة كولومبيا المصطلحين معاً ، على هذه المنطقة ، فأشارت إليها باسم « الشرق الأدنى والأوسط » وعنت بها . أفغانستان وإيران وتركيا واليونان والبلاد العربية كلها حتى المحيط الأطلسي ، ثم أطلقت هذه التسمية على المعهد الذي أنشأته للعناية بالدراسات الشرقية .

Near and Middle East Institute

وفي عام ١٩٤٨ م ، تكونت لجنة فرعية في الأمم المتحدة لتحديد بلاد الشرق الأوسط فأنهت أعمالها في يونيو من نفس العام ، وحددت بلاد الشرق الأوسط بأنها : دول الجامعة العربية كلها ، ومعها أثيوبيا وتركيا واليونان وإيران وأفغانستان .

الخلاصة أن وصف هذه المنطقة أو بعضها ، بالشرق الأوسط تارة ، وبالشرق الأدنى تارة أخرى ، مصطلح سياسي أكثر منه جغرافي ، وإن جاءت هذه التسميات أصلاً بالنسبة لموقع هذه البقعة من الدول الأوروبية المطلة على ساحل الأطلسي وغربي البحر المتوسط ، مثل بريطانيا وهولندا وفرنسا والبرتغال وإسبانيا والجمهوريات الإيطالية التجارية ، ذوات العلاقات المتنوعة مع هذه البلاد ، وتمتاز هذه المنطقة بأنها نقطة التقاء رئيسية بين القارات الثلاث : آسيا وإفريقية وأوربا ، وهي ذات أهمية قصوى من الناحية الجغرافية والاستراتيجية ومن أجل ذلك قيل : « لقد هزم نابليون بونابرت أمام جغرافية الشرق الأوسط » . ثم هي مركز نشأة الخليقة وموطن الإشعاع الروحي ومهد الحضارات منذ أقدم العصور . وهناك أكثر من عامل ربط بين أجزائها من ناحية الموقع وسهولة الاتصال وتقارب المناخ ، باستثناء بعض الأجزاء المتطرفة ، ولهذا أثره الكبير في وحدة أو تشابه الإنتاج والنشاط البشري ، ثم الارتباط الروحي ، وعماده الدين الإسلامي الغالب ، وهناك رباط اللغة العربية فضلاً عن الوحدة التاريخية .

*

والمقصود بالعصور الوسطى تلك الحقبة الممتدة من القرن الخامس الميلادي تقريباً إلى مطلع القرن السادس عشر ، وإن كانت هذه العصور ،

تقسم في التاريخ الأوربي العام إلى مرحلتين : الأولى : فجر العصور الوسطى أو العصور المظلمة وتبدأ من أواخر القرن الخامس الميلادي ، عقب سقوط روما على يد البرابرة الجرمان وغيرهم ، والثانية من القرن العاشر أو مطلع القرن الحادي عشر تقريباً إلى نهاية القرن الخامس عشر .

والثابت أن الحضارة الإسلامية خلال العصور الوسطى عامة ، كانت أسمى من حضارة أوروبا المعاصرة لها ، بل كانت مورداً أصيلاً ومنبعاً أساسياً لما قام في أوروبا من حضارات خلال تلك القرون ، والعناصر الشرقية عامة ، والعربية الإسلامية بصفة خاصة ، واضحة كل الوضوح في الحضارة الغربية على اختلاف مظاهرها .

يقول بعض المنصفين من كتاب الغرب ، أمثال لوبون :
« كان فضل العرب في الغرب عظيماً ، وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوروبا » .

ويقول دوزي :

« تاه الناس في دياجير الجهل ، بينما سطع النور من جانب الأمة الإسلامية من علوم وفلسفة وآداب وصناعة » وهكذا ...



أما الدول التي سادت في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، فأولها الدولة الإسلامية ، منذ قيام الحكومة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة عام واحد من الهجرة (٦٢٢ م) ، وذلك على أثر هجرة الرسول (ص) إليها ، ثم ما تفرع عن هذه الدولة الكبرى ، حين ضعفت السلطة المركزية خلال العصر العباسي ، واستبد بها الموالى من الفرس والديلمة والترك . فقامت دويلات وانفصلت عن جسم الدولة العباسية ، وإن اعترفت إسمياً بالسيادة العليا للخليفة العباسي ، منها : الدولة السامانية والدولة الغزنوية ودولة بني بويه بالشرق الإسلامي ، ثم دولة السلاجقة في أغلب بلاد الشرق الأوسط .

والدولة الطولونية والدولة الإخشيدية في مصر وما حولها ، والدولة الفاطمية في المغرب أولاً ثم في مصر وما حولها أخيراً ، وقد نافس الفاطميون سلطان الخلافة العباسية وحاولوا القضاء عليه ثم ما تفرع عن الدولة السلجوقية مثل الدولة الزنكية أو النورية والدولة الأيوبية ، وما تفرع عن الأخيرة ، وهي دولة المماليك .

وخلال العصور الوسطى ، قامت دويلات صليبية في بعض بلاد الشرق الأوسط ، ولكنها لم تنبث جنوراً أو تعمر طويلاً ، فقد قامت عام ١٠٩٩ م وانتهت أواخر القرن الثالث عشر ، وجاء أول معول لهدمها على يد الدولة الزنكية ، وجاء المعول الأخير لاقتلاعها على يد سلاطين مصر من الأيوبيين والمماليك ، بل تعقب المماليك بقايا الصليبيين في مياه البحر المتوسط ، للقضاء عليهم وعلى الفكرة الصليبية نفسها .

كذلك ساد المغول بعض الوقت في بعض بلاد الشرق الأوسط ، خلال تلك العصور .



وتناول البحث في هذا الكتاب ، ما قام من صور إقطاعية في قلب بلاد الشرق الأوسط خلال تلك العصور .

فلقد شهدت هذه البلاد صورة من صور النظم الإقطاعية ، وهي وإن اختلفت عن الإقطاع الأوربي المعروف ، في أبرز مظاهره ، إلا أنها لم تخل من السوء الذي هو سمة المجتمعات الإقطاعية الجاحدة ، في الشرق والغرب على السواء .

جاءت هذه التنظيمات ، نتيجة للضعف الذي ألم بالخلافة العباسية في بغداد يوم استبد بها الموالي من غير العرب ، بحيث لم يعد للخليفة العباسي من السلطة إلا اسمها ، أو كما عبر بعض المعاصرين : « لم يبق له سوى السرير والمنبر والسكة والختم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفود . . . » .

ومن قبل رفض عمر بن الخطاب إقطاع أرض السواد (العراق) ، واستطاب نفوس الغانمين ، علاجاً لما قد يتطور إليه المجتمع الإسلامي من ازدياد السكان وتجنباً لما يؤديه التقسيم والإقطاع من بذر بذور الفرقة والتنافس والانتقام ، فضلاً عن وجود طبقية ، ومما قاله بهذا الصدد : « أخاف إن قسمته أن تتفاسدوا بينكم في المياه » .

وكذلك رفض علي بن أبي طالب وقال : « لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض ، لقسمت السواد بينكم » . وحذر علي الأشتر النخعي واليه علي مصر سنة ٣٦ هـ = ٦٥٦ م ، من الإقطاع ، وذلك في كتاب بعث به إليه :

« إن للوالي خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتناول وقلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تقطن لأحد من حامتك وحاشيتك قطيعة » .

وما قيل عن إقطاعات عثمان بأرض السواد ، كان ذلك ، كما يقول الماوردي :

« إقطاع إجارة لا إقطاع تملك » .

والحديد في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، أن المستبدين بشئون الخلافة العباسية أقطعوا وأساءوا التصرف ، ليس فقط في إقطاع البلاد والقرى ، ولكن أيضاً في إقطاع حقوق بيت مال المسلمين ، لأنصارهم وحواشيهم .

فعل ذلك بنو بويه ، ومن بعدهم السلاجقة الذين رأوا أن يحلوا الإقطاعات محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش ، وهذا مابدأه « نظام الملك » (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) وزير السلطان ملكشاه السلجوقي ٤٦٥ - ٤٨٥ هـ = ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م ونقلته عنه الدولة النورية ثم الدولة الأيوبية ، وبلغ الذروة في دولة المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ = ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) .

يقول المقرئى (ت ٨٤٥ = ١٤٤١ م) : « وأما منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا ، فإن أراضى مصر كلها ، صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده » .

ووجود الإقطاعات ، لم يحل دون وجود الملك الحر والأوقاف . ومنشأ الملك الحر ، عن طريق الشراء من بيت المال ، فكان للسلطان والأمراء والأجناد وبعض أفراد الشعب أملاك حرة خاصة ، وهذا هو القسم الخامس الذى ورد فى تقسيم المقرئى وابن إياس لأراضى مصر « ملك يباع ويشترى ويورث ويوهب ، لكونه اشترى من بيت المال » ، وعرفت أملاك السلطان الحرة ، وهذه غير إقطاعه الذى يحوزه بوصفه سلطاناً ، باسم « الأملاك الشريفة » أو الأملاك الشريفة السلطانية .

ومع ذلك ، تعرض الملك الحر للإقطاع فى بعض الأحيان ، مهما كان صاحبه ، وكذلك تعرضت الأوقاف الإسلامية والذمية للحل والإقطاع ، بل إن جميع موارد الدولة الأخرى ، مثل الجزية والزكاة والمعادن ، تعرضت للإقطاع .

يقول القلقشندى ، معبراً عن فساد الحال فى زمانه ، بأن الأمور قد خرجت « عن القواعد الشرعية ، وصارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال : من خراج الأرضين والجزية وزكاة المواشى والمعادن والعشر وغير ذلك ، ثم تفاحش الأمر وزاد حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها ، وعمت بذلك البلوى ، والله المستعان فى الأمور كلها » .

من أجل ذلك ، يمكن أن توصف دولة المماليك ، بأنها الدولة الإقطاعية الكبرى ، الى قامت بالشرق الأوسط فى العصور الوسطى . ومع ذلك ، لم يكن للمقطع فيها سوى حق الاستغلال أو الارتفاق ، وحتى إذا ورث الجندى أباه ، فإنه لا يرث غير هذا الحق ، ولا يملك الرقبة . ويقول السبكى (ت ٧٧١ = ١٣٦٩ م) : « الإقطاعات المعروفة فى هذا الزمن ، إنما هى إقطاعات إرفاق » .

فكان حائر الإقطاع ، ينقل عن إقطاعه إلى آخر بأمر السلطان ، وقلما ثبت الإقطاع في يد صاحبه ، وقد ينقص ، وقد يعزل صاحب الإقطاع فيصير « بطلا » ، ويصادر ، وتوقع « الحوطة » على « موجود » . بل يحدث في كثير من الأحيان ، خلال عصر المماليك ، أن يحل مقطع في إقطاع غيره ، وفي داره وأثاثه ، وأحياناً يتزوج من زوجته . أما المماليك أو الأجناد التابعون للمقطع السابق ، فيضافون إلى السلطان ، تحت اسم « المماليك السيفية » ، لتصبح إحدى فرق « المماليك السلطانية » . ومع ذلك فقد اقترن استغلال الإقطاع بكثير من أعمال الظلم والعسف وقاسى الفلاحون شر ما يقاسى إنسان مستعبد وعبد مستذل . يقول المقرئ : « ويسمى المزارع المقيم بالبلد ، فلاحاً قرارياً ، فيصير عبداً لمن أقطع تلك الناحية ، إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ، ولا أن يعتق ، فهو قن ما بقي ومن ولد له كذلك » . وإذا هرب الفلاح فراراً من الظلم والقهر ، أعيد قسراً ، يقول السبكي : « وجرت عادة الشام ، بأن من ينزح من دون ثلاث سنين ، يلزم ويعاد إلى القرية قهراً ، ويلزم بشد الفلاحة ، والحال في غير الشام ، أشد منه فيها ومن قبائحهم يقولون : « هذا شرع الديوان » . وفي مثل هذه الأحوال ، وجدت الأشباه والنظائر ، بما وقع في الإقطاع الأوربي المعاصر ، وزاد من شدة وطأة هذا النظام ، أن طبقة المقطعين الرئيسية ، وهم المماليك وأنصارهم ، كانوا أجانب عن مصر ، وهم أرقاء في الأصل ، جاءوا من جنسيات مختلفة وعن طرق شتى ، أهمها أسواق النخاسة والأسر في الحروب والإهداء ، وهؤلاء قلة - بالنسبة للمواطنين - استأثرت بالسلطة ، وظلت منفصلة عن الأمة طوال حكمهم ، وهذا هو سر الكراهية العنصرية والكراهية الطبقية التي ملأت قلوب المواطنين ؛ ومن الخصائص الجوهرية للنظام الإقطاعي في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، منذ عم على أيدي السلاجقة ، أن الخدمة الحربية الإقطاعية ، لم تقيد بعدد معين من الفرسان ، يقدمه التابع المقطع لولى الأمر ، أو بمدة محدودة يقضيها مع فرسانه المجهزين في حروب السلطان .

ويشبه هذا الوضع ، ما وجد في إنجلترا النورمانية الإقطاعية ، على أثر الفتح النورمانى لها على يد وليام النورمانى (١٠٦٦ م) ؛ حقيقة كان عدد الفرسان الذى يقدمه السيد الإقطاعى من البارونات أو الأساقفة للملك ، فى الإقطاع الغربى ، محدداً بأرقام تتراوح بين ١٠ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ١٠٠ فارس ، إلا أن هذا التحديد كان نظرياً . فقد كان لوليام الفاتح النورمانى ، ولأبنائه من بعده الحق الكامل فى التعبئة العامة ، بشكل يختلف عما هو سائد فى بقية أجزاء القارة الأوروبية .

ومع العلم بأن التحديد فى عدد الفرسان ، فى الإقطاع الشرقى ، نضج فى الدولتين الأيوبيه والمملوكية ، فالمرجع تقتصر على القول بأن على المقطع « الحضور بالعساكر الحمة » للانضواء تحت لواء السلطان السلجوقى فى حروبه كاملى المؤن والعتاد على نفقاتهم الخاصة من إقطاعاتهم ، وكان بالعراق وحده نحو أربعين سيداً قطاعياً ينتسب القليل منهم إلى الأسر العربية . ومعنى هذا أنه لم تكن هناك مدة محدودة للخدمة الحربية فى الشرق كما كان معروفاً فى الغرب الإقطاعى بصفة عامة وإنجلترا بصفة خاصة ، فكان للسلطان السلجوقى ، والخليفة العباسى بجانبه أن يندب كل جيوش الولايات والإمارات فى أى وقت عند حدوث الخطر المفاجئ ، فمثلاً حدث أن ندب السلطان بركياروق السلجوقى فى سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٧ م) الأمراء بعساكرهم للخروج لحرب الصليبيين ، فتجهز الأمراء ومنهم سيف الدولة صدقة صاحب الحلة ، وبعث بمقدماته إلى الأنبار ، كما ندب السلطان محمد السلجوقى فى سنة ٥٠٤ هـ (١١١٠ م) بعض أولئك الحكام . وفرق بين هذا النظام على سواه ، وبين ما وقع بالشرق الأوسط فى العصور التالية ، منذ الفتح العثمانى ، من تملك أراضى الدولة بضمن اسمى ، أو بغير ثمن ، كما هو فى « الأوسيات » ، وما اقترن بها من أعمال السخرة ، وذلك لفريق من الحامة أو الخاصة أو البطانة .

وكما جاء أول معول لهدم الإقطاعية فى أوربا على يد الثورة الفرنسية فى يولية سنة ١٧٨٩ م ، جاء المعول الأول والآخر لاقتلاع جذور الإقطاعية من قلب الشرق الأوسط ، على يد الثورة المصرية العربية فى يولية عام ١٩٥٢ م .

أما بعد : -

فلا يفوتني هنا ، أن أتقدم بأصدق الشكر ، لأستاذي الحليل الدكتور محمد مصطفى زيادة ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة ورئيس قسم التاريخ بها سابقاً ، مد الله في عمره ، على ما بذل من عون صادق خلال عملي في هذا البحث .

كما لا يفوتني كذلك ، أن أشكر الأساتذة الأفاضل الذين عاونوني في بعض جوانب هذا البحث ، وعلى رأس هؤلاء أستاذي المؤرخ المرحوم محمد شفيق غربال (ت في نوفمبر ١٩٦١) وهم الدكتور حسن إبراهيم مدير جامعة أسيوط سابقاً ؛ والدكتور جمال الدين الشيال أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الإسكندرية وعميد كلية الآداب بها ، والدكتور حسين مؤنس أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة سابقاً ومدير معهد مدريد الإسلامي حالياً ، والمرحوم الدكتور زكي محمد حسن عميد الآداب السابق بجامعة القاهرة ، والمرحوم الدكتور إبراهيم سلامة عميد الآداب بجامعة القاهرة .

ومن الأجانب الدكتور جورج كوبلاند Coopland أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة ليفربول سابقاً والأستاذ الزائر بآداب القاهرة (عام ١٩٤٨) ، والأستاذ المستشرق جاستون فييت G. Wiet مدير متحف الفن الإسلامي بالقاهرة سابقاً .

وأرجو أن أسد بهذا الكتاب فراغاً في المكتبة العربية ، والله ولي التوفيق .

القاهرة في { ٢٤ من رمضان سنة ١٣٨٧ هـ
٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٦٧ م } إبراهيم علي طرخان

الفصل الأول

الاقطاع في بلاد الشرق الأوسط

الدولة البويهية والإقطاع الحربى - السلاجقة والإقطاع الحربى -
مقارنة بين نظام الملك والملك وليام الفاتح - التوزيع الإقطاعى
الحربى بين أمراء الجيش السلجوقى - إقطاع قسيم الدولة آق سنقر .
التوزيع الإقطاعى بين أبناء الأسرة السلجوقية المالكة - الدولة
الزنكية والإقطاع الحربى - إقطاعات نجم الدين وأسد الدين فى
الدولة الزنكية - الدولة الأيوبية والإقطاع الحربى - توزيع أراضي
مصر لأول مرة ، إقطاعات بين السلطان وأمرائه وأجناده - بعض
إقطاعات أمراء البيت الأيوبي - بعض إقطاعات الأمراء
والأجناد - خلفاء صلاح الدين والتوزيع الإقطاعى الحربى -
الصالح نجم الدين أيوب وإنشاء فرقة المماليك البحرية الصالحية -
الدويلات الصليبية بالشام والإقطاع الأوروبى - ملئى سريان
الإقطاع فى بلاد الشرق الأوسط .

مرحلة من مراحل التطور في تاريخ النظم ، شهدتها الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، تلك هي ظاهرة إحلال الإقطاع محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش .

يقول أحمد بن علي المقرئ :

« واعلم أنه كانت عادة الخلفاء من بني أمية وبني العباس والفاطميين من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن تجبي أموال الخراج ثم تفرق في الأمراء والعمال والأجناد ، على قدر رتبهم ، وبحسب مقاديرهم ، وكان يقال لذلك ، في صدر الإسلام « العطاء » (١) ، وما زال الأمر على ذلك إلى أن كانت دولة العجم ، فغير هذا الرسم ، وفرقت الأراضي إقطاعات على الجند . وأول من عرف أنه فرق الإقطاعات ، الملك أبو علي الحسن بن علي ابن العباس وزير البرشلان (ألب أرسلان) بن داود بن ميكال بن سلجوق ، ثم وزر (أبو علي) لابنه ملكشاه ، وذلك أن مملكته اتسعت ، فرأى أن يسلم إلى كل مقطع قرية أو أكثر أو أقل ، على قدر طاقته (٢) » .

والملاحظ :

أولا - أن « نظام الملك » الفارسي الأصل ، والذي وزر لألب أرسلان (٤٥٧-٤٦٥هـ = ١٠٦٥-١٠٧٢ م) ولابنه ملكشاه من بعده (٤٦٥-٤٨٥هـ = ١٠٧٢-١٠٩٢ م) ، وهما من الأتراك الغز ، لم يكن المبتكر لهذا النظام ، وإن كان هو الذي عممه ؛ فقد سبقه إليه بنو جلدة من البويهيين ، الذين استبدوا بالخلافة العباسية في

بغداد ما أربى على قرن من الزمان (٣٢٠-٤٤٧ هـ = ٩٣٢ - ١٠٥٥ م) .

ثانياً - إن بنى بويه قد أساءوا التصرف في حكومتهم حتى خربوا البلاد ، مما حدا بنظام الملك أن يعالج الأمر ، كما تراءى له ، وقد شهد نظام الملك هذا النظام وعرفه عند بنى بويه .

ثالثاً - أن دولة السلاجقة ، النابتة في تربة الخلافة العباسية ، قد اتسعت اتساعاً عظيماً ، فامتد نفوذها من بلاد ما وراء النهر شرقاً إلى قلب آسيا الصغرى غرباً ومن أعالي الفرات شمالاً إلى اليمن جنوباً ، وهذه هي ذروة النفوذ السلجوقي ، التي وصلت إليها دولتهم زمن ملكشاه (٣) .

رابعاً - أن هذه الإقطاعات لم تكن تملكاً وإنما كانت استغلالاً ، بمعنى لم يملك المقطع حق الرقبة ، بل له حق الاستغلال أو الارتفاق ، وحتى إذا ورث الحندي أباه ، فإنه لا يرث إلا حق الاستغلال ، وهذا هو وجه الخلاف الكبير بين الإقطاع في الشرق ونظيره في الغرب .

خامساً - تضمن الإقطاع في الشرق الأوسط معنى الحكم والولاية .

سادساً - لم يكن هذا النظام الذي أوجده البويهيون وعممه السلاجقة ، النظام الإقطاعي الوحيد المعروف في جميع بلاد الشرق الأوسط في تلك العصور ، فقد وجد بجانبه إقطاع غربي انتقل مع الصليبيين من أوروبا إلى الدويلات الصليبية بالشرق الأوسط .

سابعاً - مع اختلاف النظامين في الخصائص الجوهرية ، هناك أوجه شبه كثيرة بينهما في التفاصيل ، وعلى الأخص في مجال استغلال الإقطاع ، وما حاق بالفلاحين من ظلم ، كما أن بعض مظاهر الإقطاع الغربي ، وهو ما عبر عنه النويري « بالأراضي المفصولة » أي التابعة « للفصل » ، وهو التابع Varsal في المصطلح الإقطاعي

الغربي ، ظلت هذه باسمها وطريقة استغلالها بعد انتقالها من أيدي الصليبيين (٤) .

ثامناً — انتقل هذا النظام عن السلاجقة إلى الدولة الزنكية فالدولة الأيوبية ثم إلى دولة المماليك ، وهي الدولة الإقطاعية الكبرى ، التي قامت في الشرق الأوسط خلال تلك العصور .

لقد بلغ من شدة ضعف الخلافة العباسية وتسلب بني بويه (٥) ، أن أحد سلاطين بني بويه، وهو معز الدولة أبو الحسين أحمد، اعتقل الخليفة العباسي المستكني (٣٣٣ - ٣٣٤ = ٩٤٦ م) في داره وضيق عليه ، حتى خلع نفسه ، وولى بدلامنه ، الخليفة المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣ = ٩٤٦ - ٩٧٤ م) ، وتسلم معز الدولة البويهي وجنوده من الديلم وغيرهم أعمال العراق ولاية وإقطاعاً ، وأقطع قاداته وأصحابه من أهل عصبية وخواصه وأتراكه جميع ما امتدت إليه يده : من ضياع الخلافة ، « وضياع المستزين » ، وزاد على ذلك حتى أقطع أنصاره حقوق بيت المال في ضياع الرعية (٦) . ومن الضياع التي أقطعها ، ضياع أبي جعفر محمد بن يحيى بن شير زاد ، وكان يخدم عند معز الدولة ، لكنه تغير عليه وصادره (٧) .

وقد أهمل الكثير من هؤلاء الأنصار المقطعين ، في عمارة ما أقطعوا ، وصار من السهل على هؤلاء ، أن يخربوا إقطاعاتهم ويردوها ، فيعتاضوا عنها من حيث يختارون (٨) . وازداد الأمر سوءاً حين اعتمد المقطعون على وكلائهم في إدارة إقطاعاتهم ، فقام هؤلاء بأعمال الظلم والمصادرات (٩) . وفي زمن بختيار بن معز الدولة ، اتفقت كلمة الأتراك وغللمان الحجر في عام ٣٥٦ = ٩٦٧ م ، ألا يعارض كل فريق صاحبه في « طلب الحظ لنفسه » فاضطر بختيار إلى أن يضمن لهم جميع ما التمسوه ، وأجبر وزراءه على الاحتياال للمال وجمعه « من أين كان وكيف كان » (١٠) ، كما أن العلاء ابن الحسن ، أحد وزراء صمصام الدولة بن بختيار ، وقد عاد إلى الوزارة عام ٣٨٢ = ٩٩٢ م ، وقلبه مفعم غيظاً وحقداً ، بسبب ما لحقه وأهله على

يد السلطان البويهى : « أهلك دولته بإقطاع الإقطاعات وإيجاب الزيادات وتمزيق الأموال وتسليم الأعمال (١١) » .



وهكذا أدى سوء تصرف بنى بويه وأعوانهم إلى خراب البلاد ، فضلاً عن إقصاء السكان العرب عن بلادهم تدريجياً (١٢) ، وكثرة الفتن والاضطرابات ، وهذا ما حدا بأصحاب السلطة الجديدة فى بغداد إلى إعادة النظر فى النظم القائمة ، وعلاجها على النحو الذى بدا لهم .

ولهذا ، علل البندارى مؤرخ السلاجقة ، ما قام به نظام الملك ، بقوله : رأى نظام الملك أن « الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع - أى إيراد أو دخل - لاعتلالها ، ففرقها على الأجناد إقطاعات وجعلها لهم حصلاً وارتفاعاً ، فتوفرت دواعيهم على عمارتها . . . (١٣) » .

وربما كان للخطر الخارجى أثره ، فى اتخاذ السلاجقة هذه الخطوة ، فإن العداء المزمع مع الدولة البيزنطية لم ينته بعد ، وكانت هذه الدولة حديثة العهد بالهزيمة الساحقة التى أنزلها بها ألب أرسلان فى وقعة ملاذكرد (مانزكرت) عام ١٠٧١ م ، حيث وقع الإمبراطور البيزنطى أيوجين Eugenius أسيراً .

وتوالت استغاثات بيزنطية بالغرب المسيحى ، فاستنجد الإمبراطور ميخائيل السابع (١٠٧١ - ١٠٧٨) بالبابا جريجورى السابع ، كما وصلت استغاثات الإمبراطور الكسيوس كومنين (Alexius) فى عام ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ م إلى سادة الإقطاع فى أوربا أمثال بالدوين كونت فلاندرز ، ثم إلى البابا أربان الثانى .

على أن « نظام الملك » ، لم يرد أن يكون نظامه الجديد صورة لما شهده فى العهد البويهى ، بل أراد منه أن يحقق الأغراض التى من أجلها أقامه ، وربما أدرك ببعده نظره خطورة هذا النظام على السلطة المركزية ، وعلى أحوال الأمن ، فاتخذ إجراء وقائياً ، بأن فرق إقطاع الجندى الواحد فى بلاد

مختلفة ، ولم يجعله جملة واحدة في بلد واحد ، حتى لا يقوى المقطع بما يكون له من عصبية وقوة ، قد تكون خطراً على كيان الدولة .

يقول الفتح بن على البندارى : « وربما قرر - أى نظام الملك - لواحد من الجند ألف دينار في السنة ، فوجه نصفه على بلد من الروم - أى في الأملاك السلجوقية بآسيا الصغرى - ونصفه على وجه في أقصى خراسان ، وصاحب القرار راض (١٤) » .

وحدد نظام الملك الالتزامات الرئيسية لهؤلاء المقطعين ، وذلك بأن قرر عليهم كما يقول البندارى : « خدماً عن عصمة ولاياتهم يوصلونها ، وقرر معهم الحضور إلى الخدمة وموالات الخدمات للحضرة ، والوصول بالعساكر الحمة . . . » (١٥) .

ولظاهرة تفرقة الإقطاع الواحد في جهات متباعدة شبيه في أوربا المعاصرة ؛ إذ أن الوقت الذي عمم فيه الإقطاع الحربى بالشرق الأوسط ، يقابل عصر الفتح النورمانى لإنجلترا وإدخال النظام الإقطاعى فيها ، منقولا من نورمانديا بفرنسا ، أو تدعيم النظام الإقطاعى القائم فعلا في بلاد الأنجلو سكسون .

وجد وليام الفاتح النورمانى ، أن المجتمع الأنجلو سكسونى يشبه المجتمع الفرنسى من بعض الوجوه ، فسهل عليه أن يقيم الإقطاع الحربى أو يدعمه ، وأن يقيم نظام الدائرة Manor ، فمثلا جد طبقة من النبلاء عليها التزامات حربية نحو الملكية الأنجلو سكسونية الدائلة ، كالدماع عن البلاد وحفظ الأمن ، والتزامات إدارية مثل جمع الضرائب ونحوها ، ولهم سلطة قضائية في محاكم المقاطعات (١٦) . على أن أول ما عنى به وليام الفاتح ، هو تنظيم القوة الحربية وعلاج الحالة المالية ، ليستطيع المحافظة على الأمن والنظام ، وليضمن في الوقت نفسه لتمكين لأسرته في حكم البلاد ، فبدأ بتوزيع الأراضي على أتباعه ، على أساس الخدمة الحربية الإقطاعية ، وذلك على النسق الذى مارسه في دوقية نورمانديا بفرنسا (١٧) ، وإن تميز هذا النظام بطابع خاص عبر المانش (١٨) . احتاط « وليام النورمانى » ، احتياطاً يشبه ما فعله « نظام الملك » ،

فلم يمكن أتباعه من حيازة إقطاعات واسعة مرتبطة ببعضها ، حتى يمكن أن يقال إنها اندمجت تقريباً في التوزيع الإقطاعي الحربي النورمانى ، بعد أن رالكوليام البلاد وأصدر كتاب الروك Domesday Book . وإذا وجدت آحاد من هذا النوع المندمج في بعضه ، فإنها بلغت من الندرة بحيث لم يعتد بها ، وكانت في الواقع نتيجة أنها من إقطاعات أحد السادة الإقطاعيين الأنجلوسكسون ، ثم حازها التابع النورمانى الحديد كما هي ، ولكن القاعدة العامة في توزيع وليام ، هي بعثرة الإقطاع الواحد في جهات متباعدة ، وربما لم يكن هذا ابتداءً من وليام النورمانى ، وإن كان هو صاحب الفضل في تنظيمه وتوجيهه لخدمة التاج ، إذ المعروف في العصور الوسطى بغرب أوربا الإلحاح في هذا التوزيع المبعثر ، كأنما هو القاعدة العامة لينال كل مقطع نصيبه من الأراضي الجيدة والرديئة على السواء ، ووجدت محاولات كثيرة من جانب الأمراء والنبلاء الأقوياء خلال تلك العصور ، في سبيل ضم أجزاء إقطاعاتهم إلى بعضها البعض (١٩) .

ولكى يضمن وليام الفاتح ولاء الأتباع بعد هذا التوزيع ، دعا جميع الزراع الأحرار سواء أكانوا من مرتبة الفرسان أو غيرها ، من الإنجليز أو النورمان ، لمؤتمر عام عقد في مدينة سولسبوري عام ١٠٨٦ م Moot of Salisbury وأخذ عليهم موثقاً بقسم أقسموه أن يكونوا مخلصين له مستعدين للدفاع عنه ضد كل الغزاة (٢٠) ، لذا كان له بمقتضى هذا التنظيم والتدعيم أن يندب كل الجيش الإقطاعي في أية مناسبة يراها ضرورية ، واستغل في ذلك ما كان معروفاً لدى الأنجلوسكسون من نظام التعبئة العامة Fyrd ، وفي ذلك يوجد شبه بينه وبين ما ألفه فريق من الأمراء أو ملوك الإسلام — على حد قول صاحب النجوم (٢١) — وهم كبار الأمراء المقطعين ، مثل شرف الدين مودود صاحب الموصل وقطب الدين سكرمان بن أرتق صاحب ديار بكر اللذين دعاهما السلطان محمد السلجوق عام ٥٥٠٤ = ١١١٠ م لحرب الصليبيين كما دعا آق سنقر البرسقى صاحب همذان ، ولشدة ولاء الأخير وأهمية الجهاد لدفع العدو ، وصل وهو يعانى المرض (٢٢) .

والمعروف أن القوة العاملة تحت كنف السلطان السلجوقي، كانت تعرف باسم « العسكر » على حين أطلقت كلمة « الجند » أو « الجنود » على القوات المحلية في الإقطاعات^(٢٣) وهذا يشبه تقسيم الجنود في دولة الموحدين بمراكش إلى « جموع » وهم المرتزقة المقيمون بمراكش لا يبرحونها و « العموم » وهم الكائنون ببلادهم ولا يحضرون إلى مراكش إلا في النفي العام^(٢٤).

ومن أمثلة التوزيع الإقطاعي الحربي عند السلاجقة ، إقطاع الأمير إيتاخ في مازندران ، زمن السلطان ألب أرسلان عام ٥٨٨هـ = ١٠٦٦م^(٢٥) ، والإقطاع الكبير الذي ظفر به محمد بن مسلم بن قريش العقيلي ، من السلطان ملكشاه عام ٤٦٩هـ = ١٠٧٦م ، وكان يشمل الموصل وحران والرحبة وأعمالها وسروج والركة والخابور ، وبجانب هذا الإقطاع الضخم زوجه السلطان ملكشاه من أخته خاتون زليخة ، فتسلم ابن قريش جميع هذه الأعمال ماعدا حران التي امتنع مقاطعها محمد بن المشاطر عن تسليمها إلا بناء على أمر السلطان^(٢٦) ، وأقطع ملكشاه كذلك سالم بن مالك العقيلي ، وهو من أسرة العقيلي السابقة ، قلعة جعبر ، بعد أن أخذ منه دمشق وحلب^(٢٧) ، وهذه من الأسر العربية الكبيرة التي حازت الإقطاع الحربي في العصر السلجوقي^(٢٨) ، ومن الأمراء التركمان الذين أقطعهم ملكشاه في سنة ٤٧٧هـ = ١٠٨٤م الأمير بوزان ، وإقطاعه الرها وحران وقلعة حلب بعد أن فتحها في السنة نفسها^(٢٩) ، وبلغت عبدة إقطاع الأمير أحمد ديل بن إبراهيم بن وهسوزان الروادي الكردي في المراغة^(٣٠) ٤٠٠ ر ٤٠٠ دينار في السنة ، وكان يركب في خمسة آلاف فارس^(٣١) ، وأقر ملكشاه على بن المقلد بن نصر بن منقذ الكتاني العربي على شيزر ، وبعد وفاته في سنة ٤٧٩هـ = ١٠٨٦م انتقلت لابنه نصر فسلم إلى ملكشاه اللاذقية وفامية وكفر طاب ودخل في طاعته ، فأمره عليها والياً ومقطعاً ، ومن ممالك السلطان ملكشاه الأمير قايماز الأرجواني الذي أقطعه الكوفة^(٣٢) ، وشمل إقطاع ياغي سيان أنطاكية وظل بها حتى زحف عليها الصليبيون في الحملة الأولى^(٣٣) ، ومن كبار الأمراء وأعيان القادة آق سنقر الملقب بقسيم الدولة

أبو عماد الدين زنكى ، كان من أصحاب السلطان ركن الدين ملكشاه ، وقد تربى معه فجعله من « أعيان أمراءه وأخص أوليائه » حتى كان يتقيه مثل « نظام الملك » ، ولذلك أشار على السلطان بأن يوليه حلب وأعمالها والياً ومقطعاً ليعده عن السلطان ، وفي الوقت نفسه يتخذ عنده بدأ بذلك ، فأقطعه السلطان ملكشاه قلعة حلب وأعمالها وحماه ومنبج واللاذقية ومامعها ، وظلت هذه الإقطاعات بيده ، واحترمه ملوك السلاجقة لولائه وجهاده معهم^(٣٤) حتى قتل سنة ٥٤٨٧ هـ - (٣٥) ١٠٩٤ م . ومن الأمراء الذين حازوا الإقطاعات في عهد السلطان محمد السلجوقي الأمير جاولى ، إذ أقطعه السلطان في سنة ٥٥٠١ هـ - ١١٠٨ م الموصل وأعمالها وما كان بيد الأمير جكرمش ، فلما توجه الجاولى لتسلم الإقطاع اضطر إلى حرب جكرمش حتى انتصر عليه ، غير أن أهل الموصل رغبوا عن الجاولى وراسلوا قليج أرسلان بن سليمان السلجوقي صاحب الروم فجاء وتسلم الموصل وألجأه الجاولى إلى الهرب ثم عاد الجاولى وهزم قليج أرسلان ودخل الموصل ، ولكن صدوف أهلها عنه حمل السلطان محمد على أن يقطعه جهة أخرى فأقطعه فارس وأقطع الموصل لآق سنقر البرسقى^(٣٦) ثم استرد السلطان محمد الموصل من البرسقى عام ٥٥٠٩ = ١١١٥ م وأقطعها الأمير حبوس بك وظل البرسقى في إقطاعه بالمراغة حتى استرد الموصل ثانية في عهد السلطان محمود في عام ٥٥١٥ هـ = ١١٢١ م^(٣٧) .

وربما كان إقطاع قسم الدولة آق سنقر أبى عماد الدين زنكى ، أهم هذه الإقطاعات لأن زنكى ترسم خطوات أيه وصار أقوى الإقطاعيين في عصره حتى امتدت دولته الإقطاعية من حلب إلى الموصل ، ذلك أن عماد الدين زنكى حاز لنفسه الإقطاعات بالإضافة إلى مأخذ عن أيه ، فاتصل بالأمير شرف الدولة مودود صاحب إقطاع الموصل منذ عهد السلطان محمد بن ملكشاه^(٣٨) وصار أتابكاً له ، ثم حصل على إقطاع واسط في سنة ٥٥١٦ هـ = ١١٢٢ م وصارت شحنة البصرة^(٣٩) إقطاعاً له سنة ٥٥١٦ هـ = ١١٢٢ م ، ثم انحاز

إلى جانب الخليفة المسترشد العباسي والبرسقي (٤٠) ضد الأمير ديبس بن صدقة الأسدي صاحب الحلة ، فانهزم ديبس وهرب إلى الملك طغرل ابن السلطان محمد ، ولما نهبت العرب البصرة سنة ٥١٧هـ = ١١٢٣م أرسل السلطان محمود السلجوقي الأتابك زنكى إليها وأقطعه إياها فضلاً عن شحنجيتها ، ثم أضيفت إليه شحنجية بغداد والعراق مضافاً إلى ما بيده من الإقطاع ، ويرجع إسناد شحنجية بغداد والعراق لزنكى إلى أن السلطان محمود السلجوقي خشي الخليفة المسترشد بعد أن وضحت له قوته في الحرب التي نشبت بينهما سنة ٥٢١هـ = ١١٢٧م فرأى أن يسند هذين المنصبين إلى من يطمئن إليه من الأمراء الإقطاعيين المخلصين للسلاجقة ، فكان زنكى خير من يؤمن معه من الخليفة (٤١) . ولما توفي البرسقي صاحب إقطاع الموصل سنة ٥٢٠هـ = ١١٢٦م رأى السلطان محمود أن يقطعها إلى زنكى دون غيره لمكانته وشجاعته ، وكتب له منشوراً بها في سنة ٥٢٣هـ / ١١٢٨ / ١١٢٩م (٤٢) ، ثم أضيفت إليه الجزيرة العليا ، ومنحه السلطان محمود لقب «أتابك» وأرسل الخليفة إليه «العهد والعقد» كما جرت التقاليد (٤٣) ، وتأسست بذلك الأسرة الأتابكية بالموصل .

ومن التوزيع الإقطاعي ما كان اقتساماً للبلاد بين أمراء البيت السلجوقي ، ومثال ذلك قيام ألب أرسلان بعد أخذه العهد لابنه ملكشاه سنة ٤٥٨هـ — ١٠٦٥م بإقطاع آسيا الصغرى لابن عمه سليمان بن قتلмыш بن إسرائيل بن سلجوق (٤٤) ، وبلغ لأخيه سليمان بن داود بن جفري بك ، وخوارزم لأخيه أرسلان أرغون ومرو لابنه أرسلان شاه ، وصغانيان وطخارستان لأخيه إلياس ، وولاية بقشور ونواحها لمسعود بن أرتاش ، وولاية اسفراز لمودود بن أرتاش ، وهما من أقارب السلطان (٤٥) ، وكل ذلك بين أعضاء البيت السلجوقي بعد موافقتهم على تولية ملكشاه بعد أبيه ألب أرسلان . وفعل ملكشاه مثل ذلك من حيث التوزيع بين أهله وذوى قرابته حتى لا يثوروا عليه ، فأقطع سنة ٤٧٠هـ = ١٠٧٧م أخاه تاج الدولة تنش في بلاد الشام : دمشق وأعمالها وما جاورها كطبرية وبيت المقدس ، فضلاً عما يفتحته تنش من البلاد ،

فزحف تتش إلى الشام واستولى على بلاده كلها بعد أن هزم أنسر التركماني (٤٦) ، ثم استولى على فلسطين (٤٧) التي أقطعها بدوره للأمير أرتق بك بن أكسب التركماني (٤٨) .

وعلى أثر وفاة ملكشاه سنة ٥٤٨هـ = ١٠٩٢م اقتسم أبنائه البلاد فأخذ بركياروق أوبيك ياروق - بمعنى البك اللامع - بلاد الري وخوذستان وطبرستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين ، وأخذ محمد بن ملكشاه ، وهو الذي تولى السلطنة بعد أبيه في بغداد بلاد العراق جميعه إلا تكريت البطائح ، (٤٩) كما أخذ أرمينية وأصبهان وأران وأذربيجان ، والخطبة له في أذربيجان ، وأخذ سنجر من خراسان إلى ما وراء النهر (٥٠) . وبعد وفاة السلطان محمد سنة ٥١١هـ = ١١١٧م وتولية ابنه محمود السلطنة من بعده في بغداد ، نازعه عمه سنجر شاه وحاربه وهزمه سنة ٥١٢هـ = ١١١٨م ، فعاد محمود إلى عمه بغير عهد فأكرمه وأقطعه من البلاد من حد خراسان إلى الداروم بجنوب فلسطين ، وشملت مملكته همدان وأصبهان والجبل جميعه وكرمان وفارس وخوذستان والعراق وأذربيجان وأرمينية وديار بكر وبلاد الموصل والجزيرة وديار مصر وديار ربيعة والشام وبلاد الروم التي بيد قليج أرسلان (٥١) ، وقد رأى ابن الأثير منشوره بذلك (٥٢) ، وشمل إقطاع الملك طغرل بن السلطان محمد بلاد ساوه وآوه ، وزنجان ، وأتابكه شركير ، ويقال : إن السلطان محمود منح طغرل ثلاثين ألف دينار وودعه بإقطاع كبير (٥٣) .

ولقد انتقل النظام الإقطاعي الحربي كاملاً إلى الدول التي نبتت وتفرعت في أحضان السلاجقة ، ثم ورثهم من بعد ، وهذه الدول هي : الدولة الزنكية والدولة الأيوبية ثم دولة المماليك . والدولة السلجوقية نفسها أخذت هذا النظام عن معاصريهم وأسلافهم في حكم العراق وغيره ، من بني بويه . يقول ابن تغرى بردى :

«أنشأ بنو بويه بني سلجوق ، وأنشأ بنو سلجوق بني أرتق وآق سنقر جد بني زنكي ، ثم أنشأ بنو زنكي بني أيوب سلاطين مصر وغيرها ، ثم أنشأ

بنوأيوب المماليك ودولة الترك . . . فانظر إلى أمر الدنيا وكيف كل طائفة
نعمة طائفة ونشؤها إلى يومنا هذا (٥٤) « أي إلى أيام ابن تغرى بردى في القرن
الخامس عشر الميلادي .

ومن أمثلة كبار الأمراء الذين حازوا الإقطاعات الحربية زمن الدولة
الزنكية ، نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، فقد أقطعهما عماد الدين
زنكي في عام ٥٣٣هـ = ١١٣٨م إقطاعاً «سنيّاً» في شهر زور ، بشمال العراق ،
وأفرد أسد الدين بإقطاع الموزر ، وبذلك صار هذان الفارسان من أجناده .
والملاحظ أن نجم الدين وأخاه أسد الدين ، كانا قد اتصلا بخدمة زنكي
على أثر رحيلهما من تكريت (٥٥) وسار نور الدين بن زنكي على سنة أبيه وأساتذته
السلاجقة في منح الإقطاعات الحربية ، من ذلك أن نور الدين بعد استيلائه على
دمشق سنة ٥٤٩هـ (٥٦) = ١١٥٤م ، عوض صاحبها مجير الدين ، من سلالة
طغتكين ، بإقطاعه عدة ضياع بأعمال حمص ، كما أقطع شهاب الدين على
ابن مالك العقيلي ، إقطاعاً كبيراً شمل سروج والملاحه والباب وبزاغة (٥٧)
قرب حلب ، وعلق ابن الأثير على هذا الإقطاع بقوله : «وهذا إقطاع عظيم
جداً» (٥٨) . والملاحظ أن هذا الإقطاع كان تعويضاً عن قلعة جعبر التي
كانت بيد ابن مالك العقيلي عن آبائه منذ عهد ملكشاه .

ثم إن نجم الدين وأخاه أسد الدين ظفرا بالإقطاعات الوفيرة نظير
خدمتهما لنور الدين من بعد أبيه ، ولاسيما خلال استيلائه على دمشق ،
وشمل إقطاع أسد الدين حمص والرحبة . ومن أمراء نور الدين الذين أقطعوا ،
الأمير حسان المنبجي صاحب إقطاع منبج (٥٩) ، وقد نقله نور الدين عام ٥٦٣هـ
١١٦٧م إلى الرها واليأ ومقطعاً ، فظل حسان بالرها حتى أخذها صلاح الدين
من يد أبنائه في سنة ٥٧٢هـ = ١١٧٦م (٦٠) ، وكذلك أقطع نور الدين رضيعه
مجد الدين أبا بكر بن الداية ، وكان إقطاعه حلب وحارم وقلعة جعبر (٦١) ،
ثم أقرها نور الدين في يد أخيه علي بن الداية بعد وفاته سنة ٥٦٥هـ = ١١٦٩م ،
وأقطع نور الدين كذلك فخر الدين مسعود بن الزعفراني حمص وحماه وقلعة

بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلاد الجزيرة (٦٢) ، كما أقطع أمراء العراق الإقطاعات لحفظ طريق الحجاج بين الشام والحجاز ، ولمثل هذا الهدف أقطع أمير مكة إقطاعاً وافراً (٦٣) .

ومن الأمراء الذين أقرهم نور الدين على مابأيديهم ، بنو بخت القحطاني ، ويعرفون بأمراء بني الغرب ، نسبة لتملكهم على قسم كبير من غربي لبنان ، وكانت إقطاعاتهم بغير مناشير قبل عام ٥٤٢٠ = ١٠٢٩ م « لا يعرفون دركا . ولا مشاغرة ولا عدة جند ولم يحزر عليهم عبدة إقطاع ولا غيره ، ثم في دولة الملك العادل نور الدين جعلوا لهم عدة جند (٦٤) ... » ومعنى ذلك أنهم بقوا حتى أواخر السيادة الفاطمية بالشام ، حتى أقرهم نور الدين بعد أن جعل عليهم عدة من الجند وكتب لهم منشوراً بتاريخ ٧ من رجب سنة ٥٦٠ (١١٧٠ م) بين فيه جهات إقطاعاتهم ، وحدد فيه عدد الفرسان الذين يتقدمون بهم « وقت المهمات الشريفة » . ويلاحظ أن تحديد العدد بأربعين فارساً ليس إلا لبيان العدد الأدنى الذي ينبغي للمقطع أن يتقدم به ، بدليل قوله في المنشور « والعدة أربعون فارساً وما أمكنه » ، ويدل هذا التحديد من ناحية أخرى على مرتبة الإمارة التي نالها المقطع (٦٥) ؛ وفي أواخر أيام نور الدين ، حصل جمال الدين حجي على منشور بإضافة بلدة أخرى إلى إقطاعه على أن تكون الإضافة باسم ثمانية نفر من بني الغرب ، وذلك بتاريخ أواخر رمضان سنة ٥٦٠ (١١٦٩ م) (٦٦) .

هناك أسر إقطاعية غير آل تنوخ في لبنان في عهده الإقطاعي ، وقد بقيت هذه الأسر حتى الفتح العثماني فأقرت على إقطاعاتها كما أبقى عليها بعض نفوذها (٦٧) .

وطبيعي أن تسير الدولة الأيوبية في التوزيع الإقطاعي الحربي ، على سنن أساتذتها من السلاجقة وآل زنكي . وقد بدأ صلاح الدين الأيوبي هذا التوزيع فعلاً ، منذ صار نائباً لنور الدين بعد وفاة العاضد الفاطمي عام ٥٦٧ = ١١٧١ م ، وقبل أن يستقل بالبلاد ، بل بدأت عملية التوزيع على العساكر منذ وزارة أسد الدين شيركوه للخليفة العاضد الفاطمي (٦٨) .

حدث عندما بعث نور الدين إلى صلاح الدين في عام ٥٦٩ = ١١٧٣ م

بطلب إليه موافاته بحساب الإيرادات التي حصلها في مصر ، أن اضطر صلاح الدين إلى إطلاع سفير نور الدين على «جرائد الأجناد بمبالغ إقطاعاتهم وتعيين جامكياتهم (٦٩) ورواتب نفقاتهم» وذلك على قول أبي شامة (٧٠) ، ثم قال للسفير ، بعد أن زوده بهدية ، : «ولا يضبط هذا الإقليم العظيم — أى مصر — إلا بالمال الكثير ، وأنت تعرف أكابر الدولة وعظماءها ، وأنهم معتادون بالنعمة والسعة ، وقد تصرفوا في أماكن لا يمكن انتزاعها منهم ، ولا يسمحون بأن ينقص من ارتفاعها» (٧١) .

ويذكر القاضي الفاضل في متجددات عام ٥٧٧هـ = ١١٨١م . «استمر انتصاب السلطان صلاح الدين في هذه السنة للنظر في أمور الإقطاعات ومعرفة عبرها ، والنقص منها والزيادة فيها ، وإثبات المحروم وزيادة المشكور إلى أن استقرت العدة على ٦٤٨ر٠٠٠ فارس ، منهم أمراء مائة وأحد عشر أميراً طواشياً : ٦٩٧٦ أميراً ، وقر غلاميه ١٥٥٣ غلاماً . والمستقر لهم جميعاً من المال : ٠٧٥ر٦٠٠ر٣ ديناراً ، وذلك خارج عن المحولين من الأجناد الموسومين بالحوالة على العشر ، وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة ، وعن الكاتبين والمصريين والفقهاء والقضاة والصوفية ، وعما يجري بالدينار ، ولا يقصر مجموعه عن ألف ألف دينار ...» (٧٢) .

ولأول مرة في تاريخ مصر ، توزع البلاد إقطاعات بين السلطان وجنوده منذ قيام الدولة الأيوبية فيها ، يقول المقرئى :

«واعلم أنه لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولافيهما قبلها من دول أمراء مصر لعساكر البلاد ، إقطاعات ، بمعنى ما عليه الحال اليوم ، — أى زمن المقرئى في القرن الخامس عشر الميلادى — وإنما كانت البلاد تضمن بقبالات (٧٣) معروفة لمن شاء من الأمراء والأجناد وأهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم ...» (٧٤) . وفي موضع آخر يقول :

«وأما منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا ، فإن أراضي مصر كلها ، صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده (٧٥) » .

وليس معنى هذا أن جميع الأراضي كانت تقطع ، فهناك أراضي الأوقاف على أعمال البر والمنشآت الخيرية ، وهناك الملك الحر ، ولكن

المقرىزى عم الإقطاع فى الأراضى كلها ، لأن الأراضى غير الإقطاعية لم تكن شيئاً مذكوراً بالقياس إلى الأرض المقطعة .

يقول القلقشندى :

« كانت الأرزاق فى عهد الأيوبيين تجرى على نوعين : الإقطاعات ، وتجرى فى مصر على الأمراء والجنود ، وعامة إقطاعاتهم بلاد وأرض ، يستغلها مقطعتها ويتصرف فيها كيف شاء ، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات ، وهو القليل ، ويختلف حال أربابها . ورزق أرباب الأقاليم (٧٦) » .

وجرت العادة ، أن يقدر دخل البلاد ، وعلى أساس هذا التقدير أو التخمين - فى لغة العصر - ، توزع البلاد إقطاعات بين السلطان وأمرائه وأجناده ، وهذه عبرة الوجهين البحرى والقبلى حسب روك صلاح الدين عام ٥٧٢ = ١١٧٦ م :

الوجه البحرى

اسم الجهة	مقدار العبرة بالأرقام	بالدينار الإقطاعى بالحروف
ضواحي ثغر الإسكندرية ..	٨٠٠ ر ٣٨	ثمانمائة ألف وثمانية وثلاثون ديناراً
ثغر رشيد ..	٢٠٠٠	ألفان
البحيرة ..	١١٥ ر ٦٧٥	مائة ألف وخمسة عشر ألفاً وستمائة وخمسة وسبعين .
حوف رمسيس ..	٩٢ ر ٤٠٣	اثنان وتسعون ألفاً وأربعمائة وثلاثة .
المزاحتين (أ) وجزيرة بنى نصر...	١١٢ ر ٦٤٦	مائة ألف واثنان عشر ألفاً وستمائة وستة وأربعون
(ب) جزيرة قويسنا ...	١٣٠ ر ٥٩٢	مائة ألف وثلاثون ألفاً وخمسمائة واثنان وتسعون
الغربية ...	٦٧٤ ر ٦٠٥	ستمائة ألف وأربعة وسبعون ألفاً وستمائة وخمسة
السمودية ..	١٤٥ ر ٠٧٤	مائة ألف وخمسة وأربعون ألفاً وأربعة وسبعون
المنوفية ...	١٤٨ ر ٣٤٧	مائة ألف وثمانية وأربعون ألفاً وثلثمائة وسبعة وأربعون

الوجه القبلى

اسم الجهة	مقدار العبرة بالأرقام	بالدينار الإقطاعى بالحروف
الجيزة	١٥٣ر٢٠٤	مائة ألف وثلاثة وخمسون ألفا ومائتان وأربعة
البوصيرية	٦٠ر٤٦٠	ستون ألفا وأربعمائة وستون
البنسية	٣٥٢ر٦٣٤	ثلثمائة ألف واثنان وخمسون ألفا وسبعمائة وأربعة وثلاثون
الواحات الداخلة والخارجة (وواح البنسا)	٢٥ر٠٠٠	خمس وعشرون ألفا .
الأطفيحية	٥٩ر٧٢٨	تسعة وخمسون ألفا وسبعمائة وثمانية وعشرون
الفيومية	١٥٢ر٦٣٤	مائة ألف واثنان وخمسون ألفا وسبعمائة وأربعة وثلاثون
الأشمونين	١٤٧ر٧٢٢	مائة ألف وسبعة وأربعون ألفا وسبعمائة واثنان وثلاثون
السيوطية خارجاً عن منفلوط ومنقباط	٧٢ر٥٠٤	اثنان وسبعون ألفا وخمسمائة وأربعة .
الأخيمية	١٠٨ر٨١٢	مائة ألف وثمانية ألف وثمانمائة واثناعشر
القوصية	٣٦٢ر٥٠٠	ثلثمائة ألف واثنان وستون ألفا وخمسمائة
نفر أسوان	٢٥ر٠٠٠	خمس وعشرون ألف

ولا شك فى أن التقدير كان يتغير من سنة إلى أخرى ، تبعاً لما يصيب البلاد من نقص المحصول لانخفاض النيل أو طغيانه ، أو للإهمال وأشباهه من العوامل التى تؤدى إلى نقص المحاصيل أو زيادتها ، لذلك كانت العبرة دائمة التغير . ويتبع هذا التغير، تغير فى عبرة إقطاع كل طائفة من حين إلى آخر ، فمثلاً استقرت العبرة فى سنة ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م على هذا النحو :

الديوان العالى ٧٢٨ر٧٤٨ ديناراً
 الأمراء والأجناس المرسوم بإبقائهم فى إقطاعاتهم
 بالأعمال المذكورة (سابقاً) : ١٥٨ر٢٠٣ ديناراً
 ديوان السور المبارك والأشراف : ١٣ر٨٠٤ دنانير
 العربان ٢٢٠ر٤١٢ ديناراً
 القضاة والشيخ ٧٠٠٤ دنانير
 الغزاة والعساقله المركزه بدمياط وتنيس وغيرهم ١٠ر٧٢٥ ديناراً

وبمعنى آخر ، تدل هذه الأرقام على المبالغ المخصصة للأبواب المعينه ،
 ولذلك يفرد لهذه الأبواب من منابع الإيراد ما يكتفى للحصول على هذه المبالغ .
 والمقصود بالديوان العالى خزانه السلطان ويعبر عنها أحياناً بالديوان
 السلطانى ، ويجىء دخلها من الحقوق الديوانية أو المعاملات السلطانية وهذا
 غير ديوان الخاص الملكى أو ديوان الخاص السلطانى ، الذى يشرف على الإقطاع
 السلطانى ، فمثلاً كان متحصل ديوان الخاص الملكى الناصرى (الناصر
 صلاح الدين) فى سنة ٥٨٧هـ = ١١٩١ بالديار المصرية ٤٥٤ر٣٥٤ ديناراً
 ونصف وثلث وثمان (٧٧) .

ويلاحظ أن هذه المبالغ المقدرة تختلف عما يتحصل فعلاً فقد يزيد
 المتحصل وقد ينقص ، فمثلاً زاد ارتفاع الديوان السلطانى فى سنة ٥٨٧هـ —
 ١١٩١م عن ارتفاعه فى سنة ٥٨٦هـ = ١١٩٠م بمبلغ : ٤٤٥ر١٢ ديناراً ،
 والذى انعقد عاينه ارتفاع هذا الديوان فى ٥٨٨هـ = ١١٩٢م :
 ٤٤ر٠٥٤ر٣ ديناراً ، كما أن مبلغ ما انساق من البواقي لتلك السنة (٥٨٨هـ
 = ١١٩٢م) : ٦٢٢ر٣١ ديناراً (٧٨) .

على هذا النحو كانت مصر توزع إقطاعياً بين السلطان وجنوده ، فى
 العهد الأيوبى ، وبجانب إقطاع السلطان أو الخاص السلطانى ، نجد إقطاعات
 بقية أفراد البيت الأيوبى ثم إقطاعات الأمراء والأجناس .
 وقد أقطع صلاح الدين أباه نجم الدين أيوب الإسكندرية ودمياط

والبحيرة (٧٩) حين حضر إلى مصر سنة ٥٦٥هـ = ١١٦٩م واستقر فيها ، وأقطع أخاه شمس الدولة توران شاه : قوص^٧ وعيذاب وكان ذلك على أثر انتصاره على ثورة العبيد (٨٠) ، وكانت عبدة هذا الإقطاع : مائتي ألف دينار سنة ٥٦٥هـ = ١١٦٩م ، منها عبدة قوص وحدها مائة ألف دينار في السنة (٨١) . وسير صلاح الدين إلى هذه البلاد قبل إقطاعها لأخيه ، الأمير « أرسلان بن دغمش » لحباية خراجها ، فلما صارت إقطاعاً أرسل تورانشاه وكيلا من قبله هو شمس الخلافة محمد بن مختار (٨٢) .

ثم إن صلاح الدين أطلق يد أخيه تورانشاه في إقطاع مايفتح من البلاد لمن يشاء من أمرائه وخواصه ، ولذلك لما فتح تورانشاه النوبة في عام ٥٦٨هـ ١١٧٢م وعاد إلى قوص مركزاً لإقطاعه ، أقطع إبراهيم الكردي أحد أمرائه قلعة أبريم ، وأنفذ معه جماعة من الأكراد البطالين لمعاونته (٨٣) ، غير أنه يبدو أن شمس الدولة تورانشاه لم يقتنع بما له من الإقطاع في مصر ، وربما كان عدم اقتناعه هذا من بين الأسباب الكثيرة التي جعلته يقترح على صلاح الدين فتح اليمن بدليل أن أكثر بلاد اليمن صار إقطاعاً له بعد فتحها (٨٤) ، كذلك طلب توران شاه من أخيه صلاح الدين في عام ٥٧٤هـ = ١١٧٨م أن يقطعه بعلبك ، فأرسل السلطان إلى صاحبها شمس الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن المقدم ، لينزل عنها لتورنشاه ، فأبى ، فاضطر صلاح الدين لمحاربته حتى أجبره على النزول عنها وتسلمها . ولكن تورانشاه نزل عن بعلبك في العام التالي وطلب الإسكندرية عوضاً عنها ، فقبل صلاح الدين وأقطع بعلبك لعزيز الدين فخرشاه ابن شاهنشاه بن أيوب (٨٥) ، هذا وكان حصن رعبان من بين إقطاعات تورانشاه الواسعة (٨٦) . وفي عام ٥٨٢هـ = ١١٨٦م أقطع صلاح الدين دمشق لابنه الأفضل (٨٧) ، كما أقطع أخاه مظفر الدين أربل ، وأضاف إليها شهر زور وأعمالها ، ثم أقطع ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب حران والرها في نفس السنة بعد أن أخذهما من مظفر الدين ، وأضاف إلى إقطاع تقي الدين كذلك سميساط

ومياfarقين وحماه والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبله واللاذقية وبلاطنس وجبل جور، بجميع أعمالها فضلاً عن كفر طاب وبكراس وعدة بلاد أخرى من حماة إلى ديار بكر، كما أقطعه في مصر الفيوم وأعمالها مع القايات وبوش (٨٨)، وأمره أن يقطع البلاد للجند ويعود معهم ليقوى بهم في الجهاد ضد الصليبيين.

توجه تقي الدين في صفر عام ٥٨٧هـ = ١١٩١ م وعبر الفرات ليتسلم إقطاعاته وينظمها، فأصلح البلاد ولكنه كان كثير الطمع، فاستولى على بعض البلاد المجاورة، غير أنه توفي في ذلك العام، فأقطع صلاح الدين ابن المتوفى، وهو الملك المنصور محمد، جزءاً من إقطاع أبيه، وهو حماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم (٨٩).

أما إقطاع العادل أخى صلاح الدين فكان كبيراً، إذ شمل حلب والكرك والشوبك والبلقاء، ولكن صلاح الدين استرد حلب من العادل في ٥٨٢هـ = ١١٨٦ م وعوضه عنها حران والرها ومياfarقين، ليخرجه من الشام، وذلك لرغبة السلطان في إقطاع أبنائه البلاد الهامة والحصون، ومن أدلة ما حدث في صفر من ذلك العام، حين مرض صلاح الدين وهو على حصار الموصل فأوصى لكل واحد من أولاده بشيء من البلاد، فلما عوفي قال له سليمان ابن جندر، وكان من أصفياء صلاح الدين: «بأى رأى كنت تظن أن وصيتك تنفذ؟ كأنك كنت خارجاً إلى الصيد ثم تعود فلا يخالفونك، أما تستحي أن يكون الطير أهدى منك إلى المصلحة؟ قال صلاح الدين: وكيف ذلك؟ - (وهو يضحك) - قال: إذا أراد الطائر أن يعمل عشاءً لفراخه قصد أعالي الشجر ليحمي فراخه، وأنت سلمت الحصون إلى أهلِكَ وجعلت أولادك على الأرض، هذه حلب وهى أم البلاد، بيد أخيك العادل، وحماه بيد ابن أخيك تقي الدين وحمص بيد ابن عمك أسد الدين، وابنك الأفضل مع تقي الدين بمصر يخرجهم متى شاء، وابنك الآخر مع أخيك في خيمته يفعل به ما أراد». استحسن صلاح الدين هذا الرأى، وطلب إليه أن يكتم الخبر. وهذا هو السبب في استرجاع حلب من العادل وإعطائها إلى الملك

الظاهر بن صلاح الدين وتوزيع الشام إقطاعات بين أولاده . والظاهر أن علم الدين سليمان بن جندر كان حائناً على العادل حين كانت له حلب ، لأنه لم ينصفه وقدم عليه غيره^(٩٠) ، بل إن صلاح الدين - لهذا السبب كذلك - طلب إلى العادل في عام ٥٨٧هـ = ١١٩١م أن ينزل عن كل إقطاعاته بالشام ما عدا الكرك والشوبك والصلت والبلقاء ، وكذلك عن نصف خاصه بمصر وعوضه عن ذلك بإقطاعه البلاد الشرقية وهي منطقة الجزيرة ودجلة ، وقرر عليه في كل سنة ستة آلاف أو عشرة آلاف غرارة (الغرارة = ١٢ كيلاً)^(٩١) تحمل من النصات والبلقاء إلى القدس ، ولما استقر ذلك ، سار العادل إلى البلاد الشرقية ، لتقرير أمورها ، وعاد إلى خدمة السلطان ، وذلك في آخر جمادى الآخرة من السنة القابلة ٥٨٨هـ = ١١٩٢م^(٩٢) .

وبلغت غلة إقطاع العادل بمصر فقط سبعمئة ألف دينار في كل سنة^(٩٣) ، وللعاقل نسخة « توقيع »^(٩٤) بإقطاعه بالديار المصرية وبلاد الشام وبلاد الجزيرة وديار بكر ؛ كتب سنة ٥٨٠هـ = ١١٨٤م^(٩٤) . ويلاحظ في هذا التوقيع ذكر الصلة الأخوية بين الملك العادل وأخيه السلطان صلاح الدين ، ثم الإشادة بفضل السلطان في منحه هذا الإقطاع مع التنويه بأن الإقطاع منحة شخصية من ولى الأمر جزاء خدمات المقطع وشجاعته في الحروب ، ثم يذكر التوقيع مواضع الإقطاع ، ويوصى بأهمية العدل والإحسان وتقوى الولاة ، وعدم تناول الرشوة ، والكياسة في إدارة الإقطاع وعمارته وحفظ الأمن وسياسة الحوار وهكذا ، ثم يختتم التوقيع بتعيين العادل مقدماً للفرسان .

أما القاهر محمد بن شيركوه ، وهو ابن عم صلاح الدين ، وموضع خشيته ، لادعائه أنه أحق بالملك من صلاح الدين ، فأقطعه السلطان حمص وتدمر والرحبة وسلمية ، ولما توفي القاهر محمد هذا في سنة ٥٨١هـ = ١١٨٥م ، أبقى صلاح الدين إقطاعه على ولده وسمى جده أسد الدين شيركوه ، وخلع عليه وكتب له منشوراً بذلك^(٩٥) ، كذلك أبقى صلاح

الدين بعلبك بيد الأجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (٩٦) ،
كما أبقى حماه بيد شهاب الدين الحارمى خال صلاح الدين (٩٧) .

ومن الأمراء الذين حازوا الإقطاعات فى عصر صلاح الدين ، سيف
الدين على بن أحمد الهكارى المشطوب (٩٨) ، وكان إقطاعه نابلس وأعمالها ،
فلما مات سيف الدين هذا سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) منح السلطان ابنه
عماد الدين أحمد وأميرين معه ثلثى نابلس بعد أن أرصد ثلثها على مصالح
مدينة القدس وتشيد أسوارها (٩٩) ، وأقطع صلاح الدين الأمير حسام الدين
أبا الهيچاء السمين مقدم الأكراد الأسدية نصيبين بعد فتحها سنة ٥٧٨ هـ
(١١٨٢ م) (١٠٠) والأمير بلر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق ، تل باشر ،
والأمير سابق الدين عثمان بن الداية ، شيرز وأبا قبيس ، والأمير ناصر الدين
ابن كورس ، صهيون وحصن برزية ، والأمير عز الدين (١٠١) أسامة كوكب
عجلون ، والأمير عز الدين إبراهيم بن شمس الدين المقدم ، بغراس وكفر
طاب وفامية . وقد ظل هؤلاء الأمراء على إقطاعاتهم حتى وفاة صلاح الدين .
كذلك أقر صلاح الدين حجى بن كرامة أمير الغرب على إقطاعه ، مكافأة
له من أجل « خدمته وقيامه على الأعداء » (١٠٢) أيام فتح بيروت
سنة ١١٨٧ م .

ثم إن صلاح الدين كان يستفيد من كل قوة تخدم دولته ، ولذلك
ضم إليه الأمراء الذين خضعوا له وساعدوه فى فتوحه وأقطعهم ، كما أقر كثيراً
من الأمراء النورية على ما بأيديهم من إقطاعات وزادهم إقطاعات جديدة
لإنحيازهم إلى جانبه منذ سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) ومساعدتهم له فى فتوحه
زمن توحيد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين . ومن هؤلاء الأمير علم الدين
سليمان بن جندر وهو من « مشايخ الدولتين » النورية والصلاحية ، بحلب ،
فأقطعه صلاح الدين حصن دريساك بعد فتحها فى ذلك العام ، وزاده عليها
بلدة إعزاز فى عام ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) (١٠٣) ولما فتح صلاح الدين عينتاب
سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) ، بتسليم صاحبها الشيخ إسماعيل الذى كان خازناً

لنورالدين ، أقره السلطان عليها فبقى « في خدمة السلطان من جملة أمرائه (١٠٤) ، وأقطع صلاح الدين آمد من ديار بكر للأمير نورالدين محمد بن كرد أرسلان الأرتقي صاحب حصن كيفا مكافأة له على نجده في فتح أنطاكية في نفس ذلك العام (١٠٥) ، كما أقطع الرها إلى الأمير مظفر الدين كوكبوري بن قطب الدين بن ينال بن حسان المنبجي من الأمراء النورية (١٠٦) .

بل إن من سلالة البيت الزنكي نفسه من خضع لصلاح الدين فأقرهم على إقطاعهم ، وهذا شبيه بالإلحاء ، مثله في ذلك مثل جميع الأمثلة من الإقطاعات التي أقر صلاح الدين أصحابها عليها ، ومنهم : الأمير عماد الدين زنكي ابن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب سنجار (١٠٧) ، الذي أقره صلاح الدين على ما بيده حين خضع له سنة ٥٧١ هـ - ١١٧٥ م ثم أخوه عز الدين مسعود الذي أقره صلاح الدين على الموصل ، وكذلك أقر معز الدين سنجر شاه بن غازي على الجزيرة (١٠٨) ، وجميع هؤلاء الأمراء ساعدوا صلاح الدين في فتوحه بالعسكر والسلاح (١٠٩) .

واستعان صلاح الدين وخلفاؤه من بعده كذلك ، بعربان مصر ، وأهمها جذام وثلعة (١١٠) فأقطعهم الإقطاعات نظير المحافظة على الأمن والاشتراك معه في الجهاد ، وجاءت غالبية إقطاعاتهم بالبلاد المصرية الشرقية ، فكانت إقطاعات جذام هريط وتل بسطة ونوب (١١١) وغيرها . وأما إقطاعات ثلعة فكانت في مناشير جذام ، ومن جذام « هدبا سويد » الذي أقطع فاقوس ؛ ثم إن صلاح الدين أقر جماعة من جذام منهم : أبو راشد بن حبيش ودحية ونابت ، ولم تزل الإمرة في نجم وبنيه (١١٢) حتى أيام المقریزی .

وجاءت إقطاعات الحيادة ، ولد حيدرة بن معروف ؛ في البرامون (١١٣) ومن أمثرتهم صلاح الدين من الحيادة معبد بن منازل ، أما إقطاعات الشواكرة - ولد شاكر بن راشد - في سنبارة (١٠٤) بنى خصيب ، كما

أن بنى خليفة وحصن من بنى عبيد ؛ أقطعوا موضعاً يعرف بالأحرار قرب هريبط ، وأقطع مهيب بن علوان كفر برشوط (١١٥) ، ووجدت إقطاعات بنى ردينى فى تل محمد (١١٦) ، ومن بنى ردينى المعروفين ؛ أولاد جاش بن عمران . ومن الأعراب الذين اشتهر أمرهم أواخر الدولة الأيوبية نى أبو خثعم من ولد مالك ، فقد ارتفع ذكره زمن الصالح نجم الدين أيوب وفى أوائل عهد المماليك زمن أيك ، حتى اقتنى فى إقطاعه كثيراً من المماليك الأتراك (١١٧) .

لم يكن من بأس لدى صلاح الدين أن يعطى إقطاعاً لعدوه متى أمن شره ، وذلك حقناً لدماء المسلمين ، فقد حدث على أثر وقعة حطين ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م أن استسلم صاحب « حصن شقيف أرنون » وهو قلعة حصينة فى كهف من الجبل قرب بانياس (١١٨) ، وطلب إليه أن يقطع مسكناً بدمشق لأنه لا يستطيع بعد استسلامه أن يساكن الفرنجة ، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك (١١٩) . كما أنه كان من بين الشروط التى قبلها صلاح الدين من الصليبيين أن يقطع فرسان الداوية والاسبتارية بعض البلاد والقرى ، وكل هذا حسماً للنزاع وحقناً للدماء مؤقتاً (١٢٠) .

وقد سار خلفاء صلاح الدين (١٢١) فى مصر والشام على سنته ، فصارت مصر بجميع أعمالها للعزير عثمان وأتابكه ، وصارت دمشق والشطوط البحرية وبيت المقدس والناصرية وبانياس وسوريا الغربية للملك الأفضل على ؛ كما صارت حلب وبقية سوريا ومن ضمنها حران وتل باشرو عزاز ومنبج للملك الظاهر غازى ، ومن هؤلاء الثلاثة تكونت ثلاث دول كبيرة ؛ أما بقية أفراد الأسرة ويلقبون « بالمشاركة » أى أمراء المشرق بما فيهم الظاهر غازى ؛ فمنهم : الملك العادل سيف الدين أبو بكر وإقطاعه : الكرك والشويك والبلاد الشرقية وكذلك الخزيرة والرها وسميساط والرقه وقلعة جعبر وديار بكر وميفارقين ، وهى البلاد التى كان صلاح الدين أعطاها له فى حياته ، ثم الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر ، وإقطاعه

حماء وسلمية ومنبج وقلعة نجم ، ثم الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب وإقطاعه بعلبك ، ثم شيركوه بن شادى فى حص والرحبة وتدمر ، والملك خضر بن صلاح الدين فى بصرى على أن يكون فى خدمة أخيه الملك الأفضل ، واليمن للملك ظهير الدين بن سيف الإسلام طغتكين أخى صلاح الدين ، والبيرة وبعض أعمالها للملك الزاهر مجير الدين داود بن صلاح الدين (١٢٢) ؛ وظل بعض الحصون والبلاد بيد أمراء الدولة كما كانوا أيام صلاح الدين (١٢٣) . وقد سار أولئك جميعاً سيرة صلاح الدين فى التوزيع الإقطاعى الحربى ، ولم يكن لديهم ما يحول دون منح الإقطاع ولو لأمير مغامر أجنبي عن البلاد ، طرأ على البلاد الدولة ، وطلب الدخول فى خدمتها مادام يؤدى الخدمة الحربية ، وهناك نسخة «توقيع» لأمير من هذا النوع ، ليس فيها ما يدل إلا على أهمية الجهاد الحربى ، وسرعة استجابة أولى الأمر فى مصر والشام للانتفاع بكل من عساه يخدم الدولة ، فضلاً عن تشجيعهم لنوى المواهب الحربية بزيادة الإقطاع إذا حسن بلاؤهم فى الحرب (١٢٤) .

ومن الإقطاعات التى منحها العزيز عثمان بن صلاح الدين ، نابلس ، منحها للأمير فارس الدين ميمون القصرى وذلك عام ٥٩١هـ = ١١٩٤م وحدد له عدد الفرسان الذين ينبغى أن يتقدم به لحرب الصليبيين عند الضرورة بسبعمئة فارس ، وفارس الدين هذا من أمراء الظاهر غازى بن صلاح الدين ، وله من الإقطاعات صيدا قبل أن يحصل على نابلس (١٢٥) . وبعد استيلاء العزيز عثمان على دمشق من أخيه الأفضل ٥٩٣هـ = ١١٩٦م؛ أقطعها لعمه العادل (١٢٦) .

وأقر الأفضل على بن صلاح الدين أمراء الغرب على مابأيديهم ، نظراً لحاجته إلى عونهم فى صراعه ضد أخيه العزيز عثمان ، إذ رد على كتاب ورد إليه من حجى (جمال الدين حجى بن كرامة) الداخلى فى طاعته ، وحثه فى هذا الرد على الجهاد ، ووافق على إقطاعه الغرب جميعه ، وتاريخ هذا الرد ١٦ رمضان ٥٩٣هـ = ١١٩٦م (١٢٧) ؛ ويتضح من هذا أن أمراء الغرب

تبع دائماً لمن غلب ، احتفاظاً بما لديهم من البلاد والإمرة ، ولا فرق عندهم بين ملك إسلامي يعلو أو صليبي يظهر أو مغولي يتحكم ، فالمهم كله طلب السلامة وإيثار العافية (١٢٨) ولذلك ، خضعوا للصليبيين ، ولهم منشور من صاحب صيدا الفرنجي ٥٦٥٤هـ = ١٢٥٦م (١٢٩) ؛ كما أنه لما تغلب التتار على الشام واضطربت أمور البلاد ، توجه جمال الدين من أمراء الغرب إلى دمشق حيث يقيم كتبغا نائب هولاء بالبلاد ، فاجتمع به ، وأظهر خضوعه للتتار فكتبوا له منشوراً ، بإقراره على ما بيده ، وأبرز ما فيه أنه صدر بعلامة هولاء فوق البسمة «مالك بسيطة الأرض هولاء كوخان زيدت عظمتة» (١٣٠) وكان هذا شأنهم دائماً في كل عهد . (١٣١)

واسنادى العادل أبو بكر ، أخو صلاح الدين ، الإقطاع الحربي ، وسيلة للرشوة لجلب الأنصار ، خلال النزاع الذي دب بين أبناء صلاح الدين ، إذ كانت الأسدية في مصر ، في ١١٩٣ م قد حنت على العزيز عثمان لتقديمه الممالك الصلاحية عليهم ، فراسلهم العادل ووعدهم بالأموال والإقطاعات (١٣٢) ، ثم إنه رتب أمور الإقطاعات خلال أتاكبته للعزيز بمصر فغير الإقطاعات ووفر الارتفاعات وعمال الأعمال وذلك في سنة ٥٩٢ هـ = ١١٩٥ م (١٣٣) ؛ كما لم يفته ، حين انفرد بالأمر بمصر والشام ؛ على غرار صلاح الدين ؛ أن يقطع أبناءه دون غيرهم ، فأقطع ابنه الملك الأشرف موسى بلاد مارين سنة ٦٠٢ هـ - ١٢٠٥ م ؛ وكان صاحبها ناصر الدين أرتق (١٣٤) وأقطع ابنه الكامل أعمال الشرقية التي كانت له أيام أخيه صلاح الدين وجعله ولي عهده وحلف له الأمراء ، كما أقطع ابنه الملك المعظم عيسى قلعة صرخد (١٣٥) وكانت بيد الأمير ابن قراجا من مقدمي الممالك الصلاحية حتى ٦٠١ هـ - ١٢٠٤ م ، فعوضه عنها مالا وإقطاعاً (١٣٦) .

ثم إن أبناء العادل سواء في حياة والدهم أو بعده ، كانوا يوزعون أنصبتهم إقطاعات على أمرائهم ، فوزع المعظم بن العادل في حياة أبيه البلاد الشامية على ممالكه ، حتى إنه عندما توجه العادل لقتال الصليبيين ؛ بعد نقض

عهدهم ٥٦١٤ = ١٢١٧ م ؛ أنب ابنه وقال : بمن أقاتل ؟ أقطعت الشام
ممالكك وتركت أولاد الناس (١٣٧) .

ولما كانت القاعدة في ذلك العصر الإقطاعي هي توزيع الملك أنصبة
بين أبناء الأسرة إقطاعات ، كالإرث ، كما فعل صلاح الدين ومن قبله
السلاجقة وآل زنكي ، فإن العادل سار على هذه القاعدة وقسم البلاد بين
بنيه قبل وفاته : الكامل في مصر والمعظم في الشام والعزیز عثمان في بانياس
والحافظ أرسلان في قلعة جعبر والصالح إسماعيل في بصرى ، لكنه تمكن
بعد ذلك من الاستيلاء على دمشق ، كذلك اختص الملك الأشرف موسى
بالبلاط الشرقية (أي شرقى الشام) والأوحد أيوب في خلاط ، وهذه صارت
للأشرف بعد ذلك : فأقطعها أخاه شهاب الدين غازى صاحب ميفارقين
وأضاف إليها جميع أعمال أرمينية ومدينة حانى في ٥٦١٨ = ١٢٢١ م (١٣٨) .

ولما جاء الملك الصالح نجم الدين أيوب ، أقر أمراء الغرب على
إقطاعاتهم ، فكتب في سنة ٥٦٤٤ = ١٢٤٦ م إلى الأمير نجم الدين محمد بن
حجى كتاباً يمدح فيه طاعته وحسن خدمته ويأمره أن يبقى على عادته القديمة
مع زيادة المال المرتب له ولمن معه ، وبأن يستجلب للخدمة كل من يقدر
عليه ؛ ويخبره أنه آت إلى البلاد ويأمره باستقباله بمن معه ، وكتب الملك الصالح
كذلك سنة ٥٦٤٧ = ١٢٤٩ م بخطه «توقيعاً» باسم الأمير زين الدين بن على
من أمراء الغرب مضمونه : « أنه يجرى له من الإقطاع في الناحية الغربية
والجنوبية من جبل بيروت : القماطية ومزارعها ، شمال ومزارعها ،
ومن الجنوبية : بناثر بكاملها وكفر عمية ومزارعها ؛ وذلك جزاء لخدمته ،
وتشجيعاً له على الاستمرار في المحافظة على الثغور المندوب إليها ، ومن الغرب :
بيصور ومزارعها ، مجدليا والدوير ، ثلث عرمون ومزارعها كيفون
ومزارعها وغيرها . وأن يجرى على ما يده من الأملاك المستمرة عليه وعلى
والده من قبله (١٣٩) » .

الأيوبيون في مصر (١)

- ١ - الملك الناصر صلاح الدين أبوالمظفر يوسف بن أيوب
(٥٦٤-٥٨٩ هـ / ١١٦٩-١١٩٣ م)
- ٢ - الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين (٥٨٩-٥٩٥ هـ / ١١٩٣-١١٩٨ م)
- ٣ - الملك المنصور ناصر الدين محمد (٥٩٥-٥٩٦ هـ / ١١٩٨-١١٩٩ م)
- ٤ - الملك العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أيوب
(٥٩٦-٦١٥ هـ / ١١٩٨-١٢١٨ م)
- ٥ - الملك الكامل ناصر الدين أبوالمعالى محمد بن العادل
(٦١٥-٦٣٥ هـ / ١٢١٨-١٢٣٨ م)
- ٦ - الملك العادل الثانى (٦٣٥-٦٣٧ هـ / ١٢٣٨-١٢٤٠ م)
- ٧ - الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧ هـ / ١٢٤٠-١٢٤٩ م)
- ٨ - الملك المعظم تورانشاه بن الصالح (٦٤٧-٦٤٨ هـ / ١٢٤٩-١٢٥٠ م)
- ٩ - الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن يوسف بن محمد (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م)

(١) هناك فروع أخرى للأيوبيين حكمت في دمشق وحلب وميافارقين وسنجار واليمن وبعلبك وحمص والكرك وحماه وحصن كيفا وآمد وبانياس وسببية وبصرى. والواضح أن الدولة الأيوبية سارت على سنة السلاجقة في تقسيم الدولة كالإرث بين الأبناء ، مع وجود سلطان أكبر هو سلطان مصر .

(راجع : زامبارو ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٥ ، مفرج السكروب ج ١ ، ج ٢ - نشر الشيال - الروضتين في أخبار الدولتين - النجوم الزاهرة ج ٦ ، ج ٧)

وفي أواخر الدولة الأيوبية ، أنشأ الملك الصالح فرقة المماليك البحرية حين تفرق الأكراد عنه ولم يبق معه سوى مماليكه ، فأكثر من شراء المماليك وجعلهم معظم عسكره ، وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وقطع أخبازهم وأعطى مماليكه الأمريات فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه ، وبنى لهم القلعة بجزيرة الروضة سنة ٦٣٨هـ = ١٢٤٠م وأسكنهم بها (١٤٠) وسماهم البحرية (١٤١) إما لأن معظمهم جاء من البلاد البحرية أو الشمالية (١٤٢) وإما لأنهم أقاموا بجزيرة الروضة ببحر النيل كما كان يطلق عليه . وبعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب خلال الحرب الصليبية بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا (١٤٣) ، قامت شجرة الدر بتدبير الملك حتى يحضر ابنه المعظم ، وقام بجانبها الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ ، وكان من كبار دولة الصالح ، « فاقطع البلاد بمنشير للأمراء والأجناد » (١٤٤) .

هذا هو نظام الإقطاع الحربى الذى عممته الدولة السلجوقية التركية ، منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، وأخذته عنها الدول التى سادت فى الشرق الأوسط خلال العصور الوسطى .

على أن هذا النظام ، لم يكن النظام الإقطاعى الوحيد الذى وجد فى تلك الفترة ، بل وجد بجانبه نظام إقطاعى آخر ، انتقل من أوروبا إلى الدويلات الصليبية التى قامت بالشام .

جاء الصليبيون إلى الشرق الأوسط أواخر القرن الحادى عشر ، واستولوا على بيت المقدس عام ١٠٩٩م ، وأنشأوا الإمارات الصليبية أو الدويلات اللاتينية فى قلب هذه البلاد . وتتكون هذه الإمارات من مملكة القدس الصليبية تتبعها ثلاث إمارات هى : الرها وأنطاكية وطرابلس (١٤٥) .

قام التنظيم فى الدويلات الصليبية ، على أساس النظام الإقطاعى الغربى الذى كان سائداً فى أوروبا فى ذلك الوقت ، ولما كان سادة الإقطاع الأوربى من الأمراء والملوك والمغامرين ، هم الذين قاموا بهذه الحرب ، كان من من الطبعى أن يقيموا النظام الذى عرفوه ونشأوا فيه ، والذى لم يكن هناك غيره .

اتخذ الصليبيون الأوائل قاعدة في التوزيع الإقطاعي ، ويتضمن هذا التوزيع معنى اقتسام الغنيمة ، فجعلوا للقادمين الأولين ، أي لأنفسهم ، الحق الكامل في كل حصن أو بلد أو إقليم يضعون أيديهم عليه (١٤٦) . وانتقل النظام الإقطاعي الغربي كاملاً إلى الشرق ، ولكنه اختلف عن بعض خصائصه الغربية ، نزولاً على الوضع القائم بالشرق الأوسط . فمثلاً نجد أن الخدمة الحربية الإقطاعية في أوروبا كانت مقررة نظرياً بأربعين يوماً ، يخدمها التابع عند سيده مع أتباعه المسلحين ، ولكن هذه المدة لم تحدد في الشرق ، نظراً لقيام التحدي المستمر من جانب المسلمين المحيطين بالصليبيين . ونظمت الحقوق والالتزامات المتبادلة بين السيد وتابعه ، على النحو المعروف في غربي أوروبا (١٤٧) .

وجد الإقطاع الحربي كذلك عند بعض الدول الإسلامية التي سادت في شمالي إفريقيا ، وما يتصل به من بلاد الأندلس ؛ وقد عاصرت هذه الدول السلاجقة ، كما عاصرت ورثتهم في هذا النظام . من ذلك ما كان لجيوش المرابطين من إقطاعات حربية ، وقد توسعوا في هذا النظام على أثر فتحهم الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين عام ٤٤٨هـ - ١٠٥٦م .

وفي مراکش على عهد بني مرين (٦١٠ - ٨٧٦هـ = ١٢١٣ - ١٤٧١م) المعاصرين للأيوبيين والمماليك ، كان للأشياخ الكبار من الجند الإقطاعات الحارية عليهم ، لكل واحد منهم ٢٠ مثقالاً من الذهب يأخذها من قبائل وقرى وضباع ، ومعنى الإقطاع هنا العطاء أو الراتب ، وكذلك كان لكل واحد من هؤلاء المخصصات من الحبوب من القمح والشعير ونحوها ، مما يقدر بنحو ٢٠ ألف وسق ، وفضلاً عن ذلك ، لكل منهم في رأس كل سنة « حصان بسرجه ولحامه وسيف ورمح محليان ، وبقجة قماش وجوخ » ، وللأشياخ الصغار من الإقطاع والإحسان نصف مائة دينار (١٤٨) .

هوامش الفصل الأول

(١) بلغ عطاء الجندى الراجل في العصر الأموي ١٠٠ درهم في الشهر ، وفي العهد العباسي ، خفض الخليفة أبو عبد الله السفاح هذا الراتب إلى ٨٠ درهماً ، وجعل راتب الفارس ضعف راتب الراجل . وعموماً اختلفت رواتب الجنود باختلاف المواقع التي يعسكرون فيها ، فمثلاً قرر الخليفة المأمون لرجالة العراق ٢٠ درهماً في الشهر للواحد منهم ، ولل فارس ٤٠ درهماً ، على حين كان راتب الراجل في دمشق ٤٠ درهماً في الشهر وراتب الفارس مائة درهم (سيد أمير على ص ٣٧٥) .

(٢) خطط ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٣) انظر ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٥ .

(٤) انظر مايلي

(٥) ينتسب البويهيون إلى جدهم أبي شجاع بويه ، وهو من فقراء العامة من الفرس ، غير أن أبنائه الثلاثة على والحسن وأحمد ، اشتغلوا أجناداً عند بعض حكام العجم الذين استقلوا ببعض الولايات الخاضعة للخلافة العباسية ، وظلوا على ذلك حتى قوى أمرهم ، فأصبح على بن بويه حاكماً على بلاد الكرج من قبل المتغلب عليها وهو مراد ويح الديلمي ، ثم اشتهر أمره واستولى على جزء من بلاد فارس ، إلى أن اتسعت مملكته ، فكتب إلى الخليفة الراضي العباسي بالولاية والمقاطعة على فارس . كما أن أخاه أحمد ، وهو الملقب بمعز الدولة ، أصبح صاحب الأمر والنهي في الخلافة العباسية في بغداد عام ٨٣٣٤ - ٩٤٦ م (راجع الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٤٤ ، ٢٤٦ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، السلوك ج ١ ص ٢٦ ، ٢٧ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٣٩٥ - ٣٩٦) .

(٦) تجارب الأمم ج ٥ ص ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ج ٦ ص ٩٦ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٦ ، ج ٤ ص ٤٣٥ .

(٧) عرف ابن شهرزاد بالشره للمال وجمعه من أي باب ، ويقال إنه ضمن اللصوصية في بغداد لحمدى اللص بمبلغ ٢٥ ألف دينار في كل شهر ، وسلط الجند على العامة وتفرغ للأذى (انظر النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٨٠ - ٢٨٦) .

(٨) تجارب الأمم ج ٦ ص ٧٩ .

(٩) تجارب الأمم ج ٦ ص ٩٨ .

(١٠) تجارب الأمم ج ٦ ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ، ٢٩٨ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٤٢١ - ٤٢٢ ، ج ٤ ص ٤٣٥ .

(١١) ذيل تجارب الأمم ص ٢٤٧ ، ٣٢٣ - ٣٢٨ .

- (١٢) سيد أمير علي ص ٢٧٤ .
- (١٣) دولة آل سلجوق ص ٥٥ .
- (١٤) دولة آل سلجوق ص ٥٥ - ٥٦ .
- (١٥) دولة آل سلجوق ص ٥٥ - ٥٦ .
- (١٦) Dutailis Feudal Monarchy in France & England, pp. 36-51
- (١٧) Stenton : The First Century of English Feudalism pp. 7-٥٥
- (١٨) Dutailis, Op. cit. p. 6٥
- (١٩) Stenton and Op. Cit. ٥2-٥3
- (٢٠) Dutailis, Op. Cit. 66. 66-7٥
- (٢١) ابن تغري بردي : ج ٥ ص ١٦١ ، ٢٠١ .
- (٢٢) المصدر السابق .
- (٢٣) Sanaullah. The Destine of the Seljukid Empire. p. 8٥
- (٢٤) راجع المعجب ص ١٩١ - ١٩٢ .
- (٢٥) المعجب ص ١٩٣ .
- (٢٦) ابن خلّون ج ٤ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- (٢٧) ابن خلّون ج ٣ ص ٤٧٦ زج ٤ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- (٢٨) بنو عقيل أميرهم قریش بن بدران أمير العرب ابن المقلد أبو المعالي العقيلي توفي سنة ٥٤٥١ - ١٠٦١ م ، وكان إبراهيم بن قریش مقطع الموصل حين توفي ملكشاه في سنة ٥٤٨٥ - ١٠٩٢ م وخرج إبراهيم لمحاربة قتلش حين طمع في السلطة وقتل في هذه الحرب مع أعيان بني قریش ، أما مسلم بن قریش بن بدران أبو المكارم شرف الدولة فقد شمل إقطاعه الموصل والجزيرة وحلب في دمشق سنة ٤٧٥ هـ - ١٠٨٢ م وقتل في حرب بينه وبين سليمان بن قنلمش سنة ٤٧٧ هـ ، أخلصت هذه الأسرة لسلطين السلاجقة حتى إن علي بن مسلم بن قریش ساعد برکیاروق في نزاعه مع عمه قتلش ، كما كان له جهاد مشكور في حرب الصليبيين .
- (نجوم ج ٥ ص ٦، ٧ حاشية ٤ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩) الروضتين ٢٥ ، ١٢٥ .
- (٢٩) الأمير بوزان أمير ترکان خدم السلاجقة وأخلص للسلطان ملكشاه وساعد قتلش في دفع جيوش الفاطميين بقيادة بدر الجمالي وكان مقتله على يد قتلش سنة ٥٤٨٧ - ١٠٩٤ م فانضم بماليكه إلى تركيا روق حين نازعه قتلش على السلطنة ورماه أحد مماليك بوزان بسهم فقتله في سنة ٥٤٨٨ - ١٠٩٥ م (الروضتين ص ٣٥ ، نجوم ج ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٥٥) .
- (٣٠) مراغة أشهر بلاد أذربيجان وكانت تدعى « افراز هرور فمسکر فيها مروان بن محمد حين ولايته لأرمينية وأذربيجان ، وكانت دوابه تتمرغ فيها فجعلوا يقولون : ابنوا قرية المراغة

- فحذف الناس القرية وقالوا : مراغة (نجوم ج ٣ ص ٨٤ حاشية ٣ عن معجم ياقوت) .
- (٣١) نجوم ج ٥ ص ٢٠٨ .
- (٣٢) ابن خلّون ج ٣ ص ٤٩٤ ، نجوم ج ٥ ص ٣٣٢ .
- (٣٣) الروضتين ص ٢٦ ، نجوم ج ٥ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، مفرج الكروب (نشر الشيال)
- ج ١ ص ١٩ .
- (٣٤) اكتسب قسيم الدولة احترام السلاجقة وساعدهم وفتح باسمهم قامية من ابن ملاعب التابع للفاطمين سنة ٥٤٨٤ هـ حين حاصرتش طرابلس ، توقف قسيم الدولة احتراماً لمنشور ملكشاه إذ أظهره صاحبها ابن عمار ... (الروضتين ص ٢٧ ، نجوم ج ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، انظر مايلي ، ابن الأثير ج ١٠ ص ٧٥) .
- (٣٥) الروضتين ص ٢٤ ، ٢٥ .
- (٣٦) انظر مايلي .
- (٣٧) أبو الفداء ص ١٤٩ ، نجوم ج ٥ ص ١٨٨ .
- (٣٨) الروضتين ص ٢٦ ، ٢٩ .
- (٣٩) وظيفة الشحنة أو الشحنة هي رئاسة الشرطة (راجع السلوك ج ١ ص ٣٥ حاشية ١ ص ٤٠ حاشية ٥ و ص ٩٧٩ حاشية ٣ ، وانظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية بالملاحق) .
- (٤٠) آق سنقر البرسقي أحمدبلي صاحب همذان وأذربيجان .
- (٤١) على أثر الصلح مع المسترشد ، اختبر السلطان محمود السلجوقي أمراءه وأعيان دولته ، فلم ير فيهم من يقوم بمنصب الشحنة خيراً من زنكي ، وصدق أمراؤه على هذا الترشيح وقالوا ه لا يصلح لذلك وإعادة ناموس العراق ولا تقوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكي ه فأسند إليه الولاية مضافاً إليه ما بيده من الإقطاع . وذلك في ربيع الآخر سنة ٥٥٢١ هـ - ١١٢٧ م (الروضتين ص ٢٩) .
- (٤٢) الروضتين ص ٢٩ ، ٣٠ ، ابن خلّون ج ٣ ص ٥٠٠ .
- (٤٣) فتح في سنة ٥٥٣٤ - ١١٣٩ م بعلبك واستولى على شهرزور وأعمالها وما يجاورها من البلاد والجبال وكانت بيد آل مهارش ، وفي سنة ٥٥٣٩ - ١١٤٤ م استولى على إمارة الرها الصليبية بأعمال الفرات ، وفي سنة ٥٥٣٩ ، أخذ المعرة وكفر طاب وقلمة جعبر ، وكان مقتل زنكي خلال فتح هذا الحصن الأخير بعد استيلائه على إمارة الرها الصليبية (الروضتين ص ٣٣ ، ٤٢ ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ج ٦ ص ٥) .
- (٤٤) استقل سليمان بإقطاعه وتوسع في فتوحه ، وحارب تتش فقتل سنة ٥٤٧٩ هـ وخلفه ابنه قليج أرسلان الذي اتصل بخدمة ملكشاه وفتح باسمه معظم البلاد الروم مثل ملطية وقيسارية وأقصرى وقونية وسيواس ، فأقره بها ملكشاه ، ثم أضاف إليه ميافارفين ، وخلال النزاع بينه وبين جاولي مملوك ملكشاه ، رأى الهزيمة ، فآلى بنفسه في نهر فغرق سنة ٥٤٩٨ هـ (نجوم ج ٥ ص ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ سيد أمير على ص ٢٨٦) .

(٤٥) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٩ .

(٤٦) أنس بن أوق مقدم الأتراك خوارزمي الأصل ومن أمراء السلطان ملكشاه ، فتح الرملة وبيت المقدس وضائق دمشق وأخرب الشام جمعه في سنة ٥٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م ثم استولى على دمشق سنة ٥٤٦٨ هـ - ١٠٧٥ م وخطب فيها للمقتدى العباسي ، فلما جاء تتش حاربه واستولى على الشام (نجوم ج ٥ ص ٨٧ ، ١٠ ، ٢٠١ ، ١٥ ، ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٥) .

(٤٧) بعد استيلاء تتش على فلسطين كانت معظم بلاد الشام تابعة للفاطميين فقد قام بدر الجمالي وزير المستنصر الفاطمي لصدده (نجوم ج ٥ ص ١٢٨ ، ابن خلدون ج ٤ ص ٦٥ ، ٦٦ ، ابن الأثير ج ١٠ ص ٤١) .

(٤٨) أرتق بك جد الملوك الأرتقية ، وكان له جهاد مشكور ضد القرامطة وأخذ بلادهم سنة ٥٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م كما ورد في كتاب له إلى الخليفة المقتدى العباسي ومات بالقدس وخلفه ولده سقمان (سنة ٥٥٠٤ هـ - ١١١٠ م) ، وأيلغازي (ت ٥٥١٦ هـ - ١١٢٢ م) وهما أول ملوك الأرتقية ظهوراً ، وظل الإقطاع بأيديهم حتى استولى الأفضل بن بدر الجمالي على فلسطين ٤٨٩ - ٥٤٩٠ هـ - ١٠٩٦ م ثم الصليبيون سنة ٥٤٩٣ هـ - ١٠٩٩ م .

النجوم ج ٥ ص ١٠٦ حاشية ١ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٥٩ .

(٤٩) كانت تكريت البطائح بينه وبين أخيه بركيا روق .

(٥٠) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٩٠ ، ٤٩١ ، نجوم ج ٥ ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٥١) قليج أرسلان كان بأرمينية ، وهوابن مسعود بن محمد بن ملكشاه ، وتوفي سنة

٥٥٥١ هـ - ١١٥٦ م (نجوم ج ٥ ص ٣٠٠ ، ٣٢٤ ، ٣٦٢) .

(٥٢) الروضتين ص ٢٨ ، نجوم ج ٥ ص ٢١٦ ، ٢١٨ .

(٥٣) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٩٦ ، جبهة الأخبار - مخطوط ورقة ٥ .

(٥٤) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٧٩ .

(٥٥) جد الأيوبيين هو شادى من بلد دوين بالعجم وهو من الأكراد الروادية جاء ومعه ولده : نجم الدين وأسد الدين . والتحق الولدان بخدمة بهروز الخادم (أبوالحسن مجاهد الدين خادم السلطان مسعود السلجوقي الروى ، صاحب شحنة العراق من البصرة إلى الموصل إلى أصفهان وكانت تكريت إقطاعاً له ، فجعل أيوب دزدار قلعتها أى حافظاً لها ، وعلى أثر انهزام زنكى أمام الخليفة المسترشد سنة ٥٥٢٦ هـ - ١١٣١ م خدمه أيوب بأن أقام له المعابر فوق دجلة وبالع في إكرامه فحفظ له زنكى هذا الصنيع ، ثم خرج أيوب من تكريت على أثر وقوع نشابة في مملوك بهروز قتلته من غير قصد واستحى نجم الدين من سيده ، خرج ومعه أخوه أسد الدين وتوجها إلى الموصل حيث أحسن إليهما زنكى . (الروضتين ص ٩٥ - ٩٦ ، ١٢٩ - ١٣٠ وما بعدها ٢١٠ ، شفاء القلوب ورقة ابن شداد ص ٢٦٠ ، نجوم ج ٥ ص ٢٧٧ ، ٣٦٧ ، ج ٦ ص ٤ ، ٦ مفرج الكروى ج ١ ص ٣ - ٦) .

(٥٦) اصطنع نور الدين الخيلة في الاستيلاء على دمشق حقناً للدماء المسلمين بأن كره صاحبها

آبق في أمراءه فكان يقطع الأمير تارة ويقبض عليه تارة حتى خلت دمشق من الأمراء وحينئذ عجز عن مقاومة نور الدين حين أرسل إليه أسد الدين شيركوه بمساعدة أخيه نجم الدين أيوب للاستيلاء عليها . وقد ولي صلاح الدين شحنجة دمشق عام ٥٦٠ هـ ، لما برز فيه من صفات النبوغ والكفاءة (نجم ج ٥ ص ٢٧٧ ، ٣١١١ ، ٣٦٧ ج ٦ ص ٥ ، ٧١ ، مفرج الكروب ورقم ٤ ، ابن شداد ص ٢٦٠ ، الروضتين ص ٩٥ ، ٩٦ ، ١٢٩ ، ٢١٠) .

(٥٧) بزاعة قرية من أعمال حلب وفيها عيون ومياه جارية وأسواق (معجم البلدان) .

(٥٨) الروضتين ص ١٥٢ ، نجوم ج ٥ ص ٢٧٩ و ٣٨١ .

(٥٩) تسلم حسان المنبجي مدينة تل باشر كذلك سنة ٥٥٣ هـ - ١١٥٨ م حين أرسل أهلها يستغيثون بنور الدين فأرسل إليهم حسان فتسلمها وحصلها باسم أستاذه .

(٦٠) أخذها صلاح الدين من يخال وأسره ثم أطلقه ، فتوجه إلى الموصل حيث أقطعه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ، مدينة الرقة ، ودخل بعض أبناء أسرة حسان في خدمة صلاح الدين (الروضتين ص ٩٧ ، ابن شداد ص ٢٧٢ ، ٢٨٠) .

(٦١) الجهات التي يتكرر ذكرها في الإقطاع مثل قلعة جبر والرها وغيرها ، يدل على مناقلاتها من مقطع إلى آخر لأي سبب من أسباب الانتقال (انظر ما يلي) .

(٦٢) كان فخر الدين ابن الزعفراني سيء السيرة فلم يستطع المقام بخص أو حماه بعد وفاة نور الدين ، وسقطت هذه البلاد جميعها في يد صلاح الدين حين زحف على دمشق بعد وفاة نور الدين ٥٧٥ هـ - ١١٧٤ م . (أبو الفداء ص ٤٠ ، ٤٥) .

(٦٣) يلاحظ تكرار إقطاع البلد الواحد لأكثر من مقطع ، وهو يدل على انتقال المقطع من جهة إلى أخرى ، وهنا الإقطاع يتضمن معنى الولاية والحكم .

(الروضتين ص ٥ ، الذهب المسبوك ورقة ٧٦ ، ابن شداد ص ٢٧٠ ، انظر الفصل الثامن) .

(٦٤) تاريخ بيروت ص ٩٠ وما بعدها ، أخبار الأعيان ص ٢٢٣ ، ٣٢٥ .

(٦٥) بنو الغرب عرب قحطانية تملكوا في غرب لبنان ، ما عرف باسم بلاد الشف وأملأهم منذ جدهم بحتر الأول مثبتة بمحاضر شرعية ، وظلت هذه المحاضر حتى القرن التاسع الهجري ، وخضع كل أمير يظهر سلطانه ، وبذا تمكنوا من المحافظة على أملاكهم ، وأول منشور كتب لهم كان لبحتر بن علي عام ٥٤٥٢ هـ - ١٠٤٧ م من قبل ظهير الدين طفتكين أتابك دمشق من قبل السلاجقة ، ثم منشور من قبل السلطان مجير الدين آبق من سلاله طفتكين بدمشق سنة ١١٤٧ م إلى الأمير بحتر بأن يبقى على رسومه المستمرة في الضياع المنسوبة إليه في الغرب باسم والده واسمه ويتناول الأموال الأميرية ويصرفها على الخدمة ... (تاريخ بيروت ص ٩٠-٩٤ ، أخبار الأعيان ص ٢٢٣ - ٢٢٤) .

(٦٦) نص المنشور بالملاحق (تاريخ بيروت ص ٤٨ - ٤٩ ، أخبار الأعيان)

(٦٧) كانت هذه العشائر من العرب وغير العرب ، قد نزلت على سواحل الشام في أزمان مختلفة ، قصد

المرابطة ضد غزوات البيزنطيين والصليبيين البرية والبحرية ، وكان أشهرها عند الفتح المماني :
آل معن وآل عساف وآل سبغا وآل تنوخ . وقد توزعت الحكم في لبنان . . (انظر : : بينهم :
الحلقة المفقودة في تاريخ العرب ص ٤٤ وما بعدها) .

(٦٨) ابن خلّون ج٤ ص ٧٩

(٦٩) الجامكيات أو الجوامك هي الرواتب عامة ، وكانت نفقة الممالك السلطانية عبارة
من جوامك وعليق وكسوة وغير ذلك (السلوك ج١ ص ٥٢ ، حاشية ١ ، صبح الأعشى ج١٣ ص ٤٥٧)

(٧٠) الروضتين ص ٢١٩

(٧١) السلوك ج١ ص ٥٢

(٧١) السلوك ج١ ص ٥٢

(٧٢) خطط ج١ ص ١٣٩ - ١٤٠

(٧٣) قبائل وقبالات ، جمع قبالة ، وهي الأرض يتقبلها أصحابها ، أي يضمونها بمبلغ
من المال يؤديه عنها في كل سنة ، ولكل نوع من الأراضي قطعة أي ضريبة خاصة تناسب حاله .
(نهاية الأرب ج٨ ص ٢٤٨ ، أنظر ما يلي)

(٧٤) خطط ج١ ص ١٣٨

(٧٥) خطط ج١ ص ١٥٦

(٧٦) صبح الأعشى ج٤ ص ٥٠

(٧٧) خطط ج٢ ص ١٤١

(٧٨) خطط ج٢ ص ١٤٠ - ١٤١

(٧٩) أسكن صلاح الدين أباه قصر الثؤلثة أحد قصور الفاطميين على الخليج ، وكان صلاح
الدين تسلمها مع الدور والرباع الفاطمية وباع ما في هذه القصور ، وملكها أمراءه ، وضرب
الألواح على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور ، وأقطع خواصه منها وباع بعضها ، وقسم
القصور بين أسرته ، (ابن شداد ص ٢٦١)

(٨٠) الأخبار السنية ص ١٤٢ .

(٨١) شفاء القلوب ورقة : ١٢ .

(٨٢) الروضتين ص ١٨٤ ، الذهب المسبوك ورقة ٧٦ .

(٨٣) الروضتين : ص ٢٠٩ ، طرخان : العلاقات المصرية النوية في العصور الوسطى
(بحث تحت الطبع) .

(٨٤) كان لتورانشاه باليمن نائبان هما عز الدين عثمان الزنجيلي ومركزه عدن ، وحنان بن
كامل بن منقذ الكناني من بيت صاحب شيزر ويقيم في زبيد ، وكانا يحملان إليه الأموال ،
ولقب تورانشاه بسيف الإسلام وتوفي في عام ٥٧٦هـ - ١١٨٠م (ابن شداد ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ،
السلوك ج٢ ص ٥٣ ، النجوم الزاهرة ج٦ ص ١١) .

- (٨٥) ذيل ابن شداد ص ٢٧٧ .
- (٨٦) نفسه ص ٢٧٦ .
- (٨٧) نفسه ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .
- (٨٨) القبايات بالمنية الحالية ومركزها مغاغة وبوش في بني سويف (السلوك ج ١ ص ٥٨٢ .
حاشية ١) .
- (٨٩) شفاء القلوب ورقة ٤٦ ، السلوك ج ٢ ص ٨٢ ، ذيل ابن شداد ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ،
٣٠٠ - ٣٠١ ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١١٣ ، ابن الأثير ص ٤٠ - ٤١ ن مجموعة .
- (٩٠) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٠ - ٣١ .
- (٩١) تاريخ بيروت ص ٨٠ حاشية ، انظر المكاييل بالملاحق .
- (٩٢) شفاء القلوب ورقة - ٦٤ ، ذيل ابن شداد ص ٢٧٢ - ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ -
٣٠٣ السلوك ج ١ ص ٨١ ، ٨٢ ، ٩١ .
- (٩٣) السلوك ج ١ ص ٨١ - ٨٢ .
- (٩٤) نسخة التوقيع بالتفصيل في الملاحق .
- (٩٥) شفاء القلوب ورقة - ١١ ، ذيل ابن شداد ص ٣١١ ، نجوم ج ٦ ص ٩٩ - ١٠٠
- (٩٦) ذيل ابن شداد ص ٣١١ .
- (٩٧) ذيل ابن شداد ص ٢٧٥ .
- (٩٨) المشطوب من الأمراء النورية، وجده كان صاحب القلاع الهكارية (قرية قريبة
من الموصل يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية) دخل مع أسد الدين شيركوه مصر في المرات الثلاث
وقد خطب - مع من خطب - الوزارة لنفسه والتقدم على المعسكر على أثر وفاة أسد الدين، كما طمع
من هم في منزلته من الأمراء النورية أمثال عين النولة الياروق وقطب الدين خسرو بن قليل وابن
أخي أبي الهيجاء الهدباني صاحب أربل ، وبعد سلطنة صلاح الدين، أقام المشطوب بالشام حتى توفي
بالقدس سنة ٥٨٨ (١١٩٢ م) - (الروضتين ٥٢ ، ذيل ابن شداد ص ٣٠٤ - ٣٠٥) ،
(نجوم ج ٦ ص ١٦ ، ١٧ ، ٤٤ ، ٨٦ ، ١١٧ ، ١١٩)
- (٩٩) وربما غضب عماد الدين بن المشطوب من ذلك ، فخرج في فتنة فيما بعد أيام الكامل
لعزله وتمليك أخيه الفائز إبراهيم ، وذلك في سنة ٦١٥ (١٢١٨ م) (سلوك ج ١ ص ١٩٦ ،
الفنح القسي ص ٣٠٣) .
- (١٠٠) انضم أبو الهيجاء السمين إلى العادل في نزاعه مع العزيز على أثر عزله عن ولاية
القدس في سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م) ثم دخل بغداد في سنة ٥٩٣ (١١٩٦ م) وصار من جملة
أمراء الخليفة الناصر (٥٧٥ - ٦٢٢ - ١١٨٠ - ١٢٢٥ م) وتوفي بالشام سنة ٥٩٤ -
١١٩٧ م (ذيل ابن شداد ص ٢٨١ ، نجوم ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٥) .
- (١٠١) ذيل ابن شداد ص ٣١١ .
- (١٠٢) أخبار الأعيان ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(١٠٣) ذيل ابن شداد ص ٢٧٢ ، ٢٨٣ ، نجوم ج ٦ ص ٣٠ - ٣١ ، ٤١ ، ١١٣ .

(١٠٤) ذيل بن شداد ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(١٠٥) ذيل ابن شداد ص ٢٨٠ ، نجوم ج ٦ ص ٩٤ ، أبو الفدا ص ٥٢ .

(١٠٦) ذيل بن شداد ص ٢٨٠ .

(١٠٧) أبو الفدا ص ٥٢ « انظر ما سبقه »

(١٠٨) الفتح القسى ص ٩٦ ، ١٢٠ . . .

(١٠٩) ساعد مسعود بتقديم النفط الأبيض والرماح والتراس للسلطان في سنة ٥٨٥هـ -

١١٨٩م وأرسل ابنه بالعساكر - من توجه من « الأكابر » في سنة ٥٨٦هـ - ١١٩٠م وجهاز عماد الدين ابنه قطب الدين بمدد لم يكن السلطان بحاجة إليه في ذلك الوقت ، فلما رده السلطان أسف برغم كتاب الشهر الذي عاد به قطب الدين من السلطان . . . وقد خرج بعض أولئك الأبناء من السلالة الزنكية على أبناء صلاح الدين بعد وفاته في سنة ٥٨٩هـ - ١١٩٣م مثل عز الدين أتابك مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وأخيه عماد الدين بنصيبين ، فجاهدهم الملك الأفضل مع أفراد بيته وأعاد الأمن إلى البلاد (الفتح القسى صفحات : ٩٦ ، ١٢ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٦ - ١٨٨ ، ٣٣٢ - ٣٣٤) .

(١١٠) المعروف أن العرب الذين جاؤا إلى مصر مع الفتح العربي الإسلامي لها ، قد انقرض أغلبهم ، ومن القبائل الباقية : بنو سعد من جذام ، وهؤلاء اختلطوا بالمصريين وحازوا المزارع ، وأكثرهم مشايخ البلاد وخفراء ، غير أنهم كثير و الفتن والفساد وتمتد مساكن هؤلاء من ميت غمر إلى زفتى وإليهم ينسب الوزير الفاطمي شاور بن مجبر السعدى ، وعندما قدم أسد الدين شيركوه إلى مصر ، كانت القبائل العربية المشهورة بمصر في ذلك الوقت : جعفر وطلحة وبلى وجهينة وجذام وشيبان وعذرة وحنيفة ونخزوم . وفي سجلات الدولة الفاطمية عدة آلاف من العربان ، والملاحظ أن جذام من قدماء عربان مصر ، فقد جاؤا مع عمرو بن العاص ، ولهم عدة إقطاعات . (الأعراب - مخطوط - ورقة ٨٧ - ٩٠) .

(١١١) نوب : لعلها المعروفة زمن المماليك باسم نوب ومنية غراب البطط بالأعمال الشرقية . لا توجد بلدة بهذا الاسم في الوقت الحاضر . (التحفة السنية ص ٤٥ ، الدليل الجغرافى لمصلحة المصاحفة) .

(١١٢) التعريف ص ٧٧ .

(١١٣) البرامون : لم تزل موجودة ومعروفة بهذا الاسم وهى قاعة لمركز المنصورة بالقهيلية وعرفت في عصر المماليك باسم البرامونين بنفس الاقليم الذى كان يطلق عليه وقتئذ (الأعمال القهيلية والمرتاحية) ، (الدليل الجغرافى - التحفة السنية ص ٤٦) .

(١١٤) سنبارة : تعرف حاليا باسم سنبارة مركز بيلا بالغربية . وعرفت في العصر

الملوكى باسم سنبارة (الدليل الجغرافى - التحفة ص ٨٠) .

- (١١٥) برشوط : عرفت بهذا الاسم في العصر المملوكي بأعمال البحيرة وكان للعربان بها إقطاعات ، ولا توجد بلدة بهذا الاسم حالياً (الدليل الجغرافي - التحفة السنية ص ١٢٢ ،) .
- (١١٦) قل محمد : يتبع حالياً مركز ههيا بالشرقية بعد أن كان تابعاً لمركز كفر صقر ، وعرف بهذا الاسم في العصر المملوكي (الدليل الجغرافي - التحفة السنية ص ٢٨ ، قاموس جغرافي للقطر المصري أصدرته إدارة التعداد التابعة لنظارة المالية ١٨٩٩ م) .
- (١١٧) الأعراب ورقة ٩٠ .
- (١١٨) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٤٢ حاشية - ٣ .
- (١١٩) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٤٢ - ٤٣ .
- (١٢٠) الأخبار السنية ص ٢٨٠ .
- (١٢١) توفى صلاح الدين بدمشق في ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) وخلف سبعة عشر ولداً وبناتاً صغيرة . (ذيل شداد ص ٣٠٨ وما بعدها - نجوم ج ٦ ص ٦٢) .
- (١٢٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص ٣٥٠ - ٣٥١ .
- (١٢٣) الفتح القسي ص ٣٢٦ - ٣٣٢ ، ذيل ابن شداد ص ٣٠٨ - ٣١١ ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٢ - ٦٣ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ابن الأثير ص ٧٥ - ٧٧ .
- (١٢٤) انظر الملاحق .
- (١٢٥) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٣٧ - ٢١٩ ، السلوك ج ١ ص ١٢١ .
- (١٢٦) السلوك ج ١ ص ١٣٦ .
- (١٢٧) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٢٠ ، ١٢٦ ، تاريخ بيروت ص ٥٢ - ٥٣ ، أخبار الأعيان ص ٢٢٦ .
- (١٢٨) لم يهتم أمراء الغرب بالمشاكل المحيطة بهم كالخطر الصليبي ، والخطر المغولي ، ثم النزاع بين الأمراء ، إلا بقدر ما يحقق لهم فائدتهم ، فثلاثا نجح جمال الدين حجي بن نجم الدين محمد ابن جمال الدين حجي بن كرامة ، يستقر على إقطاعات أبيه بمنشور من الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن صلاح الدين وكان ملكاً على حلب ودعاه أهل دمشق لولاية مدينتهم سنة ١٢٤٨ هـ - ١٢٥٠ م ، ثم جدد له المنشور في سنة ١٢٥٦ م بجهات متفرقة ، منها : عرمون ، عين درافيل ، طرد لا ، عين كسور ، رام طون وقديرون ، مرتغون ، السياحية ، سرخور والدير وغيرها (أخبار الأعيان ص ٢٢٧) .
- (١٢٩) تاريخ بيروت ص ٥٧ - ٥٨ ، انظر الملاحق .
- (١٣٠) تاريخ بيروت ص ٥٦ - ٥٧ ، انظر الملاحق .
- (١٣١) ويتضح مدى تذبذب هؤلاء الأمراء بين الغالب والمغلوب أو حتى بين من قد عساه يغلب وينتصر ومن قد ينكسر أو يهزم ، حين استعد السلطان قطز لصد التتار في عين جالوت (١٢٥٨ هـ - ١٢٦٠ م) ، من هذا الانقسام الذي انقسم إليه أمراء الغرب ، فقد انضم زين الدين صالح إلى العسكر المصري ، ثم حاول الاتصال بكتيبتا نائب هولاء بالشمك كما فعل جمال الدين حجي ، ولكنه رأى استعداد قطز لسحق التتار ، فرأى الاثنان أن يبقى أحدهما مع التتار في حين ينضم الآخر إلى العسكر المصري ، فكان زين الدين بجانب قطز ، وجمال الدين بجانب هولاء ، وهذا « ليكون أي من انتصر من الفريقين كان أحدهما معه ، فيسد خلة رفيقه وخلة بلاده ، قصداً بذلك إصلاح

الحال، ولهم منشور من الممالك (تاريخ بيروت ص ٤٨ - ٩٠ وحواشيها ثم ص ٣٣٧ وما بعدها أخبار الأعيان ص ٢٢٧ ، انظر الملاحق . . عن أحوال آل تنوخ ونهايتهم في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي خلال العصر العثماني، وانظر بينهم الحلقة المفقودة في تاريخ العرب ص ٤٧ - ٤٧) .

(١٣٢) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٤ ز ١٢٩ ز ١٣١ ز ١٤١ ، ١٤٣ ،

(١٣٣) سلوك ج ١ ص ١٢٩ .

(١٣٤) نجوم ج ٦ ص ١٨٩ .

(١٣٥) سلوك ج ١ ص ١٥٢ .

(١٣٦) النجوم ج ٦ ص ١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٨٧ ، ١١٢ .

(١٣٧) شفاء القلوب ورقة ٦٢ .

(١٣٨) شفاء القلوب ورقة ١٠٨ ، كامل التواريخ ص ١٦٢ - ١٦٥ ،

النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٦٣ - ١٧٢ .

(١٣٩) أخبار الأعيان ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(١٤٠) كانت مساحة القلعة ٦٠ فدانا تقريباً عرفت باسم قلعة الجزيرة أو قلعة الصالحية

أو قلعة جزيرة القسطنطين أو قلعة المقياس ، وأسس هؤلاء الممالك الدولة المملوكية بمصر والشام .

(سلوك ج ١ ص ٣٦٨ - ٤٣٦ ، ٦٣٣ ، النجوم ج ٦ ص ٣٢٠ ، حاشية - ٣ ، ٣٣١ ، ٣٧٤ ،

٣٧٦ حاشية - ١) .

(١٤١) سلوك ج ١ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(١٤٢) الدكتور زيادة : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ الممالك (مجلة كلية الآداب ٤

ج ١ مايو ١٩٣٦) (ص ٧١ - ٧٤) .

(١٤٣) انظر زيادة : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة ص ١١٦

وما بعدها ، ص ١٦٥ وما يليها .

(١٤٤) السلوك ج ١ ص ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(١٤٥) انظر في أخبار الحروب الصليبية : Runciman : A. Hist. of The Cru-

-sades Vols, I, II, III; Richard, J. Le Royaume Latin de Jerusalem; Baldwin,

M. (Ed.) : The First Hundred Years (A Hist. of The Crusades, Vol. I).

(١٤٦) باركر (الترجمة العربية) للدكتور الباز ص ٦٥ - ٧٢ .

(١٤٧) انظر وراجع للنظام الإقطاعي الغربي عامة : (المراجع الأجنبية حاشية ١٤٥) .

(١٤٨) انظر : المعجب ص ٣٣ - ٤٠ ، ابن الأثير ج ٩ ص ١٢ - ١٣ ، نفح الطيب

ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٩ ، ج ٤ ص ٦٦ ، على ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٣ .

الفصل الثاني

الشلاطين المالك والاقطاع

الأرض للسلطان وجنوده - أقسام الأراضي - القاعدة العامة في التوزيع الإقطاعي - الأسباب العامة في التوزيع الإقطاعي :
تغير السلطان - عرض الجيش - الحاجة إلى المال وحل بعض الأوقاف الإسلامية والذمية وإقطاعها - اتساع رقعة الأرض - إقطاع التملك - الأسباب الثانوية في التوزيع الإقطاعي - قدوم لاجئ سياسي - هواية السلطان وشرهه - المراعي والمعادن وإقطاعها - إقطاع المكوس - إقطاع الهدية والضيافة والزكاة - الجزية وإقطاعها .

يعتبر عصر السلاطين المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م) ، العصر الذى اكتملت فيه النظم الإقطاعية الحربية فى الشرق الأوسط ، فقد نشأ المماليك فى هذا النظام زمن الأيوبيين وأقاموا دولتهم الإقطاعية الكبرى على أنقاض دولة أساتذتهم من الأيوبيين (١) .

واعتبرت الأرض ملكاً للسلطان وجنوده ، وهو الاعتبار الذى وضع زمن السلاجقة . يقول نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقى : «أرض المملكة وسكانها ملك للسلطان» (٢) وذكر المقرئى وابن إياس ، أن أرض مصر زمن المماليك ، كانت تنقسم إلى سبعة أقسام ، هى :

١ - قسم يجرى فى ديوان السلطان ، وهو ثلاثة أقسام :

(أ) منه ما يجرى فى ديوان الوزارة .

(ب) ما يجرى فى ديوان الخصاص .

(ج) ما يجرى فى الديوان المفرد .

٢ - قسم أقطعه السلطان للأمراء والجنود .

٣ - قسم جعل وقفاً على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى البروعلى فرارى واقفى تلك الأرض وعتقائهم .

٤ - أرض الأحباس ، وتجرى أرضها بأيدي قوام يأكلونها، إما عن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع ، وإما يكون لهم ، فى مقابل عمل .

٥ - ملك يباع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال .

٦ - قسم لا يزرع للعجز عن زراعته ، فترعاه المواشى أو ينبت فيه الحطب ونحوه .

٧ - قسم لا يشمل ماء النيل ، فهو قفر ، ولا يزال كذلك ، ومنه ما كان عامراً ثم خرب (٣) .

*

ومع وضوح اقتصار الإقطاع على القسم الثانى ، فى هذا التقسيم ؛ إلا أن جميع الأقسام الأخرى رغم مسمياتها المختلفة ، تعرضت للتوزيع الإقطاعى فى أوقات مختلفة . فمثلا القسم الأول ، ويشمل البلاد والإيرادات المخصصة للنفقة على الدواوين السلطانية ، هذه تسمى إقطاعات ، فديوان الخاى هو المشرف على الخاى الشريف وهو الإقطاع السلطانى ، وهناك ما عرف باسم إقطاعات الديوان المفرد وهكذا .

يقول القلقشندى : كانت البلاد يحملها جارية فى الدواوين السلطانية وإقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجند ، إلا النزر اليسير مما يجرى فى وقف ملوك مصر على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها ، مما لا يعتد به لقلته (٤) .

والقاعدة العامة فى التوزيع الإقطاعى ، وحدتها « القيراط » ، إذ كان خراج مصر يقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً ، توزع أجزاؤها على القرى توزيعاً متناسباً مع طاقتها ، وتعرضت مقادير الخراج سواء فى مجموعها الكلى أم فى الأجزاء الموزعة على القرى ، لكثير من التعديل (٥) .

وفى عصر المماليك ، اختص السلطان بأربعة قراريط « للكلف والرواتب وغيرها » ، على حين أفرد عشرة قراريط للأمراء والإطلاقات أى المنح والزيادات : أما العشرة الباقية فهى للتوزيع بين الأجناد (٦) .

وطبقت وحدة القيراط كذلك على جزئيات الخراج المقرر على بعض القرى ، فمثلا : بلدة ديبج بالشرقية ومساحتها ٢٨٦ فداناً ، كان المقرر عليها ٨٠٠ دينار ، لديوان الذخيرة قيراطان والباقى للعربان (٧) .

والأراضى المقطعة ثلاث درجات من حيث الرى والخصوبة ووفرة الإنتاج ، اختص السلطان وكبار أمرائه ، على قدر منازلهم ، بأجود هذه الأراضى ؛

فمنهم من اجتمع له نحو العشرة بلاد منها ، ويسمى القلقشندى هذا النوع من الأراضي (البلاد النفيسة الكثيرة المتحصل)^(٨) ، أما المتوسطة الجودة ، فتقطع للممالك السلطانية ، سواء انفرد الواحد منهم بجهة خاصة أو اشترك مع غيره . ويلي ذلك أرض الدرجة الثالثة ، وهذه تقطع لأجناد الحلقة والعربان والتركمان (من أرباب الإدراك وملتزمي خيل البريد وغيرهم)^(٩) .

على أن الإقطاعات لم تقتصر على مختلف أنواع الأراضي بل تعدتها إلى جميع موارد الدولة ، ومصادق ذلك قول القلقشندى (المعاصر للممالك) « صارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال ، من خراج الأراضي والحزبة وزكاة المواشي والمعادن والعشر وغير ذلك ، ثم تفاحش الأمر وزاد ، حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها »^(١٠) .

ظل الإقطاع في عصر الممالك شاملاً لهذه الموارد المختلفة ، حتى مسح الناصر محمد بن قلاوون البلاد أو « راكمها »^(١١) في المصطلح ، وأبطل عدة مكوس وقصر الإقطاع على الأراضي والبلاد^(١٢) . على أن ذلك لم يستمر من بعده ، ومن هذه أقطع السلطان ، وهو رأس الإدارة الإقطاعية ، لنفسه ولأعوانه الأراضي الواسعة أو المدن بخراجها ولواحقها ، مثال ذلك أقطع السلطان أيبك التركماني في سنة ٦٥١هـ - ١٢٥٣م الأمير فارس الدين اقطاي المستعرب الصالحى . ثغر الإسكندرية بناء على طلبه ، وكتب له بذلك منشوراً وهذا بالإضافة إلى ما بيده من إقطاع كبير^(١٣) . والأمير أيدغدى العزيزى دمياط زيادة على إقطاعه ، وارتفاعها يومئذ ثلاثون ألف دينار^(١٤) . وأقطع السلطان قطز الأمير بيبرس في سنة ٦٥٧هـ = ١٢٥٨م قلوب وأعمالها وذلك قبيل رحيله إلى حرب التتر^(١٥) .

على أن هناك أسباباً عامة للتوزيع الإقطاعي ، أهمها عند قيام سلطان جديد ، فيعمل على تدعيم عرشه حتى ولو اقتضى ذلك مجاملة سلفه المعزول ، سيما وأن تغير السلطان يقترن في معظم الأحوال بكثير من إحداث الفتن والمنافسة ، فلا بد لولى الأمر الجديد من إجراء حركة توزيع ومناقلات ،

أو زيادة أو عزل، بمعنى مانعرفه اليوم باسم « حركات التطهير للإدارة الحكومية » والقياس هنا مع الفارق دائماً في التاريخ، وربما لجأ السلطان إلى عرض الجيش في الوقت الذي يختاره لإبعاد العاجزين عن العمل والمشكوك في ولائه ومكافأة العاملين .

كذلك عند حاجة السلطان إلى المال لإعداد الجيوش وقت الحرب أو استجابة لرغبته في الانتقام من بعض منافسيه ، وفي مثل هذه الحالات ، وقع الاعتداء على الأوقاف الإسلامية والذمية بالحل والإقطاع .

وإذا اتسعت رقعة الأراضي بالفتح الخارجي أو بالإصلاح والعمارة للأراضي البور ، وزع السلطان هذه الأراضي الجديدة إقطاعات ، ومن هذا التوزيع ما كان تمليكاً ، وبجانب هذه الأسباب العامة ، هناك أسباب ثانوية خاصة لهذا التوزيع ، مثل قدوم طارئ لاجئ من أصحاب السلطة والمكانة في بلده ، ويعبر عن هؤلاء في لغة العصر باسم « الوافدية » أي الوافدين من الخارج ، وهم اللاجئون السياسيون في المصطلح الدولي الحديث ، واقتضت التقاليد توفير الحياة الملائمة لهؤلاء من باب الشهامة والنخوة ، فضلاً عن الأخوة بين أصحاب السلطة . وإقطاعهم هو الوسيلة المألوفة يومئذ ، وربما أعجب السلطان بهدية قدمت إليه ولا سيما إذا وافقت الهدية هوى في نفسه ، فإنه يمنح الإقطاعات نظيرها ، ومن عوامل توزيع الإقطاعات كذلك ، شره السلطان إلى الحصول على المال ، فيمنح الإقطاعات نظير مبالغ من المال ، وهي أقرب ما تكون إلى بيع الإقطاعات .

تلك هي الأحوال التي وقع فيها التوزيع الإقطاعي في عصر المماليك ، ومن أمثلتها ما حدث سنة ٦٧٨ هـ - ١٢٧٩ م حين اتفق الأمراء على خلع السعيد بن يبرس من السلطنة وتعيين أخيه سلامش بدله ، إذ أقطع الأمراء السلطان المخلوع بلاد الكرك والشوبك وأعمالهما (١٦) وحين نزل الناصر محمد عن السلطنة سنة ٧٠٨ هـ - ١٣٠٨ م وتولاها يبرس الجاشنكير ، كتب

الحاشنكير للناصر تقليداً (١٧) بالكرك ، ومنشوراً (١٨) بماعين له من الإقطاعات ؛
وهي إقطاعات مائة فارس (١٩) .

أما السلطان الحديد ، كائناً من كان ، فيقوم عادة بإجراء توزيع
ومناقلات بين أمرائه ليدعم مركزه ، وليضمن ولاء من حوله ، ولا سيما
الذين أعانوه وأخلصوا له ، ومن ناحية أخرى ليبعد عنه من يخشى بأسهم ،
ومثال ذلك بيبرس البندقدارى بعد توليته السلطنة على أثر مقتل السلطان قطز
سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦٠ م ، فإنه أبعد سنجر بن عبد الله الصيرفى وهو « من
أعيان الأمراء بمصر » ومن يخشى جانبه ؛ فأخرجه إلى دمشق ليأمن غائلته ،
وأقطعه بها ، « خبزاً » جيداً ، فأقام فيها حتى مات سنة ٦٦٩ هـ - ١٢٧٠ م (٢٠)
وأخذ كتبغا ، الذى تولى السلطنة بعد عزل الناصر فى سنة ٦٩٤ هـ -
١٢٩٤ م ؛ يقرب « خداشيته » وينعم عليهم بتقادم الألوف وبالإقطاعات
السنية (٢١) ولما تولى السلطان شعبان العرش سنة ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م ؛ خلع
على الأمراء وفرق الإقطاعات على طائفة من المماليك ، وجعل منهم أمراء
طبلخاناه وأمراء عشرات ، كما أنفق على العسكر (٢٢) ، وكذلك فعل الملك
المنصور محمد حفيد الناصر محمد بن قلاوون عند توليته العرش سنة ٧٧٢ هـ -
١٣٧٠ م ، إذ أفرج عن المسجونين من الأمراء ومنهم : طاز الناصرى نائب
حلب ، وأقمر عبدالغنى وقطلوبغا المنصورى وغيرهم ، فحضرُوا وصعدوا
إليه بالقلعة حيث خلع عليهم ورفعهم إلى « تقادم الألوف » كما وزع عليهم
الإقطاعات (٢٣) ، ثم إن السلطان على بن شعبان ، أنعم فى سنة ٧٧٨ هـ -
١٣٦٧ م على الأمير طشتمر المحمدى الشهير باللفاف وجعله أمير مائة بعد
أن كان أمير عشرة وعينه « أتابكا للعسكر » أى قائداً عاماً ، وعبر ابن إياس
عن هذه الطفرة بقوله : « فبقى أتابك العساكر فى يوم واحد » ورفع السلطان
على بن شعبان فى هذه المناسبة كثيراً من الأمراء إلى أمريات طبلخاناه مثل : -
تمرغا البدرى وعلى بن اقتمر عبد الغنى ، وأمريات عشرات مثل : اقبغا
السينى يلبغا وسودون العثمانى وغيرهما ، ومما أخذ على السلطان

برقوق^(٢٤) (٧٨٤-٨٠١ هـ = ١٣٨٢ - ١٣٩٨ م) في مثل هذا الصدد ، إعطاؤه إمرة مائة فارس وتقدمة ألف لقريبه الأمير قجماس وهو غنمي^(٢٥) لا يحسن التلفظ بالشهادتين ، حتى أن موظفي ديوانه كانوا يدخلون عليه (فيجدون الفقيه يعلمه الشهادة وقراءة الفاتحة وهو كالتيس بين يدي الفقيه^(٢٦)) ، وبدأ السلطان قايتباي سنة ٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م « بتفريق الأقاطيع » على الجند وكان أكثرهم أيناوية ، وأمر جماعة كثيرة حتى رضوا^(٢٧) « وحين تولى ابنه محمد السلطنة في سنة ٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م فرق جملة أقاطيع » كانت في الذخيرة من أيام أبيه ، وكانت نحواً من ألف إقطاع ، على الممالك جميعاً ما بين أقاطيع ووزق وغير ذلك^(٢٨) « وبلغ حرص السلطان جان بلاط على مكافأة الموالين له قبل فوات الأوان ، أنه كتب سنة ٩٠٦ هـ - ١٥٠٠ م وثائق الإقطاع بغير أسماء ووزعها على عساكره ، وذلك حين خرج طومان باي عليه بالشام وأعلن نفسه سلطاناً بدمشق ثم قدم لمحاربته بمصر ، وتحققت مخاوف جان بلاط بخلعها في تلك السنة^(٢٩) .

ومن الوسائل العامة العادية الكثيرة الوقوع في عصر الممالك ، في التوزيع الإقطاعي ؛ ما هو معروف بعبارة « عرض الجند » ، يلجأ أولو الأمر لهذه الوسيلة لقطع العاجز والمشكوك في ولائه من أصحاب الإقطاعات أو « الأخبار » ، واستخدام غيرهم فضلاً عن توفير بعض الإقطاعات للخزانة .

في سنة ٧٤١ هـ - ١٣٤٠ م أمر الناصر محمد بن قلاوون ، بطلب أجناد الحلقة من الأقاليم ليعرضهم بحضرته ، وتولى عملية العرض الأمير برسبغا الحاجب ، في القلعة بالإيوان ؛ فكتب أوراقاً « بعبارة كل خبز » أي بمتحصل كل إقطاع من الحراج ، كما فتش على ملابس الأجناد ، وشملت هذه الأوراق كذلك ، أسماء أصحاب المرتبات من الأجناد ، على مدينة بليس وبساتينها وحوانيثها ؛ وأسماء الأجناد المقطعين على (الحكورة)^(٢٠) كما قيدت

لإيرادات (المعادي) (٢١) ببولاق وجهات النظرون ، انتهت هذه الحركة بقطع (الزمنى والعميان والضعفاء وأرباب العاهات » من أولئك الأجناد ، كما قطع جماعة كبيرة من « المشايخ والمحارفين » (٢٢) ، وفرق بعض إقطاعاتهم على أمرائه المقربين أمثال الأمير الطنبغا الماردينى والأمير بشتاك (٢٣) ، كما وزع البعض الآخر على المماليك السلطانية أرباب الجوامك (٢٤) ، واستبقى الناصر جزءاً من هذه الإقطاعات « للوافدية » الذين يفلدون من الخارج ، ثم أدخل ما توفر من الإقطاعات فى بيت المال (٢٥) . وكان الأجناد يكرهون هذه الحركة كلما أمر بها سلطان من السلاطين ، نظراً لما يحدث فيها من الحرمان أو الإنقاص ، لذلك احتالوا بشتى الوسائل لكى يصرفوا السلطان عنها ، وآية ذلك ما حدث فى عهد السلطان برقوق ، حين أمر بعرض أجناد الحلقة فى سنة ٧٨٩ هـ - ٧٩٠ هـ (١٣٨٧-١٣٨٨ م) وأرسل البريد إلى الأقاليم بطلب الأجناد ، كما دار النقباء عليهم ليكون العرض فى يوم معين ، فأنهز الأمراء الاحتفال بالمولد النبوى قبل ذلك ؛ وسعوا إلى الشيخ سراج الدين البلقينى (٢٦) والشيخ برهان الدين بن جماعة (٢٧) ، وهما موضع ثقة السلطان ، فتكلما معه لإبطال العرض ، لأن الجند فى « شدة عظيمة » فقبل السلطان شفاعتهما وأبطل العرض (٢٨) . وقد تدعو الحاجة إلى المال ليس لمجرد شره ولى الأمر فحسب ؛ بل لضرورات ماسة كالحرب وما تستلزم من نفقات لإعداد الجيوش وتجهيزها ، فضلاً عن الرغبة فى الانتقام من بعض ، وفى مثل هذه الأحوال وقع الاعتداء على الأوقاف والرزق الأعباسية عامة .

ومثال ذلك ما فعله السلطان الناصر محمد ، على أثر عودته إلى سلطاته الأخيرة فى عام ٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م ؛ فقد استولى على الأوقاف التى أوقفها بيبرس الحاشنكير (ت ٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م) على الخانقاه التى بناها ؛ وهى « الخانقاه المظفرية بيبرس » ووزعها إقطاعات (٢٩) ، وحين رآه الناصر محمد البلاد روكا عاماً فى سنة ٧١٥ هـ - ١٣١٥ م (٤٠) ، ارتجع الرزق (٤١) من هذه الأوقاف

من واضعى اليد عليها وأخرج ما هو باسم بيبرس الجاشنكير وسلار وبرلغى والجوكندار وغيرهم من أصحاب الجاشنكير ، ولم يدع من ذلك شيئاً مما أوقفه حتى حله وجعل الجميع إقطاعات^(٤٢) ، وفى عهد السلطان على بن شعبان ، استدعى الأمير برقوق - وهو وقتذاك كبير الأمراء - جميع القضاة وشيوخ العلم سنة ٧٨٠هـ - ١٣٧٨م ، وتحدث معهم فى حل الأراضى الموقوفة على المساجد والمدارس والخوانق والزوايا والربط وعلى أولاد الملوك والأمراء وعلى الرزق الأحباسية ، وجهزت أوراق بما وقف من أراضى مصر والشام وبما تملك منها ومبلغها ، فى السنة ، فوجده مبلغاً ضخماً ، وبرر برقوق مشروعه بأن هذا الوضع هو الذى أضعف جيش المسلمين ، فاعترض شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى ، غير أن الأمر انتهى بإخراج عدة أوقاف وتوزيعها إقطاعات^(٤٣) ، ووقعت مثل هذه المحاولة سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م فى عهد السلطان فرج ، وذلك بمناسبة إنذار تيمورلنك بالزحف على مصر ، فاجتمع مجلس المشورة للبحث فى جمع الأموال المطلوبة لإعداد الجيوش ، ومن المسائل التى طرحت للبحث « ارتجاع الأوقاف وإقطاعها لمن يستخدم من البطالين » ، فاعترض القاضى الحنفى جمال الدين المالطى بقوله : « القدر الذى يتحصل منها قليل جداً ، والأجناد البطالة لا يستنصر بهم إلا مع من غلب ، ووظيفتهم النهب » . فانفض المجلس على ذلك^(٤٤) وفى سلطنة فرج الثانية ، خرج الأمير جكم العوضى نائب حلب سنة ٨١٠هـ - ١٤٠٧م وتسلمن بحلب (وباس له الأمراء الأرض وتلقب بالملك العادل ، ووضع يده على البلاد الشامية إلى الفرات » ، ولحاجته لتقوية جنده : « أخرج أوقاف الناس وجعلها إقطاعات وفرقها مثالات على عسكر حلب^(٤٥) » ، ويبدو أن بعض الأمراء مدوا أيديهم إلى الأوقاف ، يدل على ذلك أن القاضى برهان الدين ابن أبى البقاء أرسل إلى حاجب الحجاب أقبغا الكوكانى يلفت نظره إلى الوقف المقطع فى حوزته ويطلب منه التعويض عنه ، فأجاب الكوكانى : إن السلطان أقطعنى هذا ، ولما اجتمع به القاضى فى القاهرة أعرض القاضى عنه ،

فأكب أقبغا على يد القاضى ، فلم يلتفت إليه ، وهنا قال الحاجب : ما ذنبى ، قال القاضى : ثبت عندى فسقك ، وشرح له الموقف ، فأظهر أقبغا التوبة والاستغفار ونزل فى الحال إلى بيت القاضى والمنشور معه ، وقال : خذ هذا الإقطاع كله وتصرف فيه كيف شئت ، غير أن القاضى قال : تقتصر على الشئء الموقوف (٤٦) .

وتعرضت الرزق الأحباسية الذمية كذلك للحل والإقطاع فى أثناء بعض الأزمات السياسية أو الاجتماعية ، ويدل على ذلك أنه فى سنة ٧٥٥ هـ - ١٣٥٤ م رسم السلطان صالح بن محمد بن قلاوون بإحصائها ، سواء ما كان منها مفرقاً فى إقطاعات الأمراء ، أو قائماً بذاته فى جهات معينة بأرض مصر ، فبلغت نحو ٢٥ ألف فدان ، موقوفة على الكنائس والأديرة ، فأنعم بالموجود منها فى إقطاع كل أمير على صاحب الإقطاع ، كما أعطى جماعة الفقهاء بعضاً منها (٤٧) ، وتكررت عملية الحل والإقطاع لهذه الرزق فى عهد السلطان حسن وأتابكية الأمير صرغتمش . إذ رفعت قوائم للأتابك من ديوان الأحباس سنة ٧٥٩ هـ - ١٣٥٧ م فوجد فيها عدة حصص جارية على منافع الكنائس والديور ، وحينئذ حلق الأمير صرغتمش ، وتوجه من فوره إلى السلطان بالقلعة وتشاور معه فى حلها وإخراجها « من يد النصارى » وانتهى الأمر بإقطاعها للأمراء زيادة على إقطاعهم .

الخلاصة أن الأوقاف على أنواعها تعرضت للحل والإقطاع مرات كثيرة خلال عصر المماليك برغم معارضة الفقهاء ، وبرغم شروط الواقفين ، ويبدو أن ابن إياس أراد الدفاع عن سلاطين المماليك عامة حين قال : (إن الرزق الأحباسية ما تعرض لها أحد من سلاطين مصر ولا أخرج منها شيئاً عن أصحابها ولا ضيقوا عليهم بسبب ذلك (٤٨)) مع العلم أنه تحدث عن إقطاع الوقف (٤٩) فى أكثر من موضع من كتابه ، ولعله ذكر هذه العبارة بعد استيلاء العثمانيين على مصر ، ليسند إليهم الانفراد بحل هذه الرزق وإدخالها فى الذخيرة ، نظراً لحزنه على زوال دولة المماليك (٥٠) .

إما إذا اتسعت رقعة الأرض سواء أكان بالفتح الخارجى أم بإصلاح الأراضي البور ، وزعها ولى الأمر إقطاعات بين أمرائه وأجناده ، وسار الممالك على هذه القاعدة حسب أصول شرعية^(٥١) ، مثال ذلك إقطاع السلطان قطز بلاد الشام لزملائه من الأمراء الصالحية والمغزية^(٥٢) ، على أثر هزيمة المغول سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م فى واقعة عين جالوت بفلسطين ، وبعد انتصار بيبرس على الصليبيين بالشام سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦٢م « أمر » جماعة فى الشام والساحل^(٥٣) ، وأجرى بيبرس التوزيع على هذا النحو الذى يصور هذه العملية أحسن تصوير ، ذلك أنه أحضر فخر الدين محمد بن حنا وزير الصلحبة ، وجماعة من كتاب الدرج بديوان الإنشاء^(٥٤) على رأسهم فخر الدين بن لقمان ناظر الديوان^(٥٥) ، ثم دعا السلطان طائفة من كتاب ديوان الجيش ، وهو ديوان الإقطاع^(٥٦) ، وعلى رأسهم فتح الدين بن سناء الملك صاحب الديوان ، كما طلب إلى الأمير سيف الدين الزينى أمير علم^(٥٧) أن يجلس معهم لكتابة المناشير وإعداد الطبلخاناه ، على أن يكون أتابك العساكر بن يدى السلطان ، ثم استدعى السلطان من « الحشرات »^(٥٨) بخمسمائة فرس لأجل الطبلخاناه وخيول الأمراء وأعدت الخلع والسناجق^(٥٩) وكتبت المثالات والمناشير بين يديه ، وهو يوقع عليها ، وبلغت عدة ما كتب من المناشير لكبار الأمراء نحو ٥٦ منشوراً سلمت جميعها لأصحابها مع ما يخص كلا منهم من الطبول والصناجق والخيول والخلع ، ثم عين السلطان الأمير ناصر الدين القيمرى نائباً للسلطنة بالفتوحات الساحلية^(٦٠) ، وقام بيبرس بمثل ذلك حين فتح الكرك فى السنة نفسها ، إذ أحضر هيئة الكتاب المختصين بكتابة الوثائق ورتب الإقطاعات للعربان والأجناد وكتب بين يديه أكثر من ٣٠٠ منشور سلمت لأربابها بعد ما حلفوا اليمين^(٦١) ، وعلى أثر فتح حيفا بعد هزيمة الصليبيين سنة ٦٦٣ هـ - ١٢٦٤م ، قسم بيبرس الإقطاعات بين أمرائه^(٦٢) ، وكذلك بعد فتح صفد سنة ٦٦٤ هـ - ١٢٦٥م أقطعها للمرتبين لحفظها من الأجناد ، وجعل مقدمهم الأمير علاء الدين الكيكى^(٦٣) ،

ولما فتحت بلاد سبيس (أرمينية الصغرى) سنة ٧٣٨ هـ - ١٣٣٧ م أيام الناصر محمد بن قلاوون بقيادة الأمير علاء الدين الطنبغا نائب حلب ، أقطعها السلطان له ولتنكرز نائب الشام وغيرهما من أمراء الشام ، كما أقطع بعضاً منها لجماعة من التركمان والأجناد ، وخص الأمير تنكرز من هذه الإقطاعات ثلاث ضياع هي : كواره ونجيمة وسرقندكار (٦٤) .

ومن الأراضي ما يرى ولى الأمر أن يوزعه إقطاعات من نوع التملك ، أى أن الأمراء الذين يحوزونها ، يصبحون مالكين لرقبة الأرض ، أقصوهم يتصرفون فيها تصرفاً حراً ، وهذا على غير المتبع فى التوزيع الإقطاعى العام على الاستغلال الشخصى الموقوف (٦٥) .

ومن أمثلة إقطاع التملك ما حدث سنة ٦٦٣ هـ - ١٢٦٤ م . حين فتح بيبرس بلاد قيسارية بالشام ، إذ أمر بمسحها ومعرفة المزروع من ضياعها وقراها ، وحفظت الأوراق الخاصة بهذه العملية عند الأمير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار ، وهو من الموظفين الذين يدخل ضمن اختصاصهم أمور الإقطاعات وتوزيعها (٦٦) . ثم طلب السلطان قاضى دمشق وهو شمس الدين بن خلكان (٦٧) وعدولها ووكيل بيت المال وجماعة من الفقهاء والأئمة ، وطلب إليهم أن « يملك الأمراء المجاهدون من البلاد التى فتحها الله عليه » ، فكتبت « التواقيع » لكل منهم وأرسلت إلى مصر حيث وقعها الوزير والحازندار وديوان الجيش ومستوفى الصحبة وأثبتت ، ثم أعيدت للسلطان مرة أخرى فسلمها إلى الداودارية وأمرهم أن يفرقوها على أصحابها . فجاء الأمراء وقبلوا الأرض وتسلموا تواقيعهم ، ثم كتب قاضى القضاة ابن خلكان مكتوباً جامع التملك (٦٨) ، وأشهد السلطان على نفسه وفرق على كل أمير نسخة بما ملكه إياه ؛ ومن الأمراء من حاز بلاداً بأكملها مثل الأمير إقطاى المستعرب الذى اختص ببلدة « عثيل » ومنهم من اشترك مع غيره مثل الأمير أيدغدى العزيزى الذى أخذ نصف « زيتا » وهكذا (٦٩) .

ومن أمثلة إقطاع التملك كذلك ، ما حدث في عصر السلطان خليل بن قلاوون ، حين أمر بتمليك قلعة الصببية في سنة ٦٩١ هـ - ١٢٩١ م للأمير بيدرا نائب السلطنة ، وكتب بذلك تقليداً شريفاً (٧٠) ، ومن هنا نشأ الملك الحر الذي تمتع به بعض أمراء المماليك ، بالإضافة إلى إقطاعاتهم التي يستغلونها فقط ، وهذا هو القسم الخامس من تقسيم مؤرخي العصر المملوكي للأرض ؛ والأمثلة على ذلك كثيرة فضلاً عما تقدم ، ثم إن بعض الأمراء اشتروا الأراضي من بيت المال شراء حراً ؛ فمثلاً بيع في أواخر عصر المماليك أرض الخندق بضواحي القاهرة ، ومساحتها ٣٨ فداناً .

كما أن صنافير بالقلبوية بيع منها ٣٠ فداناً (٧١) ، وبيعت سنهور كلها بالقوصية « من بيت المال المعمور » ومساحتها ٣٤٣٨ فداناً للأمير ناصر الدين ابن مسلم (٧٢) ، وكذلك بيع من أراضي ترسا « بالجزية » مساحة ٣٥٠ فداناً ؛ وبيع من أراضي أبي قرقاص بالأشمونين ٤٠٠ فدان مع أنها كانت من أوقاف الأمير طيغا الطويل (٧٣) .

غير أنه من الغريب أن تتعرض الأملاك الحرة كذلك للحل والإقطاع ، ولكن الراجح أن ذلك اقتصر على الأملاك التي اشترت من بيت المال بدليل استثناء بعض هذه الأملاك من هذه العملية ، كما هو الشأن في بلدتي قلة وطوة بالهنساوية ، إذ حسبت مساحتها ٢٥٠٠ فدان « خارجاً من الملك » وهما ضمن إقطاع الأمير أزبك اليوسفي ومن معه (٧٤) ، واستند السلاطين في ذلك إلى قاعدة قياسية في حكم البيع من أراضي بيت المال إذ جوزها بعض الفقهاء : « يجوز بيع الأراضي الخراجية ، ويعم هذا المنقول والعقار والدور والأراضي ... » (٧٥) ، إلا أن ذلك قل حدوثه ، ويسجل أبو المحاسن رفضه لهذا الإجراء بقوله إنه « بيع لا يعاب به الله قديماً ولا حديثاً » (٧٦) ، وهذا ما جعل الناصر محمد في روكه للديار المصرية سنة ٧١٥ هـ - ١٣١٥ م يأمر بحل بعض هذه الأملاك « فارتفعت عدة بلاد كانت قد اشترت من بيت المال وأدخلت في إقطاعات » .

وأما إذا اتسعت رقعة الأرض باستصلاح العاقل والبور ، فهذه توزع إقطاعات لأن الأراضي البور ، وإن لم يعتد بها في المساحة الأصلية المقطعة ، داخلة في إقطاع الأمراء فعلا ، فإذا استصلحت ، لا بد من إقطاعها ، ويعبر عن هذا النوع من الأراضي باسم «زايد القانون» (٧٧) أى الزائدة أو الخارجة عن المساحة الأصلية المقطعة ، واستخدمت كلمة «قانون» لتدل على المساحة ، ومثال ذلك أن الإصلاحات التي أدخلها الناصر محمد في أمور الري من إقامة الجسور وإنشاء القناطر أدت إلى ري أراض في البحيرة لم يكن يعلوها ماء الري قبل ذلك ، فتقدم كاشف البحيرة الأمير ركن الدين القلنجي ، وسأل السلطان أن يقطع ولده منها «خبراً بعشرة أرماع» أى بقدر رمية الرمح (٧٨) عشر مرات ، أو إقطاع أمير عشرة ، فإنها زائدة عن قانون المقطعين . لذلك ندب السلطان الموظفين لكشف هذه الأراضي ، وقياسها ، فبلغت ٢٥ ألف فدان وكتبت «مشاريحها» أى التقارير (٧٩) عنها ، ولم يذكر فيها غير ١٥ ألف فدان لتفرقها في بلاد المقطعين وصعوبة حصرها بدقة ، ومن ثم كتب السلطان بها مثالات عبرتها ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ دينار وفرقها على أرباب الجوامك من الممالك ، غير أن أجناد الحلقة ، وهم أصحاب هذه الإقطاعات الكائنة فيها هذه الأراضي ، تضرروا من هذا الإجراء (٨٠) ، كذلك استصلح الناصر كثيراً من الأراضي ببلاد الجيزة وعمل على كل بلد جسراً وقنطرة (٨١) ووزعت أراض كثيرة واستجد على ما أصلح ٣٠٠ جندي ، كما استصلح كذلك عدة أراض بالشرقية ونواحي فوة وغيرها ، وهذه أقطعها للأجناد ، حتى قيل : إن الديار المصرية زادت في عهد الناصر مقدار النصف (٨٢) .

والأحوال الثانوية التي يقع فيها التوزيع الإقطاعي كثيرة ، أهمها قدوم اللاجئين مثل أولاد الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وهم : إسماعيل (٨٣) وأخوه إسحق صاحب جزيرة ابن عمر والمظفر صاحب سنجار ، قدم هؤلاء الثلاثة إلى مصر أيام بيبرس سنة ٦٥٩هـ - ١٢٦٠م بعد دخول التتار بلادهم ، « فأحسن إليهم (السلطان) وأعطاهم الإقطاعات الجلييلة (٨٤) » ، وكذلك قدم

جماعة من ممالك الخليفة المستعصم البغاددة ومقدمهم شمس الدين سلار سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م فأحسن إليهم يبرس وعين لهم الإقطاعات بالديار المصرية (٨٥) . ويحدث أن يكون للسلطان هواية خاصة ، فيمنع في سبيلها الإقطاعات ، ومضرب المثل في هذه الحالة ، ولع الناصر محمد بن قلاوون بالخيول ، فهو « أول من اتخذ ديوان الإصطبل » ، وأهم طائفة حصلت على الإقطاعات الواسعة « بسبب الخيل » في عصره ، هم عرب آل مهنا وآل فضل من عربان الشام ، وبلغ الأمر بالناصر أن أقطع مشايخ أولئك العربان الضياع الواسعة بأراضي حماة وحلب ، وهذا غير ما دفعه لهم من أثمان الخيل ، واستغل أولئك المشايخ حب السلطان لامتلاك الخيول الجيدة ، فإذا أراد أحدهم من السلطان شيئاً قدم عليه ليخبره بفرس يقال لها كذا ، عند فلان ويأخذ في تعظيم أمرها ، وسرعان ما يكتب السلطان بطلبها على الفور ، فيشتد صاحبها ويتمنع ، ثم يقترح ما شاء من الضياع ، حتى يصل إلى هدفه ، صار هذا الأمر معروفاً فيما بينهم (٨٦) . وبلغ من استغلالهم للناصر أنهم طلبوا منه بلاداً مقطوعة لأمراء حلب وحماة ودمشق ، وبلغ من شدة حب الناصر للخيل أنه أجابهم إلى طلبهم ، وعوض الأمراء عن إقطاعاتهم التي أخذها منهم ، بذلك قوى شأن آل مهنا وآل فضل ، وصاروا من القوة والكثرة بحيث خافهم من عداهم من قبائل العرب (٨٧) .

ومن صور التوزيع الإقطاعي في عصر المماليك ، بيع الإقطاعات طمعاً في المال ، ومن عرفوا بالشرة الزائد في الحصول على المال ، السلطان الكامل شعبان إذ صار في سنة ٧٤٧ هـ = ١٣٤٦ م « يخرج الإقطاعات بمال معلوم » (٨٨) . ونخضعت المراعى وهى « الكلاً المباح » للتوزيع الإقطاعي في عصر المماليك ولم يكن لولى الأمر قبل ذلك سوى الإشراف على تنظيم استغلالها بالعدل على المشاع بين الناس ، فصار الأمير المقطع في عصر المماليك هو الذى يتولى أمر استغلالها لحسابه باعتبارها جزءاً من إقطاعه (٨٩) ، وذكر ابن إياس أراضى الرعى في القسم السادس من تقسيمه للأراضى ، والقاعدة

الشرعية في المراعى من الحمى المنهى عنه في الحديث « لا حمى إلا الله ورسوله » (٩٠) .

أما المعادن وهى التى ذكرها القلقشندى ضمن الإقطاعات واستدل بإقطاعها على فساد الحال (٩١) ، فالمعروف أنها صارت فى عصر المماليك تقطع وتضمن وتفرض عليها المكوس وأحياناً يحجر عليها أو تحتكر من قبل السلطان ، مثل ضمان الملح و ضمان الأطرون أو مكس الأطرون ، وهو النظرون ، وكذلك معدن الشب ، وأبطل أحياناً وأعيد فى أحيان كثيرة خلال ذلك العصر ، وأشهر معدن أقطع فى عصر المماليك هو « معدن النظرون » فى مكان يعرف باسم « الطرانة » قرب القاهرة غربى فرع رشيد ، وكان مقطعا لعدة أجناد ، وأضيف فى بعض الأوقات إلى الديوان السلطانى ، وسار إقطاع النظرون على قاعدة التضمنين ، أى نظام القبالات المعروف فى مصر فى صدر الإسلام ، وشملت هذه القاعدة الملح كذلك للاستغلال أو الارتفاق مقابل مبلغ يضمن المقطع دفعه للسلطان (٩٢) .

وأما المكوس وتوزيعها إقطاعات فى عصر المماليك ، فيرجع إحياؤها أوائل ذلك العصر إلى الوزير هبة الله بن صاعد الفائزى أحد كتاب الأقباط الذين أسلموا فى العصر الأيوبي ، فلما استوزره السلطان أيك التركمانى سنة ٦٥٠هـ = ١٢٥٢م ، أحيا بعض المكوس القديمة بأن قرر أموالا على التجار ونوى اليسار وأرباب العقار ، سماها « الحقوق والمعاملات » ، واختلف الاصطلاح على تسمياتها ، فاشتهرت باسم المكس والمقرر والرسم والضمان والموجب ، ومنها ما يختص بالديوان السلطانى مثل مقرر البضائع الواردة إلى موانئ مصر وهى عيذاب والقصير والطور والسويس ، ومنها ما يختص بالمقطعين لوقوعها فى البلاد الداخلة فى إقطاعاتهم (٩٣) ، غير أن بعض ولاية الأمور استنكرها ، فاعتبر إلغاءها عدلا ووسيلة إلى التقرب إلى الله ، ويرجع هذا إلى مدى ظلمه ، أو عسفه ؛ فمثلا أبطل بيبرس جميع المكوس وكتب بذلك « مساميح » قرئت

على المنابر ، وأعيد بعضها من بعده ، وأبطل قلاوون كثيراً منها ، كذلك فعل الناصر ابنه عند روكه للبلاد ، وعلق المقریزی على إلغاء الناصر لها ، بعبارة تدل على مدى ما قاساه الناس منها ، قال : فأراح الله سبحانه وتعالى الخلق بإبطال هذه الجهات من بلاء لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه (٩٤) : ومن السلاطين من سجل أمر إلغائه لها على لوح مثل المؤيد شيخ ؛ إذ أبطل مكس الفواكه قاطبة سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩ م) ونقش ذلك على بعض الرخام بمسجده ، وخشقدم الذى نقش بما أبطله رخامتين ألصقتا بجائط المسجد الأقصى (٩٥) .

ومن هذه المكوس التى غدت إقطاعية ، مكس ساحل الغلة ومقرر السجون ومقرر طرح الفراريج ونصف السمسة ، ورسوم الولاية ، وضمان المغاني والأفراح وضمان المزر ومقرر الحوائص والبغال وكذلك متوفر الجراريف . أما مكس ساحل الغلة فهو مبلغ مقرر على ما يباع من الغلال بنسبة درهمن على كل إردب للسلطان ، ويلحقه نصف درهم سوى ما كان ينهب (٩٦) ويسرق ، وعرف مكان البيع باسم « خص الكيالة » بساحل بولاق حيث يجلس الموظفون من كتاب ومستوفين ومعهم ثلاثون جندياً ، وتحمل الغلال إلى هذا المكان ولا يسمح ببيعها فى غيره ، ثم تحول خص الكيالة إلى (ديوان) للإشراف على البيع وتحصيل المكس ، واعتبر إيراد هذا الباب من أعظم الجهات الديوانية وأجل معاملات مصر ؛ إذ تحصل منه فى السنة ٦٠٤ ر ٠٠٠ درهم ، وبلغ عدد المقطعين عليه ٤٠٠ جندي من أجناد الحلقة ، سوى الأمراء ، فبلغت عبء إقطاع الجندى من ٣ آلاف إلى ١٠ آلاف درهم فى السنة ، أما الأمراء فبلغت عبء إقطاع الواحد منهم من ١٠ آلاف إلى ٤٠ ألف درهم فى السنة (٩٧) .

وقد تطور مكس الغلة بين الإقرار والإعادة والإلغاء فى العصر المملوكى ؛ فمثلاً أبطله الناصر ضمن ما أبطله من مكوس حين رآك البلاد ، وزاد هذا المكس فى عهد قايتباى بحيث غدت الزيادة فى نظر الناس « من أقبح مساويه »

ثم أبطله الأشرف طومان باي ، إلا أن الغوري زاده حتى صار يؤخذ عن كل إردب ثلاثة أنصاف فضة من البائع والمشتري على السواء وعرف باسم « الموجب » ، وهناك مكس آخر يسمى « مكس ساحل الغلة » يحصل في ثغر دمياط ممن يشتري إردبين فما دونهما (٩٨) .

ومقرر السجون وهو ما يدفعه السجين للسجان ومبلغه ستة دراهم غير ما يغرمه ، فلو تخاصم رجل مع امرأته أو ابنه رفعه إلى الوالى فيدفعه الوالى إلى السجن حيث يدفع هذا المقرر ولو تم الإفراج عنه بعد ساعة من سجنه ، ويحصل هذا المقرر في جميع السجون ، وأقبل عليه الضمان وتزايدوا فيه لكثرة ما يتحصل منه ، وعلى هذا المقرر كثير من المقطعين (٩٩) .

أما مقرر طرح الفراريج ، وهو حق احتكار تجارة الدجاج ، فاشتراه الضمان كذلك بمبالغ ضخمة وتصرفوا هم في فرضها على الناس بالقاهرة والأقاليم بحيث إنه لم يكن لأحد الحق في شراء أو بيع أى فروج من غير الضامن « عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجاً من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو بميت » على قول المقرئى ، ولذا نال الناس من الباعة والمشتريين بسبب ذلك ، بلاء عظيم (١٠٠) .

ومقرر نصف السمسة ، أحدثه والى القاهرة ناصر الدين الشينخى (١٠١) فى وزارته زمن السلطان الناصر محمد ، وخلاصته أن من باع شيئاً يؤخذ منه درهمان « دلالة » عن كل مائة درهم ، منهما درهم للسلطان ، وكان الدلالون يجتهدون فى تحصيل نصيبهم قبل نصيب السلطان ، وعلى هذا البند عدة مقطعين (١٠٢) .

أما رسوم الولاية فهو مبلغ يقوم بجبايته الولاية والمقدمون من عرفاء الأسواق وبيوت الدعارة ، واقرنت جبايته بالهجوم على بيوت أكثر الناس ، وبلغ إيراد هذه الرسوم فى إقليمى الدقهلية والمرتاحية ٢٤ ألف دينار ، وفى مصر وحدها مائة ألف درهم وذلك فى عهد بيبرس ، ولهذا الرسوم ضامن وتحت يده عدة صبيان وعليها جند مقطعون وأمراء وغيرهم (١٠٣) .

وثمة رسوم أخرى تشبه رسوم الولاية من حيث خسة المورد ، وهى ضمان المغانى والأفراح أو ضمان المغانى والبغايا أو مقرر الملاهى ، وكذلك ضمان المزور . فأما ضمان المغانى فهو مبلغ مقرر على النساء اللاتى يقمن بعمل الأفراح والاحتفالات المختلفة فى منازل الناس يدفعونه للضامنة أو للضامن ، فإن تغيبت مغنية عن بيتها حتى ولو فى زيارة أهلها ، فلا بد لها من دفع هذه القطيعة باعتبارها تغيبت فى عمل فرح من الأفراح ، لذلك دار فى كل ليلة على بيوت المغانى ، جماعة من جهة الضامن ، لمعرفة من باتت منهن خارج بيتها ، ومن أجل ذلك احتال المغانى والبغايا بشتى الوسائل لإيفاء ما عليهن . حتى إنه فى الأحياء المخصصة لمن بالقاهرة والأقاليم حيث يكثر الفساد جهراً ، أجبر المحتاز عليهن أن يخطى بخاطية ، فإن لم يفعل فدى نفسه بشىء من المال « لتقوم الباغية المسكينة بما عليها من الضريبة (١٠٤) » ، ومن هذه المكوس كذلك رسم العرس (١٠٥) ، فإن العرس ما كان يتبهاً حتى يغرم أهله للضامنة ٥٠٠ درهم فما فوقها أو من ٢٠ إلى ٣٠ مثقالاً ذهباً بحسب حال أهل العرس ، ولا تقدر امرأة وإن جلت أن تنفس إلا بإطلاق - أى إذن - من الضامنة ، ولا يضرب بدف فى عرس أو ختان أو نحو ذلك إلا بإطلاق ، وعلى كل إطلاق فريضة مال مقررة فى الديوان (١٠٦) ، ومن الملحوظ أن أكثر المقطعين على هذا الباب من رجال الحاشية (١٠٧) .

و ضمان المزور وهو نبيذ الذرة والشعير ، عبارة عن مبلغ مقرر على بيعه ، ويستفاد هذا المعنى من قرار السلطان بيبرس فى سنة ٦٦٢ هـ - ١٢٦٣ م حين أمر بإبطاله تقريباً إلى الله فى ساعة الخطر ، وهو على مدينة البيرة يحارب التتر ، إذ كتب « إلى الديار المصرية بتبطل المزور وأن تعفى آثاره وتخرّب بيوته وتكسر مواعينه وأن يسقط من الديوان ارتفاعه ، ومن كان له على هذه الجهة شىء فعوضه من مال الله الحلال » ، فاعتمد ذلك وعوض المقطعون بدل ما كان لهم على جهته (أى المزور) (١٠٨) ، ويستفاد من ذلك كذلك أن أنواع الخمور الشائعة بمصر فى ذلك الوقت هى : النبيذ والبوزة فضلاً عن الحشيش (١٠٩) .

أما مقرر الحوائص والبغال فهو مبلغ مقرر على الناس ، ويقوم بحمايته الولاة والمقدمون لتوريده إلى بيت المال ، ويقدر بمبلغ ٣٠٠ درهم : بدل ثمن حياصة ، ٥٠٠ درهم بدل ثمن بغل ، ولكثرة ما تحصل من هذا المقرر ؛ رتب ولى الأمر عليه بعض المقطعين (١١٠) .

ويقصد بمكس « متوفر الجراريف » (١١١) ما يجنيه الولاة والمهندسون من البلاد لاستخدامه فى نقل التراب لأعمال إقامة الجسور السلطانية وصيانتها ، وهى الجسور عامة النفع التى تتولى الدولة إقامتها ، وعلى هذا الباب عدة مقطعين من الجند « (١١٢) .

وهناك مورد آخر غير المكوس خضع للتوزيع الإقطاعى وهو « الهدية والضيافة » وخلاصة ذلك أن يقوم الفلاحون بتقديم هدايا من منتجات ريفهم لأمراء الإقطاع ، مثل الغنم والدجاج ، والكشك والعدس والبيض وغيره ، فإذا نزل المقطع وأتباعه بإحدى قرى إقطاعه تقررت ضيافتهم على الفلاحين ، ثبت هذا التقليد وتقرر بحكم العادة اعتبر ضمن المال الخراجى ، إلا أن السلطان الناصر محمد حسب قيمة هذا المقرر عند مراك البلاد وأضافه إلى عبء الإقطاع الذى يمنحه لأتباعه (١١٣) .

كذلك أقطعت الزكاة أو ضمنت ، ومن الأمراء الذين أقطعوا هذا المورد ، الأمير إياس الصرغتمشى الذى أقطع الزكاة ببرقة ، وكانت تقدر بنحو ثمانية آلاف دينار (١١٤) والأمير خليل بن عرام (١١٥) والى الإسكندرية فى عهد السلطان حاجى بن شعبان .

أما إقطاع الجزية (١١٦) ، والجوالى ؛ وهى الرسوم التى يدفعها أهل الذمة ، فتطور أمرها بين التوزيع الإقطاعى وبين استيلاء السلاطين عليها واعتبارها ضمن خاصهم ، فهى حتى الروك الناصرى سنة ٧١٥ هـ - ١٣١٥ م ، لم تكن داخلة فى الإقطاع ، إذ اختص بها الملوك لمأكلهم (١١٧) ، ثم أدخلت الجزية أو الجوالى فى الإقطاعات فى الروك بإضافة جوالى كل بلد إلى متحصل خراجها ، فأضحى أهل الذمة فى كل بلد يدفعون جاليتهم إلى مقطعتها (١١٨) ،

وبلغ متحصلها في عهد المؤيد شيخ سنة ٨١٦ هـ ١٤١٣ م : ١١٤٠٠ دينار؛ سوى ما غرم للأعوان إلا أنها كانت في نقص؛ إذ صار الذميون يتنقلون من بلد إلى بلد ولا يدفعون من جالياتهم إلا ما يريدون، وإذا خرج الإقطاع إلى آخر؛ جرت الجزية مجرى المال الهلالي، لأنها تستخرج على حكم الشهور الهلالية لا الشمسية، فإن تعجلها المقطع في غرة السنة على العادة، ثم خرج الإقطاع عنه في أثناء السنة ب وفاة أو نقل أو عزل أو غيره (١١٩)، استحق فقط ما مضى من الشهور حتى انتقاله، كما يستحق، المقطع الحديد تحصيلها؛ لأنها جزء من مال إقطاعه من تاريخ صدور منشوره بالإقطاع، على أنه إذا تخللت مدة بين المتصل وهو المقطع الحديد، وبين المنفصل وهو المقطع السابق، غدا قسط هذه المدة (الفترة)، وهي فترة الحلو، للديوان (١٢٠)، ويعبر عن الإقطاعات في فترة الحلو هذه سواء أكانت مالا منقولا كالجزية وأشباهاها أو عقارات ثابتة كالأراضي. باسم «المحلولات» أي الإقطاعات التي انحلت عن أصحابها ولم تدخل في إقطاع أحد بعد. والمعروف أن إقطاع الجزية من نوع إقطاع الاستغلال، لأنها مأخوذة مع بقاء الكفر وزائلة بحدوث الإسلام، كما فصل الماوردي.

هوامش الفصل الثاني

- (١) يتناول هذا الفصل والفصول التالية النظم الإقطاعية في عصر المماليك ، نظراً لأن قمة التنظيم الإقطاعي الحربي ، كانت في عصر المماليك ، ومن بعد عصر المماليك اتجه تاريخ الشرق الأوسط والتنظيمات القائمة به وجهة أخرى ، منذ الفتح العثماني في مطلع القرن السادس عشر الميلادي . كما أن هذا الفصل والفصول التالية ، سوف تنصب بصفة خاصة على ما وقع بمصر المملوكية ، فهي قلب الإمبراطورية المملوكية الكبرى .
- (٢) سياسة نامة ص ٤٠ - ٤١ (الترجمة الفرنسية) .
- (٣) خطط ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧ ، نزهة الأمم (مصور) ورقة ١١٣ .
- (٤) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٥ .
- (٥) السلوك ج ١ ص ٨٤١ وحاشية ٣ .
- (٦) ابن دقماق : الجوهر الثمين ورقة ١٢٦ ، ابن شاکر : عيون التواريخ ص ١٦٩ ، ١٧٠
- ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٩٠ - ٩٣ ، السلوك ج ١ ص ٨٤٢ - ٨٤٣ .
- (٧) التحفة السنية ص ٣٠ .
- (٨) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٨ .
- (٩) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٨ ، انظر فصل الحقوق والالتزامات .
- (١٠) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٧٧ ، العمرى ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٤ .
- (١١) انظر الفصل التالى .
- (١٢) خطط ج ٣ ص ٣٥٣ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٤ .
- (١٣) السلوك ج ١ ص ٨٤ ، درة الأسلاك ورقة ٤٧ ، تاريخ الفيوم وبلاده ص ١١١ ،
- نهاية الأرب (مخطوط) ج ٢٧ ورقة ١١٤ - ١١٥ .
- (١٤) السلوك ج ١ ص ٣٩٤ نهاية الأرب (مخطوط) ج ٢٧ ورقة ١١٥ .
- (١٥) السلوك ج ١ ص ٤٢٠ ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٠١٠ .
- (١٦) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٦٧ - ٢٧١ .
- (١٧) التقليد أمر التعيين .
- (١٨) المنشور هو الوثيقة النهائية التى تصدر من ديوان الإنشاء بالإقطاع فيصير بها الإقطاع قانونياً - انظر الفصل الرابع .
- (١٩) إقطاع مائة فارس أرقى مرتبة في الجيش المملوكى (السلوك ج ٢ ص ٤٧ ، تاريخ أبي الفداء ج ٣ ص ٥٦ - ٥٧ انظر الفصل الخامس) .

- (٢٠) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٣١ .
- (٢١) بدائع الزهور ج ١ ص ١٣٣ .
- (٢٢) بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٢ ، ابن شاهين : زبدة كشف المالك ص ١١٣ .
- (٢٣) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٣٩ .
- (٢٤) تخلص حكم السلطان برقوق فترة عام من ٧٩١ إلى ٨٧٩٢ = ١٣٨٨ - ١٣٨٩ م حكم فيها أمير حاج بن شعبان بعد عزل برقوق (بدائع الزهور ج ١ ص ٢٧٤ وما بعدها ، انظر الجداول الملحقه بفصل المجتمع) .
- (٢٥) غنى : شخص لا يحسن الكلام (القاموس المحيط) .
- (٢٦) يذكر ابن تغرى بردى أن هذا من جملة الذنوب التي عدها الأمراء على السلطان برقوق حين خرجوا عليه بزعامه يلبغا بن عبد الله الناصرى المتوفى سنة ٨٧٩٣ - ١٣٩٠ م . (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥١ - ٥٢ .
- (٢٧) بدائع الزهور ج ١ ص ٩٣ .
- (٢٨) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٠٥ .
- (٢٩) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٨١ .
- (٣٠) الحكورة هي الأحكار ، وهي عبارة عن أجرة مقررة على مساحات دائرة عمرت مساكن وبساتين (السلوك ج ٢ ص ٥١٨ حاشية ٣١) .
- (٣١) يقصد بالمعادي المراكب التي تستخدم لتعديده الناس عبر النيل (المصدر السابق والجزء والصحيفة حاشية ١) .
- (٣٢) لعل المقصود بالمخارفين ، أصحاب الحرف ، انظر : السلوك ج ٢ ص ٥١٧ حاشية ٧ وانظر الفصل الخامس .
- (٣٣) جعلت الإقطاعات التي أنعم بها السلطان على هذين الأميرين وقفاً على جامعيهما .
- (٣٤) أرباب الخوامك هم أصحاب الرواتب والمخصصات في الأرزاق ويعبر عنهم كذلك بأرباب النقود والمكيلات .
- (٣٥) السلوك ج ٢ ص ٥١٧ - ٥١٨ .
- (٣٦) الشيخ سراج الدين البلقيني ، عمر بن أرسلان بن ناصر الكتاني العسقلاني الشافعي ، ولد في بلقين بمصر ٨٧٢٤ - ١٣٢٤ م وولى قضاء الشام ٨٧٦٩ - ١٣٦٧ م أيام السلطان شعبان . وله عدة مؤلفات في الفقه مثل : التدريب في فقه الشافعية (لم يتمه) وتصحيح المنهاج في ستة مجلدات والمهمات فرد المهمات وفي الحديث : محاسن الاصطلاح وغيرها ، ت ٨١٥ - ١٤٠٢ م (ذيل أقرب الموارد ج ٣ ص ٧١٤ - ٧١٥ م) .
- (٣٧) القاضي برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الخطيب المعروف بابن جماعة الكتاني

(٧٢٥ - ٧٥٠) قاضي مصر والشام ، ولي القضاء أكثر من مرة ، هو من أعلام المائة الثامنة ، وله عدة مؤلفات في الفقه ، وينسب إليه المنبر الرخامى بالمسجد الشافعى بالصخرة الشريفة ، وهو الذى يخطب منه للعيد ، دفن بترية أقاربه بالمزة قرب دمشق (رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١٤ الأنس الجليل ج ٢ ص ٤٥٢ - ٤٥٣) .

(٣٨) تاريخ ابن الفرات المجلد ٩ ج ١ ص ٥ .

(٣٩) هذه الحانقاه بنيت بالقرب من باب النصر وفيها ٤٠٠ صوفى ، وكانت أولا دار الوزراء الفاطميين وانتهت عمارتها في سنة ٥٧٠ هـ ، ولما حلت أوقافها ، سعت ابنة بيبرس بعد إغلاقها بمدة حتى أعيد إليها بعض الأوقاف وأذن لها في فتحها (الدرر الكامنة . ج ١ ص ٥٠٧) .

(٤٠) انظر فصل الروك .

(٤١) المقصود بالرزق ما منحت في الأصل رزقة ثم أوقفها أصحابها .

(٤٢) خطط ج ١ ص ١٤٥ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٣ حاشية ١ ، ص ٥٤ .

(٤٣) السلوك (مخطوط) ج ٣ ص ٣٤٣ - ٣٤٥ .

(٤٤) أنباء الغمر ج ١ ص ٥٢٨ - ٥٢٩ .

(٤٥) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٥٢ .

(٤٦) رفع الإصر عن قضاة مصر (مخطوط) ص ١٢ .

(٤٧) السلوك (مخطوط) ج ٣ ص ٤٣ .

(٤٨) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٠٩ .

(٤٩) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٥٠) ذكر ابن إياس في هذا الصدد أن القاضي فخر الدين بن عوض القدام من قبل العثمانيين في سنة ٨٩٢ هـ - ١٥٢١ م ، توجه ليمسح جهات الصعيد ، فأدخل الرزق الأحباسية قاطبة في المساحة التى بالمكاتب الشرعية والمربعات والمناشير وأبطل ما كان صنعه الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه فهو أول من دون للأحباس ديواناً وأفرد للرزق الأحباسية ديواناً يختص بها دون ديوان الجيش ، وكان عدد الرزق ١٨٠٠ رزقة . منها ما كان على الزاويا والمساجد والترب وغير ذلك ، وعندما اشتد المرض بخايربك ، رسم بأن يفرج عن الرزق الأحباسية التى دخلت في الديوان السلطاني - (بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣١٣ - ٣١٥ - ٣١٦ ، انظر الملاحق عن تاريخ الرزق الحباسية والوقوف) .

(٥١) ملحق الأبحر ص ١٧٥ ، أبو يوسف :- الخراج ص ٣٢ - ٣٣ ١٢٩ ، الماوردى

الأحكام السلطانية ص ١٨٥ - ١٨٧ ، راجع الفصلين الأول والخامس .

(٥٢) الصالحية والمعزية نسبة للصالح نجم أيوب والمعز ايبك التركاني .

(٥٣) السلوك ج ١ ص ٤٨٧ - ٤٨٨ .

(٥٤) تختص هذه الطائفة من كتاب ديوان الإنشاء بكتابة المناشير الإقطاعية - انظر الثامن .

(٥٥) صاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان ناظر ديوان الإنشاء ، اشتغل بكتابة الإنشاء إلى أواخر الأيوبيين وظل حتى عصر بيبرس ، فنقله إلى الوزارة وعين بدلامته القاضي محيي الدين ثم عزله قلاوون سنة ٦٧٩ - ١٢٨٠م عن الوزارة وأعادته إلى ديوان الإنشاء (الجواهر الثمين ورقة ١٩٦ ، السلوك ج ١ ص ٦٨٢ النسخة المخطوطة ج ٣ ص ٤٠٩ - ٤٣٧) .

(٥٦) انظر الفصل الرابع .

(٥٧) أمير علم هو الذي يتولى أمر الأعلام السلطانية ، وهناك وظيفة « علم دار الذي يحمل العلم في ركاب السلطان ، والطبلخاناه مخازن الطبول والموسيقى ، والمتحدث ، عليهما من طبقة أمير عشرة (السلوك ج ٢ ص ٤٩٠ حاشية ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ ، ج ٥ ص ٤٥٦ و ٤٦٣) .

(٥٨) الجشارات :- أما كنز رعى الماشية والحيل وغيرها . (السلوك ج ٢ ص ٤٩٠ حاشية ٢)

(٥٩) السنجق أو الصنجق بمعنى علم .

(٦٠) السلوك ج ٢ ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

(٦١) كتب بيبرس بهذه المناسبة كذلك « تواقيع » بمعنى أو امر سلطانية لأهل الكرك بمنصب دينية وديوانية (البداية والنهاية لأبي الفداء ج ١٣ ص ٢٣٨ ، السلوك ج ٣ ص ٤٩٢ ، انظر الفصل العاشر) .

(٦٢) ابن بهادر : فتوح النصر : ج ١ ورقة ١٠٧ .

(٦٣) النجوم ج ٧ ص ١٣٩ .

(٦٤) ووجد كذلك توزيع الفتوح إقطاعات عند المغول ، إلا أن توزيع المغول أقرب إلى استباحة البلاد منه إلى إقطاعها ، كما فعل تيمورلنك عندما اجتاحت بلاد الشام ٨٠٣ - ١٤٠٠م (السلوك ج ٢ ص ٤١٧ - ٤١٨ ، أبناء الغمر ج ١ ص ٥٢٨ - ٥٣٤ عجائب المقثور ص ١٠٧ - ١٠٨) .

(٦٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٨٥ أبو يوسف : الخراج ص ١٣٩ .

(٦٦) أصل وظيفة الدوا دار : حامل الدواة وأول من أحدثها السلاجقة ، وكان يسمى أيضاً بالحاجب ، وكانت وظيفة صغيرة يليها جندي ثم صيرها بيبرس ذات أهمية كبرى وعين فيها أمير عشرة ، وقد عين فيها أيضاً أمير طبلخاناه أو أمير مائة ، وتضاعفت اختصاصاتها كما يتضح من وصية تعيينه (ينبغي أن لا يؤدي عن مولاه السلطان رسالة في إطلاق مال ولا استخدام مستخدم ولا إقطاع إقطاع ولا ترتيب مرتب ولا تجديد مستجد ولا ساد شاغر إلا بعد عرضه على السلطان) ، ويحدث أن يعظم شأن الدوا دار فلا يتقيد بهذه المهام المنوطة به ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة ويسلب سلطة السلطان ، مثل الدوا دار اقتمر الخنبل أيام شعبان ، إذ صار يخرج المراسيم السلطانية بغير مشاورة . (السبكي : معيد النعم ص ٣١ - ٣٥ ، العمرى : مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٩ النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٨٥ - صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣١٠ ، خطط ص ٢٢٢ (بولاق) .

(٦٧) شمس الدين بن خلكان ، أبو العباس أحمد بن إبراهيم مؤرخ حجة ، صاحب وفيات

الأعيان وأبناء الزمان ، تولى نيابة القضاء في مصر مدة ثم ولاء يبرس قضاء الشام ثم عزل وتولى التدريس بالشام حيث توفي ٥٦٨١ - ١٢٨٢م ودفن . (الأعلام) .

(٦٨) انظر نسخة التمليك في الملاحق وفي السلوك ج٢ ص ٥٣٠ - ٥٣٤ .

(٦٩) السلوك ج٢ ص ٥٣٠ - ٥٣٤ أبو الفداء : البداية والنهاية ج١٣ ص ٢٢٤ -

٢٤٥ أبوالفضائل ص ٤٦٩ - ٤٨٦ النهج السديد ص ١٣٧ - ١٣٩ .

(٧٠) انظر نص التقليد بالملاحق ، وفي الأنطاف الحفية ص ٢٩ - ٣٦ .

(٧١) التحفة السنية ص ٥ .

(٧٢) التحفة السنية ص ١١ .

(٧٣) التحفة السنية ص ١٩٤ .

(٧٤) هناك كثير من الأملاك الحرة المفرقة بنواحي مصر المختلفة (التحفة السنية صفحات

٤٢ ، ١٠٣ وحاشية ٥١ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٣ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٨) .

(٧٥) ابن نجيم المصري : رسالة التحفة المرضية في الأراضي المصرية ص ٢٠٣ - ٢٠٥

عطية الرحمن ص ٧ و ١٩ ، التذكرة ورقة ٣ - ٤ .

(٧٦) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٥٠ ..

(٧٧) جاء هذا المصطلح في أكثر من موضع بالتحفة السنية ، فمثلا : أحواض روى من

الأعمال الأتفاحية ، قانونها ٤٧ فدانا وعبرتها ٢٠٠ دينار ، وهي باسم المقطعين ، وبركة الضبع

بالشرقية قانونها ٨٧ فدانا - تقدوس بالشرقية قانونها ١٥٢٠ فدانا وتل الذهب بالشرقية ، قانونه

٥٨٧ فدانا ، وتل حيوين بالشرقية قانونه ٦٢٢ فدانا وهكذا ...

(التحفة السنية ص ٢٤ ، ٢٧ ، ١٧٤) .

(٧٨) السلوك ج٢ ص ٢٣١ حاشية ٢ .

(٧٩) السلوك ج٢ ص ٢٣١ حاشية ٥ .

(٨٠) السلوك ج٢ ص ٢٣١ .

(٨١) مثل هذه الجسور : جسر أم دينار بنواحي مركز إمبابة بمديرية الجيزة قرب

القناطر الخيرية لتنظيم الري بماء النيل وقت الفيضان ولا يزال باقياً ومعروفا باسم « صليبة أم

دينار » « النجوم الزاهرة ج١ ص ١٩٠ حاشية ٨ » .

(٨٢) النجوم الزاهرة ج٢ ص ١٩٨ .

(٨٣) أتابكية الموصل كانت في يد أبناء عماد الدين زنكي من سلالة سيف الدين غازي بن

زنكي وأخي نور الدين ، تولى على الموصل من هذه السلالة ثمانية أمراء ، ثم جاء بدر الدين لؤلؤ ،

وهو ليس من بيت زنكي واستقل بالملك بعد آخر أمير وهو نصير الدين محمود بن مسعود ، وجاء

بعده ابنه إسماعيل لؤلؤ وكان زوال دولتهم على يد المغول (الخضرى ص ٤٥٤ - ٤٥٥) .

- (٨٤) أبو الفدا - تاريخه ج ٢ ص ٢٢٣ .
- (٨٥) أبو الفدا ج ٢ ص ٢٢٣ .
- (٨٦) السلوك ج ٢ ص ٥٢٦ - ٥٢٧ .
- (٨٧) السلوك ج ٢ ص ٥٢٨ - ٥٢٩ .
- (٨٨) بدائع الزهور ج ١ ص ١٨٤ .
- (٨٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٣٩ - ١٤٠ ، خطط ج ١ ص ١٦٧ .
- (٩٠) خطط ج ١ ص ١٧٣ .
- (٩١) الروض الأنف : ج ٢ ص ٢٤٩ ، الأحكام السلطانية ص ١٧٦ - ١٧٨ - كتاب الحراج ص ٥٨ - ٢٦٠ ، رسالة في أحكام الرزق الصادرة ص ٦ .
- (٩٢) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١١٧ .
- (٩٣) إمتاع الأسماع ج ٥ ورقة ١٠٤٥ ، الماوردي ص ١٨٧ - ١٨٨ ، خطط ج ١ ص ١٥٥ ، ١٦٧ ، ١٧٦ - ١٧٧ ، الإصابة ج ١ ص ١٤ ، ابن ماقى ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٦٢ ، السلوك مخطوط ج ٣ ص ٣٦٩ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١٢٣ ج ٣ ص ٢٩٠ .
- (٩٤) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٨ .
- (٩٥) خطط ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٤ .
- (٩٦) بق الكثير منها حتى دخل العثمانيون ، وحاول بعض الناس الشكوى من شدة وطأتها بأن توجهوا إلى القلعة وعلى رؤسهم المصاحف سنة ٨٩٢ - ١٥٢١ م فأمر خيربك الانكشارية بضربهم . (بدائع الزهور ج ٢ ص ٧ ج ٢ ص ٢٩٠ ، فتوح النصر ج ١ ورقة ١٠٨) .
- (٩٧) قاسى الناس من هذا المكس بلاء شديداً من المغارم والظلم ، فإن مظالمها كانت تعدد من : نواتية تسرق وكيالين تبخس وكتاب يريد كل منهم شيئاً (خطط ج ١ ص ١٤٣) .
- (٩٨) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠ ، عيون الأخبار : غير مرقم ، خطط ج ١ ص ١٤٣ ، ١٧٢ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤٤ - ٤٥ ، السلوك ج ٢ ص ١٥٠ .
- (٩٩) خطط ج ١ ص ١٤٣ - ١٤٤ السلوك ج ٢ ص ١٥١ - ١٥٢ النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤٦ .
- (١٠٠) ابن الشيخ : ناصر الدين محمد بن عبد الله الماوردي الشيعي ولي الجيزة ثم القاهرة ، وما يأخذه عليه صاحب النجوم ، التبذير حين احتفل في سنة ٥٧٠٢ - ١٣٠٢ م على أثر انتصار الناصر على التتر وعودته بالأسرى ، إذ عمل قلعة بباب النصر فيها سائر أنواع الجذ والهزل ونصب مدة أحواض ملاءها بالسكر والليمون وأوقف بماليكه لتسقى العسكر ، يقول صاحب النجوم : ولو

فعل هذا في زماننا والى القاهرة لكان حصل عليه الإنكار بسبب إضاعة المال ، توفى ابن الشيخ سنة ٨٧٠٣ - ١٣٠٣م (النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٥٠ ، ١٦٦ - ٢١٤) .

(١٠١) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤٥ - ٤٦ .

(١٠٢) ألنى هذا المكس وغيره وأعيد أكثر من مرة خلال عصر المماليك ، وآخر ما عرف عنه بعد زوال دولة المماليك ، أن خاير بك أمر بالغائه سنة ٨٩٢٥ - ١٥١٩م ، وقبض على امرأة يقال لها أنس كانت تقيم في الأزبكية وتجمع عندها بنات الخطاء ، وعليها مبالغ مقررة توردها كل شهر للوالى ، فأمر خاير بك بإغراقها مع امرأة أخرى يقال لها « بدرية » (ابن إياس ج ٣ ص ١٩٧ ، خطط ج ١ ص ١٤٣ و ١٧٠ ، السلوك ج ٢ ص ١٥١ ، النجوم ج ٩ ص ٤٥ - ٤٦) .

(١٠٣) أنباء الغمر ج ١ ص ٧١ - بدائع الزهور ج ١ ص ٢٣٠ .

(١٠٤) يشبه هذا المكس أو هذا الضمان ما عرف باسم « حقوق القينات » وهو عبارة عن مال يؤخذ ويجمع من المنكرات يجنيه مهتار الطشتخافه السلطانية من أوباش الناس ، وهنا مقر أماكن في القاهرة تعرف باسم « الخانات » ربما كانت خاصة بالبغايا من الجوارى والعبيد ، فإذا نزل عبد أوجارية بالخان لعمل الفاحشة « أخذ من كل ذكر وأنثى من المال ، عرف هذا المقرر باسم « شد » وهذا إن لم يرد عنه أنه مقطع ، إلا أنه يتفق من حيث النوع ودناءة المورد وخسة الوضع مع نظائره المقطعة . (السلوك « مخطوط » ج ٣ ص ٢٦٩ - ٢٧٠) .

(١٠٥) أنباء الغمر ج ٢ ص ٧١ السلوك مخطوط ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ خطط ج ١ ص ١٧١ بدائع الزهور ج ١ ص ١٧٥ دول الإسلام ص ٢٩ .

(١٠٦) اجتمع قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة والشيخ سراج الدين البلقنى بالسلطان شعبان سنة ٨٧٧٥ - ١٣٧٣م وعرفاه ما فى ضمان المغانى وغيره من المفاسد والقبائح فأمر السلطان بإبطاله بمصر والشام وسائر الاعمال ، واستمر جاريا فى صحيفته ، على أنه أعيد مع غيره بعد شعبان وتعرض كغيره من المكوس للإلغاء والإعادة (عيون الأخبار غير مرقم ، السلوك مخطوط ج ٣ ص ٥٢٣ - ١٤٦ ، أنباء الغمر ج ١ ص ٧١ ، الجواهر الثمين ج ٢ ورقة ١٢٦ ، خطط ج ١ ص ١٧٢ ص ٥٢٣ - ١٤٦ ، أنباء الغمر ج ١ ص ٧١ ، الجواهر الثمين ج ٢ ورقة ١٢٦ ، خطط ج ١ ص ١٧٢ ، ابن إياس ج ١ ص ٢٣٠) .

(١٠٧) بلغ متحصل الخمر فى كل يوم أيام بيبرس ألف دينار ، وحدث أن أمر بيبرس بشنق أحد الطواشية تحت قلعة الجبل لشربه الخمر (خطط ج ١ ص ١٧٠ - ١٧١ ، السلوك ج ١ ص ٥٢٥ ، دول الإسلام ص ٢٩) .

(١٠٨) للحشيش ضمان ، وأبطله بيبرس فيما أبطل سنة ٨٦٦٥ - ١٢٦٦م (دول الإسلام ص ٢٩ ، الجواهر الثمين ج ٢ ، ورقة ١٠٨) .

(١٠٩) خطط ج ١ ص ١٤٣ ، ج ٣ ص ٥٢٢ - ٥٢٤ النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤٦ .

- (١١٠) الجراريف هي الآلات التي يحرق بها التراب .
- (١١١) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٢٩ ، خطط ج ١ ص ١٤٤ ، السلوك ج ٢ ص ١٥٢ النجوم ج ٩ ص ٤٨ .
- (١١٢) ظلت الضيافة المقررة على أهل الذمة ببعض نواحي الشام منذ عهد عمر بن الخطاب حين صالحهم أيام الفتوح الكبرى ، وشروط هذه الضيافة لمن يمر بهم من المسلمين مدة ثلاثة أيام من غير أن يكلفوا ذبح شاة ولا دجاجة ، وتبيت دوابهم من غير شعير (نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٦ - ١٧ ، خطط ج ١ ص ١٤١ ، ١٤٥ - ١٤٦ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٠ ، عيون الأخبار غير مرقوم ، انظر الروك) .
- (١١٣) ينتسب الأمير إياس الصرغتمشي إلى سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الناصري ، والأخير هذا طار صيته في عهد الناصر حسن وصار مدير الدولة ، لكنه مات سجيناً بالإسكندرية سنة ٨٧٥٩ - ١٣٥٧ م ، أما إياس هذا فن ماليكه . ويحتمل أنه كان من المعاصرين للسلطان شعبان بن حسين ، وله إقطاع كبير موزع في مصر . منه : مدينة السمرونا بالبعير ومساحتها ٤١٠ فداناً وعبرتها ألف دينار ، وفي الأشمونين مدينة الطيبة ومساحتها خمسة آلاف فدان وعبرتها ٥٠٠٠ دينار (التحفة السنية ص ١١٦ - ١٣٨ - ١٧٢ - ١٨١ ، النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٠٢ ، ٣٠٧ - ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٨) .
- (١١٤) هذا غير ماله من إقطاع بالأعمال الهندساية . ومساحته ١٥٠ فداناً باستثناء ما له من رزق وقدرها ٤٨ فداناً ، وعبرة هذا الإقطاع ١١٠٠٠ دينار (التحفة السنية ص ١٦٣ ، التدبيرات السلطانية ورقة ٨) .
- (١١٥) سميت الجزية كذلك لأنها تجزى عن الدم أى تغنى وتكفى عن القتل ، وعرفت باسم الجالية والجمع جوالى ، لأنه كان ينبغي على أهل الذمة أن يجلوا عن بلاد المسلمين غير أنهم بقوا ، فدفعوا هذا القدر نظير بقائهم أو لأن الإمام عمر أجلاهم عن جزيرة العرب ، ومن ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل النمة وأن لم يجلوا عن أوطانهم ، وكان لها ناظر يشرف على جبايتها مثل البدرى محمد بن كمال الدين في أيام قايتباى سنة ٨٩٠٢ - ١٤٩٦ م ولها ديوان خاص ، وهى نوعان : بالصلح وتقدر بالتراضى وحسب الاتفاق ، وعنوة إذا غلب الإمام . فله أن يضع الجزية عليهم . الأرب ج ٨ ص ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، فتوح النصر ج ٢ ورقة ٢٣٥ ، السلوك ج ١ ص ٣٨٤ حاشية - ١ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ملتقى الأبحر ص ١٧٦ ، خطط ج ١ ص ١٤٥ - ١٧٣ بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١١ . الدرر شرح الغرر ج ١ ص ١١٣ .
- (١١٦) خرجت الجزية بعد ذلك من التوزيع الإقطاعى وعادت إلى الخاص وهكذا . . . (فتوح النصر ج ٢ ورقة ٢٣٥ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٧) .
- (١١٧) فتوح النصر ج ٢ ورقة ٢٣٥ .
- (١١٨) انظر فصل المناقلات الإقطاعية .
- (١١٩) نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٤١ ، انظر فصل المناقلات .
- (١٢٠) الأحكام السلطانية ص ١٨٦ .

الفصل الثالث

الزكوة

إعادة التوزيع الإقطاعي العام وعوامله : العامل المسالي والاجتماعي - العامل الاقتصادي - العامل السياسي - أشباهه في الغرب الإقطاعي - عملية الروك - الفحص النظري والقياس - تفصيل أنواع الأراضي - القائمون بهذه العملية في عصر المماليك - التعديلات المختلفة بمقتضى الروك : في قاعدة التوزيع الإقطاعي العامة - العبرة - نوع الإقطاع وأماكنه - النظائر في الغرب - تحويل الستة الخراجية .

أوجب النظام الإقطاعى فى مصر فى زمن المماليك، أن يقوم السلطان أو ولى الأمر بإعادة توزيع الإقطاعات ، كلما دعت الحاجة ، وجرت العادة أن يقوم كل سلطان جديد ، عند ولايته للعرش بإجراء تعديلات فى التوزيع ، لكنها قد تكون محلية وفى نطاق محدود ، وقد تكون عامة شاملة ، ولقد أقر أوائل سلاطين المماليك ما فعله أساتذتهم الأيوبيون وساروا على نهجه ، لكنهم أجروا بعض التعديلات فى التوزيع الإقطاعى ، نظراً لانتقال الملك إليهم .

على أنه قد توجد عوامل تدفع ولى الأمر إلى إعادة النظر فى التوزيع الإقطاعى إعادة شاملة عامة ؛ ومن هذه العوامل : العامل المالى والاجتماعى ؛ كأن يتظلم الأمراء المقطعون من تراكم الخراج عليهم وعجزهم عن الدفع ، أو يشكو بعض الأجناد من معاملة أمراءهم ، وطغيانهم على حقوقهم ، أو يتذمر الفلاحون من تعنت الأمراء معهم وكثرة المغارم التى يخضعون لها ، فضلاً عن أعمال النهب التى يتعرضون لها من قطاع الطرق الذين يحتمون بالأمراء ، وهناك المكوس المتعددة التى يصيب الناس بسببها الظلم والحيف على أيدي مقطعيها أو ضمانها أو من شدة وطأتها وطرق جبايتها .

لهذا يجد ولى الأمر نفسه مضطراً - فى سبيل الإصلاح - لإعادة النظر فى التوزيع الإقطاعى بشكل شامل ، فىقوم بمسح الأراضى لحصرها وتقدير درجة خصوبتها لربط خراج مناسب عليها وإعادة إقطاعها ، وعرفت هذه العملية فى المصطلح باسم « الروك » ؛ غير أن الروك ليس من مبتكرات المماليك أو النظام الإقطاعى المملوكى ، فهو نظام قديم عرفت مصر منذ فجر الإسلام ،

وعرفته الدولة الإسلامية ، قبل عصر المماليك ، وقد حدث أن ريكتم مصر أكثر من مرة قبل عصر السلاطين المماليك .

والروك كلمة قبطية أصلها (روش) ومعناها الحبل ، ثم استعملت للدلالة على عملية قياس الأرض بالحبل ، وهي بدورها مشتقة من اللفظ الديموطيقي (روك) ، ومعناها تقسيم الأرض .

وقد اصطلح على استعمالها في مصطلح الإدارة المالية في مصر والشام في العصور الوسطى : للدلالة على عملية قياس الأرض وحصرها في سجلات وتقييمها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها ، وذلك مرة في كل ثلاثين سنة . والمعروف حتى الآن من حوادث الروك بمصر في العصور الوسطى ، قبل عصر المماليك خمس : أولها حوالي عام ٩٧ هـ = ٧١٥ م على يد ابن رفاعه والى مصر من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموي ، وثانيها سنة ١٢٥ هـ - ٨٦٧ م وقد تم أيام ابن المدبر عامل الخراج بمصر في خلافة المعتز بالله العباسي ، ورابعها : الروك الأفضل سنة ٥٠١ هـ - ١١٠٧ م ؛ نسبة إلى الأفضل ابن أمير الحيوش في عهد الخليفة الأمر الفاطمي ، وخامسها الروك الصلاحى نسبة إلى السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي ، وقد تم عام ٥٧٢ هـ - ١١٧٦ م . على أن مدة الثلاثين سنة ، نظرية وليست ثابتة أو مطردة ، فمثلا جاء روك السلطان حسام الدين لاجين في مصر عام ٦٩٧ هـ بعد روك صلاح الدين بخمس وأربعين سنة ، كما جاء الروك الناصري سنة ٧١٥ هـ بعد روك لاجين بثمان عشرة سنة^(١) .

ويتضح في الروك الحسامي الذي قام به السلطان حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م - وهو أول روك معروف زمن السلاطين المماليك - أن من الأسباب الكبرى التي دعت إليه طغيان الأمراء على أتباعهم وأكلهم الحقوق الواجبة عليهم : إذ « كانوا يأخذون كثيراً من إقطاعات الأجناد فلا يصل إلى الأجناد منها شيء ويصير ذلك الإقطاع في دواوين الأمراء ويحتجى بها قطاع الطرق » ، وفي عبارة أخرى : « يبقى الإقطاع في حوى الأمراء ، يأوى إليه

كل مفسد وقاطع طريق وتثور بها الفتن وتقوم بها الهوسات ، ويمنع منها الحقوق والمقررات الديوانية ، وتصير مأكلة لأعوان الأمراء ومستخدميهـم ومضرة على أهل البلاد التي تجاورها . من أجل ذلك عمل السلطان لاجين على رد تلك الإقطاعات على أربابها من الأجناد وإخراجها بأسرها من دواوين الأمراء (٢) .

ابتدأ السلطان لاجين بالنظر في إقطاع الأمير منكوتمر نائب السلطنة ، فأخرج ما كان فيه من الإقطاعات المغتصبة التي بلغ متحصلها في السنة أكثر من مائة ألف إردب غلة ، ثم اقتدى جميع الأمراء بنائب السلطنة وأخرجوا ما في إقطاعاتهم (٣) ، ثم إن السلطان لاجين أبطل في هذا الصدد ما عرف باسم « الحماية » وهي مغارم مفروضة على الأراضي والقرى والعقارات مثل الطواحين والخوانيت والأفران والمساكن (٤) .

ومن الناحية الاقتصادية يرى السلطان ضرورة روك البلاد لإعادة النظر فيما طرأ على الأرض من إصلاح أو عمارة أو إهمال ، لإنقاص الخراج أو زيادته حسبما يقتضيه الوضع الراهن الذي آلت إليه الأرض ، كأن تكون وسائل الري تحسنت مما يستدعي زيادة الجباية ، أو تكون الأرض قد ضعفت بسبب ضعف المقطعين وكبر سنهم وعجزهم عن القيام بما يتطلبه استثمارها من جهد وعناية ، أو بسبب قلة أهلها في أعقاب حرب أو وباء أو فتنة ، وما أكثر هذه الأحداث خلال تلك العصور ، أو أن الأرض أجذبت لنقص في ماء الري أو صارت غامرة أي « قطعها البحر » ، في المصطلح مما يقضي إنقاص الجباية أو إلغائها ، وفي ذلك يقول بيارس الدوادار : « إن لاجين أزمع روك الديار المصرية وتغيير الإقطاعات وترتيب المعاملات لأن النواحي آلت إلى الخراب ، والفلاحين عجزوا عن الخراج وصارت الأراضي تبور لضعف المزارعين وتغرق والشكاوى من المقطعين داعية في كل وقت (٥) .

والأمثلة كثيرة على هذا التحول الذي يحدث للأراضي ، منها الحوض المعروف باسم « اليهودي » والمجاور لخربتا بالبحيرة ، مساحته ٣٤٠ فداناً كان

مقطعاً ثم صار خراباً ، والنقراش مساحتها ١٥٥٦ فداناً كانت مقطعة ثم صارت رزقة خراب ، وفي الغربية، حصّة فارس الشام، مساحتها ٣٤٠ فداناً آلت إلى الخراب ، وكذلك أبو شادى والكرملية بالأعمال الأخميمة التي كانت مقطعة لتولى البهنساوية ، ومن البلاد التي قطعها البحر وصارت غامرة، جزيرة الواسطا بالأعمال الأطفيحية كانت مقطعة ثم صارت غامرة إذ قطعها البحر ، وبالفيوم مدينة ترسا مساحتها ٢٠٩٦ فداناً كانت مقطعة ثم صارت تحت الغرق وهكذا (٦) .

وتكون عملية الروك لأسباب سياسية وذلك لتوزيع الإقطاعات على المواليين لولى الأمر بدلا من الخائنين أو الخارجين عليه أو المشكوك في ولائهم ، حدث ذلك في الروك الحسامي ، إذا اختلف بعض الأمراء مع السلطان لاجين ، ومنهم بكتمر السلاح دار وغيره ، ففروا إلى بلاد التتر حيث أقطعهم غازان ملك التتر (٧) الإقطاعات الجليّة ، بل إنه تجهز معهم حين استعدوه على سلطنة المماليك في مصر (٨) ، فلما رآك لاجين البلاد قطع « أنخاز » أولئك الخارجين عليه ومن لف لفهم ، واستبدل بهم غيرهم من المواليين ، ويقال إنه بالغ في ذلك لدرجة أضعفت الجيش المملوكى وخصوصاً الحلقة (٩) .

كذلك اتخذ السلاطين من الروك وسيلة من وسائل التقليل من نفوذ كبار الأمراء إذا اتسعت إقطاعاتهم وقويت شوكتهم ، فخشية من مفاجأتهم باسترجاع الإقطاعات منهم أو إنقاصها ، دون سبب ظاهر ، توسل السلطان إلى غايته بمسح البلاد من جديد وإعادة توزيعها إقطاعات ، واستطاع أن يغير ما يلزم تغييره من الإقطاعات . وضح هذا في روك الناصر ٧١٥ هـ - ١٣١٥ م إذ استكثر « أنخاز » المماليك من أصحاب يبرس الجاشنكير وبقية البرجية ، فقد بلغ خبز الأمير منهم مبلغاً يتراوح ما بين ألف مثقال إلى ثمانية آلاف (١٠) ، ولذلك عمل السلطان الناصر خلال سلطنته الثالثة التي بدأت عام ٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م على الاستيلاء على إقطاعاتهم ، ومن ثم قرر مع الفخر محمد بن فضل الله ناظر الجيش روك البلاد (١١) وعندما فتح العثمانيون مصر ، واختفى طومان باي ، قرر السلطان سليم في ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م مسح البلاد لقطع « أنخاز » من اختفى

من الممالك ورسم على مباشرى الأمراء الذين قتلوا حتى يقيموا حساب إقطاعاتهم . فأقاموا « بالترسيم » مدة ، والمقصود بالترسيم هو الحجز الاحتياطي^(١٢) .

وعملية الروك فى ظروف الفتح وعند تغير الهيئة الحاكمة ، لها شبيه فيما فعله وليام الفاتح الرومانى بعد أن فتح إنجلترا سنة ١٠٦٦ م . فقد قرر روكها لتقرير الخراج المناسب وإعادة توزيعها إقطاعياً على أتباعه ، وسجلت هذه العملية فيما عرف باسم « كتاب الروك النورمانى »^(١٣) . على أن الدافع لعملية الروك النورمانى لم يكن نتيجة لظروف الفتح وتغير الهيئة الحاكمة فحسب ، وإنما يرجع إلى أسباب اقتصادية وحربية فى الوقت نفسه ، اقترنت بها إبانته ، إذ أشيع عام ١٠٨٥ م أن كانيت Cznute ملك الدانمرك يستعد للزحف على إنجلترا ، وكان الملك وليام وقتذاك فى نورمانديا بفرنسا فلما سمع بذلك أسرع إلى إنجلترا بقوة هائلة جمعها من فرنسا ، وبريتانى لم يسبق لتلك السواحل مشاهدتها . حتى قيل إن الناس بدعوا يعجبون كيف تنى إمكانيات إنجلترا الغذائية هذا العدد الضخم ؟ ولكن الفاتح وزع الجنود فى طول البلاد وعرضها وألزم الرعايا بإمدادها بالمؤن ، كلا بحسب ما يحوزه من الأرض ، ومع أن كانيت لم ينفذ ما أشيع عنه عن الغزو وقعد ، لم ير وليام بدأ من تنظيم موارد البلاد وإعادة توزيعها على النظام الإقطاعى الحربى حتى يضمن وجود قوة حربية وموارد منظمة عند الحاجة . ولذلك عقد أكثر من جلسة مع نبلائه ، وبدأ مشاوراته فى عيد رأس السنة فى ١٠٨٥ م فى جلوستر ، حيث ظل المجلس منعقداً لمدة خمسة أيام ، ثم عقد مجلس دينى بإشراك رئيس الأساقفة ، استغرق ثلاثة أيام ، وختمت هذه الجلسات بعقد المجلس الأعظم ، تقرر فى هذه المجالس توزيع الإقطاعات توزيعاً عاماً ، وتحديد فئات المقطاعين ومساحات الإقطاعات . وبدئ بعد ذلك فى عملية الروك نفسها بالفحص والقياس والتسجيل والتوزيع الفعلى^(١٤) .

أما عملية الروك التى تمت فى عصر السلاطين الممالك لإعادة التوزيع الإقطاعى بشكل عام ، فإجراءاتها أن يندب السلطان بعض الأمراء ، ويوزعهم

على الأقاليم وبصحبة كل أمير عدد من الكتبة والمساعدين ، فإذا نزل الواحد منهم بالجهة التي ندب إليها ، طلب مشايخ كل بلد ودلاءها وعدلوها ليعاونوه في عملية الفحص النظري أولاً ، وهذه يتولاها ، « الدلاء » من أهل الناحية ، فيقومون بتعيين أسماء المزارعين للأراضي المزروعة وتفصيل الأرض ببقاعها وأصناف مزرعاتها « وقطائعها » المفروضة عليها ، كما أنهم هم الذين يتولون عمل الدفاتر المعروفة باسم « القناديق » و « القوانين » و « السجلات » ، ويوقع شيخ كل بلد على ما يسجله (١٥) ، وبعد ذلك يطلب الأمراء قضاة الجهة والسجلات التي بأيدي المقطعين فيها ، وذلك لفحص المتحصل من عين وغلة وأصناف ، ومعرفة المساحة بالفدان (١٦) ، ثم ما بها من الأراضي المزروعة أو البور .

وكذلك عبرة الناحية وما عليها لمقطعها من غلة ودجاج وخراف وبرسيم وكشك وعدس وكعك وغير ذلك من ألوان الضيافة المقررة بحكم العادة (١٧) ، يحزر هذا كله ، ثم تبدأ عملية القياس بمساعدة العدول والقياس وقاضي العمل ، ولا بد من بيان نوع الأرض في المساحة التي تقاس إن كانت من نوع البرايب أو البواق أو النقا أو الخرس أو المستبحر (١٨) . فمثلاً نجد في إقليم إبيار وجزيرة بني نصر شرقي فرع رشيد (١٩) ، مساحة مدينة أكوى مفصلة في الروك الناصري بالنقا والخرس وجملتها ١٧٧٢ فداناً (٢٠) ، ومساحة حصّة عامر نقا وخرس ومستبحر ١١٦٢ فداناً (٢١) ، وقد يوضح مساحة كل نوع على حدة بعد ذكر المساحة الإجمالية كما هو في مدينتي أبي بشادة والكرمانية بإقليم الإخميمية بالوجه القبلي فمساحتها الإجمالية ١٢٦٩ فداناً وتفصيلها : نقا ٢٥٠ فدان وخرس ١٠١٩ فداناً ومساحة إدفه بهذا الإقليم كذلك ٧٣٥٠ فداناً ، وتفصيلها : ٢٤٤٧ فداناً نقا ، ٤٩٠٣ فداناً خرس ومستبحر وهكذا (٢٢) ، على أن هناك بلاداً لم تمسح الروك مثل المعصرة بالشرقية وعبرتها ١٠٠٠ دينار ، كانت مقطعة لمتولى الغربية ، وتطورت بعده إلى الديوان المفرد ، وهكذا (٢٣) .

وبعد عملية القياس ، تطلب « مكلفات القرية » وهي سجلاتها ، لمعرفة

الأراضي التابعة للخاص السلطاني وأراضي إقطاعات الأمراء والأجناد وما بها من رزق ، وربما أضيفت الرزق الموجودة بها إلى المساحة (٢٤) ، مثل بلدة قنير بالشرقية ، مساحتها مع الرزق ٢١٠٠ فدان وعبرتها ٢٦٠٠ دينار ، وهي في إقطاع العربان ، وهكذا في كل منطقة من مناطق الجهة التي ندب لها المشرفون على هذا العمل (٢٥) .

وقام على عملية الروك الحسامي ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م الأمير بيليك الفارسي الحاجب والأمير قراقوش الطواشي الظاهري والقطب اليوناني أحد كتاب الجيش وعبد الرحمن الطويل مستوفي الدولة وهو من مسالة القبط (٢٦) واستغرق الروك الحسامي ثمانية شهور من جمادى الأولى ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م إلى ذي الحجة من السنة نفسها (٢٧) . وقام على عملية الروك الناصري بمصر سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م الأمير جنكلي ابن البابا وآقولى الحاجب ومكين الدين قروينة لناحية الغربية ، ولناحية الشرقية الأمير أيدمر الخطيري ومساعدته الأمير أيتمش المحمدي ، ومن الكتاب أمين الدولة ابن قرموط ، وفي البحيرة والمنوفية الأمير بلبان الصرخدي ومعه البكيجي وابن طرنطاي وبيبرس الحمدار ، أما في الوجه القبلي ، فندب إليه الأمير البليلي ، والمرشيني ومعهم كتاب ومستوفون ، واستغرق هذا الروك (٢٨) ١٥ يوماً .

وفي البلاد الشامية استغرق الروك عدة سنوات في عهد الناصر ، وتولى هذه العملية بدمشق سنة ٧١٢ هـ - ١٣١٢ م : الأمير سنجر الجاولي (٢٩) نائب غزة وابن هبة الله بن حشيش ناظر الجيش بالشام وكذلك عدد من المباشرين بديوان الجيش بمصر ، وأقام الجاولي عند الأمير تنكز نائب الشام (بدمشق) حتى انتهت عملية الروك في ذي الحجة سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م ، وحررت بعبرة البلاد ومتحصلها وما فيها من إقطاع ووقف وملك (٣٠) وأمر السلطان الناصر محمد بروك بلاد طرابلس سنة ٧١٧ هـ - ١٣١٧ م على يد يعقوب ناظر حلب (٣١) أما بلاد حلب ، فأمر بروكها في سنة ٧٢٤ هـ - ١٣٢٣ م على نسق روك الشام أي دمشق ونيايتها .

وبعد أن تحررت البيانات اللازمة في الأوراق بحال جميع الضياع بمصر والشام ، تسلمها ناظر الجيش في كل إقليم ، والرئيس الأعلى لنظار الجيوش وهو ناظر الجيوش المنصورة ، بمصر ، ولذا أرسلت أوراق الروك بالشام كله إلى ناظر الجيوش بمصر (٣٢) لفحص البيانات في ديوان الجيش (٣٣) ، وإجراء التعديلات اللازمة . شملت هذه التعديلات قاعدة التوزيع العام بالقيراط وعبرة البلاد ، أى المبالغ المربوطة عليها ، ثم التعديل في التوزيع للإقطاعات من حيث أماكنها ونوعها من حيث الجودة أو الضعف ، كذلك تطلب العمل نقل السنة من الناحية التنظيمية الإصلاحية .

أما التعديل الخاص بالقاعدة العامة في التوزيع بالقيراط (٣٤) ، فيجرى بحسب ما يرى السلطان تحقيقاً لأغراضه ، فمثلاً في الروك الحسامي أمر السلطان لاجين ونائبه منكوتمر ؛ رئيس الكتاب ومستوفى الدولة بأن يكتفى الأمراء والجند جميعهم بعشرة قراريط بدلا من عشرين حسب القاعدة العامة ، وأرصد لمن عساه يشكو قلة متحصله قيراطاً واحداً ثم احتفظ بتسعة قراريط « برسم عسكر يستجد » ، فضلا عن أربعة قراريط نصيب السلطان .

غير أن هذا التعديل أغضب الأمراء ، وتطور الغضب إلى سخط والسخط إلى ثورة والثورة إلى مقتل السلطان ونائبه منكوتمر ، أما الناصر محمد فأفرد لخاصته عشرة قراريط ولجميع الجيش من أمراء وأجناد أربعة عشر قيراطاً ، وهذا فضلا عما يتوفر من الإقطاعات عند التوزيع ، فهذه تضاف إلى السلطان يتصرف فيها ، كما حدث في روك الشام ، وذلك أن عدة إقطاعات توفرت وقدرها نحو مائتي مثال ، أى مائتي وثيقة بإقطاع ، فأدخلها الناصر في ديوان الخاص وزاد منها في إقطاع نيابة السلطنة ، وتوفر في روك مصر سنة ٧١٥ هـ - ١٣١٥ م مائتا مثال كذلك (٣٥) ، وفي روك طرابلس سنة ٧١٧ هـ - ١٣١٧ م توفرت ستة إقطاعات من مرتبة الطبلخاناه وثلاثة إقطاعات من مرتبة العشرات (٣٦) .

ومن حيث التعديل في عبرة الإقطاعات ، يلاحظ أن العبرة دائمة

التغير زيادة ونقصاً وإلغاء ، سواء أكان ذلك نتيجة لفحص شامل كالروك أو فحص جزئي على ممر السنين تبعاً لحالة الأرض وسياسة ولي الأمر ، فقد تصلح بعض الأراضي ويحسن ريعها فزداد عمارتها وبالتالي يعظم إنتاجها ، وهذه تقضى بزيادة المال المربوط عليها ، أى ترتفع عبرتها ، فمثلاً كوم الودان بالغربية كانت عبرته في الروك الناصري ٥٠٠ دينار ثم صارت بعد الروك ٨٢٥ ديناراً وهو للمقطعين ، ومن حيث النقص ، وهو الغالب على عبرة البلاد بعد عهد الناصر تقريباً للإهمال أو عدم توافر الأيدي العاملة فمثله : طبرينة بالبحيرة ، كانت عبرتها ٥٠٠٠ دينار ثم نقصت إلى ٧٥٠ ديناراً ، وقد تظل العبدة كما هي دون تغير ، مثل محلة حسن بالغربية ظلت عبرتها ٣٣٠٠ دينار وهكذا ، على أنه قد لا تحدد العبدة أحياناً لعدم التمكن من الدقة في ربط مال معين عليها وإنما تحدد حصة المقطع بالمقاسمة ، كأن يقال بحق النصف أو الثلث مثل مدينة البهيو ومنية فوريك بالدقهلية كانت عبرتها في الروك ٢١٠٠ دينار ثم صارت بحق النصف ، وقد لا تذكر العبدة نهائياً مثل أطنائى بالبهنساوية كانت عبرتها في الروك ٦٠٠ دينار ثم استقرت بغير عبدة وهكذا (٣٧) .

والمقصود بتعديل العبدة في التوزيع الإقطاعي ، هو الناحية السياسية أى إضعاف المقطعين بإعطائهم إقطاعات ضعيفة الإنتاج قليلة العبدة ، حدث ذلك في الروك الحسامي حيث أبدلت الإقطاعات « الثقيلة » المتحصل بإقطاعات دونها في العبدة والمتحصل ، على حين أصلح بعض الإقطاعات الضيفة ولا سيما ما خص أجناء الحلقة منها ، غير أن عبدة الإقطاعات للروك الحسامي عامة ، نقصت كلها عما كانت عليه أيام قلاوون ، فبينما بلغت عبدة أقلها نحو عشرة آلاف درهم وزاد أكثرها على ثلاثين ألف درهم زمن قلاوون ، صار أكبر إقطاع للجندى في هذا الروك لا يتحصل منه أكثر من ٢٠ ألف درهم إلى ما دونها ، كما أنقص من كان عبدة إقطاعه ٢٠ ألف درهم إلى ١٠ آلاف درهم ومن كان عشرة آلاف درهم إلى ٥ آلاف درهم ، لذلك شق الأمر على الأجناد ، حتى إن طائفة منهم تجمعت أمام دار النيابة بالقلعة ورموا بمثالاتهم (٣٨) ،

وقالوا : « إنا لم نعتد بمثل هذا ، فإما أن تعطونا ما يقوم بكفائتنا وإلا فخذوا
أخبازكم ، وإما أن نخدم الأمراء ، أو نقيم بطالين (٣٩) » . لم يستمع منكوتمر
النائب لشكايتهم ، وأمر الحجاب بضربهم وسوقهم إلى السجن برغم شفاعته
بعض الأمراء فيهم ، وبرغم وصية السلطان بزيادة إقطاعاتهم (٤٠) ، بل قال
منكوتمر متحدياً : « أيما قواد يجي يشتكى من خبزه ويقول : أعرف السلطان ،
فإني أعرف أيش يقول السلطان ، فإما أن يرضى يخدم وإلا فإلى لعنة الله (٤١) » .
كذلك شق هذا التغيير والإنقاص على الأمراء المقدمين ، إذ أن السلطان
هو الذي وزع عليهم مثالاتهم ، فبان في وجوههم التغيير ، على قول صاحب
السلوك ، لقلة العبرة ، ولما هم بزيادتهم ، منعه منكوتمر من فتح هذا الباب ،
وحذره أنه متى فتح هذا الباب تعب (٤٢) ، ويضيف أبو المحاسن ، أن
منكوتمر كان يخشى أن يعجز السلطان عن سده (٤٣) ، لذلك كان لاجين
يحيل من يشكو من قلة إقطاعه على منكوتمر ، وهذا بدوره لم ينصفهم بل
أساء إليهم بالتقريع والتعنيف والسب حتى أوغر صدورهم وأثار حقنهم ،
فانصرفوا وقد عولوا على عمل الفتنة (٤٤) .

ويستطيع السلطان بواسطة الروك كذلك أن يختار لنفسه وللمقربين إليه
ما يشاء من الأرض الجيدة وفي الأماكن التي يختارها ، بدليل أن السلطان
لاجين أفرد في روكه لخاصته : الأعمال الحيزية والأطفيحية ومنفلوط وكفورها
وهوب والكوم الأحمر من الأعمال القوصية وغير ذلك (٤٥) وأفرد للنائب
منكوتمر إقطاعاً عظيماً ، منه : مرج بني هميم وكفورها وسمهود وكفورها
وحرجة قوص ومدينة إدفو (٤٦) ، ونيفت عبرة إقطاعاته عن مائة ألف دينار ،
فصار (كل له حاسد) (٤٧) ، وطلب الناصر عند روكه البلاد سائر مستوفي
الدولة بما فيهم الفخري ناظر الجيوش وألزمهم « بعمل أوراق تشتمل على
بلاد الخاص السلطاني التي عينها لهم » (٤٨) ، ومنها ما هو تابع لإقطاعات
البرجية كالجزيرة وأعمالها والكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير
ذلك ، مما هو مذكور في الجرايد الحساوية (٤٩) ، كما أفرد من بلاد الشام

لخاصته « خراجات ضياع الغوطة والمرج وكذلك الضياع التي هي منازل من دمشق إلى العريش » (٥٠) .

هذا ما يتعلق بالسلطان في اختياره لنوع الإقطاع ومكانه ، أما إقطاعات الأمراء ، فيستطيع السلطان كذلك أن يعينها في الأماكن التي يختارها بحسب درجة ولاء الأمير ، ومثال ذلك ما حدث في الروك الناصري حيث وزعت إقطاعات بعض الأمراء والأجناد في أماكن متباعدة إضعافاً لهم ، ليضمن تمرکز السلطة في يده ، ويرجع هذا إلى تدبير الأقباط الذين أسلموا ، وهم المعروفون باسم « المسألة » وهؤلاء قربهم الناصر (٥١) ، وليس هذا غريباً في بابه ، إذا علمنا أن السبب الرئيسي في الروك الناصري هو استكثار الناصر لأخبار الأمراء ، أصحاب الدور الأول في عزله من سلطته الثانية (٥٢) فأراد أن يحتاط لنفسه ، حتى لا يمكن غيرهم من القوة والتركيز بحيث يصبحون خطراً على عرشه . غير أن هذا لا ينفي مسئولية الأقباط ، يقول المقریزی : « ومكر الأقباط فيما أمكنهم المكر فيه ، فبدءوا بأن أضعفوا عسكر مصر فصار بعض الحبي في الصعيد وبعضه في الشرقية وبعضه في الغربية ، إتعاباً للجندی ، وتكثيراً للكلفة » (٥٣) والدليل على أنهم كانوا يعملون لمصلحتهم بصدد هذا الروك كذلك أنهم كما يقول المقریزی : « أفردوا جوالی الذمة من الخاص (أى أخرجوها من الخاص السلطانی) وفرقوها في البلاد التي أقطعت للأمراء ، والأجناد فصار نصارى كل بلد يدفعون جاليهم إلى مقطع تلك الضبعة ، فاتسع مجال النصارى وصاروا ينتقلون في القرى ولا يدفعون من جزيئهم إلا ما يريدون ، فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرتة » (٥٤) .

وعمل بعض الأمراء الذين اشتركوا في روك الشام ٧١٢ هـ - ١٣١٢ م أمثال سنجر بن عبد الله الجاولی ، على أن يختاروا لأنفسهم ومماليكهم إقطاعات معينة ، فاختر سنجر هذا « لمماليكه خيار الإقطاعات » ، على قول ابن حجر ، ولكن تنكر نائب الشام ، وقف له بالمرصاد ، فأمر السلطان بالقبض عليه (٥٥) . وتوزيع الإقطاعات في أماكن متباعدة لم يكن من مبتكرات السلطان

الناصر أوكابه الأقباط في الروك الناصري ، بل سبقه في ذلك نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي^(٥٦) ، كما سبق إلى ذلك وليام الفاتح في الروك النورمانى بانجلترا عام ١٠٨٦ م ، ولذلك امتاز النظام الإقطاعى النورمانى عن غيره من نظائره في القارة بقوة الملوك^(٥٧) .

واقضى الروك تعديلات من نوع آخر للتوفيق بين السنة الحراجية القمرية والسنة الميلادية الشمسية ، وذلك بتقديم السنة القمرية سنة كاملة لتنظيم الحراج . ويرجع ذلك إلى وجود تفاوت^(٥٨) بين السنة القمرية ، وهى المعتمد عليها في جباية الحراج ، وبين السنة الشمسية المعتمد عليها في مواسم الزرع ومواعيد استحقاق الجباية ، وتفسير ذلك : أن السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بمقدار أحد عشر يوماً وسدس يوم تقريباً ، ولذا تنقص السنة القمرية عن الشمسية سنة كاملة تقريباً كل ٣٣ سنة ، فإذا مضت ثلاث وثلاثون سنة حولت السنة الثالثة والثلاثون إلى تلو السنة التى بعدها ، أى إلى الخامسة والثلاثين وتلغى الرابعة والثلاثون ، وهو إلغاء نظرى ، أو كما يقول أبو الفضايل : « تحويل بالكلام تنطق به السنة الأقسام »^(٥٩) ، والسبب في هذا التحويل أنه قد يحدث أن توافق مواعيد تحصيل الحراج أول السنة الهلالية ثم تزحف هذه المواعيد فتكون في وسط السنة الهلالية أو آخرها أو في السنة التالية بسبب تداخل السنوات الهلالية في الشمسية وبسبب قصر القمرية عن الشمسية ، وحينئذ يجبى الحراج المستحق عن السنة السابقة في السنة التى بعدها ، فتدعو الضرورة عند ذلك إلى تحويل السنة الحراجية السابقة إلى التى بعدها بعد أن يجبى خراج سنتين دفعة واحدة ويلغى خراج السابقة ، وبذلك ينقل خراج السنة ٣٣ إلى السنة ٣٥ ويلغى اسم خراج السنة ٣٤ ، حتى توافق السنة الحراجية السنة الشمسية^(٦٠) .

طبقت هذه القاعدة في الروك الحسامى ٦٩٦هـ - ١٢٩٦م وفي الروك الناصري بدمشق ٧٩٢هـ - ١٣١٢م^(٦١) .

الأوضاع التي استقر عليها التقسيم الإدارى والتوزيع الإقطاعى - بمقتضى الروك المناصرى ه الوجه البحرى ه
١٩١٥ هـ - ١٣١٥ م

الرقم	اسم الإقليم أو الأقاليم	عدد نواحيه	مساحة كل إقليم		المساحة أو الخراج المقدر على كل إقليم	بالجنيه المصرى الحديث
			بالفدان الإقطاعى	بالفدان الحديث		
١	نواحى القاهرة ...	٢٦	٢٠٥٩٨ ر	٢٩٠٧٧ ر	١٥٣٠٧٥ ر	١٨٤٥ ر
٢	الأعمال القليوبية ...	٦١	١١٣٠٣٢١ ر	١٥٩٠٩٧٢ ر	٤١٩٠٨٥٠ ر	٢٥١٠٩١٠ ر
٣	الأعمال الشرقية ...	٣٩٦	٥١٠٩٣٧٠ ر	٧٢٥٠٥٥٥ ر	١٠٤١١٠٨٧٥ ر	٨٤٧٠١٢٥ ر
٤	الأعمال الدقهلية والمرقatische ...	٢١٤	١٧٠٠٥٨٨ ر	٢٤٠٠٨١٤ ر	٥٩٦٠٠٧١ ر	٣٥٧٠٦٤٣ ر
٥	نجر دمياط المحروس ..	١٤	٩٠١٩١ ر	١٢٠٩٧٤ ر	١١٠١٠٠ ر	٦٠٦٦٠ ر
٦	الأعمال النربية ...	٤٧٧	٥٥٧٠١٧٦ ر	٧٨٦٠٥١٧ ر	١٠٨٤٤٠٨٠ ر	١٠٦٠٦٠٤٤٨ ر
٧	أعمال المنوفية ...	١٣٣	١٤٦٠٠٥٦ ر	٢٠٦٠١٨٢ ر	٥٧٤٠٦٢٩ ر	٣٤٤٠٧٧٧ ر
٨	عمل إبيار وجيزة ...	٤٩	١٠٠٠٢٢٤ ر	١٤١٠٤٨٣ ر	١٠٠٠٢٢٣٢ ر	٦٠٠١٢٣٩ ر
٩	أعمال البحيرة ...	٢٣١	٣١٨٠١٩٦ ر	٤٤٩٠١٨٧ ر	٧٤١٠٢٩٤ ر	٤٤٤٠٧٧٦ ر
١٠	إقليم فوة والزاحيتين ...	١٦	١٢٠٩٢٧ ر	١٨٠٢٤٨ ر	٥٦٠٨٤٦ ر	٣٤٠١٠٨ ر
١١	إقليم نسترأوه ..	٦	٧٠٣٢٦ ر	١٠٠٢٤٢ ر	٤٣٠٥٠٠ ر	٢٦٠١٠٠ ر
١٢	نجر إسكندرية ...	١٤	٣٢٠١٧٢ ر	٤٥٠٤١٦ ر	١١٠٠٠٠ ر	٥٠٦٠٠ ر
		١٦٣٧	٢٠٠٠٠٠٧٧٤٥ ر	٢٠٨٢٥٠٧٦٧ ر	٥٠٩٦٣٠٥٥٢ ر	٣٠٤٨٧٠٢٠ ر

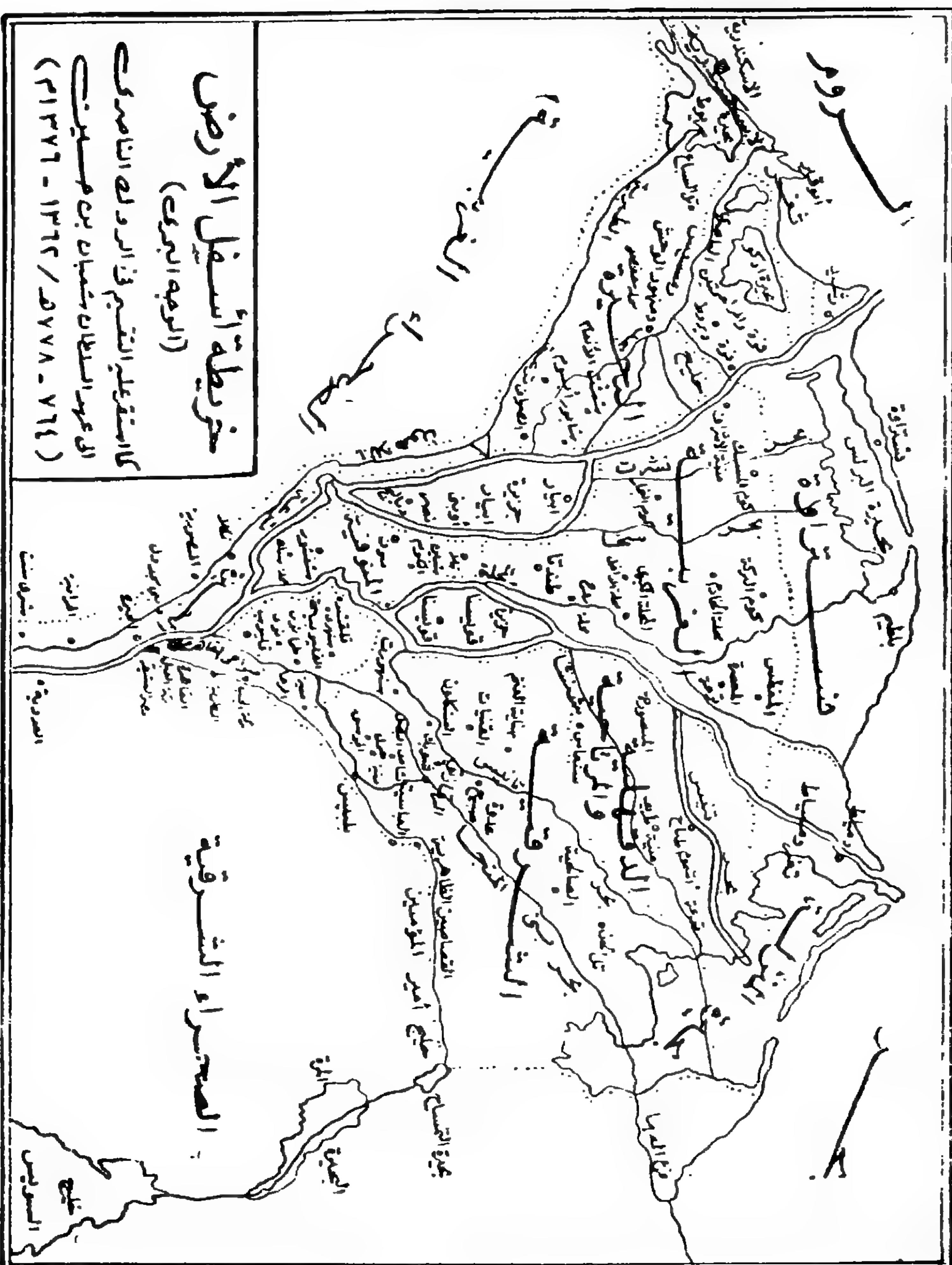
الوجه القبلي

الرقم	اسم الإقليم أو الأعمال	عدد نواحيه	مساحة الإقليم		بالفدان أو الأقسام	بالدينار الإقطاعي	بالدينار الإقطاعي	بالجنيه المصري الحديث
			بالفدان	بالدينار الإقطاعي				
١	الأعمال	١٥٤	١٦٥٥ر١٣٦	١٦٥٥ر١٣٦	١٦٧	٢٣٣ر١١٧	٦٢ر٥٠٠	٣٧ر٢٠٠
٢	»	٥٢	١٢٥٥ر٢١٦	١٢٥٥ر٢١٦	١٧٦	١٧٦ر٧٦٣	١٤٣ر٩٩٧	٨٦ر٣٩٨
٣	»	١٠٤	١٥٥٥ر٣٥٢	١٥٥٥ر٣٥٢	٢١٩	٢١٩ر٣٠٥	١٦٤ر٥٠٥	٩٨ر٤٣٠
٤	»	١٥٩	٣٥٧٥ر١٢٦	٣٥٧٥ر١٢٦	٢٥٤	٢٥٤ر١٤٣	١٣٠ر٦٤٢	٧٨١ر٥٨٥
٥	»	١٠٤	٢٠٩٥ر١٣٩	٢٠٩٥ر١٣٩	٢٣٥	٢٣٥ر٢٩٥	٧٦٢ر٥٠٤	٤٥٧ر٢٢٤
٦	»	٥	٢٢ر٧٩١	٢٢ر٧٩١	٣٢	٣٢ر١٧٣	٤٧ر٥٠٠	٢٨ر٥٠٠
٧	»	٢٢	١٣٤٥ر٤٢٢	١٣٤٥ر٤٢٢	١٨٩	١٨٩ر٧٥٩	٣٢٣ر٩٢٠	١٩٤ر٣٥٢
٨	»	٢٥	١٢٠٥ر٦٢٠	١٢٠٥ر٦٢٠	١٧٠	١٧٠ر٢٧٥	٢٤٣ر٩٢٥	٩٤٦ر٣٥٥
٩	»	٤٣	٣٤٥٥ر٠٩٣	٣٤٥٥ر٠٩٣	٤٨٧	٤٨٧ر١٥٦	٤١٤ر٦٦٣	٢٤٨ر٧٩٨
الجميع	٩	٦٧٩	١٠٦٣٤ر٨٩٥	١٠٦٣٤ر٨٩٥	١٣٠	١٣٠ر٩٢٦	٣٠٤٦ر٧٣٧	٢٠٧٨ر٨٤٢

ملاحظة : --

لم يحدث خلاف بين التقسيم الإداري وعدد النواحي في روك لايجين عن التقسيم الذي وقع بمقتضى الرورك الناصري إلا أن الخلاف وضح في المساحات وفي تقدير عبء الإقطاعات والخراج المقدر وهذا أمر طبيعي كما وضح في هذا الفصل .

(مالية مصر ص ٢٤١-٢٤٧ ، ٤ ٢٦٠-٢٦٦ والتحفة السنوية ص ٥٠٢) .



خريطة أسفيل الأرض
(الوجه البحري)
كما استقر عليه التقسيم في الرواه الاناصريه
الى عهود السلاطون شهاب بن هسليين
(٧٦٩ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦ م)

الصنجر او الشقرقية

هوامش الفصل الثالث

- (١) السلوك ج٢ ص٤٦ حاشية ١ ، النجوم الزاهرة ج٨ ص٩٠ ، عمر طوسون :
مالية مصر ص ٢١٤ - ٢١٩ ، ٢٢٨ - ٢٥٣ ، الشيال : صفحة من الحياة الاقتصادية في مصر
الإسلامية - مجلة الثقافة عدد ٩٧ ، ٩٩ سنة ١٩٤٠ .
- (٢) خطط ج١ ص١٤١ - ١٤٢ ، السلوك ج١ ص٨٦٥ .
- (٣) خطط ج١ ص ١٤٢ .
- (٤) ظلت هذه الحمایات تفرض تارة وتلغى تارة أخرى ، غير أن الإقرار كان أقرب إلى
الاستمرار ، وقد نظم السلطان برقوق جبايتها في سنة ٨٧٨٢ - ١٣٨٠م كما أفرد السلطان فرج بن
برقوق ديوانا لها وللمستأجرات . (التيسير والاعتبار ورقة ٥٢ - ٥٣ ، خطط ج١ ص١٧٩ ،
السلوك (مخطوط) ج٣ ص٧٥٤) .
- (٥) تاريخ بيارس ورقة ٧٥ ، السلوك ج٢ ص٨٤١ - ٨٤٢ وحاشية ٧ ، النجوم
الزاهرة ج٧ ص٧٧ وحاشية ٢ ، ج٩ ص٥٢ - ٥٣ ، خطط ج٢ ص١٤٥ - ١٤٦ .
- (٦) التحفة السنية ص ٧٥ ، ص١١٩ ، ١٢٢ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٨٨ .
- (٧) غازان محمود بن ارغون بن ابغا بن هولاکو بن تولى خان بن جنكيزخان ملك التتر ،
جلس على عرش السلطنة سنة ٥٦٩٣ - ١٢٩٣م واعتنق الإسلام سنة ٥٦٩٤ - ١٢٩٤م فأسلم
غائب جنده ، وقد تعددت اعتداءاته على بلاد الدولة المملوكية ، وتوفي سنة ٥٧٠٣ - ١٣٠٣م
(النجوم الزاهرة ج٨ ص٧١ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٨٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣) .
- (٨) مورد اللطافة : ص٤٩ .
- (٩) سلاطين المماليك ص٤٥ .
- (١٠) خطط ج١ ص ١٤٢ .
- (١١) النجوم الزاهرة ج٨ ص١١٥ - ١١٦ ، ١٧٢ ، ١٨٠ - ١٨١ ، ٢٣٢ ،
٢٧٥ ، ج٩ ص٣ وما بعدها ، السلوك ج٣ ص ١٤٦ .
- (١٢) أمر السلطان سليم في أواخر المحرم من ٨٩٢٣ ، وكان طومانباي في ذلك الوقت
مختفياً عند أولاد مرعى ، لم يقبض عليه بعد ، بمسح بلاد الشرقية ، وعين لهذا الغرض الأمير الشرقي
يونسى الاستادار ليكشف ما فيها من إقطاعات المماليك وإجراكية وغير ذلك من الرزق والأوقاف
وعين اثنين للقيام بمسح الغربية ، وواحد لجهات المحلة واثنين للوجه القبلي (بدائع الزهور ج٣
ص ١٠٧ - ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٣٠٣) .

(١٢) ترجع تسمية كتاب الروك باسم (Domesday Book) إلى رسالة نشرت بعد عملية الروك بنحو قرن من الزمان لمؤلفها (Nijel) وذلك سنة ١١٧٦م، فقد جاء في هذه الرسالة أن الإنجليز يسمون كتاب المساحة أو سجل المساحة (Domesdei) تشبهاً بيوم الحساب لأن الفحص شمل كل شيء بحيث لم يتمكن أحد من الفرار منه ، ثم إن ما قرره هذا السجل بصدد الأراضي وملكياتها ، أضحى غير قابل للتغيير أو الاعتراض أو الاستئناف ، وهو محفوظ اليوم في مكتب السجلات العامة Chapter House ، وتحتوى النسخة المخطوطة الأصلية لهذا السجل على مجلدين ، يختص الأول ببحث معظم بلاد إنجلترا على حين تناول الثاني ، وهو أقل حجماً من الأول ، بحث ثلاث كونتيات فقط هي نورفك وسكس وسفولك .

إلا أنه أكثر تفصيلاً في بعض البيانات برغم صغر حجمه ، وبالكتاب جميعه ستة جداول إحصائية ينفرد الأول بتعداد السكان وطبقاتهم ويوضح الثاني عدد الأقسام الفرعية لكل كونتية ، ويسمى الواحد من هذه الأقسام الفرعية باسم (Borough) ، ويذكر الجدول الثالث أسماء المدن ذات الأسوار مثل أكسفورد ويورك وغيرهما ، أما الرابع فيضم أسماء دائرة كبار أصحاب الأملاك وعدد دوائر كل منهم ، فمثلاً تمتلك الأديرة نحو ٧٠٠ دائرة Manors ، وللملك ١٤٢٢ دائرة ، ويفصل الجدول الخامس عدد الدوائر الموزعة في الكونتيات المختلفة لأحد السادة الإقطاعيين وهو سيد منطقة مورتين (Mortaine) كمثل لذلك ، كأن يقول : يمتلك هذا السيد في كونتية مسكس (Sussex) ١٤ دائرة وفي يوركشير ١٩٦ دائرة وهكذا ، وبالجدول الأخير جملة السكان المحليين بطبقاتهم وحرفهم المختلفة مثل الأحرار المستأجرين (Alloarii) وأنانث الأبقان (Ancillae) ورعاة الأغنام (Berquarii) وغيرهم .

(١٤) Davies, Documents, PP. 2 — 3

(١٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ ، ج ٢ ص ١٤٩ وحاشية ٣ .

(١٦) مساحة الفدان ٤٠٠ قصبة حاكية مربعة وطول هذه القصبة ٦ أذرع بالهاشمي و ٥ أذرع بالبخارى و ٨ أذرع بذراع اليد (نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٩ وحاشية ٢ عن القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٦) .

(١٧) خطط ج ١ ص ١٤١ - ١٤٣ - ١٦٢ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤٣ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(١٨) انظر الفصل السابع .

(١٩) انظر الخريطة .

(٢٠) التحفة السنية ص ١١٢ .

(٢١) التحفة السنية ص ١١٣ .

(٢٢) التحفة السنية ص ١٨٨ .

(٢٣) التحفة السنية ص ١٧ - ١٨ .

(٢٤) التحفة السنية ص ٣٩ .

(٢٥) خطط : ج ١ ص ١٤٣ ، السلوك : ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٩ ، سلاطين المماليك . ص ١٤٦ .

(٢٦) عيون التواريخ : ج ٢ ص ١٦٩ ، النجوم ج ٨ ص ٩٠ - ٩٣ - ١٩٣ ، السلوك ج ١ ص ٨٤٢ ، ٨٤٣ تاريخ أبي الفداء ج ٣ ص ٣٩ ، ج ١ ص ٨٤٢ ، ٨٤٣ تاريخ أبي الفداء ج ٣ ص ٣٩ ، تاريخ الملك الأشرف - مخطوط غير مرقم - ، بدائع الزهور : ج ١ ص ١٣٧ ، سلاطين المماليك ص ٤٥ .

(٢٧) فتوح النصر : ج ٢ ورقة ١٨٨ ، نهاية الأرب (مخطوط) ج ٢٩ ورقة ١٠٠ .
(٢٨) فتوح النصر : ج ٢ ورقة ١٨٨ - ٢٣٥ ، خطط ج ١ ص ١٤٢ ، السلوك ج ٢ ص ١٢٧ النجوم ج ٩ ص ٣٦ - ٤٢ - ٤٣ ، ابن إياس ج ١ ص ١٥٩ ، تاريخ بيروت ص ٨٩ - ٩٥ ، الجواهر الثمين ورقة ١٣٦ ، نهاية الأرب (مخطوط) ج ٣٠ ورقة ٩٠ - ٩٢ .
(٢٩) الجاولي نسبة إلى أمير يقال له جاول منذ عهد بيبرس وقد خدمه سنجر هذا ثم خدم عند قلاوون ثم الناصر .

(٣٠) السلوك ج ٢ ص ١٢٧ ، الدرر الكامنة ج ١ ص ١٧٠ - ١٧١ ، النجوم ج ٩ ص ٣٦ . بدائع الزهور ج ١ ص ١٥٩ ، روض المناظر - مخطوط غير مرقم ، فتوح النصر ج ٣ ورقة ٢٣٢ ، النويري : نهاية الأرب (مخطوط) ج ٣٠ ورقة ٨١ .

(٣١) السلوك ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣٢) السلوك ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣٣) انظر الفصل الرابع .

(٣٤) راجع الفصل الثاني .

(٣٥) السلوك ج ٢ ص ١٥٥ .

(٣٦) خطط ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ ، السلوك ج ٢ ص ١٢٧ - ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣٧) التحفة السنية ص ٤٧ ، ٨٨ - ٨٩ ، ١٣٠ ، ١٦٠ .

(٣٨) انظر الفصل التالي .

(٣٩) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٩٤ - ٥٩ - السلوك ج ١ ص ٨٤٦ .

(٤٠) السلوك ج ١ ص ٨٤٥ .

(٤١) المصدر السابق ص ٨٤٦ .

(٤٢) المصدر السابق ص ٨٤٥ .

(٤٣) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٩٤ .

(٤٤) المصدر السابق ص ٩٥ .

(٤٥) السلوك ج ١ ص ٨٤٣ وحواشيها .

(٤٦) مرج بني هيم في الأعمال القصوصية ، عبرته ، ٥٠٠٠ دينار ، الحرجة مساحتها ١٥٩٥٢ فداناً خرس وعبرتها ١٠٠٠٠ دينار ، ادفو مساحتها ٢٤٧٦٢ فداناً خرس وعبرتها ٢٠٠٠٠ دينار (التحفة السنية ص ١٩١ - ١٩٥) .

(٤٧) كان يتحصل من بعض إقطاعات منكوتمر بالوجه القبلي أكثر من ١٠ آلاف إردب غلة ، خارجاً عن المال العين والقنود والأعسال والتمر والأغنام والأحطاب ، وكان يتبعه ٢٧ معصرة لقصب السكر ، سوى ماله من المشتريات والمتاجر وما له ببلاد الشام من انضياح والعقار وما يرد إليه من التقادم . (السلوك ج ١ ص ٨٤٤ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٩٣ - ٩٤ ، تاريخ بيمرس ورقة ٧٥) .

(٤٨) السلوك ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٤٩) الكوم الآخر بالأعمال الجبرية لم يسمح ، أما المرج فيعتبر من كفور نقاة بالبحيرة ومساحتها ٥٧١ فداناً وعبرته ١٥٠٠ دينار وقد نقصت هذه العبرة فيما بعد إلى ٧٥٠ ديناراً والخصوص تابعة لأسيوط لم تسمح في الروك وعبرتها ٧٢٠٠٠ دينار (التحفة السنية ص ١٤١ ، ١٦٤ ، ١٢١ ، ١٨٥ ، خطط ج ١ ص ١٤٤ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٠ اليسير والاعتبار ورقة ١٦)

(٥٠) تاريخ بيروت ص ٩٦ .

(٥١) خطط ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٥٢) السلوك ج ٢ ص ١٤٦ .

(٥٣) الخطط ج ١ ص ١٤٥ .

(٥٤) الخطط ج ١ ص ١٤٥ .

(٥٥) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٥٦) راجع الفصل الأول .

(٥٧)

(٥٨) هذا التفاوت غير « تفاوت المدد » المقدر بالمال عن مقطع انتقل من الجمامكية إلى الإقطاع خلال السنة . له غلة الإقطاع عن السنة كلها ، وفي هذه الحالة عليه أن يرد ما أخذه من الجمامكية خلال الفترة التي عمل فيها بالجمامكية من تلك السنة ، وهذا المبلغ هو المصطلح عليه بتفاوت المدد .

(٥٩) النهج السديد ص ٦٠٠ .

(٦٠) السلوك ج ١ ص ٨٤٥ حاشية ١ ، ج ٢ ص ١٢٧ حاشية ٤ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢

٥٤ - ٥٥ ، ٥٧ - ٥٨ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٨ ، خطط ج ١ ص ٢٧٣ ، نزهة الأنام ورقة ٣٤ - ٢٣٩ .

(٦١) أول من فكر في نقل السنة الخليفة المتوكل عام ٨٢٤٢ - إذ كان خراج سنة ٨٢٤١ يستحق تحصيله في أول سنة ٨٢٤٢ ، فأمر بإلغاء ذكر سنة ٨٢٤١ لانقضائها ونسبة الخراج إلى سنة ٨٢٤٢ ، وجبى خراج سنتي ٢٤١ ، ٨٢٤٢ دفعة واحدة (صبح الأعشى ج ١٣ ص ٥٧) .

الفصل الرابع

الأوراق التي تصدر بصدد التوزيع الإقطاعي

الإدارة الإقطاعية : ديوان الجيش وتسجيل البيانات -
الأوراق التي يصدرها ديوان الجيش : المثال - المربعة - ديوان
الإنشاء والأوراق التي تصدر عنه - المنشور الإقطاعي وكيفية
صدوره - رقب المناشير - المناشير الطارئة - طريقة كتابة المنشور -
توقيع السلطان بعلامته - الطغرى السلطانية وموضعها من المنشور -
تحليل المناشير - حفل توزيع البراءات الإقطاعية في مصر وخارجها -
الجريدة الإقطاعية - الإفراج عن الإقطاعيات .

تشمل الإدارة الإقطاعية - ورأسها السلطان - الدواوين والموظفين المنوط بهم أمر النظر في الإقطاع ، وأول هذه الدواوين : ديوان الجيش ، فهو « مظنة الإقطاعات » ، أى سجلها ، على قول القلقشندى^(١) ، كما أنه أكبر الدواوين المختصة بالشئون المالية^(٢). ويليه ديوان الإنشاء الذى تخرج منه الوثيقة الإقطاعية النهائية، بناء على مايرد إليه من الوثائق التى تكتب فى ديوان الجيش^(٣) ، وبمقتضى هذه الوثيقة الأخيرة يصبح الإقطاع قانونياً فى يد صاحبه .

وأول هذه العملية أن يتسلم ناظر الجيش^(٤) الأوراق الخاصة بالروك من البلاد المختلفة، لأنه الشخصية الأولى بعد السلطان فى أمور الإقطاع ، وتلخص اختصاصاته فى تحرى الدقة^(٥) فى مقادير الإقطاعات بأرجاء الدولة المملوكية ، والتشاور مع السلطان بشأنها وينص فى « توقيع » تعيينه على هذه الاختصاصات ، كما يوصى بالعناية بها ، ومما جاء فى هذه الصدد : « عليه الاحتياط فى أمر المربعات وجهات الإقطاع وما يترتب عليها من المناشير والنظر فى أمر المقطعين من العرب والتركمان والأكراد ومن عليه تقديمه أو درك أو غير ذلك »^(٦) .

يراجع ناظر الجيش البيانات الواردة بأوراق الروك ويفحصها فى ديوانه ، وبعد إتمام هذا الفحص ، يأمر السلطان بكتابة الوثائق المختلفة ، ويتولى كتابتها كتاب الجيش بإشراف الناظر ، وربما كتبها بين يدى السلطان فى بعض الأحيان^(٧). وأول وثيقة يصدرها ديوان الجيش هى « المثال »^(٨) التى تنص على الإقطاع الممنوح ، سواء أكان جديداً لأول مرة أو منقولاً عن مقطع سابق ، واسم المقطع الحديد والسابق إن وجد ، وعبرة الإقطاع ثم تاريخ الاعتماد ، وربما

خلا المثال من اسم المقطع واقتصر على عبرة الإقطاع فقط ، بدليل أن السلطان أو نائبه في بعض حفلات توزيع المثالات ، أعطاها « بحسب الحظ » وبدليل أن كثيراً من المقطعين تألموا حين استلموا مثالاتهم ، فمنهم من جاء إقطاعه دون ما يأمل ، ومنهم من ظفر بإقطاع فوق ما ينتظر .

ويوقع السلطان هذه المثالات بكلمة « يكتب » ثم يليه توقيع ناظر الجيش تحت توقيع السلطان بعبارة « يمثل الأمر الشريف »^(٩) .

أما صورة المثال ، فهي ورقة من جدولين : أيمن وأيسر ، يكتب في الجدول الأيمن بعد ترك الثلثين من أعلاه بياضاً عبارة : خبز فلان المتوفى إلى رحمة الله أو المرسوم ارتجاعه أو المنتقل عنه إلى غيره ونحو ذلك . . . على أن تكون كلمة « خبز » في سطر واحد قائم بذاته ، وباقي الوصف تحت ذلك في سطر واحد ، وفي السطر الثالث تكتب عبارة « عبرة كذا ديناراً » ، ويكتب في الجدول الأيسر « باسم فلان الفلاني » . . ثم يأتي توقيع السلطان وبعده توقيع ناظر الجيش ، ثم يحيل الناظر المثال المعتمد هكذا إلى أحد كتاب الجيش « فيخلده عنده » ويكتب تاريخه^(١٠) . ويكتب بمقتضى هذا المثال وثيقة ثانية مربعة الشكل وهي « المربعة » .

وتتضمن المربعة البيانات الموجودة بالمثال ولكن بتفصيل أكثر ، فيذكر فيها مرتبة الأمير وعدد أتباعه في الأجناد ، كما يشار في الإقطاع إلى تحديده من حيث شموله جهة كاملة أو تفرقه في جهات متعددة ، وهل يدخل فيه وقف أو مواريث أو نحوها ، وفي المربعة تذكر ألقاب السلطان كاملة وتكتب المربعة في ورقة من صحيفتين متقابلتين : في الصفحة الأولى البسملة الشريفة ثم يترك فراغ في أعلاها ، ويكتب في ذيلها من جهة أسفل المربعة إلى أعلاها عدة أسطر على قدر عرض ثلاثة أصابع عبارة : مثال شريف ، شرفه الله تعالى وعظمه ، بما رسم به الآن من الإقطاع باسم من عين فيه من الأمراء أو من الممالك السلطانية بالديار المصرية أو بالمملكة الفلانية أو من الحلقة المصرية أو الشامية^(١١) ، أو نحو ذلك على ما شرح فيه حسب الأمر الشريف

شرفه الله تعالى وعظمه . . وتحت ذلك عبارة « يحتاج إلى الخط الشريف أعلاه الله تعالى وعظمه » ، وبعد إخلاء هامش قدر إصبعين تكتب « البسملة » وتحتها في سطر ملاصق لها « المرسوم الشريف العالى المولوى السلطانى » ثم يترك بعض الفراغ إلى قدر ثلثي الصحيفة وتكتب عبارة « الملكى » الفلانى بقلب السلطان كالناصرى ، أعلاه الله وشرفه وأنفذه وصرفه ، أن يقطع باسم فلان الفلانى أحد الأمراء المقدمين أو الطبلخاناه أو العشرات أو الخمساوات بالمكان الفلانى ، أو أحد المماليك السلطانية أو مقدمى الحلقة أو أجناد الحلقة بالمكان الفلانى . . . المرسوم استقراره فى أمراء العشرات أو الطبلخاناه أو المقدمين أو نحو ذلك ، ما رسم له به الآن من الإقطاع حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه . .

ويكتب بالمربعة كذلك بالصحيفة الثانية المقابلة فى مقابل البسملة : « فلان الدين فلان الفلانى المرسوم إثباته فى جملة رجال الحلقة المنصورة (١٢) أو الشامية ويضاف للأمير عبارة : لخاصته ولمن يستخدمه من الأجناد الحياد للخدمة الشريفة والبرك التام والعدة الكاملة ، بمقتضى المثال الشريف أو الخط العالى الكافى (١٣) أو بمقتضى الإشهاد (١٤) المشمول بالخط الشريف أو الخط الكافى ، أو بمقتضى المربعة المكتبة من المملكة الفلانية المشمولة بالخط الشريف ، إن كان أصله مربعة من بعض الممالك ، وتحت السطر الأخير تكتب عبارة « فى السنة دربستا » (١٥) فى الوسط ، وذلك إذا شمل الإقطاع جميع الجهة بدون استثناء حقوق أخرى ، وإذا وجد استثناء فى الجهة المقطعة أضيفت عبارة « خارجاً عن الملك والوقف ، أو خارجاً عن الجوالى والمواريث الحشرية والرزق الأحباسية » ونحو ذلك ، ويتلو هذا عبارة « على ما يقتضيه الحق » ثم تكتب كلمة « خبز » من أول السطر إلى آخره تحت ما سبق ، وتحت كلمة خبز يكتب اسم المقطع السابق وكيف انتقل عنه الإقطاع : « فلان الدين الفلانى بحكم وفاته أو نزوله برضاه . . . » وتفصل نواحي الإقطاع ثم يشار إلى المخصصات الراتبية الأخرى من النقد والحبوب إذا تضمنها الإقطاع

وتختتم هذه الوثيقة بعبارة : « بعد الخط الشريف » - شرفه الله تعالى - إن شاء الله تعالى والحمد لله والصلاة على النبي « ص » ، وتؤرخ في سطرين قصيرين ، ومن ثم ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء حيث يكتب المنشور بمقتضاها . ويلاحظ أن ديوان الإنشاء يشترك مع ديوان الجيش في كتابة وثائق تعرف كذلك بالأمثلة والمربعات غير التي يصدرها ديوان الجيش في الإقطاعات ، ويبدو أن ما يصدره ديوان الإنشاء بهذا الاسم وثائق فردية وتختص ببعض المنح الاستثنائية ، وليست عامة في التوزيع الإقطاعي (١٦) . أما المربعة التي تصل من ديوان الجيش ، فهذه يتسلمها كاتب السر (١٧) عن طريق المدرا « وهم طائفة من الأعوان بديوان الإنشاء مهمتهم أخذ المكاتبات وإدارتها على كاتب السر ومن دونه من كتاب الديوان (١٨) » ، ثم يحيل كاتب السر المربعة على المختصين من الكتاب ليكتبوا المنشور على أساس البيانات الموضحة بالمربعة ، وهؤلاء المختصون هم كتاب الدرج ، إشارة لكتابتهم على درج من ورق (١٩) ، وعرفوا كذلك باسم « الموقعين » نسبة لتوقيعهم على جوانب الأوراق . وتنفرد هذه الطائفة بكتابة المناشير الخاصة بصغار الأمراء ، وبلغ عددهم أكثر من مائة (٢٠) ، أما المختصون بكتابة كبار المناشير ونحوها (٢١) فهم كتاب الدست ، وهؤلاء أرفع مرتبة من سابقهم ، بدليل إضافتهم إلى دست السلطان ، وهو مرتبة جلوسه ، وذلك لجلوسهم للكتابة بين يديه أحياناً ؛ بل إن صاحب ديوان الإنشاء كان يعرف بكتاب الدست ، ويعينون كزملائهم بتوقيع من السلطان ، بلغ عددهم أيام بيبرس ثلاثة على رأسهم القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر . وزادوا إلى عشرة في عهد السلطان شعبان ، وجاوز عددهم العشرين أيام برقوق وابنه فرج (٢٢) .

وتختلف صيغة الإحالة باختلاف أعمار الكتاب ، فيكتب لكبير السن منهم : « الموالى فلان الدين » ، وللصغير : « الولد فلان الدين » ، وربما ميز بعض الصغار بالعبارة الأولى أو « الشيخ فلان الدين » (٢٣) . والمعروف أن المنشور في النظام الإقطاعي المملوكي ، لا يصدر إلا عن

السلطان مشمولاً بخطه؛ ولا يتعارض هذا مع حق نائب السلطنة بمصر، وبعض النواب خارج مصر في منح الإقطاعات التي يرون منحها، فن حق نائب السلطنة في مصر أن يخرج من الإقطاعات ما تراوح عبرته بين ٤٠٠ دينار إلى ما دونها، وربما أطلقت يد النائب في المنح الإقطاعية في أكثر من هذه العبرة كما كان الشأن مع الأميرين الجاى يوسف وسيف الدين منجك من نواب السلطان شعبان^(٢٤)، إنما ظل إصدار الوثيقة النهائية للإقطاع وهي المنشور، عن السلطان بمصر أو حينما يكون^(٢٥). والاستثناء الوحيد الذى حدث في عصر المماليك على ما يبدو، هو ما تمتع به أبو الفدا نائب حماة من سلطة استثنائية في إصدار المناشير؛ ذلك أن السلطان الناصر محمد فوضه في سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) في جميع أمور حماة؛ يقول القلقشندي: «كان نائب حماة مستقل فيها بإعطاء الأمر، والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتاب السر وسائر الوظائف لها، وتكتب المناشير والتواقيع من جهته، لكنه لا يمضى أمراً كبيراً حتى يشاور السلطان»^(٢٦).

ويمتاز المنشور عن غيره من وثائق الإقطاع بأنه أكثر تفصيلاً كما يشترط فيه براعة الاستهلال، والإشادة بكرم السلطان وإحسانه إلى أخصائه، إلا أن المناشير تختلف في افتتاحياتها وحجوم أوراقها ومقدار الفراغ بين السطور باختلاف مرتبة المقطع: فتكتب مناشير الطبقة الأولى من الأمراء وهم مقدمو الألو ف وبعض الطبلخاناه ومن في مستواهم، في ورقة كبيرة من حجم «قطع الثلثين» أى أن عرضها ثلثا ذراع أو ثلثا طومار^(٢٧)، وتفتتح بخطبة تشبه الخطب المنبرية أولها «الحمد لله» كما يتضمن هذا النوع من المناشير «طغرى» باسم السلطان وألقابه^(٢٨)، وتكتب مناشير الطبقة الثانية من أمراء العشرينات والعشرات وبعض نواب القلاع الشامية من التركمان والأكراد، في ورقة عرضها نصف ذراع وهي «قطع النصف» في المصطلح، وتفتتح بعبارة: «أما بعد حمد الله». أما مناشير المرتبة الثالثة فعبارتها الافتتاحية: «خرج الأمر الشريف» وتكتب في «قطع الثلث»،

وهى للعشرات إطلاقاً بمصر وسائر الممالك ولبعض الطبلخاناه من التركمان والأكراد (٢٩) ، ولا يوجد في المراجع من هذا النوع سوى نسخة منشور أوردتها القلقشندی للنسج على منوالها (٣٠) . وأدنى مراتب المناشير ما كتب في القطع العادي المنصوري وعرضه ربع ذراع ، ويفتح بعبارة « خرج الأمر » وهى للممالك السلطانية وأجناد الحلقة على الإطلاق في مصر وخارجها (٣١) . وتلدرج مناشير العربان على هذا النحو من العبارات الافتتاحية وأحجام الأوراق ، إلا أنها ثلاث مراتب فقط (٣٢) .

هذا هو المنشور العام في المنح الإقطاعية ، وهناك مناشير تصدر في أوقات مختلفة كأن يتظلم مقطع ، فيرفع « قصة » (٣٣) بما يشكو منه ، أو بما يطلبه أو يأمر السلطان بترقية أحد من أتباعه بزيادة إقطاعه وإمرته ، وربما حدث نزول عن الإقطاع من مقطع لآخر ، في مثل هذه الأحوال تكتب مناشير في ديوان الإنشاء بالزيادة أو التعويض أو التجديد أو غيره بحسب ظروف المنح (٣٤) ، وذلك بعد أن يمر أصله بديوان الجيش : قصة كان أم نزولاً أم إسهاداً بنزول ، والفرق بين هذه المناشير الطارئة وإن كثرت والمناشير العامة ، هو اختلاف حجم الأوراق التي تكتب فيها ، واختلاف الافتتاحية ، فضلاً عن اختلاف عدد مراتب المناشير ، فالنوع العام على أربع مراتب ، وهذه على مرتبتين فقط ، وينحصر حجم الأوراق بين قطع الثلث لفريق الطبقة الأولى من المقطعين وقطع العادة لمن عداهم كذلك الافتتاحية نوعان : « أما بعد حمد الله » ، ويلها « خرج الأمر الشريف » (٣٥) .

وطريقة كتابة المنشور في ديوان الإنشاء ، أن يبدأ الكاتب من جهة اليمين بغير هامش ويكتب في طرة (٣٦) المنشور لكبار الأمراء عبارة « منشور شريف بأن يجرى في إقطاعات المقر الكريم أو الجنب الكريم العالى الأميرى الكبيرى » ، وتزاد لنائب السلطنة عبارة « الكافلى » مع الإضافة إلى لقب السلطان ، كالناصرى ، ونحوه . وفى المناشير من المرتبة الثانية تكتب عبارة « منشور شريف » . أن يجرى في إقطاع المجلس العالى أو السامى ، أو . . . »

بما رسم للمجلس السامى من الإقطاع ، ولما دون ذلك من المناشير ، يكتفى
 بعبارة « منشور شريف ، بما رسم به من الإقطاع لمجلس الأمير » . وبلى
 ذلك الدعاء ، ثم يشرح ما تضمنته المربعة . وتكتب هذه العبارة كلها فى
 سطرين بقلم الثلث ، وتحت ذلك كلمة « والعدة » بقلم الغليظ (٣٧) ،
 فى وسط السطر وفى السطر الذى بلى هذه الكلمة ، يكتب « خاصته » ومن
 يتبعه من المماليك بعددهم حسب مرتبة الأمير ، وذلك بالقلم الدقيق ، ويترك
 بعد ذلك فراغ قدره خمسة أوصال فى مناشير الطبقة الأولى وثلاثة أوصال (٣٨)
 لما دونها من المناشير ، وتكتب البسملة ثم الخطبة المفتحة « بالحمد لله »
 أو « أما بعد حمد الله » وهكذا . . . وأخيراً يكتب التاريخ المثبت فى المربعة
 لأهمية ذلك فى المحاسبات (٣٩) .

أما توقيع السلطان على المنشور فيجىء فى الفراغ المتروك فوق البسملة
 فيوقع « بعلامته » ، وعلامته السلطان جميعها تكتب بقلم الطومار (٤٠) وتختلف
 بحسب الوثيقة الصادرة ، فعلامة المناشير هى : « الله أملى » أو « الله ولى »
 أو « الله حسبي » أو « لله الملك » أو « المنة لله وحده » وهكذا (٤١) ولا يختلف
 فى هذه العلامة كبار المقطعين أو صغارهم ، وتعرف هذه العلامة فى مصر
 باسم « رجل غراب » ، وتكتب الناصر علامته بياء راجعة « الله أملى » (٤٢) ،
 واكتفى خليل بن قلاوون فى علامته بحرف الخاء فقط ؛ إشارة
 إلى الحرف الأول من اسمه (٤٣) . ومن السلاطين من اهتم بالتوقيع ، ومنهم
 من أهمل ، فمن المهتمين السلطان محمد بن قايتباى ؛ إذ أمر كاتب السر
 وناظر الجيش فى سنة ٩٠٢هـ - ١٤٩٦م ألا يخرجوا مراسيم سلطانية ولا
 مربعات ولا مناشير إلا بختم من وراء العلامة السلطانية ، على عكس أبيه الذى
 عرف عنه الكسل فى التوقيع (٤٤) . أما السلطان الطفل ، فكان مدبر أموره
 يمسك يده وبها القلم ويوقع ، مثل السلطان كچك بن الناصر محمد ، وكان مدبر
 دولته الأمير قوصون (٤٥) ، والأسمى من السلاطين ، يخط له الكتاب على
 الوثائق ، فيمشى هو عليها بالقلم ، مثل السلطان إينال (٤٦) .

للسلام

علامة السلطان الناصر محمد

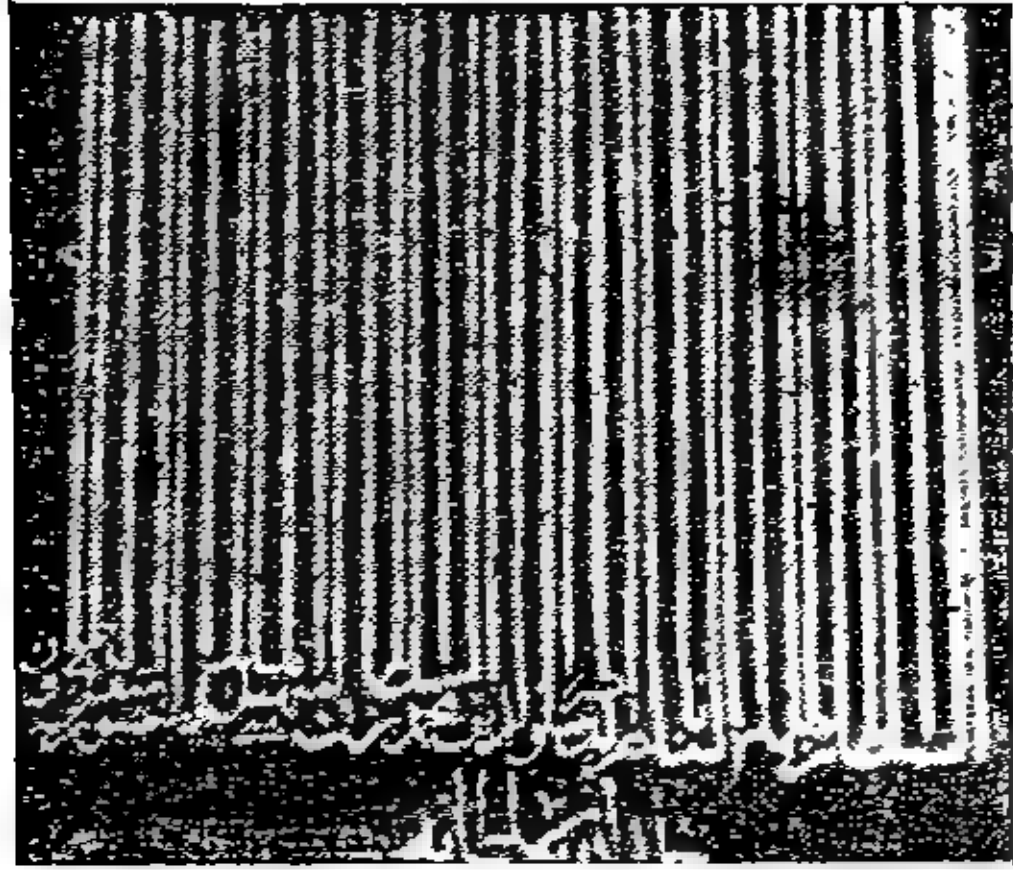
على المنشير

لوحة رقم ١

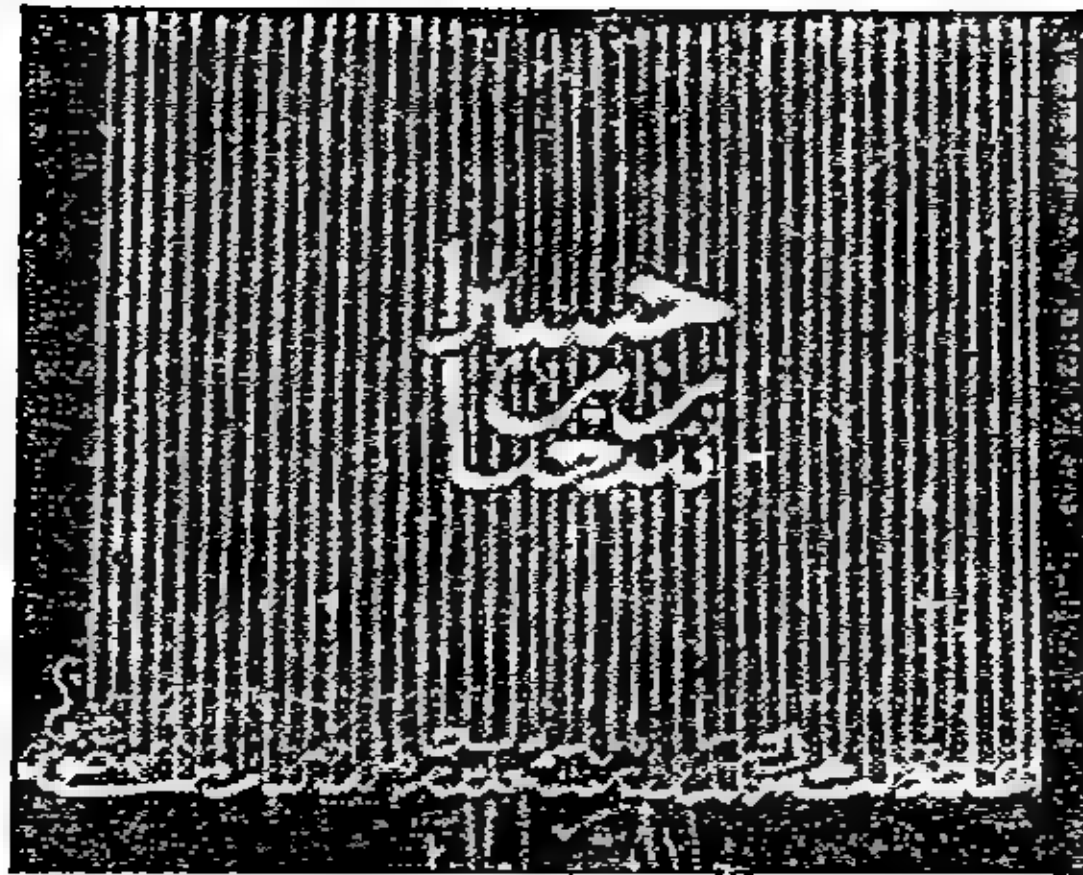
كذلك توضع طغرى على المناشير الكبار ، بألقاب السلطان مثل « السلطان الملكى فلان الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين ملك البسيطة » ، بأحرف طوال مزدوجة ومذهبة ، وذلك فى سطر واحد ، كما يكتب الاسم بين ألقاب قاطع ومقطوع وتحت ذلك عبارة « خلد الله ملكه » ، ولهذه الطغرى رجل مختص يلقب « بالطغرائى » لعملها بالديوان ، فإذا كتب الكاتب منشوراً ، أخذ من تلك الطغراوات واحدة وألصقها فيما كتب . وموضع الطغرى من المنشور بين الطرة المكتبة فى أعلى المنشور ، أى الحاشية التى كتبت فيها العبارات الأولى من المنشور ، وبين البسملة مع ترك وصل يياض فوق البسملة ؛ وبعد وصلين أو ثلاثة من الطرة ، وهناك اعتراض على تقديم اسم السلطان على البسملة ، وبسبب هذا الاعتراض ، ترك استعمال الطغرى فى المناشير منذ أواخر عهد السلطان شعبان بن حسين (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) (٤٧) .

وهناك نسختان لطغراوتين إحداهما خاصة بألقاب السلطان الناصر محمد ابن قلاوون ومضمونها : « السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون » وتحتها عبارة « خلد الله سلطانه » وتختص الطغرى الأخرى بألقاب السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد ومضمونها : « السلطان الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين ابن الملك الأمجد ابن السلطان الملك الناصر ابن الملك المنصور قلاوون » . واسم السلطان بأعلىها قاطع ومقطوع : « شعبان بن حسين » ، وتحتها عبارة « خلد الله سلطانه » (٤٨) .

ويتضح من جملة المناشير أن افتتاحياتها تشبه الخطبة المنبرية ، ويتلو ذلك تعداد سوابق الخدمة للمقطع والإشادة بالجهاد والحث على مضاعفته ، كأن يقول : « ولما كان فلان من هذه الدولة بموضع الغرة من الجبين . . . وله سوابق خدمة لا يزاحمه أى أحد فى طرق طروقها . . . وهو من التقوى بالمحل الأسمى . . . فهو المجاهد للكفار وهو المتعهد فى الأسفار . . . » أو « إذا أشهر غضبه أرضى ربه وإذا هز رمح حمى سرحه ، وإذا أطلق سهماً



طغرى بألقاب السلطان الملك الناصر محمد



طغرى بألقاب السلطان شعبان بن حسين

لوحة رقم ٢

قتل شهماً وإذا جرد حساماً كان حساماً ، ، ويشار إلى الترقية كجزء للولى المجاهد ، إن كانت ترقية ، كقوله فى الترقية إلى إمرة مائة « ليعلم كل أحد كيف يجازى شكور ، وكيف نذكر واحداً منهم فيغلون فى زعماء العسكر المؤيدة وهو مذكور . . . اقتضت الآراء الشريفة . . . أن تزداد عدته المباركة فى كميتها وقدرها ، وأن تكمل عشراتها التسع بعشرها . . . » ، أو فى الترقية إلى إمرة عشرة « اقتضى حسن الرأى الشريف أن ترفع درجته وتعالى رتبته ، وينظر فى عقود الأمراء ويسلك به جادة الكبراء بترقيته فى درج السعادة ، وتبلغ به مرتبة السيادة . . . إلخ » .

ومن الملحوظ فى المناشير أنها تنص على أن الإقطاع من نعم السلطان وعطاياه ، بل من صدقاته وكرمه وبره بالمخلصين ، كقوله : « أما بعد فنعنا إذا أولت ولياً منحها وآلت ، وإذا قدمت صفياً وهبته مزيتها وأنالت » « فكرمنا يسبغ المواهب والمنايح ، ونعنا تبلغ المآرب والمناجح » (٤٩) . . . أو « . . . ولما كان فلان هو الموصوف بهذه الأوصاف الجليلة ، أوجب له الاختيار المزيّد وقضى له الامتتان بتحويله نعماً وتنويله منناً » (٥٠) أو « فإن أولى من ضوعفت له النعم ووطدت له الرتب . . . من ربى فى ظل خدمتنا التى هى منشأ الآساد ومربى فرسان الجهاد » (٥١) . . . وهكذا (٥٢) .

وبصدد تعداد الصدقات ونعم السلطان على الأولياء المخلصين ، بحث المنشور دائماً على مضاعفة الولاء كقوله : « أن يبذلوا فى خدمة أبوابنا الشريفة جهدهم ويتوكلوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العبيمة التى تحقق قصدهم . . . » ويستشهد بعد ذلك بقوله تعالى « وإن تعلوا نعمة الله لا تحصوها » (٥٣) .

وعبر فى المناشير عن الولاء والإخلاص والطاعة بلفظ « العبودية » ، وهى ليست غريبة فى ذلك العصر ، كقوله فى منشور لأحد أبناء الأمراء ، مشيراً إلى خدمة الوالد والولد وترقيتهما : « فإن أنمى الغروس من كان أصله فى درج الولاء نابتاً ، وتلقى ولائنا عن أبوة كريمة ، وحذا فى عبوديتنا حلو والده ، اقتضى حسن الرأى الشريف أن ننضد لسعادتهما عقداً منضداً ،

وأن نخص كلا منهما بإمرة حتى يغدو لنا من هذا والدأ من أعز الأنصار ومن هذا ولدأ (٥٤) . وإذا كان المنشور لمن مات أبوه ، نوه فيه بخدمة السلف ونعم الدولة وتعميمها للأعقاب وجبر المصاب ، وما ينتظر من الخلف ، كقوله : « فإن أولى من درت أخلاق جودنا لخلفه ، من استمسك من سبب إخلاصنا بأكده ، وحذا في ولائنا أحسن - حذو ، ولا غرو أن يحذو القتي حذو والده (٥٥) » .

وتختص مناشير أمراء العرب بذكر البادية وكرم العرب والجهاد في سبيل الله ، كما تشير إلى إحسان السلطان وتقديم المقطع على قبيلته لطاعته وإخلاصه ، كأن يقال في ذلك مثلاً : « فإن أولى من عمرنا بكرمنا مربعه وناديه . . . وقابله إقدامه ، فقدمه على قبيلته وميزه على أسرته ، من أخلص في طاعتنا ضميراً . . . » أو « كم أنهل مثقاته في دماء النحور وأشرع صعادها فأوردها وأصدرها في الصدور ، ورفع أسنتها في ليل النقع ناراً ، قراها لحوم العدا وأضياها الآساد والنسور . . » وهكذا . . . (٥٦) .

وبالإضافة إلى ما تضمنته المناشير الإقطاعية من هذه المعاني والمبالغة في صفات السلطان ، باذل الإقطاع ، فإنها توضح كذلك نواحي الإقطاع الممنوح تفصيلاً ، وتبين ما إذا كان الإقطاع مشاركة مع الغير ، أو خاصاً بصاحبه ، ومثال ذلك ما ورد في المنشور الذي أصدره السلطان بيبرس في سنة ٦٥٩ هـ - ١٣٦١ م إلى الأمير جمال الدين حجي أحد أمراء الغرب التنوخيين والمنشور الذي أصدره الناصر محمد بن قلاوون للأمير الحسين التنوخي بعد روك الشام سنة ٧١٣ هـ - ١٣١٣ م (٥٧) .

وجرت العادة أن يقوم السلطان بتوزيع براءات الإقطاع ، سواء أ كانت أمثلة أم مناشيراً (٥٨) ، إنما الغالب توزيع الأمثلة وهي أولى وثائق الإقطاع ، وربما كان ذلك لسهولة تغير ما يحتمل حدوثه من تغير في الإقطاع ، إذا شك المقطع أو تظلم أو بدا لولى الأمر ما يستدعي ذلك ، وربما اقتصر السلطان

على توزيع مثالات الأمراء المقدمين . وعهد لنائبه بتوزيع مثالات بقية الأجناد . كما فعل لاجين سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م (٥٩) ، وهذا يرجع إلى ثقة السلطان بنائب السلطنة ، كما يرجع من ناحية أخرى إلى قوة شخصية النائب وتغلبه على السلطان ، والعادة أن توزع براءات الإقطاع خارج مصر ، على يد النواب أو من ينتدبهم السلطان لهذا الأمر ، وسواء أكان التوزيع في مصر أم في خارجها فإنه لا يتم إلا في موكب حافل .

ففي مصر ، يعتقد هذا الحفل بالقلعة ، ويعرف بيوم العرض أو مجلس العرض ، وإذا تولى النائب التوزيع ، جلس في دار النيابة بالقلعة كذلك (٦٠) . وفي نهاية سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م ، بعد أن تمت عملية الروك الناصري في مصر . أقيم حفل توزيع البراءات الإقطاعية بالقصر الأبلق (٦١) في القلعة ، حيث تصدر السلطان الحفل ، وجلس حوله الأمراء المقدمون على مقاعد من حرير ، كما جلس ناظر الجيش ، وهو وقتذاك الفخر محمد (٦٢) . يتولى الناظر عرض ما يتعلق بالإقطاعات على مسامع السلطان فيمضي منها ما يشاء ، وحينئذ يدخل كاتب السر ويقدم العلامة السلطانية ، فيعلم السلطان على ما أقره من المربعات والمناشير (٦٣) ، ثم يأمر بدخول الجيش طائفة بعد أخرى ، ويتولى إحضارهم نقباؤهم ، وقد خصص الناصر كل يوم لاثنتين من المقدمين وأتباعهما من الأجناد ، فيقف الأمير ومعه أتباعه أمام السلطان ، ويتولى نقيب الجيش (٦٤) تقديمهم واحداً بعد آخر ، فيسأله السلطان عن اسمه وأصله وجنسه (٦٥) ووقت حضوره إلى ديار مصر ومع من قدم وإلى من صار من الأمراء وغيرهم ، وعن مشاهدته التي حضرها في الغزو وعما يعرفه من صناعة الحرب وكم حضر من « المصاف » ، وكم رأى « بيكارا » (٦٦) وأي قلعة حاصر وغير ذلك من الاستقصاء ، فإذا انتهى ناوله مثالا بما يلائمه أو « من غير تأمل بحسب ما قسم له » ، واتفق أن تقدم في العرض رجل دميم الحلقة وكان له إقطاع سابق عبرته ٨٠٠ دينار ، وهو إقطاع كبير ، أو من النوع « الثقيل » ، بلغة العصر ، فلما تناول مثاله ونظر فيه ، وجد عبرته نصف ما كان بيده

سابقاً ، فعاد بعد أن انصرف أولاً ، وقبل الأرض بين يدي السلطان فسأله الناصر عن حاجته فقال : « الله يحفظ السلطان فإنه غلط في حقى ، فإن إقطاعى كانت عبرته ٨٠٠ دينار ، وهذا عبرته ٤٠٠ دينار . فقال السلطان : بل الغلط فى إقطاعك الأول ، فارض بما قسم لك (٦٧) ، واتفق كذلك أن تقدم إليه شاب فى وجهه أثر يشبه ضربة السيف ، فأعجبه وناولوه مثالا بإقطاع وقال له : فى أى مصاف وقع فى وجهك هذا السيف ؟ فقال الشاب : يا خوند ، هذا ما هو أثر سيف وإنما وقعت من سلم فصار من وجهى هذا الأثر ، فتبسم السلطان وتركه ، ولما اعترض الفخرى ناظر الجيش بقوله : « ما بقى يصلح له هذا الخبز ، أجابه الناصر : قد صدقنى وقال الحق وقد أخذ رزقه ، فلو قال أصبت فى المصاف الفلانى من كان يكذبه (٦٨) ؟ وأمر الناصر ألا يرد أحد مثاله ولو استقله ، ولا يشفع أمير فى جندى ، ومن يخالف يضرب ويحبس وينفى ويقطع خبزه ، لذلك حضر الأمراء وهم سكوت خشية بطشه ، وإذا حدث أن أنى أمير على جندى ، تعدد السلطان إعطاءه مثالا « بإقطاع ردىء » ، فأمسكوا عن الكلام فى تركية أجنادهم ، ولذا جاء التوزيع على غير رغبة الكثير من المقطعين ، وصار كثير ممن عبرة إقطاعه ألف دينار مثالا إلى إقطاع عبرته مائتا دينار فقط ، كما حاز كثير من أصحاب الإقطاعات الصغيرة ، إقطاعات كبيرة ، ولما حاول الأمراء مخاطبة السلطان فى هذا الأمر ، نهاهم الأمير أرغون النائب خشية بطش السلطان بهم (٦٩) . والملاحظ أن الكثير من الممالك السلطانية ، أصحاب الجوامك ، قد نقل إلى الإقطاعات (٧٠) .

وعلى أثر روك الشام ، حمل الأمير سيف الدين قجلىس المناشير الخاصة بالروك ، ممضاة من السلطان الناصر بمصر ، وذلك فى كيس مختوم ، وأقيم حفل توزيع البراءات فى دمشق حيث قام الأمير تنكرز نائب الشام ، بتوزيعها بمعاونة الأمير قجلىس وناظر جيش الشام . وعندما دخل الأمراء المقدمون وأجناد الحلقة ، أخذ قطب الدين ناظر الجيش البراءات ووزعها عليهم من غير قراءة بل « حظ وبخت » وكل من يأخذ براءته يقبلها ويضعها على رأسه

وينصرف إلى داره ، إلا أن هذه الطريقة أدت إلى إنصاف البعض وغن البعض ، ولما تظلم الأمراء منها ، أمر النائب بإحضار خمسة أو ستة منهم ، وأمر بضربهم وحبسهم ، فسكت الباقون (٧١) .

وجرت العادة ، أن تستغرق عملية توزيع البراءات الإقطاعية ، أكثر من يوم ، ففي الروك الحسامي ، بدأ توزيع هذه البراءات في ٨ رجب سنة ٦٩٧ هـ - ١٣٩٧ م . حيث خصص ذلك اليوم لتفرقة مثالات الأمراء، وفي ٩ رجب ، وزعت مثالات مقدمى الحلقة ، وانفرد اليوم العاشر من ذلك الشهر بتوزيع مثالات أجناد الحلقة والبحرية وممالك السلطان (٧٢) . أما عملية التوزيع في الروك الناصري فاستغرقت شهر المحرم من سنة ٧١٦ هـ - ١٣١٦ م (٧٣) .

وبانتهاء توزيع البراءات ، هناك تسجيل نهائى يتم داخل ديوان الجيش ، لأن هذا الديوان هو الذى يتولى « الإفراج » عن الإقطاعات وتسليمها لأصحابها ، ويعرف هذا السجل باسم « جريدة الإقطاع » ، ويشمل أسماء أرباب الإقطاع وجهات إقطاعاتهم محددة ، وعبراتها ، على أن الإشارة إلى العبرة في هذا السجل تكون عادة بالرمز وليس تصريحاً (٧٤) . وبعد أن تتم هذه العملية ، يقوم ناظر الجيش بتسليم الإقطاع إلى صاحبه ، ثم يكتب محضر تسليم من ديوان الإنشاء ، يشهد فيه المقطع على نفسه بحضرة الموقعين (٧٥) . وعلى ذلك يستحق صاحب الإقطاع إقطاعه ، فإن كان أميراً ، استحق الإقطاع من تاريخ المنشور ، وهو نفسه تاريخ المربعة ، أما الأجناد ، فيستحقون إقطاعاتهم وما لهم من مخصصات أخرى ، من تاريخ عرضهم وتسجيلهم بديوان الجيش (٧٦) .

هوامش الفصل الرابع

- (١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٣ .
- (٢) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٤٠٠ .
- (٣) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٣ .
- (٤) يلقب ناظر الجيش بناظر الجيوش المنصورة تفاؤلا : كما يقال العساكر المنصورة ، وجرى العرف على ذلك في معظم الأمور والمؤسسات الخاصة بالحرب ، فيقال : قلعة دمشق المنصورة وعن الأعداء - العدو المخنول وعن اللواوين : الدواوين المعمورة أو الديوان السعيد وهكذا (زبدة كشف الممالك ص ١٠٣ ، أثار الأول ص ٦٩ - ٧٠ معيد النعم ص ٤٣ - ٤٤ ، خطط ج ٣ ص ٣٥٠ ، بدائع الزهور ص ٢٩٧ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨٥ - ١٩٢ ، ج ٥ ص ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ج ٦ ص ٣٠ - ٣١ و ١٨٣ - ١٨٤) .
- (٥) صبح الأعشى ج ٦ من النسخة المخطوط ورقة ٨٢ ، صبح الأعشى ج ١١ (المطبوع) ص ٣٢١ - ٣٢٣ وما بعدها .
- (٦) زبدة كشف الممالك ص ١٠١ ، أثار الأول ص ٦٩ - ٧٠ ، معيد النعم ص ٤٣ - ٤٤ .
- (٧) راجع الفصل السادس .
- (٨) انظر قاموس المصطلحات للمعاني التي يتضمنها المثال غير معنى الوثيقة الإقطاعية .
- (٩) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٨ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٣ ، خطط ج ٣ - ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .
- (١٠) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٨ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٣ - ١٥٤ .
- (١١) المقصود بالحلقة المصرية أو الشامية أجناد الحلقة المقيمون بمصر أو الشام .
- (١٢) المقصود بالحلقة المنصورة أجناد الحلقة الموجودون بالقاهرة .
- (١٣) يقصد بهذه التعبيرات : بمقتضى المثال الشريف أو الخط العالى الكافى . الإشارة إلى السلطان بكلمة الشريف وإلى نائبه بكلمة العالى الكافى .
- (١٤) الإشهاد أحد وثائق الإقطاع (انظر الفصل الثامن) .
- (١٥) مثال ذلك : أقطع السلطان خليل بن قلاوون الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى منية بنى خصيب دربستا أى كاملة بجواليها ومواريسها الخشيرية ، وفى إقطاع أمراء الغرب التنوخيين ، استثنى الناصر محمد الملك والوقف (تاريخ بيروت ص ٩٢ ، أخبار الأعيان ص ٢٣٢ ج ١ ص ٧٦٩ - ٧٧٠) .

(١٦) زبدة كشف الماليك ص ١٠٠ ، صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، ج ١٢ ص ١٥٤ - ١٥٦ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٨ ، ٢١١ ، السلوك ج ١ ص ٧٦٩ - ٧٧٠ ، التحفة السنية ص ٣٩ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٣ .

(١٧) أول من لقب بكاتب السر أو كاتم السر في عصر الماليك ، القاضي فتح الدين محمد ابن محيى الدين بن عبد الظاهر في عهد قلاوون ، ويعد كتاب السر من كبار رجال الدولة وتصدر لهم المكاتبات مقرونة بلقب « المقر » أو « المقر الشريف العالى » . . . كما يلقب بصاحب دواوين الإنشاء أو كاتب الإنشاء (نزهة الأُم ورقة ١١ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٤٠٠ ، صبح الأعشى ج ١ ص ١٠١ و ج ٤ ص ١٨٩ و ج ٥ ص ٤٦٥ و ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ج ١١ ص ٩٣ ، معيد النعم ص ٣٩ وزبدة كشف الماليك ص ٩٨ - ١٠٠ ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٣٢ - ٢٣٤ أو ٢٩٣ و ٣٣٣ و ٣٣٨) .

(١٨) مدراج جمع مدير (صبح الأعشى ج ١ ص ١٢٩) .

(١٩) من النصائح التى تنصح بها هذه الطائفة : الرفق في الكتابة وعدم استعمال وحشى الألفاظ فيما يكتبون . (معيد النعم ص ٤٠ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣٥١ - ٣٥٣) .

(٢٠) صبح الأعشى ج ١ ص ١٣٨ ، ج ٥ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ ، ج ٦ ص ٢٠١ - ٢١٠ ، ج ١١ ص ٣٥١ - ٣٥٢ و ٤٩٠ ، السلوك ج ١ ص ٤٨٩ حاشية - ٣ و ص ٤٩٠ .

(٢١) من الوثائق التى يتولى كتابتها كتاب الدست : ما يتعلق بالبريد ، والمهود والتقاليد وكبار التواقيع والمراسيم ، وكلها أوامر تعيين .

(صبح الأعشى ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٩ ، السلوك ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٠) .

(٢٢) صبح الأعشى ج ١ ص ١٣٧ ، ج ١١ ص ٣٣٣ - ٣٣٥ ، السلوك ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٠ ، أنباء الغمر ج ١ ص ٨٦ ، ٩٥ ، ٧١١ ، تاريخ ابن الفرات ج ١ ص ٢٢٨ وما بعدها .

(٢٣) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٩٧ .

(٢٤) من أمثلة النواب البارزين في المنح الإقطاعية ، بمصر والشام ، الأمير قوصون نائب السلطان كجك ابن الناصر محمد خلال عام سنة ٨٧٤٢ (١٣٤١ م) والأمير اقتصر الحنبلى نائب على بن شعبان سنة ٨٧٧٨ - (١٣٧٦ م) ومن نواب الشام الأمير تنكز نائب السلطان الناصر محمد ، والأمير نوروز نائب المستعين الخليفة السلطان سنة ٨٨١٥ (١٤١٢ م) - بدائع الزهور ج ١ ص ٢٢٨ - ٢١٩ و ٣٥٨ والنجوم الزاهرة ١٠ ج ص ٢١ ، ٢٣ ، ٨٠ السلوك مخطوط ج ٣ ص ٢٣٤ و ٢٩٥ وأنباء الغمر ج ١ ص ٣٥ ، تاريخ الملك الأشرف قايتباى مخطوط غير مرقم ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٠٧ - ٤٤٩ و ٥٢٠ - ٥٢٨ تاريخ الذهبى ج ١ ورقة ٦) .

(٢٥) صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩٠ .

(٢٦) تاريخ أبي الفداء ج٤ ص٧١ - ٧٥ ، صبح الأعشى ج٤ ص٢٣٦ - ٢٣٧ ،
٨ مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢٧) الطومار والطامور والجمع طوامير ، بمعنى صحيفة ، وعرض الطومار الكامل
ذراع ، ويعبر عن الطومار كذلك ، بالفرخة ، ورفض عمر بن عبد العزيز أن يكتب فيه كما
فعل أسلافه قائلا (فيه ضياع للورق وهو من بيت المال) واستعمل في مصر في عصر المماليك منذ
عهد الناصر محمد .

(صبح الأعشى ج٣ ص٥٢ - ٥٤ و ١٥٨ و ج٦ ص١٩٠ - ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٥ -
ج١٢ ص١٥٨ و ١٦٠ و ١٩٠ و ١٩٣ ، التعريف ص٨٤ و ٨٩ مسالك الأبصار ج٢ ورقة
٣٩٢ - ٣٩٣ ، تاريخ بيروت ص١٦٢ حاشية - ١ ، خطط ج٢ ص٢١١ ، القاموس المحيط) .
(٢٨) الطغرى بالقصر العلامة التي تكتب بالقلم الغليظ في طرة الأوامر السلطانية وهي
كلمة تترية استعملها الروم والفرس ، والجمع طغريات ، والطغرائي صانعها (أقرب الموارد ،
انظر صورتها فيما يلي) .

(٢٩) صبح الأعشى ج٦ ص١٩١ - ١٩٥ و ج١٣ ص١٦٠ .

(٣٠) ٨ مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٢ - ٣٩٣ ، خطط ج٢ ص٢٢١ ، صبح الأعشى
ج١٣ ص١٩٨ وانظر نسخة المنشور بالملاحق .

(٣١) صبح الأعشى ج٦ ص١٩١ ، ١٩٥ - ١٩٦ و ج١٣ ص١٥٩ - ١٦١ ، ج٧
من النسخة المخطوط ورقة ٨٤ - ٨٨ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٣ .

(٣٢) صبح الأعشى ج١٣ ص١٩٨ - ١٩٩ ، أخبار الأعيان ص٢٢٧ - ٢٣٤ ،
تاريخ بيروت ص٥٦ و ٦١ ، ٦٧ ، ٨٧ ، ٩٢ - ٩٤ ، انظر مناشير العربان بالملاحق .

(٣٣) القصة بمعنى الملتبس أو الشكوى لأي سبب ، ومثالا بصدد الوثائق الإقطاعية :
قصة أمراء الغرب التنوخيين على أثر روك الشام سنة ٨٧١٣ (١٣١٣ م) زمن السلطنة الثالثة
لناصر محمد بن قلاوون ، إلى نائبه تنكز بالشام ، يهنون فيها إخلاصهم للسلطان ورغبتهم في
أن تظل أملاكهم على النحو الإقطاعي بالعدة المقررة من الفرسان دون نقص ، وطلبوا من تنكز
• التصديق بمطالبة إلى الأبواب الشريفة ، أي تأشيرة توصية وتزكية ، فأجابهم تنكز وأنصفهم
الناصر (تاريخ بيروت ص٩١ ، الدر المنتخب ص٢٥٩ - ٢٦٠ ، انظر نص القصة بالملاحق) .

(٣٤) انظر الصور المختلفة لانتقال الإقطاعيات بالفصل الثامن .

(٣٥) التعريف ص٨٩ ، صبح الأعشى ج١٣ ص١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٩٩ ،
مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٣ - ٣٩٤ ، خطط ج٣ ص٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٣٦) طرة الشيء طرفه وحافته وكذا الجبهة والناصية وجانب الثوب وشفير النهر والوادي ،
والمراد هنا به حاشية الكتاب والجمع طرات وطرر وطرار وأطرار ، ثم أطلقوه على ما يكتب

في أعلا الورقة مجازا ، تسمية لشيء باسم محله . (أقرب الموارد ، القاموس المحيط ، صبح الأعشى ج ١١ ص ١٢٧) .

(٣٧) القلم الغليظ هو المعروف في الكتابة بخط الثلث أى ثلث قلم الطومار ، وعرض الكتابة به ٨ شعرات من شعر البرذون ، والفرق بينه وبين الثلث الخفيف دقة القلم أو غلظه (انظر حاشية ٤٠ فيما يلي) .

(٣٨) لعل المقصود بالوصل السطر باعتبارها منفصلة عن بعضها (أقرب الموارد ، القاموس المحيط) .

(٣٩) صبح الأعشى ج ٦ ص ١٩٤ - ١٩٥ ، ج ١٣ ص ١٥٩ - ١٦٠ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٢ - ٣٩٣ ، التعريف ص ٨٩ ، ٩١ ، خطط ج ٢ ص ١١ ، انظر نسخ المناشير المختلفة بالملاحق .

(٤٠) المراد بخط الطومار نوع من الكتابة وهو الثلث الثقيل المناسب للقلم الذي يكتب به ، وهو قلم من لب الجريد الأخضر أو من القصب أو البوص الأبيض الغليظ الأنابيب ينتق من جزائر الصيد ، وفي كل سنة يجهز بريدى بطلب هذه الأقلام من ولاية الوجه القبلي ، وتحفظ عند كاتب السر ، ويبرى منها ما يحتاج إليه ، ويعتبر قلم الطومار أجل الأقلام ، ومساحة عرضه ٢٤ شعرة من شعر البرذون ، ويستعمله السلطان في كتابة علاماته على المكاتب والولايات ومناشير الإقطاع (صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢ - ٥٤ و ج ٦ ص ١٩٠ ، ١٩٤ و ج ١٣ ص ١٥٨ ، التعريف ص ٨٤ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٢ - ٣٩٣ ، تاريخ بيروت ص ١٣٢ حاشية ١ -) .

(٤١) من علامات الأيوبيين : الحمد لله وبه توفيق العزيز عثمان بن أبي بكر ، الحمد لله على نعمائه ، للملك الناصر يوسف بن العزيز بن غازي بن صلاح الدين صاحب دمشق ، وعلامة هولاكو : « توكلت على الله » وعلامة « ايلك » : « حسي الله » ، وعلامة يبرس « المستعان بالله » (صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٦١ - ١٦٢ ، الجواهر الثمين ورقة ١٥٧ ، زبدة كشف بيروت ص ٥٣ ، ٥٥ و ٥٧ و ٦١ و ٦٧ و ٧٩ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٢) .

(٤٢) خطط ج ٢ ص ٢١١ ، انظر صورة هذه العلامة فيما يلي ص ١٢٦ .

(٤٣) المراجع السابقة ، التعريف ص ٨٣ - صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٨ .

(٤٤) بدائع الزهور ج ١ ص ١٢٨ ج ٢ ص ٣١٩ ج ٣ ص ٧١ .

(٤٥) بدائع الزهور ج ١ ص ١٧٧ .

(٤٦) بدائع الزهور ج ٢ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٤٧) التعريف ص ٨٣ ، القلقشندي ج ١٣ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ج ٧ من النسخة المخطوط

ورقة ٨٨ - ٨٩ .

(٤٨) هناك طغراوات تكتب إلى ملوك المسيحيين وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى غير

الإسلام ، تختلف عن هذه الطغرى ، وتتميز بعبارات التفخيم وإبراز القوة والمنعة (صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٦٣ ، التعريف ص ٨٣ - ٨٤ ، انظر صورة الطغراوتين الشمسية ص ١٢٨ ، والنسخة الطغرى الأخيرة بالملاحق) .

- (٤٩) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٦٩ - ١٧٩ .
- (٥٠) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٧٩ - ١٨١ .
- (٥١) المصدر السابق ص ١٨١ - ١٨٢ .
- (٥٢) انظر الملاحق .
- (٥٣) سورة النحل آية - ١٨ .
- (٥٤) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٩٣ - ١٩٤ ، الملاحق .
- (٥٥) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٨٩ - ١٩٠ ، الملاحق .
- (٥٦) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٩٩ والملاحق .
- (٥٧) تاريخ بيروت ص ٥٦ ، ٩٢ - ٩٣ ، أخبار الأعيان ص ٢٣٤ ، انظر الملاحق .
- (٥٨) راجع الفصل الثاني .
- (٥٩) السلوك ج ١ ص ٨٤٤ - ٨٤٦ ، ٨٦٥ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٩٣ - ٩٥ .
- (٦٠) بنى السلطان قلاوون دار النيابة بالقلمة سنة ٨٦٨٧ - ١٢٨٨ م وكان النواب يجلسون « بشباكها » ، ثم هدمها الناصر سنة ٨٧٣٧ - ١٣٣٦ م ، إلا أن الأمير قوصون أعادها بعد وفاة الناصر ، لكنه لم يجلس فيها بسبب القبض عليه ، وأول من جلس فيها بعد التجديد ، الأمير شمس الدين آق سنقر نائب السلطنة في عهد السلطان إسماعيل بن الناصر سنة ٨٧٤٢ (١٣٤٢ م) ، (النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨٠ وحاشية - ٤) .
- (٦١) استغرقت عملية العرض وتوزيع الوثائق من ذى الحجة سنة ٨٧١٥ (١٣١٥ م) إلى نهاية المحرم من سنة ٨٧١٦ (١٣١٦ م) (السلوك ج ٢ ص ١٥٥) .
- (٦٢) فخر الدين محمد بن فضل الدين بن خروف القبطى المعروف بالفخر ، أسلم وحسن إسلامه وله مساجد ومدرسة وبيمارستان (ت . سنة ٨٧٣٢ - ١٣٣١ م) (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، بدائع الزهور ج ١ ص ١٧٥) .
- (٦٣) يمضى السلطان في هذا الحفل ، غير وثائق الإقطاع ، المراسيم والتواقيع ، وجرت العادة أنه بعد العرض ، ينتقل إلى قصر آخر ويجلس في « الشباك » للنظر في المحاكمات (زبدة كشف الماليك ص ٨٦ ، ٨٨) .
- (٦٤) مهمة نقيب الجيش تحلية الجند في عرضهم وإحضار الأمراء كطلب السلطان أو الحاجب (صبح الأعشى ج ٤ ص ٢١ - ٢٢) .
- (٦٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٦ ، خطط ج ١ ص ١٤٥ .

(٦٦) اليكار بمعنى الحرب .

(٦٧) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٥٣ ، السلوك ج ٢ ص ١٥٥ .

(٦٨) السلوك ج ٢ ص ١٥٤-١٥٥ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٢-٥٣ .

(٦٩) برزت مهابة لسلطان وشدة بطشه في هذا العرض حتى بعد نهاية التوزيع ، فقد حدث أن سخر أحد المرقذارية من صبيان المطبخ السلطاني من جنود السلطان بعد الروك بقوله : رأيت بعض أجناد الروك الناصري راكباً الإنكديش ، وخرجه خلفه ورمحه فوق كتفه ، فأمر السلطان بإلقائه في الساقية وربطه بالقواديس ، ودارت به حتى مات ، فكان لذلك أثره في نفوس الأمراء والجنود ، إذ حمد كل منهم الله على ما وفقه للسكوت عن الكلام وقت العرض (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، خطط ج ١ ص ١٤٦ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٦) .

(٧٠) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٢-٥٤ ، خطط ج ١ ص ١٤٥-١٤٦ .

(٧١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٩-٢١٠ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩٠ ، السلوك

ج ٢ ص ١٢٧ ، بدائع الزهور ج ١ ص ١٥٤ ، تاريخ بيروت ص ٩٥-٩٦ .

(٧٢) السلوك ج ١ ص ٨٤٤ ، عيون التواريخ ص ١٦٩ ، خطط ج ١ ص ١٤١-١٤٢ .

(٧٣) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٢-٥٤ ، خطط ج ١ ص ١٤٥-١٤٦ .

(٧٤) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٢ .

(٧٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ .

(٧٦) من طرائف ما حدث بصدد الإفراج عن الإقطاع ، أن حضر أحد المقطعين بالبحيرة إلى ابن حشيش ناظر الجيش (ت . ٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م) حتى يعمل على إفراجه بالإقطاع ، واسم هذا المقطع جبرائيل ، فعلم الناظر بإفراجه ، وكان لجبريل أخوان من المقطعين كذلك وهما : ميكائيل وعزرائيل ، فقال جبرائيل لابن حشيش أبعث لك أخى حتى تقضى شغله ، فسأله الناظر أيهما ؟ قال : عزرائيل . قال ابن حشيش : لا .. بالله عليك لا تبعه ... (تاريخ ابن الجزرى ج ١ ورقة ١٥٩ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٣ ، خطط ج ٣ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩٠ ، التعريف ص ٩١) .

الفصل الخامس

أرباب الإقطاع

رجال السيف : السلطان وأبناؤه وإقطاعاتهم - الجيش
المملوكى وأقسامه - الحلقة وإقطاعاتها - المماليك السلطانية وجوامعهم
والجهات المخصصة لها - نظائر هذه الطائفة فى الإقطاع الغربى -
مماليك الأمراء وإقطاعاتهم - العربان وإقطاعاتهم - التركان
والأكراد وإقطاعاتهم - رتب الجيش المملوكى وعبرة إقطاع كل
رتبة أو إمرة - نظام الترقية - أرباب الإقطاع من غير رجال
السيف - بعض رجال القلم - أرباب الحرف .

كتب القلقشندي : « تجرى الإقطاعات في الدولة المملوكية على الأمراء والهند ، وعامة إقطاعاتهم بلاد وأرض يستغلها مقعطها ، ويتصرف فيها كيف شاء ، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات ، وهو القليل ، وتختلف باختلاف أربابها » (١) .

ومعنى هذا ، أن غالب الإقطاعات تركزت في رجال السيف ، وتنصرف كلمة رجال السيف إلى السلطان وأمرائه وأجناده ، أى إلى الجيش المملوكى بأجناسه وفرقه المختلفة ، وكذا أصحاب الوظائف الإدارية من هذا الفريق وهم الولاة والكشاف . بل إن كلمة الإقطاع ترادف « الجندية » ، ولا بد للجندى أن يكون صاحب إقطاع ، بدليل توقيع أحد نواب السلطنة على قصة طالب إقطاع « ايش يعمل بالجندية » (٢) ومن رجال السيف ، الممالك بأنواعهم والعربان والتركمان والأكراد ومن يستخدمهم السلطان في الأغراض الحربية ، على أن هناك طائفة قليلة من رجال القلم حازت الإقطاع وهم الخليفة وبعض الفقهاء ، فضلاً عن عدد قليل من أصحاب الحرف المختلفة كالصناع وغيرهم .

وأول رجال السيف هو السلطان ، ويعرف إقطاعه باسم « الخاص السلطاني » أو « بلاد الخاص » أو « الخاص الشريف » ، والعادة أن يختار السلطان لنفسه ما شاء من الأراضي الجيدة أو القرية ، ومن المكوس المربحة والحوالى وغيرها من أبواب الإيراد الوفيرة ، سواء في ذلك العقار الثابت أو المال المنقول (٣) ، والخاص السلطاني غير الأملاك الشريفة السلطانية ، فالخاص هو الإقطاع الذى يحوزه السلطان بوصفه سلطاناً ، ويقدر عادة بأربعة قراريط من خراج البلاد المقدر بأربعة وعشرين قراطاً ، أى بمقدار السدس ، وإن لم تطرد هذه القاعدة ، على ألا يملك السلطان رقبة هذا الخاص

ولأنما يملك حق الانتفاع به واستغلاله لحسابه طالما هو سلطان ، ولذا فهو ينتقل عنه بزوال السلطنة . أما الأملاك الشريفة السلطانية ، فهي التي اشتراها بماله من مالك آخر أو من بيت المال ، فصارت بذلك ملكاً حراً له جميع وسائل التصرف فيه من بيع وهبة وتوريث ووقف ، وربما يرجع أصل بعض هذه الأملاك إلى أيام إمارته قبل السلطنة . فمثلاً من أملاك السلطان شعبان بن حسين بالغربية : بطينة وحوض الشقف ومساحتهما ١٦٢٦ فداناً ، عدا الرزق المقدرة بخمسة وعشرين فداناً ، والعبدة ثمانية آلاف دينار ، ومن أملاك الظاهر برقوق ، عطف بهيت بالجيزة وهكذا . . .

وتوزع الخصاص السلطاني في الأقاليم المختلفة داخل مصر وخارجها^(٤) ، ففنه ما هو بنواحي القاهرة مثل منيل القولاذ وعبرته ٥٠٠ دينار^(٥) ، ومنه ما هو بالوجه البحري مثل فوة بإقليم فوة والمزاحمتين ، وكذلك ما بها من زكاة وعبرتها ١٦ ألف دينار^(٦) ، ومنه ما هو بالوجه القبلي مثل الطارمة بالفيوم ومساحتها ١٢٦٢ فداناً وعبرتها ٤٠٠٠ دينار وإدقاق بالبهنساوية ومساحتها ١١٣١ فداناً وعبرتها ٤٠٠٠ دينار وهكذا^(٧) وفي خارج مصر كانت غوطة دمشق وما يحيط بها ضمن خاص الناصر محمد^(٨) .

واعتبر النظام المملوكي أبناء السلاطين من أرباب السيوف من باب التجوز ، نظراً لأن الكثير منهم لم يمارس التزامات الإقطاع ، فنحوا الإقطاع من باب التشريف ، وهي إمرة مائة ، وإن لم يزاووا الإمرة والوظيفة .

ومن الأمثلة على ذلك إنعام الناصر محمد سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١ م) على ولده ، آنوك بإقطاع الأمير مغلطاي المتوفى بالعقبة ، كما أنعم على ولده أبي بكر سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) بإمرة ، ولبس كل منهما شعار الأمراء^(٩) ، ولما رزق السلطان حسن بولد ذكر سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٧ م) سماه قاسماً

ومنحه إمرة مائة (١٠) ، ثم إن السلطان شعبان بن حسين أنعم في سنة ٧٧٤هـ (١٣٧٢ م) على ابنه علي بتقدمة ألف وعلى ولديه أحمد وأبي بكر بهذه المرتبة كذلك في سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) (١١) ، ولما تسلطن المؤيد شيخ سنة ٨١٥هـ (١٤١٢ م) أنعم على ولده إبراهيم بإمرة مائة وتقدمة ألف (١٢) .

وأطلق المعاصرون على أبناء السلاطين لقب « أولاد الناس » ، وهو لقب يشترك معهم فيه أبناء الأمراء ، وكذلك عبر عن هؤلاء جميعاً باسم « المصريين » (١٣) ، ولعل هذه التسمية الأخيرة راجعة إلى أنهم ولدوا بمصر ولم يشتروا بالمال كأبائهم ، والعادة أن يعطى أولاد الناس الجوامك ، إلا أنه يحدث أن يمنحوا الإمارات بإقطاعها ، فمثلاً منح للناصر محمد سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) الأمير علي بن سلال إمرة عشرة بمصر (١٤) ، كما منح ولدى الأمير سيف الدين أرقطاي المعروف بالحاج ، نائب صفد ، إمرتين سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) ، وهما إمرة طبلخاناه للأمير علي وإمرة عشرة للأمير إبراهيم (١٥) ، كذلك منح السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد في سنة ٧٤٦ هـ - ١٣٤٥ م ابن طشتمر إمرة مائة وتقدمة ألف بمصر ، والأمير علي بن أصلم إمرة طبلخاناه (١٦) . وأراد السلطان حسن أن يستغنى بأولاد الناس عن الجند الترك ، جزئياً على الأقل ، وقد صرح بقوله « هؤلاء مأمونون (كذا) العاقبة وهم في طي علمي ، وحيث وجهتهم إليه توجهوا ، ومتى أحببت عزلم أمكنني ذلك بسهولة ، وفيهم أيضاً رفق بالرعية ومعرفة بالأحكام » (١٧) ولذلك كان منهم في عهده عشرة أمراء مقدمون ، منهم ولداه قاسم وأحمد ، والثمانية الباقون هم اسنبغا بن الأمير الأبى بكري ومحمد بن طوغاي ومحمد بن بهادر رأس نوابه ومحمد بن المحسنى وموسى بن أرقطاي وأحمد بن آل ملك وشرف الدين موسى الأزكشى الأستاذار وعمر بن أرغون النائب (١٨) ، كذلك كان لديه عدد كبير آخر من أولاد الناس ما بين أمراء طبلخاناه وعشرات

ونواب قلاع ونواب بالبلاد الشامية ، مثل ابن القشتمرى نائب حلب وابن صبيح نائب صفد وأمير على الماردى نائب الشام^(١٩) . وتبع السلطان حسن فى هذا الاتجاه ، السلطان شعبان بن حسين ، إلا أن ذلك لم يستمر بعدهما ، وظل أولاد الناس يخدمون فى الجيش المملوكى وبعض الوظائف على أساس الجاهلية . أما رجال الجيش المملوكى ، فهم عناصر مختلفة ، من ترك وجر كس وروم وأكراد وعرب وتركمان ، كذلك منهم المغول والألمان والإيطاليون والروس ، وأكثرهم يشتري بالمال^(٢٠) . وأقسام هذا الجيش ثلاثة هى : - أجناد الحلقة^(٢١) والمماليك السلطانية ومماليك الأمراء ، والفريق البارز فى هذه الأقسام هو فريق الحلقة من حيث حيازة الإقطاع ؛ فهم قلب الجيش المملوكى والأصل فى التوزيع الإقطاعى . والمماليك السلطانية هم أصحاب الجوامك الراجعة من السلطان ، أما مماليك الأمراء فيتبعون أسانذتهم ويحوزون إقطاعاتهم بحسب مراتبهم من بطن إقطاعات الأمراء .

توزعت هذه الفئات فى أقاليم الدولة المملوكية ففها ما هو بحضرة السلطان بالقاهرة ومنها ما هو بمختلف النيابات بمثابة الحامية خارج مصر ومنها ما هو فى صحبة الأمير المملوكى التابعة له حيث يكون مقامه فى مصر أو خارجها .

وبلغ أجناد الحلقة على ما استقر (عددهم) فى جرائد ديوان الجيش بأوراق الروك الناصرى . نحو ٢٤ ألف فارس ، إلا أن هذا العدد تراوح بين الزيادة والنقص وإن رجحت كفة النقص عن كفة الزيادة ، فيما بعد عهد الناصر محمد ، حتى إنهم صاروا من القلة فى زمن لم يحدده المقرئ ولعله أواخر القرن الثامن الهجرى وأوائل التاسع الهجرى بحيث لو جمعوا مع المماليك السلطانية « لما بلغ ٥ آلاف فارس لا يصلح منهم لمباشرة القتال سوى ألف أو دونها^(٢٢) » .

ويؤخذ من خطاب أورده ابن شاهين عن بعض سلاطين المماليك يذكر

فيه قوات الجيش المملوكي أن عدد أجناد الحلقة بمصر وخارجها هو : -

٢٤ ألفاً بمصر .

١٢ ألفاً بدمشق

٦ آلاف بحلب

٤ آلاف بطرابلس

١ ألف واحد بصفد

١ ألف واحد بغزة بالإضافة إلى ممالك الأمراء بها (٢٣) .



اقتضى النظام الإقطاعي تسجيل أجناد الحلقة في جريدة باسمهم بديوان الجيش ، حيث يضيف الكاتب المختص كل ألف منهم إلى مقدم مشهور من الحلقة من أمراء المائة ، ولكل مائة من هذه الألف رئيس أو « باش » أو « نقيب » يشترط فيه الإلمام بمساكنهم ومظان إقامتهم لجمعهم عند الطلب ، وليس لهذا النقيب - ومن ألقابه مقدم الحلقة - سلطة عليهم إلا في أثناء الحرب (٢٤) ، وبجانب هذا التنظيم تسجل رتبهم وصفاتهم (٢٥) .

والمناشير الصادرة بإقطاعات هذا الفريق لا تكون إلا من السلطان ، كما هو الشأن في مناشير الأمراء ، وإقطاعات الحلقة وقف عليها دون غيرها من فئات الجيش ، ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى السلطان قلاوون ؛ إذ أعطى مملوك والى القاهرة الأمير سنجر الحياط إقطاعاً بالحلقة تقديراً ومكافأة استثنائية له ، لأنه قبض على اثنين من العابشين ، وذلك على حين أن قلاوون نفسه أبى أن يعطى ولدى الأميرين طرنتاي وكتبغا إقطاعات بالحلقة يوم سألاه ذلك ، وقال جملة المشهورة : « والله لو رأيتهما في مصاف القتال يضربان بالسيف أو كانا معي في زحف قدامى أستقبح أن أعطى لهما أخبازاً في الحلقة خشية أن يقال : أعطى الصبيان الأخباز (٢٦) » .

وتراوح عبرة إقطاعات مقدمى الحلقة (٢٧) بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ دينار في السنة للواحد منهم ، على أساس سعر الدينار ٩ دراهم ، إلا أن هذا القدر لا يدخل كله لصاحب الإقطاع ، وإنما يخص منه قيمة كلف ومصاريف تقدر نحو ٩٠٠ درهم (٢٨) .

أما أجناد الحلقة فتوسط عبدة إقطاع الجندى منهم ٢٥٠ ديناراً في السنة ،
وهذه أقل عبدة (٢٩) ، وهم منقسمون إلى ست مراتب ذوات عبرات إقطاعية
مختلفة كالآتي :

رقم المرتبة	عدد الأجناد	عبدة إقطاع الواحد منهم في السنة	سعر الدينار
١	١٥٠٠	٩٠٠ دينار	١٠ دراهم
٢	١٣٥٦	٧٠٠	»
٣	١٣٠٠	٦٠٠	»
٤	١٣٠٠	٥٠٠	»
٥	١١٠٠	٤٠٠	»
٦	١٠٣٢	٣٠٠	»

وجرت العادة أن يشترك عدة أجناد من الحلقة في الإقطاع الواحد ،
وتقسم العبدة بينهم ، مثال ذلك ، أن مدينة النحريرية بالغربية ، مقطعة لعشرة
أجناد منهم (٣٠) ، ومساحة الأرض بهذه المدينة ، أى زمامها ١٢٧٠ فداناً
وعبرتها ٣٠٠٠٠ دينار (٣١) مقسمة عليهم تقسيماً يتناسب ومراتبهم .

أما الممالك السلطانية ، سكان الطباق (٣٢) بالقلعة ، فهم أصحاب
الجوامك والرواتب مشاهرة على وجه العموم ، ويقسمون إلى ثلاث فرق هي :
ممالك مشريات ينتسبون للسلطان القائم ، وممالك سلطانية منسوبون إلى
السلطان السابق ، وممالك سيفية منسوبون للأمرء مقدمى الألوف ، إلا أنهم
نقلوا إلى الديوان الشريف ، لسبب من أسباب النقل ، كوفاة أستاذهم أو نفيه
أو قتله ، ومن هؤلاء جميعاً أصحاب وظائف (٣٣) .

انتسبت كل طائفة منهم إلى سيدها ، فالأشرافية نسبة إلى الأشرف خليل
والظاهرية للظاهر برقوق ، والناصرية للناصر فرج ، والمؤيدية للمؤيد شيخ ،
والططرية والإينالية والحشقدمية وهكذا ، ومنهم من ينسب إلى أصله كالعثمانية

الذين أسرهم أربك سنة ٨٩٤هـ (١٤٨٨ م) على أثر انتصاره على العثمانيين فأنزلهم قايتباى فى ديوانه وقدر لهم الجوامك^(٣٤) ، ومن أمثلة السيفية، الحكمة نسبة إلى الأمير جكم والنوروزية نسبة إلى الأمير نوروز ، وكلا الأستاذين من أمراء المؤيد شيخ^(٣٥) .

واختلف عدد هذا الفريق من الجيش المملوكى كغيره من الفرق من وقت إلى آخر. فبلغ فى عهد بيبرس نحو ١٦ ألف مملوك^(٣٦) وتراوح عددهم فى عهد قلاوون ما بين ١٢ ألفاً و ٧ آلاف مملوك^(٣٧) ، وبلغت ممالك الأشرف خليل بن قلاوون نحو اثنى عشر ألفاً ، وممالك الناصر محمد ألفين بعد الروك ، ولم يصل عددهم إلى هذا القدر بعد ذلك حتى زالت أسرة بنى قلاوون والدولة المملوكية الأولى فى سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢ م) ، إذ أخذ برقوق ، وهو أول سلاطين الدولة المملوكية الثانية ، يعمل على القضاء على الممالك الأشرفية ، وهم ممالك الأشرف شعبان وأنشأ برقوق لنفسه طائفة من الممالك الجراكسة بلغت عدتهم ما بين مئتين ومستخدم ، ٤ آلاف وربما زادت قليلاً ، غير أن هذا العدد تفرق فى عهد ابنه فرج وهلك كثير منهم بالقتل وغيره^(٣٨) ، وفى عهد خشقدم بلغ عدد الممالك السلطانية خمسة آلاف مملوك ، وربما زاد عن هذا العدد قليلاً فى عهد السلطان قايتباى ، إذ أربت مشترياته منهم على ألفى مملوك^(٣٩) .

ولطائفة الممالك السلطانية بديوان الجيش سجل خاص اسمه « جريدة أرباب النقود والمكيلات » تضم هذه الجريدة أسماءهم ونخصصاتهم الراتبية فى كل سنة بمقتضى مناشيرهم ، ويوضح كاتب الجيش أصحاب الوظائف منهم مثل « الأوشاقية » العاملين بالاصطبلات السلطانية وغيرهم ، على أن يضيف كل فريق من هؤلاء إلى مقدم بارز بينهم ، فيقال : « مقدم الأوشاقية » وبلغ عدد مقدمى الممالك السلطانية أيام الناصر محمد نحو ٤٠ فارساً^(٤٠) والرئاسة العليا على سائر طوائف الممالك السلطانية ، لمقدم من الأمراء الطواشية برتبة أمير طبلخاناه وله نائب يساعده برتبة أمير عشرة^(٤١) .

وخصص ديوان الجيش إقطاعات معينة للصرف على رواتب الممالك السلطانية وجوامكهم^(٤٢) ، بلغ متوسط راتب المقدم نحو ١٢٠٠ دينار في السنة ، وربما زاد عن هذا المبلغ^(٤٣) ، أما الممالك السلطانية أنفسهم ، فاختلفت جوامكهم باختلاف رتبهم كما هو الشأن في إقطاعات أجناد الحلقة فقسموا إلى أربع طبقات في الروك الناصري ، على هذا النحو^(٤٤) :

رقم المرتبة	عدد الممالك	مقدار جامكية الواحد منهم في السنة	سعر الدينار
١	٤٠٠	١٥٠٠ دينار	١٠ دراهم
٢	٥٠٠	١٣٠٠	»
٣	٥٠٠	١٢٠٠	»
٤	٦٠٠	١٠٠٠	»

وتشمل الجوامك الشهرية : العليق والحبوب والطعام ، ويقال إن جامكية ممالك السلطان برقوق بلغت في الشهر الواحد ٩٠٠٠ درهم ومن العليق ١٥ ألف إردب من الشعير ، وهذا غير الخيول والجمال التي تصرف لهم ، على أنه قد تنقص رواتبهم أو تقطع^(٤٥) ، وقد يعطون إقطاعات بدلا من الرواتب^(٤٦) .

وأشرف «الديوان المفرد»^(٤٧) على الإقطاعات الخاصة برواتب وجوامك الممالك السلطانية ، وتتلخص مهمة هذا الديوان في « تكفيته جميع الممالك السلطانية من جوامك وعليق والآدر الشريفة وجميع لوازمها وجميع البيوتات ولهذا الديوان بلاد كثيرة بلغت نحو ١٦٠ بلداً ، من جملتها فارسكور والمنزلة ، وبلغ خراج كل منهما نحو ٣٠ ألف دينار ، وذلك فضلا عن رسوم أخرى متنوعة تجبي له من الولاة والكشاف وغيرهم بحيث بلغ إيراده عن سنة واحدة

من العين أكثر من ٤٠٠ ألف دينار ، ومن الغلال ٣٠٠٠ ر٠ ٠ ٠ إردب من القمح والشعير والفول (٤٨) .

وأشبهت طائفة الممالك السلطانية برواتبها وجوامكها طائفة من الأتباع المحاربين في النظام الإقطاعي الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي فصاعداً ، وذلك بفرنسا وألمانيا والأراضي المنخفضة وإنجلترا ، ومنيع الشبه أن إقطاعات هؤلاء لم تكن من الأرض وإنما من الرواتب والجوامك ، ويعبر عنها باسم Rente أو Money Fiefs أو Fiefs de Soudée ، وأول ملك فرنسي منح أغلب هذا النوع من الإقطاع هو لويس السابع عام ١١٥٥ / ١١٥٦ م ، وتبعه خلفاؤه من بعده ، وهذا أغلب ما كان للأجانب ، كذلك اهتم ملوك الإنجليز من النورمان بهذه الإقطاعات في القرن الثاني عشر الميلادي ، وذلك لاجتذاب الأجانب ولاسيما نبلاء فرنسا وألمانيا والأراضي المنخفضة ليكثر أتباعهم ، ويقوى نفوذهم (٤٩) ، وكذلك في الجيش الصليبي الإقطاعي بمملكة بيت المقدس . حيث نقل الإقطاع الغربي ، نجد فريق أصحاب الجوامك . وتراوح متوسط راتب الفارس من هذا الفريق بين ٤٠٠ و ٦٠٠ و ١٠٠٠ بيزنطة في السنة (٥٠) .

ويتوقف تقدير هذه الرواتب على مدى الحاجة إلى الرجال ، ومدى توفر المال ، واعتبر دخل المواني أكثر ضماناً في الحصول على رواتب هذه الطائفة من الأراضي الداخلية . نظراً لأن المواني كانت أقل تعرضاً لهجوم المسلمين . ولم تقتصر الرواتب على المال بل كانت كذلك من القمح والشعير والعدس والزيت ونحوها (٥١) ، ومن المعروفين من الفرسان أصحاب الجوامك في الدولة الصليبية أرناط Arnold صاحب الكرك ، إذ خدم بالجامكية أولاً عند ريموند صاحب أنطاكية (٥٢) . وكذلك صدر منشور ١١٦٩ م يقضى بمنح راتب قدره ١٢٠٠ بيزنطة في السنة من دخل عكا لفارسين ، ولما رغب فردريك الثاني عام ١٢٣٩ م مزيداً من الرجال ، منح رواتب متفاوتة ما بين ٤٠٠ و ٦٠٠ بيزنطة ، ومن الفرق المنظمة في المملكة الصليبية والمعتمدة على

هذا النوع من الإقطاع ، فريق من الوطنيين السوريين الذين خدموا الصليبيين ويعرفون باسم التركبولي Tourkopouloi أو Turcoples ، وهم فرقة من الفرسان المدرعة بالدروع الخفيفة ، وينحدر أعضاؤها عن آباء من الترك وأمهات مسيحيات من اليونان في الغالب (٥٣) .

والفريق الثالث من الجيش المملوكي ، هو ممالك الأمراء ، وبمعنى آخر ، أجناد الأمراء ، وهؤلاء تابعون لأمرائهم الذين يتولون الإتفاق عليهم وتجهيزهم عند الاستعداد لحملة أو قتال ، ولا بد من تسجيلهم بديوان الجيش كغيرهم من الفرق الأخرى ، فإذا تسلم أمير من الأمراء إقطاعه ، طلب إليه كاتب الجيش أن يقدم البيانات اللازمة عن مملكته ، وهذه يعدها موظف مختص بديوان الأمير يسمى « كاتب عدة الأمير » في سجل خاص ، يشمل أسماءهم وما يخصص لهم في إقطاع أميرهم وما لهم من رواتب وجوامك (٥٤) .

يتسلم كاتب الجيش هذه البيانات ويحدد يوماً لعرض أولئك الأجناد أمام السلطان ليعتمدهم ، وذلك بمشهد من الأمراء ، وهذا الإجراء من الدلائل الكثيرة على مدى ما يتمتع به السلطان المملوكي من سلطة مركزية . يقول النويري : « فمن جاز ولي الأمر عرضه حلاه (أى وصفه) قبالة اسمه » (٥٥) بما يميزه من أوصاف كعمره ولونه وقامته وحلية وجهه وما به من أثر إن وجد وهكذا ، وإذا رفض السلطان جندياً ، فعلى الأمير أن يقيم بدله ، على أن يعرض الجدد . كما أنه إذا مات جندي أو عزل عن عمله لسبب ما ، أقام الأمير عوضه . وموافقة السلطان واعتماده ، أمر يحتم في كل حالة لتكون الأسماء الواردة بسجل ديوان الجيش منطبقة على الواقع .

أما أعداد أجناد الأمراء فخضعت لأحوال أساتذتهم من السعة والضيق . ولم تنقيد بمراتب الأساتذة ، بمعنى أنه ليس من الضروري أن يقتصر أمير المائة أو غيره من الأمراء على العدد الذي تنص عليه رتبته ، وبقدر ما هناك من « إمرات » أو إمریات ، على قول المصطلح ، يمكن استخراج إحصائية

تقريبية على أنها العدد الرسمي ، إلا أن هذا العدد الرسمي لم يوجد في وقت ما خلال عصر السلاطين المماليك^(٥٦) .

ويستحق مملوك الأمير إقطاعه ومخصصاته من تاريخ العرض والتسجيل بديوان الجيش ، على خلاف سيده الذي يستحق إقطاعه من تاريخ منشوره^(٥٧) وجرت العادة أن تقسم عبدة إقطاع الأمير إلى ثلاثة أجزاء متساوية ، يختص بماليكه بجزءين على حين يتفرد هو بالجزء الباقي ، وينص في منشوره على هذه النسبة غالباً^(٥٨) ، وفي مثل هذه الحالة ليس للأمير أن يتعدى على نصيب أجناده ، بل مما يحمده له أن يزيد في أنصبتهم من نصيبه ، ويعلق النويرى على هذا بقوله : « وهذه القاعدة لاحقة بقواعد الفقه ؛ فإن له التصرف في ماله دون مال غيره »^(٥٩) ، وفي حالة عدم النص على نصيب الأجناد في المنشور ، فالأمير هنا في حل من زيادة البعض وإنقاص البعض بحسب ما يراه^(٦٠) ، على أن متوسط عبدة إقطاع المملوك يتراوح بين عشرة آلاف وثلاثة آلاف درهم في السنة^(٦١) .



واعتبر النظام الإقطاعي المملوكي زعماء العرب والتركمان والأكراد الداخلين في طاعة الدولة المملوكية ، من رجال السيف المقطعين ، لأن معظم عملهم يتركز في حماية أطراف الدولة ، سواء في مصر أم في خارجها ، ويطلق عليهم أحياناً « أرباب الأدارك » أو « المئاغرون »^(٦٢) وعرف الواحد من زعماء العرب باسم (الشيخ)^(٦٣) ، أما زعماء التركمان والأكراد فاشتهر الواحد منهم بلقب « المقدم » ، فيقال مقدم التركمان والأكراد ، على أن لفظ المقدم أطلق أحياناً على زعماء عرب بني تنوخ بלבنان ، فسمى الواحد منهم : « مقدم الجبلية » إشارة لإقامتهم في المناطق الجبلية .

ويرجع تعميم الإقطاعات لزعماء العربان ، إلى عهد الأيوبيين ؛ إذ أمر صلاح الدين جماعة منهم^(٦٤) ، ولما كانت الدولة المملوكية وريثة الدولة

الأيوبية في نظمها وتقاليدها . فقد أقيمت على تركة أساتذتها واحتفظت بطوائف العربان الموالين لها ، وسجلت زعماءها المقطعين في « الجريدة الجيشية » ، بديوان الجيش (٦٥) .

وأشهر القبائل التي تزعمها أولئك المشايخ وحازت الإقطاعات ، عرب بني الغوث بن طي من بني خزيمه بنواحي دمياط ، عرب الجمارية المنتسبون إلى قريش ، في الدقهلية والمرتاحية (٦٦) ، وبالشرقية تل محمد من إقطاعات بني رديني من بني سويد ، ومساحتها ١١٨٤ فداناً (٦٧) ، وشنبارة بني خصيب ومساحتها ٢٣٧٨ فداناً وعبرتها ٤٥٠٠ دينار كانت إقطاعاً للشواكرة أولاد شاكر بن راشد منذ عهد صلاح الدين (٦٨) . ولبنى خليفة وبني عبيد جزء من هربيط يعرف بالأحرار (٦٩) ، وانتشرت جماعة من عربان فايد وزنارة وخفاجة وهوارة وغيرهم بأنحاء البلاد المصرية الشمالية بين الإسكندرية والعقبة . وهؤلاء معظم عربان الوجه البحري ، وقد وصفهم صاحب التعريف (٧٠) بأنهم « على سعة أموالهم واتساع نطاق جماعاتهم ليسوا عند السلطان في النروة ولا في السنام ؛ إذ كانوا أهل حاضرة وزرع وليس فيهم من ينجد ولايتهم ولا يعرق ولا يشتم ولا يخرجون من جدر الحدران (٧١) » .

ومن قبائل عربان الوجه القبلي : هوارة ولحم ، وبلغت عدة هوارة وحدها في القرن الثامن الهجري نحو ٢٤ ألفاً والسلطان برقوق هو الذي أنزلهم في سنة ٧٨٢ هـ - ١٣٨٠ م بالصعيد الأعلى ، وأقطع منهم إسماعيل بن مازن ناحية جرجا ، وكانت خراباً فعمرها (٧٢) ، وانتشر بنو هلال بن عامر بن صعصعة بأسوان وما حولها حتى ثغر عيذاب ، وهم بطن من بني عامر ، كما سكنت منهم عدة بطون بأخميم مثل بني رفاعة وبني حجير وبني عزيز فضلاً عن بعض بطون بلي التي امتدت كذلك إلى الأعمال القوصية والمنفلوطية ، وفي معظم بلاد البهنسا سكنت لواتة ، وأقامت جهينة من قضاة ببلاد أخميم في عصر الناصر محمد (٧٣) ، ودخلت الواحات في إقطاع العربان لموقعها النائي وما يترتب عليه من صعوبة الاستغلال لغير العرب من المقطعين (٧٤) .

أما مشايخ العربان المقطعون خارج مصر ، فأولهم مشايخ عربان برقة ،
وعليهم مقابل إقطاعهم مهمة جمع الزكاة أو « العداد » المقرر على الماشية من
العربان » (٧٥) ، ثم أقطعت هذه البلاد لأمراء عربان من مصر من بني سليم
وأمرهم على عهد الناصر ، فايد بن مقدم السليمي (٧٦) ، ويبدو أن اهتمام
سلاطين المماليك ببرقة لم يقتصر على موقعها في طرف من أطراف الدولة ،
بل تعداه إلى جودة خيلها . يقول العمري : « برقة أزكى البلاد أرضاً للدواب
وخيل برقة من أقوى الخيل ، ويكنى أن يقال الخيل البرقية ، لكنها لا تبلغ
خيل البحرين والحجاز والشام » (٧٧) .

ويمتاز عربان الشام بأن لهم المنزلة الأولى في نظر المماليك ، وأشهرهم
في ذلك العصر أمراء آل فضل ومنهم بنو نعيم آل مرء ، وآل علي ، ومن آل
علي ، عيسى بن مهنا ، وهؤلاء شأن في العلاقة مع التتار وفي الجهاد ضد الصليبيين ،
ولذلك جرت سياسة سلاطين المماليك على إكرامهم وإقطاعهم الإقطاعات
الوافرة ، بل نعتت الوثائق المملوكية المعاصرة ، آل عيسى بأنهم « ملوك
البرية » لشدة بطشهم ووفرة عددهم وكثرة أموالهم (٧٨) .

واستعانت الدولة المملوكية ببعض قبائل التركمان ، ووفرت لهم الإقطاعات
نظير قيامهم على حماية أطرافها من الأعداء المتآخين ، وهم الصليبيون والتتار
والعثمانيون الذين اشتد خطرهم منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ،
وهذا فضلاً عن مهمة إخضاع القبائل التركمانية الأخرى ، التي كانت كثيرة
الإغارة على بلاد السلطنة المملوكية .

استقرت الإمرة على التركمان في الأطراف الشمالية في بيت « دلغادر » (٧٩)
تارة وبيت « ابن رمضان » (٨٠) تارة أخرى ، وهؤلاء أشهر طوائف التركمان .
فمثلاً لما قدم على بن رمضان وأمرأؤه إلى مصر سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) ،
وقدم للسلطان صالح بن الناصر محمد ، وأمرائه ، ألف إكديش ، أنعم عليه
السلطان بالإمرة على التركمان عوضاً عن « قراجا دلغادر » ، كما أنعم عليه

بإقطاع ، وعلى عدد من أصحابه بإمريات بين عشرات وطبلخانات (٨١) . كذلك خدم بنو العساف التركمان دولة المماليك (٨٢) .

ومن القوات المملوكية قوة الأكراد وهذه بلغ عددها نحو ٢٠ ألفاً (٨٣) وأشهرها بقايا بني أيوب وأتباعهم ، منهم الملك الأوحى بن الملك الزاهد بن أسد الدين صاحب حمص ، وقد منحه السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٩٤ هـ - ١٢٩٤ م ، إمرة طبلخاناه بإقطاعها (٨٤) ومنهم محير الدين يعقوب من سلالة السلطان العادل الأيوبي ، وهو صاحب إقطاع جيد قرب المزة بظاهر دمشق (٨٥) وأهمهم جميعاً الملك المظفر أبو الفداء إسماعيل صاحب حماة (٨٦) .

أما رتب الجيش المملوكي الإقطاعي . فتدرجت من أمير ثلاثة إلى أمير مائة ، وهذه أعلى رتبة . ويلاحظ أن الترقية لمراتب الجيش المختلفة ليست وفقاً على فرقة دون أخرى من فرق الجيش ، وإنما ظل الباب مفتوحاً أمام كل الطوائف من الحلقة والمماليك السلطانية وأتباع الأمراء .

فأمير مائة من له إمرة مائة فارس ، أي رئاسة هذا العدد الذي يشتريه من مال إقطاعه ، وله كذلك « مقدمة » أي قيادة ألف جندي من أجناد الحلقة وغيرهم (٨٧) ، على أن المائة هذه ليست إلا دليلاً على أن الحد الأدنى لأتباع صاحب هذه الرتبة هو مائة فارس فضلاً عن دلالتها على الرتبة في سلم الجيش المملوكي ، بمعنى أنه غير مقيد إذا اشترى أكثر منه ، ومصدق ذلك قول المقرئ « وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين » (٨٨) بل ربما نص ديوان الجيش في منشور الإقطاع والإمارة على هذه الزيادة ، مثل الأمير قرالاجين المنصوري ، الأستاذار الذي كان إقطاعه بإمرة ١٢٠ فارساً (٨٩) ، وبلغ ممالك قوصون نائب السلطنة وأتابك العساكر على عهد السلطان كجك بن الناصر محمد سنة ٧٤٢ هـ - ١٣٤١ م ، ٧٠٠ مملوك ، ولذلك كان يفخر ويتباهى بقوته ويقول : « ايش أبالي بالأمراء وغيرهم وعندى ٧٠٠ مملوك ألقى بهم كل من في الأرض » (٩٠) . كذلك بلغت ممالك يلبغا الأتابكي أتابك العسكر

أيام السلطان شعبان نحو ٣٠٠ مملوك منهم ، ٤ مقدمو ألوف غير العشرات (٩١) كما بلغت ممالكك يشبك الدوادار في عهد قايتباي ، ٤٠٠ مملوك « كاملين اللبس والجواشن على غالبهم وخيلهم لابسة (٩٢) » .

والمألوف أن يكون عدد الأمراء مقدمي الألوف بمصر ٢٤ أميراً ، وبلغوا ٢٥ في عهد الناصر محمد حين أمر السلطان الأمير الطنغا في سنة ٧٢٧ هـ — ١٣٢٦ م (٩٣) ، ووصل عددهم إلى ٢٦ في عهد الغوري سنة ٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م (٩٤) ولم يتجاوز عددهم هذا القدر طوال عصر السلاطين المماليك ، ومن هؤلاء أكابر النواب وأكابر الموظفين (٩٥) وهم على طبقتين : « خاصكية » مقربون إلى السلطان و « خارجية » دونهم في المركز (٩٦) .

وتراوح عبء إقطاع الواحد من مقدمي الألوف بين ١٠٠ و ٨٠ ألف دينار في السنة ، وهذا متوسط العبء أو القاعدة العامة ، وعبء إقطاع الخاصكي منهم نحو ١٠٠ ألف دينار وربما بلغ إقطاع بعض المقربين للسلطان نحو مائتي ألف دينار جيشية ، بل ربما زادت عن ذلك كثيراً فيقال : إن الناصر عين للألوف الخاصكية ٦٠٠ ألف دينار ، وللخارجية ٨٥ ألف دينار ، بسعر الدينار عشرة دراهم (٩٧) ، ومن المقدمين أصحاب الإقطاعات الثقيلة ، الأمير جاندار عز الدين بن أيك بن عبد الله الأفرم في عهد الناصر محمد ، قيل إن إقطاعاته وأملاكه بلغت ثمن الديار المصرية (٩٨) ، وبلغ متحصل إقطاع منكوتمر نائب السلطنة أيام لاجين ما نيف على ١٢٠ ألف إردب من الغلة « خارجاً عن المال والعين والقنود والأعسال والتمر والأغنام والأحطاب » (٩٩) وبلغت إقطاعات الأمير تنكز نائب الشام أيام الناصر محمد من الكثرة ، في مصر والشام ، ما جعله أغنى أمراء عصره ، كما بلغت إقطاعات الأمير بشتك الناصري ما يقدر بسبع عشرة إمرة طبلخاناه ، ومتحصلها مائتا ألف دينار في السنة (١٠٠) .

وترجع هذه الزيادات في الإقطاعات إلى عوامل كثيرة : أولها ضعف شخصية السلطان ، وثانيها مكانة الأمير من سيده ودرجة إثاره له ، فضلاً عن

طموح الأمير وظلمه ، كذلك لأحوال الفتن والاحتلال أثر كبير في اغتصاب الإقطاعات ؛ فمثلا حدث على أثر مقتل السلطان لاجين ونائبه منكوتر سنة ٦٩٨ هـ - ١٢٩٨ م (١٠١) ، أن طمع الأمير طغجي في السلطنة فدعا طغجي عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة (١٠٢) . وكاتب الروك الحسامي وسأله عن إقطاع النيابة ، فلما ذكره له قال طغجي : « هذا كثير ، أنا لا أعطيه للنائب » ، ورسم أن توفر جملة إقطاعات تضاف للخاص السلطاني ، وحين خرج الطويل من حضرة طغجي ، استدعاه كرجي وكان يطمع في منصب نيابة السلطنة وسأله عن إقطاع النيابة ، فلما عرفه استقله وقال : « هذا ما يكفيني ولا أرضى به » وعين له بلاداً يطلبها زيادة على إقطاع منكوتر (١٠٣) . ومعنى هذا وذاك أنه لم تكن هناك قاعدة تتبع أو تحترم ، بل قوة وتسلط .

ويتلو إمرة مائة في السلم العسكري المملوكي . إمرة طبلخاناه وهي إمرة أربعين ، بمعنى أن الإقطاع الذي يمنحه صاحب هذه المرتبة في الجيش ، يكتفي لشراء أربعين مملوكاً (١٠٤) ، وتختلف إمرة طبلخاناه عن رئاسة أربعين الموجودة ضمن التنظيم الإداري والفني لأجناد الحلقة ، فهذه رتبة في الجيش ، ومماليكه أتباعه يرتزقون من إقطاعه ، وعليه تجهيزهم . على أن بعض أمراء الطبلخاناه اشترى أكثر من هذا العدد ، نظراً لأنه صاحب إمرة ستين أو إمرة سبعين أو إمرة ثمانين ، لكنه لا يخرج عن رتبة أمير الطبلخاناه ؛ فمثلا شغل الأمير بلبان الرومي إمرة ستين في عهد السعيد بن بيارس (١٠٥) وربما أعطيت إمرة ستين تشريفاً لبعض الصغار من أبناء الأمراء كما حدث للأمير محمد بن أبي الفداء صاحب حماة إذ « تصدق » عليه الناصر بإمرية « وستين فارساً لخدمة طبلخاناه » ، وعمره يومئذ ٩ سنوات (١٠٦) ومنحت إمرة سبعين للأمير جاغان بعد الاتفاق على تولية الناصر سلطنته الثانية في سنة ٦٩٩ هـ - ١٢٩٩ م ، فلما جاء هذا الأمير من الشام « تلقاه بريدی وعلى يده منشور بإقطاع سبعين فارساً » (١٠٧) وتمتع كل من الأميرين بيارس المنصوري الدوادار ومغلطای أمير مجلس (١٠٨) ، بإمرة ثمانين في عهد الناصر محمد كذلك (١٠٩) .

واختلف عدد أمراء الطبلخانا من عهد إلى عهد، فبلغوا في أحد العهود ٤٠ أميراً وفي عهد الناصر محمد ٢٠٠ أمير ما بين خاصكى وخارجى (٥٤ أميراً خاصكياً و ١٤٦ أميراً خارجياً) . وبالإضافة إلى ممالكهم بلغوا ٨٢٠٠ فارس (١١٠) وبلغوا بالإضافة إلى أمراء العشرات ٣٠٠ أمير في عهد السلطان الغورى ، (١١١) .

وتراوح عبرة إقطاع الواحد من أمراء الطبلخانا ما بين ٤٠ و ٣٠ و ٢٣ و ٢٠ و ١٥ ألف دينار في السنة ولا يصل إلى ٤٠ ألفاً إلا الخاصكية ، ول هؤلاء الخاصكية امتياز آخر غير ارتفاع عبرات إقطاعاتهم ، وهو أن سعر الدينار الذى يحاسبون بمقتضاه ، عشرة دراهم ، أما الخارجى فسعر ديناره ٨ دراهم (١١٢) ، و عبرة إقطاع أصحاب الوظائف منهم نحو ٢٠ ألف دينار في السنة بسعر ٨ دراهم ، وذلك لمتولى الكشوفية في إقليم من الأقاليم . كما أن عبرة إقطاع الوالى من الطبلخانا ١٥ ألف دينار بسعر ٨ دراهم كذلك . وقد بلغ عدد أصحاب الوظائف من أمراء الطبلخانا ١٤ أميراً في عهد الناصر محمد في الدولة المملوكية الأولى ما بين كشاف ونواب وولاة ، ونقص هذا العدد إلى عشرة زمن السلطان الغورى ما بين زردكاش كبير ورأس نوبة ثان ودوادار ثان وحاجب ثان وأمير أخور ثان ومحتسب وخازندار ثان . ويلاحظ أن المقر المنصورى محمد بن السلطان الغورى كان من بين أمراء الطبلخانا ، ويشغل وظيفة شاد الشراخانا (١١٣) ؛

وإمرة عشرة دون إمرة الطبلخانا في مدرج الرتب العسكرية الإقطاعية في جيش الممالك ، وتقضى هذه الإمرة على صاحبها بإقامة عشرة ممالك وربما زاد إلى العشرين ، ويقال له في هذه الحالة أمير عشرين ، غير أنه يعد في العشرات من حيث الرتبة (١١٤) ؛ ومثال ذلك الأمير برسباى المؤيدى الإينالى أمير عشرين في عهد السلطان إينال ، ويشغل وظيفة رأس نوبة (١١٥) ، كذلك تمتع الأمير ناصر الدين الحسين من أمراء بنى تنوخ العرب بإمرة عشرين ، وصدر له منشور بعد روك الشام سنة ٧١٣ هـ - ١٣١٣ م ، وهو

ينص على ذلك العدد (١١٦) ويذكر ابن شاهين من هذه الإمارة العشرينية ،
عشرين أميراً (١١٧) .

وبلغ عدد أمراء العشرات في عهد الناصر نحو ٢٠٠ أمير مابين خاصكي
وخارجي ، فالخاصكية منهم ٣٠ أميراً والخارجية ١٧٠ أميراً ، والعدد الرسمي
لمضافيهم هو ألفا مملوك على أن عدد أمراء العشرات ، كغيرهم لم يكن ثابتاً
طوال عصر المماليك ، فلم يزيدوا على مائة وخمسة وثمانين أميراً زمن السلطان
قانسوة الغوري (١١٨) .

وتراوحت عبرة إقطاع الواحد منهم بين ١٠ و ٧ آلاف دينار في السنة
إلى ما دونها ، وتمتاز الخاصكية بأعلى عبرة بسعر ١٠ دراهم للدينار ،
أما الخارجية فعبرة إقطاع الواحد منهم ٧ آلاف دينار في السنة بسعر ٧ دراهم
للدنار (١١٩) ، والغالب أن يشترك أكثر من مقطع واحد من أولئك العشرات
في جهات الإقطاع الواحد ، مثل الأمير علان من ططخ الأشرفي (١٢٠) ،
أحد أمراء قايتباي ، فقد وقع جزء من إقطاعه بمدينة هارون بالأعمال البهنساوية
بالاشتراك مع الديوان المفرد . ومساحة بني هارون ١٦٢٥ فداناً وعبرتها ثلاثة
آلاف دينار ، وبها من الرزق أربعة أفدنة (١٢١) وكذلك كانت زفتي
شطونف وبهادر كفرها بالقلبوية مقطعة لخمس أمراء عشرات ، ومساحة
هذا الإقطاع ٢٩٢٠ فداناً ، منها ٥٦ فداناً للرزق ، والعبرة عشرة آلاف
دينار (١٢٢) .

أما أمراء الخمساوات فعددهم حسب تقدير ابن شاهين ٣٠ أميراً ،
بخدمة كل منهم خمسة ممالك ، ومنهم من هو صاحب وظيفة كغيرهم من الأمراء .
وهناك طائفة من الأجناد في مستوى أمراء الخمساوات ويقال لها « الأجناد
القرانيص » وهم « القديمو الهجرة » ممن بقوا في إمرتهم دون ترقية للإمرات
العالية (١٢٣) ، ولذلك يوصفون أحياناً بالعتق ، فيقال « القرانصة العتق » ،
كما يقال لهم كذلك « القرانصة » السيفية (١٢٤) ومن أمراء الخمساوات العربان :

الأمير عز الدين الحسن والأمير علم الدين الحسين والأمير سيف الدين إبراهيم من بني تنوخ بلبنان (١٢٥) .

ودون هذه الإمارات جميعاً ، إمرة أربعة وإمرة ثلاثة ، ويبدو أن هذه لم توجد في مصر بل اقتصرت على بعض أمراء العرب ولاسيما أمراء بني تنوخ . مثل الأمير عبد الله بن حجي ، ومع ذلك فلم يكن إقطاع هذه الإمرة مما يستهان به ، وهذا يدلنا من ناحية أخرى على أن عبء الإقطاع لم تخضع لرتبة صاحبه ، فمثلاً شمل إقطاع هذا الأمير التنوخي : نصف بلدة قلرون ونصف طردلا ونصف رمطون ونصف عين كسور ، وذلك ببلاد الشوف غربى لبنان (١٢٦) ، كذلك شمل إقطاع الأمير موسى بن مسعود التنوخي ، أمير ثلاثة ، زمن السلطان الناصر محمد : نصف أدفول ونصف الفسيقيين ونصف شطر ونصف ديرفيل ونصف عين حجية ببلاد الشوف (١٢٧) .

على أن نظام الترقية في دولة المماليك الإقطاعية لم يخضع لقاعدة معينة ، ويستفاد هذا من استقراء أحداث الترقية لأغلب المماليك ، وقد دلت هذه الأحداث على أن هناك طريقتين للترقية ؛ أحدهما بالطريق العادي المؤلف وهو التدرجى الطبيعى من رتبة إلى ما فوقها ، والثانى طريق الطفرة ، وعن الطريق الأول ، يبدأ المملوك الذى اشتراه السلطان بأن يضم إلى جيشه من المماليك بطباق القلعة ، فيرتبه الطواشى المقدم عليه عند الفقيه ليربيه « بالآداب والحشمة والحرمة » ، ثم يدرب هذا المملوك على أعمال الفروسية من الرمي بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل وغيرها (١٢٨) ، وتكون كسوته في تلك الفترة من الثياب القطن البعلبكي ومن الكتان الخام المتوسط ، ويدرج المملوك بعد ذلك في الحمامكية من ٣ إلى ٥ إلى ٧ دنانير في الشهر ، فإذا بلغ مبلغ الرجال ، أعتقه السلطان « وأخرج له خيلاً وقماشاً » ، وجعله أمير خمسة بإقطاع مقابل ووظيفة لائقة ، ثم يرتفع هذا المملوك في رتب الإمرة وربما أصبح سلطاناً (١٢٩) .

ولقد جاء عن هذا الطريق كثير من السلاطين المماليك ، الذين لم يرثوا العرش عن آبائهم ، مثال ذلك : شيخ المحمودى الحركسى ، الذى تسلطن سنة ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م اشتراه السلطان برقوق من أحد تجار المماليك يومئذ وهو الخواجا محمود شاه ، ودفع للتاجر ألفى دينار ثمناً له ، وأدخله الطباق المملوكية بالقلعة حيث تعين على الحامكية ، ثم أعتقه السلطان برقوق وأخرج له خيلاً وقماشاً وأعطاه وظيفة جمदार ثم قربه فصار خصكياً ، فساقياً ثم أمير عشرة وأمير أربعين ، وسافر إلى الحجاز أميراً للحج في سنة ٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م ، برغم ما عرف عنه من التبذل ، ثم ارتقى إلى إمرة مائة ومقدم ألف زمن السلطان فرج بن برقوق وتولى نيابة طرابلس ثم نيابة الشام وهى أرفع النيابات بعد نيابة السلطنة بمصر ، وبرغم هذه الترقية ، اتفق مع الخليفة المستعين ضد السلطان فرج وانتهى الأمر بقتل السلطان ومبايعة الخليفة المستعين بالسلطنة ، ولكن شيخاً عزل الخليفة بعد ثمانية شهور من سلطنته ، وتسلمن مكانه ، ومن السلاطين الذين سلكوا هذا الطريق ططر وإينال وبرسباى وجقمق وخشقدم وبلباى وتمربغا وقايتباى وغيرهم (١٣٠) .

ومن الأمراء المشهورين خايربك . وهو من مشتريات قايتباى ، أقام بالطباق وانتقل إلى الوظائف الإقطاعية ، فصار جمداراً ثم خاصكياً ثم أمير عشرة في سنة ٩٠٤ هـ = ١٤٩٥ م وأمير طبلخاناه في عهد محمد بن قايتباى ، وبهذه الرتبة أرسله السلطان محمد في سفارة إلى السلطان العثمانى بايزيد الثانى سنة ٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ م ثم ترقى إلى مقدم ألف أيام السلطان جانبلاط وشغل وظيفة حاجب الحجاب للسلطان الغورى ثم نائب حلب سنة ٩١٠ هـ - ١٥٠٤ م وأمره السلطان سليم على مصر بعد فتحها سنة ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ (١٣١) ، كذلك جان يردى الغزالى من ممالك قايتباى ، اشتراه وأعتقه وأخرج له خيلاً وقماشاً . ثم عينه الأمير تغرى بردى الأستاذار في وظيفة « شاد » ، أى مشرف ، في ضيعة بالغربية يقال لها « ميت غزال » ، فنسب إليها (١٣٢) ، وصار بعد ذلك جمداراً ، وتولى شف الشرقية ، ورقى إلى إمرة عشرة في أواخر عهد

قايتباى ، وشغل وظيفة محتسب القاهرة فى عهد الغورى ثم حجوية الحجاب ونائب صفد سنة ٩١٧ هـ = ١٥١١ م ، فنانب حماة ، واستنابه السلطان سليم بالشام على أثر فتحها عام ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م (١٣٢) .

أما طريق الطفرة فى السلم المملوكى ، فقد امتلأت به عهود السلاطين الضعفاء وعهود الفتن ؛ إذ يحدث أن يقفز المملوك أو الأمير من الجندية أو إمرة عشرة إلى إمرة مائة ، وليس من الضرورى أن تكون الطفرة لكفاية أو مقدرة أبدأها المملوك ، بل قد تكون الوسامة وجمال الصورة سبباً من أسباب الترقية غير العادية ، ومثال ذلك : الأمير طبرق أحد مماليك يوسف أخى السلطان حاجى بن الناصر محمد ، ارتقى إلى مقدمة ألف بمصر دفعة واحدة من الجندية عام ٧٤٧ هـ - ١٣٤٦ م (١٣٤) ، كذلك ارتقى الأمير طشتمر اللفاف أحد العشرات إلى إمرة مائة سنة ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ م ، وذلك فى عهد السلطان الطفل على بن شعبان دون أن يمر فى رتبة الطبلخاناه (١٣٥) ، ويعتبر السلطان برقوق بن أنس العثمانى من الذين ارتقوا عن هذا الطريق ؛ فقد قفز من الجندية إلى إمرة طبلخاناه ، دون أن يمر بإمرة عشرة ، وكذلك خشداشية بركة (١٣٦) ، ومن باب الطفرة كذلك أن يستولى الأمير على إمرتين ، فتضاعف المرتبة ، من حيث الإقطاع لا من حيث الإمرة ، كأن يكون أمير عشرة ويده من إقطاعها اثنان بقدر إمرتين ، ومثال ذلك إنعام السلطان برقوق فى سنة ٧٩٥ هـ - ١٣٩٢ م على الأمير موسى بن قمارى أمير شكار بإمرة عشرة زيادة على عشرته . ومن الطفرة كذلك ترقية الأمير من إمرة عشرة إلى إمرة طبلخاناه وهى إمرة أربعين مع إبقاء الإمرة السابقة معه ، فيصبح ما معه من الإقطاع معادلاً لإمرة مائة وتقدمة ألف مع أنه أمير طبلخاناه فقط . حدث ذلك للأمير برسباى المعاصر للسلطان جقمق وابنه عثمان (١٣٧) ، وربما قفز أمير عشرة إلى وظيفة مرتبتها لأمر مائة ومقدم ألف كالدوادارية الكبرى والأمير آخورية الكبرى ، مثل الأمير على باى أمير عشرة . أنعم عليه السلطان أحمد بن المؤيد شيخ سنة ٨٢٤ هـ = ١٤٢١ م بوظيفة دوادار كبير ، كما خلع على الأمير تغرى بردى وهو أمير عشرة كذلك ، وعينه أمير خور كبير (١٣٨) .

على أن النظام المملوكى سمح بالإقطاع لبعض رجال القلم ، مع أن العادة فى أرزاق هذه الطائفة هى « الرواتب » والمخصصات ، وأول شخصية من هذه الطائفة الخليفة العباسى بالقاهرة . إذ تمتع بإقطاع فضلا عما له من مخصصات راتبه (١٣٩) . مثال ذلك إنعام السلطان جقمق فى سنة ٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م على الخليفة القائم بأمر الله حمزة بألف دينار وإقطاع زيادة عما بيده (١٤٠) . واشتملت إقطاعات الخليفة المستنجد يوسف فى عهد السلطان إينال على دهشور بالحيزة ومساحتها ٣٠١١ فداناً ، وحين تسلطن طومان باى الثانى سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م ، أنعم على الخليفة المتوكل يعقوب بحصة ونصف وثلاث فى منشية دهشور (١٤١) .

ومن الفقهاء الذين تمتعوا بإقطاعات . الشيخ أبو عبد الله القاضى ، كان له إقطاع بالحلقة بدمشق ، ولما توفى سنة ٧٢٧ هـ - ١٣٢٦ م ، أعطى السلطان الناصر محمد إقطاعه لولده عثمان (١٤٢) ، والفقير المالكى الشيخ خليل بن إسحاق المعروف بابن الجندى كان « يرتزق من إقطاع بالحلقة » فى عهد السلطان شعبان (١٤٣) ، كذلك أنعم السلطان ططر « بإقطاع هایل » على الشيخ شمس الدين محمد الحنفى معلم المماليك بطباق القلعة (١٤٤) .

ومنح بعض السلاطين والأمراء كذلك الإقطاعات للمغنين والشعراء بل للنساء ، فمثلا أنعم السلطان حاجى فى سنة ٧٤٧ هـ - ١٣٤٦ م ، على أحد المغنين بإقطاع فى الحلقة زيادة عما بيده لأنه درب « أتفاق » جارية السلطان على الغناء (١٤٥) ومن بين أسباب النعمة على السلطان حسن أنه منح الإقطاعات الكثيرة للنساء (١٤٦) ومن الأمراء الذين منحوا الشعراء الإقطاعات الأمير تنكر ، حين قدم عليه الشاعر الطنبغا الجاوى - نسبة إلى مخدمه الأول الأمير سنجر الجاوى نائب غزة - ومدحه بقصيدة فأعطاه إقطاعاً بحلقة دمشق (١٤٧) .

وامتد الإقطاع فى بعض أزمنة الوباء والفتن والفوضى ، إلى فريق من طبقة العامة بمصر ومن أرباب الحرف المختلفة كالصناع وغيرهم ، فركب

هؤلاء « الخيول ولبسوا الكلفيات والقباء » تشبهاً بالأمراء المماليك ، وحدث هذا على أثر الوباء الذي حصل بمصر في عهد السلطان حسن في سنة ٧٤٩ هـ — ١٣٤٨ م (١٤٨) ، كذلك كانت « المقايضات والزولات » وبيع الأجناس لإقطاعاتهم في أزمته الغلاء ، من عوامل امتداد الإقطاعات إلى هذا الفريق ، وليس من المعروف أن أولئك المقطعين قاموا بمسؤوليات إقطاعاتهم من حيث ارتباطها بالخدمة الحربية أو الإدارية في دولة المماليك (١٤٩) .

بعض إقطاعات أبناء السلاطين = أولا السلطان شعبان =

الإقليم	الجهة المقطعة	المساحة بالفدان الإقطاعي	ما بها من رزق مستثناة من الإقطاع	العبرة بالدينار الجيشي	ملاحظات
البنسوية	آبة	١٤٣٤	٣٣	٦٦٠٠	إقطاع قاسم بن السلطان شعبان .
	{ البسقون وكفورها	٩٥٥٥	١٥٣	٣٠٠٠٠	إقطاع حسن بن السلطان شعبان .
	{ شطا وكفورها	١٥١٠	٥٥	٢٢٠٠٠	
القوصية	البلينا	٢٤٣٣٩	١٨٠	٢٠٠٠٠	إقطاع محمد بن السلطان شعبان .
	غرب قموله	٦٥٦٣	—	١٧٠٠٠	إقطاع أمير حاج بن السلطان شعبان .
الغربية	الميا والعسكر	١٠٠٥	٥	٥٠٠٠	إقطاع آتوك بن السلطان شعبان . (١٥٠)

بعض المقاطعات مقدسي الاكوف ١ - الأمير أزيك بن طليخ أتابك الساكر في عهد السلطان قايتباي

الاقليم	الجهة المقطعة	المساحة بالقدان الإقطاعي	ما بها من الرزق المستغناة من الإقطاع	العبرة بالدينار الجبشي	ملاحظات
القلية يية	سهرى والكورم الأخضر	٥٢٠٠	١٧٧	١٧٠٠٠	بالاشتراك مع ديوان اللخيرة ، وسهرى حالياً تتبع مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية . قلعة الآن تعرف باسم قرقندة .
الشرقية	قلعة وكفورها	٣٢٩٠	١٣٦	—	الزمرورية حالياً تتبع مركز ميت غمر بالدقهلية . هذه الجهة غير موجودة حالياً .
	التاين وكفورها	٢٧٧٧	١٣١ و ٥	٥٠٠٠	
	الزمرورية	٨٣٦	٥٧	٢٠٠٠	
الدقهلية والمرقاحية	العريون والصافي كفرها	٢٥٦	٩٨	—	بالاشتراك مع الأمير تراز الشمس قريب السلطان قايتباي .
	منية بني سلسيل	٢٥٤٢	٥٩	٩٣٠٠	
	هورين قعاية	٤٢٤	١١٦ و ٥	بحق النصف	
المنوفية	بير سنس	١٩٥٩	٤٨	٦٧٢٠	لم تعين لها مساحة في الروك الناصري وبيع منها جزء قبل إقطاعها لأزيك .
	شطانوف وكفورها	—	—	١٤٠٠٠	
	محلة سبك	١٢٤٦	٦٣	٥٠٠٠	

(١) الأمير أزيك بن طليخ تنسب إليه الأربكية الحالية فهو أول من عمرها وأصلحها منذ سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) بدان كانت خربة ، وبها بعض الأشجار وقد أقطمها له السلطان قايتباي وبدأ عمارتها ببناء مناج جلماله ثم بني الدوار والمواصل كما بني مسجداً وحوله عدة حوانيت وبيع منها جزء (١٤٩٨ م) (بدائع الزهور ج ٢ ص ١٦٤ - ١٦٥ ، التحفة السنية ص ١١ و ١٢ و ١٦ و ١٨ و ١٩ و ٩٩ و ١٠٣ وغيرها من الصفحات ، الدليل الجغرافي) .

تابع ما قبله : ١ - الأمير أزبك بن طليخ أتابك الساكر في عهد السلطان قايتباي
بعض الملاحظات مقدسي الأكوني

الولاية	الجهة المقطعة	المساحة بالفدان الإقطاعي	ما بها من الرزق المستقتاة من الإقطاع	المسيرة بالدينار البلخي	ملاحظات
ليبار وجزيرة بن نصر	قليب	١٨٤٨	-	٢٥٠٠	قليب مركز كفر الزيات بالفرية في العصر الحاضر
البحيرة	الشراك نقانة	١٦٤٣	١٠٩	٤٨٠٠	لا توجد حالياً
قوة والزاويتين البنفساوية	منية بني مرشد أبو جرجا وكفورها	٢٢٦٢	١٦٤	١٤٠٠٠	لا توجد حالياً
الأشوريين	الحافر	٢٢١٨	٢١	٤٢٠٠	منافسة مع أحمد الأبراه وعلها أبو جرج مركز بني مزاد باليثيا .
السيوطية	مسط رشيد وكفورها	٨٦٨	-	٢٥٠٠	الحافر مركز الواسطي بني سوينف
	مسار	٧٥٢٤	١٢٩	٢٢٠٠٠	لا توجد حالياً .
	ملوى	٤١٥٩	١٨٤	٤٢٥٠	سار مركز ديروط بأسيرط .
	الملك	٤٨٧٠	٧٥	١٠٠٠٠٠	ملوى مركز ملوى بأسيرط .
	ببشاي	٣١٧٠	١٣٣	١٣٠٠٠	لا توجد حالياً .
	مشطا وجزوتها	٤٥١٢	٣٥	٦٠٠٠	لا توجد حالياً .
القوصية	دير كهس والبلاص فاربعش	٥١٥٤	١٨	٨٥٠٠	تبع مركز طما بجرجا
		٤٦٤٧	٤٠	٥٥٠٠	البلاص تتبع قنا حالياً أما دير كهس فغير موجود .
		١٣٤٠٠	١٥٤	٢٥٠٠٠	الموجود حالياً فاربعش التابعة لقنا وفار قبل التابعة لجرجا وفار قبل التابعة لمركز دشنا بقنا .

بعض اقطاعات امراء الطبليخاناه في عهد السلطان شهبان بن حسين

(٧٦٤ - ٨٧٨ - ١٣٦٢ - ١٣٧٦ م)

١ - الأمير علي بن منجك اليوسفي

ملاحظات				
انتقل هذا الإقطاع بعد الأمير علي إلى الديوان المفرد (١) أما البر موزين فلمها البرامون المالية التابعة للمنصورة .				
المساحة	الرزق	النبوة		
٢١٤٠	٤٥	٦٠٠٠		
٢ - الأمير عبد الله بن بكتمر				
٣٤٠٠	٢٥	٦٠٠٠		
٢٧٧٨	٧٥	١٥٠٠		
الإقليم	الجهة المقطعة			
الدقهلية	البر موزين			
الغربية	ابنيس وكفورها			
الأشمونيين	معصرة الرييون ونعرف بالروضة الجمالية			

(١) بدائع الزهور ج١ ص ٢٣٥ التحفة السنية ص ٤٦ . الدليل الجغرافي .

(٢) التحفة السنية ص ٦٤ ، الدليل الجغرافي .

(٣) بدائع الزهور ج١ ص ٢٣٥ ، التحفة السنية ص ١٨ ، الدليل الجغرافي .

بعض القطاعات امراء العشرات

١ - الأمير خضر بن بكتمر أمير عشرة في عهد السلطان شعبان

الأقليم	الجهة المقطعة	المساحة	الرزق	العبرة	ملاحظات
الفيومية	أبهيت واطحور الالهني وأقصاها	١١٠٤	-	٢٧٥٠	أبهيت اطحور تابعة الآن لمركز سنورس بالفيوم (١) .

٢ - الأمير دولات باش الحسني
أمير عشرة في عهد قايتباي

القليوبية الاشمونيين	العصاوية	٨٣١	١١٧	١٠٠٠	العصاوية تابعة الآن لمركز طوخ قليوبية لا توجد هذه البلدة حاليا (٢) .
-------------------------	----------	-----	-----	------	-------------------------------------------------------------------------

٣ - اشتراك بعض الامراء المشتراة في الجهات
المقطعة لهم بالأقاليم المختلفة

الشرقية	دماص	٣٢١١	١٥٧	١٦٠٠٠	باسم خمسة امراء عشراة ودماص حاليا تابعة لمركز ميت غمر دقهلية
الغربية	ابشويه الملق	٤٧٨٥	١٥٧	٢٣٠٠٠	باسم عشرة امراء عشراة وامل ابشويه هذه ابشواي الملق التابعة لمركز طنطا غربية .
المنوفية	قورص	٥٢٩	٢٢	٣٠٠٠	باسم خمسة امراء عشراة ، وقورص حاليا لا تزال تابعة للمنوفية (٣) .

- (١) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٣٥ ، التحفة السنية ص ٤٣ ، الدليل الجغرافي .
 (٢) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٥٠ ، التحفة السنية ص ٨ و ١٨٠ و ١٨١ ، الدليل الجغرافي .
 (٣) تغيرت عبرة ابشويه فنقصت إلى ١١٢٥٠ ديناراً كما نقصت عبرة أسيرط إلى ١٢٥٠ ديناراً (التحفة السنية ص ٣٠ و ٧١ و ١٠٨ ، الدليل الجغرافي) .

بعض الجهات الخاصة بحوامك الممالك السلطانية بالاشتراك مع إقطاعات أجناد الخلقة

الاقليم	الجهة	المساحة	مائها	العبرة	ملاحظات
الشرقية	المدينة وهي بلبليس أبر العيال	١٨٥٠ ٤١٣	—	١٢٠٠ ١٣٠٠	استقرت عبرتها في سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) على عهد السلطان فرج بن برقوق بحق النصف واشترك معهم بعد ذلك المربان كما شملت أوقاف أبر العيال ويتبع مركز منيا القمع ويعرف باسم الحيدية حاليا .
	أبر ردين	٢١٥٠	٥٩	١٤٠٠٠	استقرت المبرة في سنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) على عهد السلطان فرج كذلك بحق النصف ، ولعل أبر ردين هذه بردين الحالية التابعة لمركز الزقازيق بالشرقية .
	بر قبيد المرزيرية	٨٤٠ ٢٠٧٠	٤٤ ٦٦	٣٠٠٠ ٧٦٠٠	بالاشتراك مناصفة مع الأمير تراز الشمس دون الخلقة ، بالاشتراك مناصفة مع الأمير تراز الشمس دون الخلقة ، والمرزيرية حاليا تابعة لمركز منيا القمع بالشرقية .
	بني عبد الله سمناس من حقوق بني والأمدية البحر الخروق	٣٦٥	٢٢٥	—	بالاشتراك مع السلطانية دون الممالك السلطانية ولا يوجد هذا الاسم حاليا .
البحيرية		٢٦٧٦	٦٧٥	٥٠٠٠	الممالك السلطانية دون الخلقة وتتبع حاليا مركز الانجيات بالبحيرية .
البيضاوية	أشنت	١٣٦٤	٩٢	٤٠٠٠	للممالك السلطانية دون الخلقة وأشنت تتبع بني سوييف حاليا

(١) التبعة السنية ص ١٤ ، ١٥ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ٢٩ ، ٢٦٢ ، ٣٢ ، ١٥٤ ، الدليل الجغرافي .

تابع ما قبله

بعض الجهات التابعة للديوان المفرد المخصصة لجوامك الممالك السلطانية

الإقليم	الجهة	المساحة بالقدان	ما بها من رزق	المبرة بالدينار	ملاحظات
الفيومية الأشورين السيوطية	أفلول منية بني خصب (١) وكفورها الحموص وكفورها	١١٨٧ — ٢٤٥٦٣	— — —	٢٥٠٠ ٣٨٨٠٠ ٧٢٠٠٠	لا توجد أفلول حالياً . لم تسج في الروك الناصري ولا توجد هذه البلدة حالياً . المساحة مفصلة بالنقا والخرس : نقا ٦٧٣٧ فداناً وخرس ١٧٨٢٦ فداناً ولا توجد حالياً . المساحة مفصلة بالنقا والخرس نقا ٤٠٩٠ وخرس ٣٠٠٠ فدان وتقع أرمنت حالياً قنا . المساحة مفصلة بالنقا والخرس : نقا ٦٢٤٢ وخرس ٣٢١ فداناً (٢) . غير موجودة حالياً .
القروصية	أرمنت الدمقرات غرب قنولة	٧٠٩٠ ٦٥٦٣ —	— ٤٩ —	١٤٠٠٠ ١٠٠٠٠ ١٧٠٠٠	

(١) راجع الفصل الأول .

(٢) التبعة السنوية من ١٥٠٠ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، الدليل الجغرافي .

هوامش الفصل الخامس

- (١) صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٠ .
- (٢) هذا النائب هو الأمير اقوش الأشرفي جمال الدين نائب السلطان الناصر في الكرك، وقد رفض بهذه التأشير الموافقة على إقطاع ذلك الطالب (الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٩٦) .
- (٣) التحفة السنية ص ٧٣ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، ١٤٥ ، ١٥٤ .
- (٤) وقع أغلب الخا ص السلطانى فى عهد الأيوبى فى بلاد الفىوم مثل سنورس و غير ها (الصفدى تاريخ الفىوم ص ١٠٧ وما بعدها) .
- (٥) التحفة السنية ص ٧ .
- (٦) التحفة السنية ص ١٣٧ .
- (٧) التحفة السنية ص ١٥٤ .
- (٨) انظر الفصل السابع .
- (٩) النجوم الزاهرة ج ٩٩ - ١٠٠ - ١١٠ .
- (١٠) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٨٢ .
- (١١) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٢٧ ، السلوك مخطوط ج ٣ ص ٣٠٨ .
- (١٢) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣ ، انظر الجدول الخاص ببعض إقطاعات أبناء السلاطين .
- (١٣) السلوك مخطوط ج ٣ ص ١٢ و ١٠١ و ١١٠ و ١٢٩ ، النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٠٩ وحاشية - ١ و ٣١٠ ، دول الإسلام ج ١ ص ٢٩ ، أعيان المصر ج ٤ (غير مرقم) .
- (١٤) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١١ .
- (١٥) أعيان المصر ج ٤ (غير مرقم) .
- (١٦) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١١٩ .
- (١٧) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٠٩ - ٣١٠ .
- (١٨) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣١٧ ، السلوك (مخطوط) ج ٣ ص ١٢ .
- (١٩) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٠٩ - ٣١٧ .
- (٢٠) الأمثلة لكل جنس من هذه الأجناس واضحة ، فأغلب سلاطين الدولة المملوكية من الترك ، مثل بيبرس وقلاوون وأغلب سلاطين الدولة الثانية من الجراكسة مثل برقوق وبرسباى ، وهناك المغول مثل كتبغا فى الدولة الأولى ، والألمان مثل لاجين فى الدولة الأولى ، ومن الروم أو اليونان ، خشقدم وتمرغا فى الدولة الثانية . والقول بأنهم اشتروا من أسواق الرقيق المختلفة وأشهرها القسطنطينية وكافا فى القرم ، دليل واضح على تنوع أجناسهم ، والملاحظ أن الطاعون

الأسود الكبير الذى اجتاحت أوروبا عام ١٣٤٨ قد أدى إلى بيع نحو ٢ مليون من مختلف أنحاء أوروبا رقيقا في مصر ، كما أنه عند نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، جد بين ممالك مصر كثير من صقلية وأرجونة وقطالونيا وعدد كبير من المجرىين الذين أسره العثمانيون وهكذا . .

(٢١) اختلف في تفسير كلمة الحلقة فيقال إنها سميت كذلك لأنها تتكون من فرقة تحيط بالسلطان ، كحرسه الخاص ، وربما أخذت التسمية من التكتيك الخاص الذى كانت الفرق المملوكية تستعمله في الهجوم ، وهو الإحاطة بالعدو ، وربما لهذا صلة « بحلقة الناورد » وهى مكان المبارزة بالرمح في الميدان أو إلى الدرع الذى يلبسه المحارب من هذا الفريق ، ومن معاني الدرع الحلقة . (الرماح : الفروسية - مخطوط ص ٥٩ - مكتبة الحرم المكي الشريف رقم ٥٠ ، القاموس المحيط) .

(٢٢) أجناد الحلقة أنواع ، أولها البحرية ومهمتهم حراسة السلطان بالقلعة ، أو حيثما يكون ، وثانيها ممالك المهمات الشريفة ، وهم الذين يرسلهم السلطان في سفاراته ، وثالثها ممالك الغيبة الذين يعينهم السلطان ، بالمراكز التى يحددها لهم بمصر والقاهرة خلال غيبته ، والنوع الرابع وهو الأخير فئة تخدم في بيوت الأمراء - (زبدة كشف الممالك ص ١١٦ ، أنباء الغمر ج ٢ ص ٢٢٦ ، السلوك ج ١ ص ٦٧٣ ، خطط ج ١ ص ١٥٣ ، ص ١٥٨ انظر الجلول فيما يلي)

(٢٣) زبدة كشف الممالك ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢٤) مسالك الأبصار ج ٢ ص ٣٨٣ ، خطط ج ٣ ص ٣٥٠ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٣ ، انظر رتب الجيش المملوكى فيما يلي .

(٢٥) زبدة كشف الممالك ص ١١٦ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٤ .

(٢٦) السلوك ج ١ ص ٦٧٣ وحاشية - ٨ و ٦٧٤ ، انظر ما يلي .

(٢٧) بلغ عدد مقدمى الحلقة في عهد الناصر محمد ١٨٠ مقدا .

(٢٨) خطط ج ٣ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٢٩) صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٠ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٣ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٣ .

(٣٠) خطط ج ٣ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٦ - ١٧ .

(٣١) التحفة السنية ص ٧٠ .

(٣٢) طباق الممالك السلطانية ١٢ طبقة ، كل طبقة منها قدر حارة ، وتشتمل على عدة مساكن يسع كل مسكن ألف مملوك ، وتسمى كل طبقة بأسماء الجهات التى ينتسب إليها سكانها من

الممالك ، فتلا طبقة الغور نسبة إلى بلاد الغور ومنها قانصوه الغورى (٥٩٢٢ - ١٥١٦ م) ويقال إن الناصر محمد عمر هذه الطباق ، ويتعلم الممالك في هذه الطباق قراءة القرآن ومبادئ الدين . (زبدة كشف الممالك ج ٢٧ ، خطط ج ٢ ص ٢١٣) .

(٣٣) من أمثلة أصحاب الوظائف من المماليك السلطانية : السقا والسلاح دارية والطبردارية والبريدية ، الجاشنكيرية والحمدارية والجمقدارية والبشمتق دارية وغيرهم ، فأما السقا فيتولون السماط وتقطع اللحم وسقى المشروب بعد رفع السماط ، والجمقدارية حاملو الملابس والحمدارية يلبسون السلطان أو الأمير ملابسهم والبشمتقارية يحملون نعل السلطان أو الأمير ، من بشمتق بمعنى نعل في التركية . (زبدة كشف الممالك ص ١١٦ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢) .

(۳۴) بدائع الزهور ج ۲ ص ۵۷ و ۸۱ ، خطط ج ۱ ص ۱۵۳ .

(٣٥) المصادر السابقة .

(٣٦) زبدة كشف الممالك ص ١١٦ .

(٣٧) اهتم قلاوون بماليكه اهتماماً بالغاً في ملابسهم وتدريبهم (الجواهر الثمين ج ٢ ورقة ١٢٠ - ١٢١ ، انظر الملابس بفصل المجتعم) .

(٣٨) نزعة الأنام ورقة : ٢٨ ، خط ج ١ ص ١٥٣ .

(٣٩) بدائع الزهور : ج ٢ ص ٨١ ، تاريخ الملك الأشرف (مخطوط غير مرقم) .

(٤٠) خطط ج ٣ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٣ و ٢٠٥ .

(٤١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٤ - ٢٠٦ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٢١ ، انظر رتب الجيش فيما يلي .

(٤٢) انظر الجداول الملحقه .

(47)

(٤٤) التيسير والاعتبار ورقة ١٦ - ١٧١ ، خط ج ٣ ص ٣٥٤ .

(٤٥) فزعة الأنام ورقة - ٢٨ .

(٤٦) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٧٣ .

(٤٧) أنشأ السلطان برقوق هذا الديوان حين ضعف شأن الوزارة ، بأن أفرد لإقطاعه الذي كان يبيده قبل السلطة ديوانا أسماه «الديوان المفرد» وجعل رئاسته للاستادار ، كما جعل صرف متحصله إلى الممالك الذين اشترأهم ، وتطور هذا الديوان واتسعت سلطته في أواخر عهد المماليك وأوائل العهد العثماني ، حتى صار يشرف على الإقطاعات والأوقاف والرزق (بدائع الزهور ج ٣ ص ١٤٤ و ١٨٩ زبدة كشف الممالك ص ١٠٧ ، تاريخ مصر في مجلد مخطوط ورقة ٣) .

(٤٨) زبدة كشف الممالك ص ١٠٧ ، انظر بعض الجهات التابعة للديوان المفرد بالجدول

(49)

(٥٠) البيزنطية عملة ذهبية ضربت أولا في بيزنطة .

(٥١)

(٥٢) حضر الكونت أرناط أولا مع لويس السابع واشترك في حصار عسقلان سنة ١١٥٣م ثم ذهب بعد رحيل لويس ، إلى أنطاكية حيث أعطاه ريموند أميرها جامكية راتبه ، وبعد مقتل ريموند ، تزوج أرناط من أرملة ، فاتسع نفوذه حتى غدا من كبار الإقطاعيين ، واستقل بالكرك .

(٥٣) نشأت هذه الفرقة أولا عند البيزنطيين على أثر هزيمتهم أمام السلاجقة في ملاذ كرد عام ١١٧٠ ، وتستخدم هذه الفرقة طريقة الترك في الحرب ، وقد أخذ الصليبيون هذا النظام من البيزنطيين . (انظر مفرج الكروب - نشر الشيال - ج٢ ص ١٤٩ حاشية ١) .

(٥٤) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٥٥) المصدر السابق .

(٥٦) أورد ابن شاهين فيما أورد عن عدد الجيش المملوكي وفرقه ، عدة أجناد الأمراء بمصر وخارجها فذكر : ٧ آلاف مملوك لأمراء مصر وثلاثة آلاف لنائب دمشق وأمرائها وألفا لنائب حلب وأمرائها وألفا لنائب طرابلس وأمرائها وألفا لنائب صفد وأمرائها وألفا لنائب غزة وأمرائها ، بالإضافة إلى ما بها من جند الحلقة (زبدة كشف الممالك ص ١٠٤ - ١٠٥) .

(٥٧) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠٧ .

(٥٨) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٣ - ٣٨٤ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص ٤٤ .

(٥٩) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠٧ .

(٦٠) صبح الأعشى ج٤ ص ٦٢ ، خطط ج٣ ص ٢٥٠ .

(٦١) ٨ مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٣ - ٣٨٤ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص ٤٤ .

(٦٢) انظر الفصل الخامس هذا القسم .

(٦٣) من أمثلة « مشيخات » العربان بمصر ، مشيخة عربان الشرقية التي استقرت في بيت عبد الدائم بن بقر في أواخر عصر المماليك ، وفي الغريبة في بيت حسن بن مرعى وأخيه شكرى وفي الصعيد في بيت علي بن عمر (بدائع الزهور ج٣ ص ١٧٧ - ١٧٨ و ١٨٧ ، ١٩١ ، الضوء اللامع ج٣ ص ١٧) .

(٦٤) المقرئى ، البيان والإعراب ص ٣٣ - ٣٥ ، صبح الأعشى ج٤ ص ٤٩٢ ، زبدة كشف الممالك ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٦٥) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠١ .

(٦٦) الإعراب ورقة ٩٨

(٦٧) الإعراب ص ٣٥ ، التحفة السنية ص ٢٨ .

(٦٨) الإعراب ص ٣٥ ، التحفة السنية ص ٣٤ .

(٦٩) ٨ مساحة هريبط الإجمالية ٤٨٤٠ فداناً وعبرتها ٧٥٠٠ ديناراً (التحفة السنية ص ٤٥ الإعراب ص ٣٥) .

(٧٠) الإعراب ورقة ١٠٠ .

(٧١) التعريف ص ٧٦ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٩ - ٧٢ .

(٧٢) قام إسماعيل بن مازن بإقطاعه حتى قتله منافسوه ، فولى المشيخة من بعده عمر بن عبد العزيز الهواري إلى أن مات وخلفه ابنه محمد المعروف بأبي الشون وقد عظم أمره وكثرت أمواله - (الإعراب ورقة ٩٧)

(٧٣) الإعراب ورقة ٣٥ - ٣٨ و ٤٦ و ٥٣ و ٦٠ ، مسالك الأبصار ج ٣ ورقة ٤٦ ، ٥٦ صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٧ - ٦٩ .

(٧٤) التعريف ص ١٧٥ .

(٧٥) السلوك ج ١ ص ٤٨١ حاشية ٦ .

(٧٦) مسالك الأبصار ج ٣ ورقة ٤٢٦ - ٤٢٧

(٧٧) المصدر السابق .

(٧٨) يدعى آل فضل وآل مراد وآل علي أنهم من ولد جعفر بن يحيى البرمكي من العباسية بنت المهدي ، وأتباعهم من أشقات العرب ، ودونهم عربان بنو مهدي بالبلقاء وزبيد بحوران وبنو خالد بخص (التعريف ص ٧٩ ، زبدة كشف الممالك ص ١٠٥ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٧٢ وما بعدها ، مسالك الأبصار ج ٣ ورقة ٢٣ ، ٢٤) .

(٧٩) أسس آل دلفادر دولة وانتشروا حول مرعش وكثروا حتى ملكوا ملطية وغيرها ، وأول من برز فيهم قراجا بن دلفادر المتوفى سنة ٨٧٥٤ (١٣٥٣ م) وتوقفت الإمارة فيهم على من عداهم من التركان ، على مدى علاقتهم وولائهم للمماليك ، فثلا حاربهم السلطان صالح ، وأقرهم برقوق والمؤيد ، وظلوا كذلك حتى قضى عليهم العثمانيون سنة ٩٢٨ هـ - ١٥٢١ م ، (القرماني : أخبار الدول ص ٣٢٩ - ٣٤٠ ، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٥) .

(٨٠) ابن رمضان أو الدولة الرضائية تغلبت على بعض البلاد وأول من ظهر فيهم أحمد ابن رمضان الذي ناوش المماليك أكثر من مرة ثم خضعت دولته لهم والعثمانيين من بعدهم (أخبار الدول ص ٣٤٠ - ٣٤٠ م) .

(٨١) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٤٢ - ٤٣ .

(٨٢) هناك طوائف متفرقة من التركان الخاضعين للمماليك ، جاء ذكرهم بالإحصائية التي أوردها ابن شاهين عن عدد القوات المملوكية أوسط القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي ، منها : ابن كبك والبازائية وابن شعاسير والأوزارية - بوز جالولا - المرعشكولار - الأراكية -

بكلنتو - اوج اغلو - الإينالية - الحربتلية - الكنتولية - القبجولية . . . وهؤلاء بدورهم ينقسمون إلى فروع كثيرة . (زبدة كشف الممالك ص ١٠٤ - ١٠٥ ، أخبار الأعيان ص ٣٤٦) .

(٨٣) زبدة كشف الممالك ص ١٠٥ .

(٨٤) عيون التواريخ ج ٢ ص ١٢٠ .

(٨٥) عرف محير الدين هذا بكثرة الأولاد والأتباع والكلفة والديون ، توفي سنة ٥٧٢٦ م (١٣٢٥) (ابن الجزري : تاريخ جليل ورقة ٩٣) .

(٨٦) درة الأسلاك ج ١ ص ٧٦ و ١٤٢ .

(٨٧) عرف التنظيم العشري عند الجرمان القدماء ، وكذلك عند المغول ، كما وضع في كتاب « ياسة » لجنكيز خان (ت ٨٦٢٤ - ١٢٢٧ م) ، وعرفت هذه الرتب كذلك في العصر العباسي حيث كان على كل عشرة رجال عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء بجنودهم (أى ١٠٠ رجل) نقيب ، وعلى كل عشرة نقيب بجنودهم (أى ١٠٠٠ رجل) قائد ، وعلى كل عشرة قواد بجنودهم (أى ١٠٠٠٠ رجل) أمير ، وربما كان الطراز الذى تطرز به ملابسهم مبنياً به رتبة لابسهم على نحو ما هو حاصل في أيامنا ، (انظر : خطط ج ٢ ص ٢٢١ ، تآكيوس والشعوب الجرمانية - ترجمة المؤلف - ص ٥٢ - ٥٣) .

(٨٨) زبدة كشف الممالك ص ١١٣ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٨٣ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ١٣٨٣ .

(٨٩) توفي هذا الأمير سنة ٨٧١٥ - ١٣١٥ م ، انظر منشور إقطاعه بالملاحق .

(٩٠) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٤٠ .

(٩١) بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٧ - ٢١٩ ، السلوك مخطوط ج ٣ ص ١٦٨ .

(٩٢) تاريخ يشبك مصور ورقة ١٤ - ١٥ .

(٩٣) السلوك ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٩٤) بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٠٢ .

(٩٥) هؤلاء الأمراء الكبار تنظيم خاص بديوان الجيش يتعلق بمراكزهم في الجيش إذا خرج لقتال ، فيسجل كاتب الجيش أمراء الميمنة والميسرة والجالس أمام قلب الجيش وهو المقدم ، وهذا تسجيل مختصر ، إذ لا يذكر فيه أتباع كل أمير (نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٤ و ٢٠٦ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٤) .

(٩٦) الخاصكية هم الملازمون للسلطان في خلواته ويسوقون المحمل الشريف ، ويرسلون في المهمات الشريفة ، منهم النائب والوزير وأتابن العسكر ، أما الخارجية فهم عامة الأمراء ودونهم في المركز الأدبي والمادى ، على أن هذا التقسيم ، إلى خاصكى وخارجى ، ليس مقصوراً على طبقة الأمراء المقسمين ، بل شمل كل مراتب الجيش حتى إمرة عشرة ، ويختلف عددهم

من عهد إلى عهد ، وهذا راجع إلى مدى ما يراه ولي الأمر من تقريب البعض ، كثر أو قل ، فبلغوا مثلاً في عهد الناصر ٤٠ خاصكيا ، ووصلوا في عهد برسباى إلى ألفٍ خاصكى (زبدة كشف الممالك ص ١١٥ - ١١٦) .

(٩٧) التيسير والاعتبار ورقة ١٥ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٠ ، خطط ج ٣ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٩٨) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٨٠ - ٨١ وحاشية - ١ و - ٢ .

(٩٩) السلوك ج ١ ص ٨٤٤ ، فتوح النصر ج ٢ ورقة ١٨٨ ، تاريخ يبرس ورقة ٧٥ .

(١٠٠) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٥١ - ١٥٩ و ج ١٠ ص ٧٤ - ٧٥ ، السلوك ج ٢ ص ٥٠٦ - ٥١٠ .

(١٠١) ساعد الأمير كرجى الأمير لاجين في الوصول إلى السلطنة ، وحاول منكوتمر إبعاده عن مصر بأن اقترح على السلطان سنة ٨٦٩٧ - ١٢٩٧م تعيينه قائماً ببلاد سويس بأطراف المملكة الشمالية ، ووافق السلطان ، لكن كرجى لم يقبل ودخل على السلطان لاجين متوسلاً « ورمى سيفه وسأله الإعفاء من التوجه وأن يكون في الخدمة بالباب بغير إقطاع » . أما طنجى فهو مقدم البرجية في عهد لاجين ، واتفق كلاهما على قتل السلطان ونائبه (النهج السديد ص ٦١٠ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٠٢ - ١٠٥ و ١٨٣ و ١٨٨) .

(١٠٢) مستوفى الدولة من كتاب الأموال بالدواوين ومهمته ضبط الديوان التابع له والتنيه على ما فيه مصلحته (صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩ ، ج ٥ ص ٤٦٦) .
(١٠٣) السلوك ج ١ ص ٨٦٥ - ٨٦٦ .

(١٠٤) خطط ج ٣ ص ٣٥٠ - ٣٥١ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٣ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٠ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٣ .
(١٠٥) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٥٠ .

(١٠٦) أرسل الناصر لهذا الصبي تشريفاً فاخراً من الثياب المرصعة بالؤلؤ (تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ٩٢) .

(١٠٧) عيون التواريخ ص ١٩٠ والنجوم الزاهرة ج ٨ ص ٦٥ - ٦٧ .

(١٠٨) يختص أمير مجلس بالإشراف على الأطباء الكحالين وغيرهم ممن يخدمون السلطان (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨) .

(١٠٩) يبرس الدودار المؤرخ من مشتريات السلطان قلاوون رباه وولاه نيابة الكرك ، وتاريخه المهم « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » في أحد عشر مجلداً . توفي سنة ٨٧٢٥ (١٣٢٤م)
(النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤ و ٥ و ١١ و ٢٦٣ - ٢٦٤ ، السلوك ج ٢ ص ١٨٥) .
(١١٠) التيسير والاعتبار ورقة ١٥ .

(١١١) بدائع الزهور ج ٣ ص ٤٥ ، ج ٤ (نشر الدكتور محمد مصطفى) ص ٣١ - ٣٢ .

(١١٢) خطط ج ٣ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٠ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٣ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٥ .

(١١٣) بدائع الزهور ج ٤ ص ٣١ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٥ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ زبدة كشف الممالك ص ١١٣ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٣ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٣) .

(١١٤) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٣ .

(١١٥) حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٢٦١ .

(١١٦) تاريخ بيروت ص ٩٢ - ٩٣ ، انظر المنشور بالملاحق .

(١١٧) زبدة كشف الممالك ص ١١٣ .

(١١٨) بدائع الزهور ج ٤ ص ٣٢ .

(١١٩) التيسير والاعتبار ورقة ١٥ خطط ج ٣ ص ٣٥١ ، ٣٥٤ ، زبدة كشف الممالك ص ١٣٣ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٠ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٣ ، انظر الجدول الملحق لوظائف أمراء العشرات .

(١٢٠) توفي هذا الأمير سنة ٥٨٨٦ - ١٤٨٢م (انظر الضوء اللامع ج ٥ ص ١٥٠) .

(١٢١) التحفة السنية ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(١٢٢) التحفة السنية ص ٣٠ .

(١٢٣) زبدة كشف الممالك ص ١١٣ .

(١٢٤) زبدة كشف الممالك ص ١١٥ .

(١٢٥) تاريخ بيروت ص ٩٤ .

(١٢٦) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .

(١٢٧) أخبار الأعيان ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، تاريخ بيروت ص ٩٤ .

(١٢٨) المبارزة بالرمح والمطاردة وغيرها من التدريب الفنى الدقيق وأصول الفروسية ، يكتاب ، هو بحق « دستور الفروسية » (الرماح : الفروسية والمناصب الحربية - مخطوط بمكتبة الحرم الشريف المكي صفحات ٨٤ و ٩١ و ٩٥ وغيرها) .

(١٢٩) السلوك ج ٢ ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .

(١٣٠) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٥٥ ، ج ٢ ص ٣ ، ٨ ، ١٣ ، ٣٩ - ٤٠ ، طرخان مصر فى عصر المماليك الجراكفة ص ٢٩ - ٣١ .

(١٣١) بدائع الزهور ج ٣ ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(١٣٢) ذكر ابن إياس أن هذه القرية بالشرقية والواقع أنها بالقرية ولم تزل كذلك باسم

ميت غزال ، وكتب مركز السطة ، وذكرها صاحب التحفة ضمن إقليم الغربية (التحفة السنية ص ٤٦٧ ، بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٤٩ ، الدليل الجغرافي) .

(١٣٣) بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٤٩ .

(١٣٤) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٥٤ .

(١٣٥) السلوك - خطوط - ج ٣ ص ٢٩١ - ٢٩١ .

(١٣٦) السلوك - مخطوط ج ٣ ص ٢٩٠ - ٢٩١ ، ٣٠٨ .

(١٣٧) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٧٠٢ .

(١٣٨) التبر المسبوك ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(١٣٩) زبدة كشف الممالك ص ١١٤ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١١ .

(١٤٠) أصدر السلطان الناصر محمد سنة ٨٧٤٠ - ١٣٣٩ م مرسوما للخليفة إبراهيم الملقب بالوائق ، بجائزة ماله أبي سليمان الربيع من الرواتب والجوامك وهو في الشهر ٣٥٦٠٠ درهم ، ١٩ إردب قمح وعشرة أراذب ونصف من الشعير ، وترتيب هذه المقادير على بلاد معينة ، منها قوص بالصعيد الأعلى ، وهذا فضلا عما للخلفاء بحكم مناصبهم من إشراف على مشهد السيدة نفيسة ، وحصلوا من هذا المورد على كيات كبيرة من الشموع والزيت والنور ، ثم ألغى هذا كله عند دخول المماليك وسفر الخليفة المتوكل على الله إلى استانبول سنة ٨٩٢٣ - ١٥١٧ م (تاريخ سلاطين الممالك ص ٢٠٧ ، بدائع الزهور ج ٣ ص ١٢٥) .

(١٤١) حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٢٣٥ .

(١٤٢) التحفة السنية ص ١٤٤ ، بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٧٤ ، حوادث الدهور

ج ٢ ورقة ٩٤ .

(١٤٣) يعتبر الشيخ خليل من أعلام فقهاء المالكية في عصره ، وهو صاحب المختصر في الفقه ، درس بالمدرسة الصالحية بين القصرين ، وقرره الأمير شيخو في تدريس مذهب المالكية بخانقاه . وتوفي سنة ٨٧٦٧ - ١٣٦٥ م (السلوك مخطوط ج ١ ص ١٥٠) .

(١٤٤) اشتغل شمس الدين هذا فترة في تعليم المماليك بالقلمة ثم فتح حانوتا لبيع الكتب ثم انقطع عن الناس ، ولما كان صديقا للأمير ططر قبل سلطته ، فإنه أنعم عليه بهذا الإقطاع على أثر جلوسه على العرش ، وتوفي هذا الفقيه سنة ٨٨٤٧ - ١٤٤٣ م (حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٢٧) .

(١٤٥) نشأت البخارية اتفاق عند ضامنة المغاني ببليس ، ثم باعها إلى ضامنة المغاني بمصر بأقل من ٤٠٠ درهم ، فعلمتها ضرب العود وقسمتها لبيت الناصر محمد ، فحظيت عند الأمير

إسماعيل بن السلطان الناصر ، وهى سوداء حالكة السواد ، وتزوجها إسماعيل ، فولدت له ولداً، ثم حظيت عند السلطان الكامل شعبان (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٩٦ - ٩٧ ، ١٤٩ - ١٥٠) .

(١٤٦) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣١١ .

(١٤٧) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٠٧ - ٤٠٨ و ٥٢٠ - ٥٢٨ ، تاريخ الذهبى ج ١ ورقة ٦ .

(١٤٨) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٠٨ - ٢١٠ .

(١٤٩) انظر فصل المناقلات الإقطاعية فيما يلى .

(١٥٠) انتقلت هذه الإقطاعات بعد هؤلاء المقطعين إلى مقطعين آخرين وتغيرت أحوالها من حيث أن بعضها صار ملكاً والبعض صار وقفاً ، كما تغيرت عبرتها من حيث النقص والزيادة ، أما هذه البلاد المذكورة فلا يوجد لها مقابل فى العصر الحالى ما عدا البلينا التابعة لمركز جرجا . (التحفة السنية ص ٦ و ٧ و ١٤ و ٤٦ و ٧٢ و ٩٨ و ١١٣ و ١٢٤ وغيرها من الصفحات الدليل الجغرافى) .

الفصل التاسع

الواجبات والحقوق الإقطاعية

دراسة الواجبات والحقوق من الجانبين الأدبي والمادى -
يمين الولاء للسلطان القائم والزيادات المناسبة فيه - الوصايا - مدى
الوفاء وحوادث الحنث ونظائرها فى الغرب الإقطاعى - الخدمة
الحربية ونظام البدل - أشباهه فى الغرب - أعمال الترك ومهمة
العربان والتركمان - خيول البريد - الالتزام المالى - مساهمة
المقطعين فى الأعمال العامة - التقدم العامة والطائرة - حقوق
صاحب الإقطاع - الألقاب والمكاتب التكريمية وشارات
التشريف والقبول التى تدق بباب كل أمير بحسب مرتبته - الوظائف
التي تؤهل لها إمرات أصحاب الإقطاع - الإطلاقات والمخصصات -
نفقات سلطانية أخرى لحائزى الإقطاعات - المسامحات .

يمكن دراسة الواجبات والحقوق من جانبين : أحدهما أدبي والآخر مادي ؛ فمن حيث الجانب الأدبي للالتزامات ، يقوم المقطع بأداء يمين الولاء لسيدته ، وهو ولي الأمر القائم بوصفه سلطاناً ، لا بوصفه بيبرس أو قلاوون أو برسباي أو قايتباي ، ويستطيع السلطان أن يأخذ هذه ائمين لا لنفسه فحسب بل لولي عهده كذلك . أما الجانب المادي فأهمه أداء الخدمة الحربية ، وهي الأساس في حيازة الإقطاع ، حتى إذا عجز الأمير عن أداء هذه الخدمة أقام « بديلا » عنه ، بل عليه أن يدفع قدرأ من المال إذا لم يستطع إقامة البديل ، مما يؤكد لنا خطورة الالتزام الحربي ، وعلى الأمير أن يقوم كذلك بأعمال حفظ الأمن وما يتعلق بها في الداخل والخارج . وأن يسهم في تسهيل وسائل الاتصال بين أطراف المملكة بتقديم خيول البريد ، وأن يؤدي الالتزام المالية المتعلقة بإقطاعه ، ثم إن المقطعين على اختلافهم مكلفون بنصيب في الأعمال العامة ، وعليهم بحكم العرف أداء « التقادم » بانتظام .

وفي نظير قيامه بهذه الالتزامات ومدى إيفائه بها ، يتمتع الأمير بكافة الحقوق الأدبية والمادية التي ينحطها له إقطاعه ومرتبته ، كأن يخاطب في المكاتبات بأسلوب معين وألقاب خاصة ، وأن يسمح له بعدد معلوم من « الطبول » تدق على بابه ، وأن يلي من الوظائف ما تؤهله له درجة إقطاعه الذي يرتفق به أو يمتلكه ، وهناك من المخصصات والمنح ما يرسله السلطان بحكم العادة إلى الأمير المملوكي كالحيل والقماش والطعام ، وهذه هي « الإطلاقات » ؛ فضلا عن مقادير من المال عند ولاية كل سلطان جديد ، وهذه هي « نفقة البيعة » وعند الاستعداد لحرب أو غزو ، وتعرف هذه باسم « نفقة التجريدة » ، ثم هنالك ما يصل إلى الأمير من الخلع في الحفلات السلطانية من زواج أو ختان

مقابل تقدمته في هذه المناسبات ، وربما أعنى السلطان أميراً من الأمراء من التقدّم في بعض السنين أو سامحه بما عليه من ديون للديوان السلطاني ، وهذه هي « المسامحات » .

والعادة أن يقام ليمين الولاء حفل بالقلعة أو أي مكان آخر يكون السلطان مقيماً به في مصر أو الشام ، فيجتمع الأمراء ومعهم كتاب ديوان الإنشاء ، ويتولى كل كاتب تحليف جماعة من الأمراء ، فتحلف كل طائفة بالفاظ اليمين الخاصة بها ، ومهمة كتاب الإنشاء تسجيل الأسماء ، وتاريخ القسم في أوراق خاصة ، تحمل إلى ديوان الإنشاء لتحفظ فيه أو تخلد فيه على قول المصطلح (١) .

وإذا اقتضى الأمر تحليف بعض الأمراء خارج مصر ، ففي هذه الحالة تكتب نسخة اليمين من ديوان الإنشاء بمصر ، وترسل إلى الجهة التي يراد التحليف بها (٢) ، ومثال ذلك تحليف الأمراء أمام السلطان ببرس بعد فتح الكرك سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦٢ م ، وإقطاع بلاده لأمرائه وجنده (٣) . ولليمين الإقطاعية صيغة عامة يشترك فيها جميع أهل الدولة (٤) وهي بعد المقدمة :

« إني من وقتي هذا ومن ساعتي هذه وما مد الله في عمري قد أخلصت نيتي ولا أزال مجتهداً في إخلاصها ، وأصفيت طوبتي ولا أزال مجتهداً في إصفاؤها ، في طاعة مولانا السلطان . . . » .

وصورة ما يكتب في هذه اليمين العامة :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« أقول وأنا (فلان)

« والله والله

« وهذه اليمين عيني وأنا . . (فلان)

« والنية في هذه اليمين بأسرها (٥)

غير أن هناك زيادات تضاف إلى هذه الصيغة ، لكل صاحب وظيفة^(٦) منهم ، فيزاد في تحليف نواب السلطنة مثلاً « ألا يسعى في تفريق كلمة أحد عن طاعة السلطان وحفظ المملكة التي استنابه فيها » وهكذا^(٧) ، ويختص « الدوادار » بالألا يؤدي عن مولاه السلطان رسالة في إطلاق مال ولا استخدام مستخدم ولا إقطاع إقطاع . . إلا بعد عرضه على مولانا السلطان ومراجعته^(٨) أما نواب القلاع ، فيزاد في أيمانهم العمل على حفظ القلعة وحواصلها وذخائرها وألا يفتح أبوابها أو يغلقها إلا في الأوقات المعينة لذلك . . . »^(٩) .

وإذا جددت أمور تغيرت صيغة القسم بحسبها ، وجددت اليمين كما هو الشأن عندبيعة كل سلطان جديد ؛ مثلاً على أثر خلع السعيد بن بيبرس وتولية أخيه سلامش سنة ٦٧٨ هـ — ١٢٧٩ ، أرسلت الأيمان إلى الأمراء والجنود بالشام للحلف^(١٠) ، وحين أفرج الناصر محمد في سنة ٦٩٣ هـ — ١٢٩٣ م ، بعد ولايته العرش لأول مرة عن الأمراء المعتقلين أعادهم إلى إقطاعاتهم ، فجددوا القسم للسلطان ونائبه كتبغا^(١١) ، ولما تولى ابنه أبو بكر العرش في سنة ٧٤٢ هـ ١٣٤١ م ، « رسم بتجهيز التشاريف والخلع ، ورسم بتحليف الأمراء والنواب بالبلاد الشامية على العادة^(١٢) » ، وكذلك جددت الأيمان لولي عهد برقوق وهو ابنه إبراهيم^(١٣) وهكذا حتى عند زوال دولة المماليك جددت الأيمان لولي الأمر الجديد وهو السلطان العثماني^(١٤) .

واشتملت صيغ اليمين ، بأنواعها المختلفة على وصايا إلى كل أمير وصاحب وظيفة من باب التأكيد ودقة التحديد للالتزامات ، فضلاً عن التفصيل في بيان اختصاص صاحب الوظيفة والعمل على مراعاتها ، فيوصي نائب السلطة في تقليد نيابته « بتقوى الله وتنفيذ الأحكام الشرعية والجهاد وتفقد العسكر^(١٥) » ويوصي مقدم المماليك السلطانية بالحسن إليهم ومراقبة كل طبقة عند تقسيم الجوامك بينهم وترتيب خدماتهم بحسب مكانتهم من السلطان « ولا يركب أحد منهم إلا بلمستور^(١٦) » ، وتنصيب وصية أمير آخور على الاستعداد دائماً لتلبية طلبات السلطان في أي وقت والعناية بأمر الاصطبلات « والحشارات »

ونخيل البريد وما خصص منها للمنع أو هيئاً للسباق والمواكب ، وكذلك
غلمان الاصطبلات ومنع مخالطة العامة لهم وتثمين الخيول المشتراة والتقدم (١٧) .
أما أمير العرب فيوصى بالتقوى والكرم واليقظة لحركات الأعداء بين أتباعه ،
وأن يعنى بنخيل البريد التي يقدمها (١٨) ، ويوصى مقدم الأكراد بجمع شتات
عشيرته على الإخلاص وعدم الانحياز إلى العدو ، وتوضيح أفضلية إقطاع
السلطان لهم على إقطاع الأعداء لأفراد عشيرته ، والأهبة للجهاد وقت الحاجة
على أن يكون اعتماد المقدم على المقطعين أصحاب الخدمة الدائمة المنجزة ، على
قول العمري ، بحيث إذا مات أحدهم قام المقدم بتعيين بدله ، وأنهى أمر
البديل إلى أحد النواب المقربين منه ، كما أن عليه العمل على جباية ما على
أصحاب الماشية من حقوق (١٩) ، ويوصى مقدم التركمان بمثل ذلك من
الواجبات اللازمة لحفظ الأطراف المملوكية (٢٠) .

وعلى الرغم من تجديد اليمين الإقطاعية وما بها من تعهدات ، وبرغم
الوصايا وما فيها من توضيح شامل وتأکید ونحوه ، لم يتقيد الخالفون بما حلفوا
دائماً ، ومثال ذلك نفاق الأمير عيسى بن مهنا وانحيازه إلى التتر في سنة ٧١٢ هـ
— ١٣١٢ م ، نظير حصوله على إقطاع منهم ، وقد حصل عليه فعلاً في العراق
حيث صارت الحلة وغيرها إقطاعاً له من سلطان التتر يومئذ وهو خرابند .
هذا مع وجود إقطاعه الكبير من السلطان الناصر محمد ، وبلغ من نفاقه والتوابع ،
أن جعل ابنه سليمان منقطعاً لخدمة التتر على حين خصص الابن الثاني موسى
لخدمة الناصر محمد ، واستمر هو يستغل الإقطاعين بالشام والعراق ، وتصل
إليه رسائل « أيلخانات » التتر بفارس وسلاطين الممالك وخلعها وإنعاماتها
ويقوم « بالبرية » بعيداً عن الفريقين (٢١) .

وعلى الرغم من العهود والمواثيق ، خرج يلبغا الخاصكي عنى أستاذه
الناصر محمد وخلعه وقتله سنة ٧٦٢ هـ — ١٣٦٠ م (٢٢) ، كما خرج منطاش
وهو تمر بغا الأفضلي بالشام على برقوق سنة ٧٩٢ هـ = ١٣٨٩ م (٢٣) ، وكل
حوادث الخلع والفتن ، ما هي إلا حنث بأيمان أقسمها الأمراء ، ولذا عمد

بعض السلاطين إلى تحليف أمرائه أكثر من مرة ، لعل هذا يحول دون الخروج عليه ، كما فعل محمد بن قايتباي في سنة ٩٠٢هـ - ١٤٩٦م ، حين أحضر المصحف الشريف العثماني ، وحلف عليه سائر العسكر والأمراء ، ثم حلفهم في سنة ٩٠٣هـ - ١٤٩٧م ، على « ألا يخونوه ولا يغدروا به . . . » وكانت هذه رابع يمين يحلفها الأمراء للسلطان^(٢٤) ، وفي بعض الأحوال طلب الأمراء تحليف السلطان محمد بن قايتباي بعد حلفهم له سنة ٩٠٤هـ - ١٤٩٨م وقالوا : « مثل ما حلفنا السلطان يحلف لنا هو أيضاً أنه لا يمسك منا أحداً بغير سبب » ، ولكن السلطان توقف ولم يحلف^(٢٥) ، وحاول السلطان جان بلاط بن يشبك سنة ٩٠٦هـ - ١٥٠٠م تغيير صيغة القسم إلى أيمان أغلظ لعلها تجدى ، فألف القاضي الشافعي عبد القادر النقيب صورة يمين « بالله وبالحج وبالعتق وبالطلاق ثلاثاً » وغير ذلك من التأكيد ، وكتبه في سجل لتحليف الأمراء^(٢٦) .

وليمين الولاء والتبعية في الإقطاع الغربي طقوس وأهليات تفوق شبيهاتها في مصر على عصر المماليك ، فيؤدى التابع يمين الولاء والطاعة (Oath of Fealty) لسيده الإقطاعي سواء أكان ملكاً أم أميراً ، وذلك على آثار مقدسة أو الإنجيل ، ومراسم التبعية أن يأتي التابع ويركع أمام سيده حاسراً رأسه أعزل من سلاحه ويضع يديه الاثنتين بين يدي سيده متلفظاً بألفاظ اليمين : « أقسم أن أكون مخلصاً لك مرتبطاً بك كما ينبغي أن يكون عليه رجل لسيده » ويضيف أحياناً « وسأظل على ذلك طالما كنت رجلك وطالما كانت أرضك معي » ، حينئذ يرفعه السيد ويقبله ويعطيه « العلم والعكاز والبراءة » ، وهذا ما يعرف باسم « التقليد Investiture » أو التنصيب أو التلبس من جانب السيد وبهذا يصبح الطرفان مرتبطين^(٢٧) .

ومن أمثلة الأيمان المشهورة في العصور الوسطى « قسم سالسبوري » أو « اجتماع سالسبوري » في إنجلترا سنة ١٠٨٦هـ ، إذ دعا وليام الفاتح جميع الزراع الأحرار Free Tenants ، سواء أكانوا من طبقة الفرسان أم من غيرها ، وجعلهم يقسمون له أن يكونوا أتباعه المخلصين ، وهذا القسم العام

الشامل لجميع طبقات المقطعين هو الذى ميز الملكية الإقطاعية الأنجلو نورمانية عن الإقطاعية الفرنسية المعاصرة (٢٨) .

وتضم صيغة القسم والوصايا فى الإقطاع فى الدولة المملوكية ، ما يتضمنه العقد الإقطاعى فى الغرب ، من ناحية الولاء لولى الأمر ؛ فمثلا ينص العقد الإقطاعى على : ألا يعتدى على سيده أو يفشى له سرا أو يخل بأمن قصوره أو يسىء الظن به ، وألا يلحق أى ضرر بسمعته أو أملاكه أو يضع العراقيل فى طريقه ، ونحو ذلك (٢٩) .

ومن حيث الالتزام الحربى ، المعروف أن الأرض أو المكس يقطع نظير خدمة ، يؤديها المقطع فى الدولة الإقطاعية ، وأجل هذه الخدمات هى الخدمة الحربية ، بل إن الإقطاع فى الشرق الأوسط حين تطور ، صار حربياً (٣٠) ، ولذلك تقدمت رتبة أرباب السيوف على رتبة أرباب الأقلام ، «والتواقيع والتفاويض لأرباب السيوف لميزة السيوف على الأقلام» (٣١) ثم إن الخدمة الحربية هى الأساس الأول لحيازة الإقطاع لا فى الدولة المملوكية فحسب ، بل فى جميع الدول المعاصرة التى أخذت بالنظام الإقطاعى شرقاً وغرباً على اختلاف فى التفاصيل .

فى النظام المملوكى ، يلجى الأمير المقطع نداء لى الأمر فى وقت الحرب مع أتباعه من الفرسان المجهزين لالمدة معينة كما هو الشأن فى الإقطاع الأوروبى ، بل فى أى وقت ولأى فترة ، وأقرب الخدمات الحربية الإقطاعية الأوربية لذلك خدمات الفرسان الصليبيين ، (فى الدول الصليبية بالشام بسبب الحرب المستمرة ضد المسلمين ، أى أن الصليبيين (٣٢) ، وهم إقطاعيون غربيون ، غيروا ما ألفوه من نظم إقطاعية نزولاً على الوضع الراهن بالشرق إبانئذ .

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، منها تكليف بيبرس سنة ٦٦٣هـ - ١٢٦٤م وقلاوون سنة ٦٨٠هـ - ١٢٨١م عرب آل فضل بالشام ورأسهم عيسى بن مهنا بن مانع بطرد التتار عن البيرة وغيرها (٣٣) ، ثم إن السلطان لاجين تواعد الجيش الذى أرسله سنة ٦٩٧هـ - ١٢٩٧م ، لطرد التتار عن

سيس وتل حمدون بأن « العساكر لا ترجع إلا بعد فتح تل حمدون وإن عادت من غير فتحها فلا إقطاع لهم بالديار المصرية (٣٤) .

والمعروف أن السلطان برقوق قطع إقطاعات الأمراء الذين أخفقوا في إخماد فتنة يلبغا نائب حلب الخارج على السلطان (٣٥) ، والسلطان برقوق نفسه أنعم على طائفة من الأمراء بعد ذلك بعامين بإمريات في الشام زيادة على إقطاعاتهم الجارية ، ليخلصوا في قمع فتنة ناثر آخر بالشام هو منطاش (٣٦) ، ويعرف عن برقوق أنه كان توخى الدقة في حملاته الحربية فلم يكلف بالسفر في تجريدة إلا من بلغت عبء إقطاعه ما يكفي لجميع ما تستلزمه النفقات والاستعدادات المنتظرة ، من ذلك أنه أمر بعرض أجناد الحلقة سنة ٧٩٦ هـ — ١٣٩٣ م ، استعداداً لحرب تيمورلنك ، وأوصى نائب السلطنة سودون واللوادار قلمطاوى ، بحضور ناظر الجيوش قاضى القضاة القيصرى ، ألا يلزم غير القادرين بالسفر (٣٧) .

وقامت عشائر العرب والتركمان والأكراد بالتزام الخدمة الحربية الفعلية في ميادين الحرب ، فاشترك الأمير نعيم أمير آل فضل بخمسمائة فارس وجميع العربان في حروب السلطان فرج ضد تيمورلنك بالشام سنة ٨٠٣ هـ — ١٤٠٠ م واشترك في هذه الحملة ستة آلاف فارس من عربان البحيرة وألفان وخمسمائة فارس من عربان الشرقية في صحبة شيخهم ابن بقر ، وخمسمائة فارس من عربان بني وائل بالغربية (٣٨) ، وجرى المصطلح على تسمية هذه الجماعات من فرسان العرب باسم « العشير » ، والمماليك في هذا مقلدون لأساتذتهم من الأيوبيين (٣٩) ، غير أن العرب لم يخلصوا للماليك إخلاصاً تاماً ودليل ذلك أن طومان باى أمر الكشاف ومشايخ العربان في سنة ٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م أن يشرعوا في تحصيل عشرين ألف خيال من العشير من فرسان العرب ، ثم أمر برجوعهم إلى بلادهم برغم شدة حاجته إلى أى جندى ، وذلك بعد إشارة بعض الأمراء بأن العربان ليس لهم فائدة في خروجهم (٤٠) ، والواقع أن طومان باى كان يدرك عدم سلامة نواياهم فضلاً عن الكراهة العنصرية التى

حفظها العرب للمماليك ، وربما ترجع خيانة ابن مرعى للسلطان طومان باى إلى إبعاده العرب على هذا النحو المتقدم^(٤١) ، بجانب الكراهية المزمنة .

ولم يكن هناك من بأس لدى سلاطين المماليك ، أن يقطعوا عدواً أخلص النية وأصنى الطوية ، فهذا السلطان بيبرس ، يقطع عدداً من الفرنجة الصليبيين ، وردوا عليه من مدينة قيسارية سنة ٦٦٣ هـ - ١٢٦٤ م ، وذلك نظير عدم اشتراكهم ضده في القتال^(٤٢) ، كما لم يكن هناك من بأس أيضاً من بذل الإقطاع لقاء أى عمل يتصل بالحرب ، كالإرشاد إلى طريق أسهل أو أقرب إلى العدو ، ومثال ذلك ما فعله السلطان الناصر محمد سنة ٧١٩ هـ - ١٣١٩ م ، إبان حملة أرسلها لقمع بعض الفتن بركة ، إذ تطوع بعض العرب لإرشاد الجيش إلى طريق لا يستغرق أكثر من ١٣ يوماً على حين أن الطريق المألوف من الإسكندرية إلى بركة يستغرق نحو شهرين ، وطلب الدلال من قائد الحملة ، وهو الأمير أيتمش مائة دينار وإقطاعاً من السلطان بعد عودة العسكر ، فعجل له أيتمش بالمال والتزم بالإقطاع من السلطان وانتصر العسكر وعاد غانماً^(٤٣) .

وإذا عجز المقطع عن أداء الخدمة الحربية أقام بديلاً عنه كاملاً باللبس والسلاح والخيول وجميع ما يلزم ، أو يدفع مبلغاً من المال ليستطيع السلطان بهذا المال تدبير القوة اللازمة ، كما جرت العادة على اختيار أرباب الجوامك من المماليك السلطانية وأولاد الناس في أعمال الفروسية من الرمي بالسهم والنشاب والمبارزة بالرمح ونحوه ، ومن لم ينجح في هذا الاختبار ، قطع السلطان جامكيته فضلاً عن التقييع والتأنيب .

وألح السلطان قايتباى في البديل أو المال في سنة ٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م ، من العاجزين عن السفر في التجريدة لحرب شاه سوار التركمانى ، وقدر العوض المالى بمائة دينار ، وتكرر هذا العمل في السنة التالية بصدد الخطر نفسه كما تكرر عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م ، بصدد الخطر العثماني . فصار^(٤٤) يحصل المائة دينار عوضاً عن البديل ممن له جامكية وإقطاع ، وخمسة وعشرين ديناراً ممن له

جامكية ألف دينار وليس له إقطاع^(٤٥) ، ثم إن السلطان قايتباي اختبر أرباب الحوامك في السنة نفسها وهي ٨٧٣ هـ — ١٤٦٨ م ، بأن جهاز ثلاثة أقواس متدرجة القوة والصلابة وكتب الناجحين في الاختبار في التجربة كما قبل البذل ممن طلب ذلك ومقداه مائة دينار ، أما الفاشلون في الاختبار فقطع جوامكهم ووبخهم^(٤٦) .

ولم تكن فئات البذل المادي ثابتة بل تعرضت للزيادة والنقصان بحسب ما تقتضيه الأحوال الحربية المتوقعة ، ولما كان الخطر العثماني قائماً ، صار البذل عن صاحب الجامكية التي تبلغ ألفي دينار مبلغ ٤٠ ديناراً ، وصاحب الجامكية التي تبلغ ألف دينار عشرين ديناراً ، ومن لم يدفع هذا المبلغ لأي سبب من الأسباب قطع السلطان جامكيته ستة أشهر « حتى يغلق ما فرض عليه »^(٤٧) .

ولنظام البذل المالي قرين في الإقطاع الغربي يعرف باسم *Scutagium* وهو ما سمحت به الملكية النورمانية الإقطاعية بإنجلترا ، كذلك وجد في ألمانيا الإقطاعية ، وهناك بديل من نوع آخر عرف في شمالي غربي فرنسا بصفة خاصة ، وهو تقديم خيول أو ثمنها *Servicium de Equo* أو بعض آلاتها من سروج وحدوات أو أسلحة حربية من سيوف ونحوها^(٤٨) ، وعرف البديل كذلك في الدول الصليبية بالشام ، لكنه لم يطلب إلا ممن بلغ سن التقاعد وهو ٦٠ سنة ، ففي هذه الحالة لا يكلف المقطع بخدمة حربية بشخصه وإنما يرسل فرساناً من قبله نظير إقطاعه^(٤٩) .

ويدخل في نطاق الخدمة الحربية أعمال حفظ الأمن في الداخل والخارج ، واصطلح على تسمية هذه الأعمال بالأطراف بأعمال « الدرك » ، فبعض المقطعين ملتزم بحفظ الدرك بالجهات المتاخمة للأعداء ويعطى الإقطاع قريباً من تلك الجهات ، كما فعل السلطان بيبرس حين أقطع بلاد صفد سنة ٦٦٤ هـ — ١٢٦٥ م ، لمن رتبته لحفظها من الأجناد^(٥٠) ، وحين أقطع السلطان الناصر سنة ٧٠٥ هـ — ١٣٠٥ م ، جماعة من دمشق مثل الأمير ابن معبد البعلبكي

وخطاب العراقي وغيرهما ، أمرهم وكلفهم بحفظ مينا البحر من جهة بيروت (٥١) ولما علم الناصر بفساد العرب في ثغر عيذاب ، أرسل سنة ٧١٩ هـ - ١٣١٩ م الأمير أفوش المنصوري على رأس قوة وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، وأقطعه ثغر عيذاب ليقم به (٥٢) ، كذلك أمر يلغا الأتابكي في عهد السلطان شعبان سنة ٧٤٦ هـ - ١٣٤٥ م جماعة من الأمراء بالسكنى في بيروت مع العساكر الشامية للمحافظة عليها من الفرنج (٥٣) .

وبكاد التركمان والأكراد والعرب يختصون بأعمال الدرك ، فبنو عساف التركمان مكلفون بالدرك من حدود أنطلياس على نهر الكلب إلى مغارة الأسد بالشام ، فلم يسمحوا بعبور نهر الكلب إلا لمن يحمل « ورقة الجواز » من الوالى في تلك الجهات أو من أمراء الغرب من بني تنوخ ، ونظم بنو عساف عملهم تنظيمًا دقيقاً ، إذ قسموا أنفسهم إلى ثلاث فرق أو ثلاثة « أبدال » في المصطلح ، كل فرقة أو كل بدل ، مكون من ألف فارس وعليه أن يقيم شهراً في الدرك بأنطلياس (٥٤) ، وتولى درك الأطراف خليل بن الطرفى التركمانى ، بالإبلستين ثم بيت دلغادر (٥٥) .

وقام العربان بأعمال الدرك في جهاتهم ، بجانب ما عليهم من التزامات أخرى. فمثلاً حدد بيرس في سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦٠ م مهمة عربان بني مهنا وأميرهم يومثد شرف الدين عيسى بن مهنا إذ « سلمهم درك البلاد وألزمهم حفظ الدروب إلى حدود العراق » (٥٦) .

كما ألزم أمراء الغرب من بني تنوخ الدرك بلبنان فضلاً عن التجسس على أخبار العدو والمشاغرة على صيدا وبيروت ، ونظم بنو تنوخ دركهم على ثغر بيروت كذلك ثلاثة أبدال كما هو الشأن عند بني العساف التركمان (٥٧) . أما الالتزام بتسهيل سبل النقل ووسائطه بين أجزاء الدولة ، فأهمه القيام بتقديم خيل البريد والجمال والقيام بحمل الغلال والمحاصيل المختلفة ، وأكثر ما عرف هذا الالتزام عن المقطعين العرب والتركمان خلال عصر المماليك ونصت « الجريدة الحيشية » ، أمام اسم التركمانى أو البدوى على ما يقدمه

إلى الاصطبلات السلطانية والمناخات من الخيل والجمال ، وأمام أسماء العربان بمصر ، على المقرر عليهم من التقادم وإقامة خيل البريد وغير ذلك من نقل الغلال ، ووضح التأكيد كذلك على هذا الالتزام بالوصايا الموجهة إليهم (٥٨) . والواضح من هذا كله أن خيل البريد أهم ما قدمته عشائر العربان والتركمان ، وكانت مدينة بليس زمن سلاطين المماليك مركزاً لتجمع هذه الخيول ، وعليها أن تعمل في خدمة البريد من بليس (٥٩) إلى العريش ، فتحضر خيول العربان في هلال كل شهر إلى مراكزها المعينة لها فيما بين بليس والعريش ولذلك أطلق عليها اسم « خيل الشهارة » ، وعلى الشهارة وال من قبل السلطان ، وهو الذى يستعرضها في أول كل شهر « ويدوغها بالداغ السلطاني » ، وفيما يلي العريش إلى طرابلس ، تعمل خيول السلطان في البريد ، ومن طرابلس حتى أطراف المملكة تتولى خيول المقطعين في تلك الجهات أمر نقل البريد (٦٠) . ولذلك نجد أن أغلب إقطاعات العربان في أطراف المملكة ، ويقع أكثرها في مصر بالشرقية ، ومما قرره بيبرس على أمراء عربان العابد وجرحم وثعلبة بغزة ، حين ضمهم البلاد سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦٦ م ، « خدمة البريد وإحضار الخيل برسمه (٦١) » ، ولما اختلت مراكز البريد بطريق الشام سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م ، اضطر السلطان حاجي لفرض خيول البريد على المقطعين عامة ، فألزم كل أمير مقدم بتقديم أربعة أفراس وأمير الطبلخانا بتقديم فرسين وأمير العشرة بتقديم فرس واحد ، كما أخرج عن عيسى بن حسن العائذى الهجان أحد المقطعين العرب بلداً تغل في السنة ٢٠ ألف درهم أو ٣٠٠٠ إردب من الغلة وأرصدها لمراكز البريد (٦٢) .

ومن الناحية المالية : المقطع ملزم بدفع الخراج (٦٣) المقرر على الإقطاعات وهو من أهم مصادر بيت المال ؛ إذ أن الإقطاعات كما يقول القلقشندي هي جل البلاد في الوجهين البحرى والقبلى (٦٤) ، ويجبى الخراج عيناً أو غلة ، وأغلب خراج الوجه القبلى غلة ، ومتوسط خراج القدان من ٢ إلى ٣ أراذب ، وربما زاد أو نقص بحسب الظروف ، ويحصل على كل

إردب من ٢ - ٣ دراهم أو نحوها ، أما الوجه البحرى فأغلب خراجه تحصل نقداً إلا القليل (٦٥) .

وهناك ما يعرف باسم « قاعدة البدل » فى دفع الخراج ، ومؤداها إذا كان الخراج المقرر فى بلد ما غلالاً وأعوز صنف من الأصناف استبدل بصنف آخر (٦٦) .

وتنظم الأموال الديوانية عامة فى المحاسبات التى يعدها « كاتب الخراج » فيدون ما عرف باسم « الارتفاع » أو « العمل » بمعنى القائمة (٦٧) وصورتها : « عمل بما اشتمل عليه ارتفاع المعاملة الفلانية لمدة سنة كاملة أولها المحرم سنة كذا وآخرها سلخ ذى الحجة منها . . . » (٦٨) .

هذه هى الأموال العادية الغالبة ، على أن هناك التزامات مالية أخرى طارئة ، يختلف نوعها باختلاف الظروف الطارىء وبحسب ما يراه ولى الأمر القائم ، فإذا كانت هناك حالة حرب وأعوز المال . فرضت غرامات ، وفى أوقات انتشار الأوبئة أو الأعلية والفتن والاضطرابات ، إما أن تفرض غرامات مالية أو يلزم الأمراء بنوع من المبرات (٦٩) ، أو يتحملون نفقات عدد معين من الممالك .

فمثلاً رسم السلطان الناصر محمد فى سنة ٥٧٠٠ = ١٣٠٠ م ، بتحصيل مبالغ من المال من غوطة دمشق لمقابلة خطر التتار ، عن كل مد (٧٠) سبعة دراهم ، كما أخذ من القرى المزروعة حبواً على أساس نسبة محصول سنة ٦٩٨ هـ ١٢٩٨ م ، إذ كان المحصول فى تلك السنة وافرأ (٧١) ، ولما اجتاحت تيمورلنك بلاد الشام هجم على سيواس ثم خرب دمشق سنة ٨٠٣ هـ = ١٤٠٠ م قرر السلطان فرج فرض غرامات على جميع أموال الناس (٧٢) وفرض على الإقطاعات بنسبة العبرة القديمة على هذا النحو : من كانت عبرته إقطاعه ١٠٠ ألف يدفع ٥٠٠ درهم ثمن فرس أو يقدم فرساً (٧٣) . وهناك ما عرف باسم « الخمس » جباه قايتباى فى سنة ٨٩٣ هـ ١٤٨٧ م ، بصدد الخطر العثماني من خراج المقطعين ليستعين به على تجهيز خيالة تكون مدداً للعسكر ، ويعلق

ابن إياس « وقد حصل للمقطعين غاية الضرر من كبس البلاد وقبض على الفلاحين » ، ويقال إنه جبي الخمس مرتين من خراج المقطعين سنتين متواليتين وتكرر هذا العمل في سنة ٨٩٥ هـ - ١٤٨٩ م (٧٤) .

وفرق بين هذه المركزية في السلطة وجباية ما يراه ولي الأمر وما هو معروف في الغرب الإقطاعي ، إذ كان للسيد أن يطلب ما عرف باسم (العون) Auxilium. وهو وإن تقرر بحكم العادة ، إلا أن المميز البارز للإقطاع الغربي هو « المحلية » وليست المركزية .

وهذا العون يطلبه السيد كمنحة اختيارية من أتباعه (٧٥) ، على أن هناك ضرائب دائمة قررت في الدولة الصليبية بالشام على عهد صلاح الدين عرفت باسم « الصلاحية » وذلك حين اشتد خطر الحرب بين المسلمين والصليبيين ونسبت هذه الضريبة إلى اسم « صلاح الدين الأيوبي » لشدة وطأته عليهم . وقد قررت في مجلس عقد في أورشليم سنة ١١٨٢ م وتقدر بنسبة ٠.٢٪ من دخل كل تابع (٧٦) ، ومثلها قرر في فرنسا الإقطاعية عام ١١٨٨ م في مجمع باريس برئاسة البابا كليمنت الثالث ، وذلك بعد وقعة حطين وعرفت بنفس الاسم .

أما المساهمة في الأعمال العامة ، فالقائمون بها هم المقطعون سواء أكانوا من أصحاب الوظائف أم لا ، وسواء أكانت هذه الأعمال خاصة بالسلطان أو ذات نفع عام ، فمن الأعمال العامة : القيام بجمع المحصول وحفر الخللجان وعمارة الجسور ونحوها (٧٧) ، ومن الأعمال الخاصة ما فعله الناصر سنة ٧٣٨ هـ = ١٣٣٧ م ، حين قرر إنشاء حوض للضأن في موضع بقلعة الجبل مساحته ٤ أفدنة ، فرتب على كل أمير من المقدمين مائة رجل ومائة دابة لنقل التراب ، وعلى كل طبلخاذه بحسب حالته ، ونزل استادار كل أمير وجنده ومعه دوابه ورجاله للعمل (٧٨) .

وهناك التزامات بحكم العرف جرت مجرى القانون وهي « التقادم » .
والعرف قانون أو « محكمة » في نظر الشرع ، وهذه مقررة سنوياً على أرباب
الإقطاعات عامة بحيث لو تعطلت غضب السلطان ، بل يطلبها السلطان وتسجل
في ديوان الحيش ، بل إن من وصايا أمير آخور تميم خيول التقادم (٧٩) ،
وكثيراً ما أدت جبايتها إلى فتن وامتعاض عام بين المقطعين ، ومن التقادم
ما هو سنوي ومنها ما هو طارئ بحكم الظروف والمناسبات المختلفة ، كحج
السلطان أو زواجه أو نحو ذلك من الحفلات ، وكذلك إذا خرج السلطان
في رحلة صيد أو زار أميراً في إقطاعه ، فإن الأمير مكلف في هذه الحالة
بتدبير أمر الضيافة فضلاً عما يقدمه من « التقادم » أو الهدايا لسيدته ، والغالب
أن يخلع السلطان على الأمير نظير تقدمته .

ويحتوي التقادم على خيول وقماش وأثواب مختلفة الألوان والأنواع
وكذلك الأسلحة وأنواع الحيوانات والطيور (٨٠) المختلفة ، العادي منها والغريب ،
والتحف المختلفة ، ومن التقادم ما يرى الأمير تخصيصه للسلطان ومنه ما يرى
تخصيصه لحريمه أو أولاده .

فشلا قدم أبو الفداء إسماعيل في سنة ٧١٦هـ - ١٣١٦م بتقدمته على السلطان
الناصر محمد ، يقول في تاريخه « في هذه السنة كانت تقدمتي على جاري العادة
من الخيول والقماش والمصاغ » (٨١) ، وقد كتب الناصر في سنة ٧٢٢هـ
- ١٣٢٢م إلى سائر الأمراء ، يحمل تقادمهم إليه وأن من أحضر تقدمته ، يخلع
عليه من الخزانة السلطانية ، فحملت إليه تقادم جليلة منها ، ٤٠ سلسلة ما بين
ذهب وفضة ، وقدم موسى بن مهنا « بالقود » على العادة في سنة ٧٢٣هـ - ١٣٢٣م
ويتكون من خيول ونحوها ، فأكرمه السلطان (٨٢) ، ووصل الأمير تنكز
تقدمته العاشرة في سنة ٧٣٥هـ - ١٣٣٤ (٨٣) ، وضمت مقدمة الأمير منجك
نائب الشام في سنة ٧٧٤هـ = ١٣٧٢م ، إلى السلطان شعبان : أسدين وضبعاً
و ٤٨ كلباً سلوقياً و ٤٠ فرساً و ٥٠ بقجة قماش ، وقطارين بخاتي (٨٤)
بقماشها الفاخر و ٤ قطر بخاتي بقماش آخر و ٥ جمان بخاتي ، لكل منها

سنامان وقماشها من حرير ، وستة قطر جمال عراب (٨٥) بقماشها و ٤٤ هجيناً وثلاثة قباقيب نسوية ذهب فيها اثنان مرصعان بالجوهر قيمتها ٢٥٠ ألف درهم و ثمنها نحو ٨ آلاف مثقال ذهب ، وعدة قناوير من حرير مزركش بتراكيب مرصعة بالخواهر ، وملابس نساء وكنائش زركش بتراكيب مرصعة بالجواهر وملابس برسم الخيل وعدة عبي حرير وأحمال من الحلاويات وفواكه وأشربة ومخللا (٨٦) ، ووصلت هدية بيدمر نائب الشام بعد منجك إلى السلطان شعبان في سنة ٨٧٧٧ هـ — ١٣٧٥ م منها للأمراء والأعيان ٢٥٠ فرساً (٨٧)، وفي أيام برقوق وصلت إليه مقدمة الأمير بيدونائب الشام سنة ٧٨٦ هـ ١٣٨٤ م ، ومنها : ٢٠ مملوكاً منتخبة ، ٣٣ جملاً عليها أنواع الثياب من الحرير والصوف بأنواعه ، ١٣ كلباً سلوقياً ، ١٨ فرساً محملة بأثواب الحرير ، ٥٠ فحلاً ، ١٠٠ أكديش و ٧ قطر هجين بقماش ذهب ، وباسم ولد السلطان ٢٠ فرساً و ٢٥ جملاً محملة بأنواع أخرى من الثياب وغير ذلك (٨٨) ، وجاءت مقدمة الأمير جلبان نائب الشام في سنة ٨٤٧ هـ — ١٤٤٣ م إلى السلطان جقمق ، ومنها ملابس سمور (٨٩) خمسة أبدان (٩٠) ، وشق بدنين (٩١) وقاقم خمسة أبدان ونجاب ٥٠ بدنأ ، ٥٠ قرضية و ١٠٠ ثوب صوف ملون و ٥٠٠ ثوب بعلبكي و ٥٠٠ ثوب بطاطين ، ٣٠٠ قوس من قسي الحلقة : منها ٥٠ خاص و ١٠ طبول مذهبة و ٥٠ سيفاً ، ٢٠٠ من الخيول ، منها واحد بسرج ذهب وكنبوش وعشرين ألف دينار (٩٢).

هذه بعض أمثلة التقادم السنوية ، أما تقادم المناسبات كالحج ونحوه فهذه كسابقها من التقادم ، يطلبها السلطان . فثلاً في سنة ٨٧١٩ هـ — ١٣١٩ م ، كتب الناصر إلى نائب الشام بتجهيز ما يلزم لاعتزامه الحج في ذلك العام ، فتوالت تقادم الأمراء والنواب في سائر البلاد الشامية . منها مقدمة تنكرز نائب الشام ، ومقدمة الملك المؤيد إسماعيل أبي الفداء صاحب حماة (٩٣) ، ولما أراد الكامل شعبان الحج في سنة ٨٧٤٧ هـ — ١٢٤٦ م اشتدت المطالبة على أهل النواحي عامة بالجمال والشعير والأعدال (٩٤) والأخراج بسبب سفر السلطان

إلى الحجاز ، بل كثرت مغارم الولاة ، ولذلك شكوا أرباب الإقطاعات
تضررهم مما أصابهم من مغارم إلى السلطان فلم يلتفت إليهم ، وكان هذا الأمر
من أسباب الفتنة التي أدت إلى خلع السلطان نفسه أواخر سنة ٥٧٤٧ هـ = ١٣٤٦ م
ومنع من الحج (٩٥) ، وحين خرجت خوند فاطمة زوجة قايتباي للحج
سنة ٥٨٧٩ هـ - ١٤٧٤ م ، عمل موكب فخم حافل في الذهاب والإياب ، وفي
حفل العودة أقيمت المغاني ومدت الأسمطة وأحضرت التقادم من أرباب الدولة
وأعيان الناس (٩٦) .

وإذا أراد الأمير زيارة السلطان ، استأذن ، فيؤذن له ، فإذا ما قدم ،
حمل معه مقدمة أو هدية ، كما حدث في سنة ٥٧٦٨ هـ - ١٣٦٦ م حين استأذن
المقر السيفي منكلي بغا نائب الشام السلطان شعبان في الحضور إلى مصر زائراً
« ليرى وجه السلطان » ، فحضر ومعه تقادم كثيرة للسلطان والأمراء وللأتابكي
يلبغا ، فأكرمه السلطان ، واستقر به نائب حلب بعد أن جعلها أكبر من الشام
ودمشق (٩٧) .

وإذا مر السلطان في سرحاته للصيد بإقطاع أحد الأمراء قدم له الأمير
ما تسمو إليه همته من الأوز والدجاج وقصب السكر والشعير ، فيقبله السلطان
ثم ينعم عليه بخلعة كاملة ، وربما أمر له بشيء من المال (٩٨) ، فمثلاً خرج
السلطان شعبان في سنة ٥٧٧٢ هـ - ١٣٧٠ م ، للصيد ، ولما توجه للوجه القبلي
قدم له أرباب الأدرار تقادم جليلة (٩٩) ، ولما كان برقوق سنة ٥٨٠٠ هـ /
١٣٩٧ م في السرحة ، جاء له تغرى بردى نائب حلب بتقدمة تضمنت :
١٣٠ فرساً ، ٧٠ جملاً ، ١٠٠ حمل قماش (١٠٠) ، وحين توجه قايتباي إلى
القيوم في سنة ٥٨٧٥ هـ - ١٤٧٠ م ، زينت له ودخل عليه جملة تقادم من الكاشف
ومشايع العربان (١٠١) ، وقصد إلى الشام سنة ٥٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م وفي طريقه مر
بمدينة القرين (بالشرقية) حيث أمر ببناء مسجد وسيل فقدمت إليه التقادم
من الأعيان (١٠٢) ، وفي رحلته التي بدأت في سنة ٥٨٨٢ هـ - ١٤٧٧ م بالشام
مر بصفد حيث أحضر له نائها الأمير بردك الميرة وما يتعين عليه ، ونزل
في عودته في نخيم أربك وأكل سباطه (١٠٣) .

كذلك في مناسبات ختان أبناء السلاطين ، جرت العادة أن يحضر الأمراء والخواص بتقادم وهدايا للسلطان ، فمثلا حين احتفل قايتباي بختان ابنه محمد في سنة ٨٩٥هـ - ١٤٨٩م وكان عمره ٧ سنوات وأشهر ، يقال إنه دخل على السلطان تقادم من مال وخيول وسكر وقماش وأغنام وأبقار ما يزيد على ٥٠ ألف دينار ، ومن جملة الهدايا ما أهده الشهابي أحمد بن العيني ، وهو طشت وإبريق ذهب زنته ٦٠٠ مثقال ، برسم الختان (١٠٤) .

هذه هي أهم الالتزامات المفروضة على المقطعين ، أما الحقوق التي يتمتعون بها نظير تأديتهم لتلك الالتزامات فمنها ما هو أدبي ومنها ما هو مادي ، ويشمل الجانب الأدبي فيها : الألقاب التي يدعى بها المقطع والنعوت التي تخلع عليه ، وتنسب إلى الجهاد الديني لاشتعال الحماس الديني وقتئذ كسيف الدين وعز الدين وعلاء الدين وحسام الدين وبهاء الدين وعلى الدين وناصر الدين وركن الدين وهكذا (١٠٥) ، ويرجح أن العلة في غلبة هذه الألقاب على أمراء ذلك العصر ، أن هذه الألقاب تنسب إلى الجهاد الديني الذي ساد في تلك الفترة ، وأهمية هذا الجهاد ضد الصليبيين بصفة خاصة ، ويدل على أهمية الجهاد كتابة مناشير إقطاعية كمنادج صالحة لمن لقبه سيف الدين ، أو صلاح الدين .

كذلك يتمتع الأمير بصيغ خاصة وأسلوب معين في المكاتبات تعظيماً واحتراماً ، وتتدرج هذه الصيغ بحسب مراتبهم ، وأرفع الأساليب ما افتتحت المكاتبة للأمير بلقب « المقر » ويضاف إليه أحياناً الأشرف أو الشريف العالي أو الكريم ، فيقال : المقر الأشرف ، المقر الشريف العالي ، المقر الكريم العالي ، المقر العالي .

وينتص هذا اللقب بكبار الأمراء وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن في مستواهم كناظر الخاص وناظر الجيش وناظر الدولة وكتاب الدست ، أى أنه يمنح لرجال السيف ورجال القلم ، بل قد يكتب هذا اللقب في عهود السلاطين عند توليتهم كما جاء في العهد المكتوب بالسلطنة للمنصور قلاوون (١٠٦)

ومن كبار الأمراء الذين كوتبوا بهذا اللقب : تنكر نائب الشام في عهد الناصر محمد ، فقد جاء في تقليده بالتفويض في أمور الشام سنة ٧٣٩ هـ — ١٣٠٨ م ، أن أمر السلطان جميع نواب الشام أن يكاتبوا تنكر بهذه الصيغة « أعز الله أنصار المقر الشريف » ، وذلك بعد أن كانت المكاتبه سابقاً « أعز الله أنصار الجنب » (١٠٧) ، وبلى رتبة « المقر » رتبة « الجنب » ويكتب لأرباب السيوف والأقلام ويقال فيه « الجنب الشريف العالى أو الجنب الكريم العالى أو الجنب العالى » (١٠٨) .

وقد ورد هذا اللقب في منشور قلاوون بإقطاع ابنه الناصر محمد : « . . . اقتضى حسن البر الوصول . . . أن خرج الأمر العالى . . . أن يجرى في ديوان الجنب العالى المولوى الناصرى . . . » (١٠٩) ، ثم رتبة « المجلس » والمعروف أن هذا اللقب كان مقصوراً في عصر الأيوبيين على الملوك ومن في مستواهم ، ولكنه صار أدنى الرتب في عصر المماليك ويقال فيه « المجلس العالى أو المجلس السامى » (١١٠) ، وورد هذا اللقب في مناشير أمراء الغرب التنوخيين التى صدرت إليهم بعد روك الشام في سنة ٧١٣ هـ — ١٣١٣ م مثل « المجلس السامى الأمير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين أمير الغرب » (١١١) ثم « مجلس » وهى أدنى الرتب من غير تعريف ، ويلقب بها كثير من الفئات الحربية وغير الحربية (١١٢) مثل « مجلس الأمير عز الدين حسين بن مشرف الدين على » ، « مجلس الأمير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين صالح » (١١٣) .

ومن علامات التشريف الرمزية لكل صاحب إمرة : البوق والعلم ، سواء في ذلك أكان الأمير من العربان أم من غيرهم من رجال الجيش (١١٤) وقد يرى ولى الأمر المبالغة في تكريم أحد أتباعه ، فيمنحه على سبيل الاستثناء شارة تشبه شارة السلطنة نفسها وهذه هى « السنجق والعصائب » التى تحمل على رأس السلطان في المواكب ويختص بها السلاطين ولا يسوغ لأحد غير السلطان حملها ولكن الناصر « تصدق » بها على أبى الفداء نائب حماة في سنة ٧١٣ هـ — ١٣١٧ م (١١٥) .

كذلك لكل أمير عدد معين من الطبول يدق على بابه ، ويختلف هذا العدد بحسب مرتبة الأمير ، ولما كان السلطان رأس المدرج في النظام الإقطاعي المملوكي ، كان عدد الطبول التي تدق على بابه أكثرها ، ويقدر هذا العدد بأربعين حملاً طبلخاناه وأربعة طبول دهل (١١٦) وأربعة زمور وعشرين نفيراً (١١٧) ويلى السلطان الأمراء مقدمو الألوف ، وهؤلاء من حقهم أن يدق على باب الواحد منهم ٨ أحمال طبلخاناه ، طبلان دهل ، زمران ، أربعة أنفارة ، على أنه قد لا يتوفر هذا العدد بكامله فيقل إلى ما دونه ، مثال الأمير سيف الدين بهادر المنصوري المتوفى في سنة ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م ، وهو أحد الألوف بدمشق أيام الناصر ، كان يدق على بابه ثلاثة طبلخاناه (١١٨) ، وإذا كان مقدم الألف أتابكا للعساكر ضوعف العدد الأصلي (١١٩) .

أما أمراء الطبلخاناه فيدق على باب أحدهم ثلاثة أحمال طبلخاناه ونفيران وقد قل هذا العدد الأخير فصار طبلين وزمرين (١٢٠) ، ويلاحظ أن هذه عادة في دق الطبول على أبواب الأمراء قد بطلت منذ دخول سليم الأول مصر (١٢١) .

ومن حق الأمراء أن يتولوا وظائف معينة بحسب مراتبهم في الإمرة ، علماً بأن هناك من الوظائف ما لا يشترط في شاغلها إمرة معينة بل يليها صاحب إمرة أو من هو بغير إمرة على السواء (١٢٢) ، كما أن هناك من الوظائف ما هو لغير أصحاب الإمرة ، منها : عشرون حاجباً وأمير طبر (١٢٣) وأمير علم وكاشف الطير .

ومن الحقوق المادية التي ينالها المقطع غير المتمتع بغلة إقطاعه ما عرف باسم « الإطلاقات » ، وهي التي يحوزها من ولى الأمر ، وهناك المنح والمخصصات التي تعطى له بحكم العرف والعادة في المناسبات المختلفة ، وتشمل هذه المنح : الخلع والملابس والخيول والعقارات ، فضلاً عن المال والطعام ، ومن السلاطين من احتجز لنفسه ضمن خاصة من الإقطاعات « قيراطاً » زيادة عن نصيبه ، لهذه الإطلاقات ونحوها ، وجرت العادة بأن يكون منح

الخلع تارة في ابتداء سلطنة ولي الأمر ، وفي هذه الحالة تشمل سائر الجند وأرباب القلم ، وتارة في المناسبات الطارئة كالتهنئة برأس السنة الهجرية ، وفي الأعياد وشهر رمضان وفي الحفلات المختلفة وعند اللعب والصيد وعند دوران المحمل .

فمن حيث الخلع^(١٢٤) نجد خلع أرباب السيوف من أكابر المئين ، وتتكون من الأطلس الأحمر الرومي وتحتة الأطلس الأصفر الرومي وعلى الفوقاني طرز زركش ذهب وتحتة سنجاب وله سحجف من ظاهره وكلوته زركش ذهب وكلايب ذهب وشاش لانسي رفيع موصول به في طرفيه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون أو حوائص ذهب تختلف بحسب رتب الأمراء^(١٢٥) . فحوائص كبار الأمراء قيمتها ٣٠٠٠ دينار ، وحوائص الطبلخاناه ٣٠٠ دينار ولمقدمي الحلقة حوائص ما بين ١٥٠-١٧٠ ديناراً ، أما حوائص الجند فقيمتها ٤٠٠ درهم^(١٢٦) .

فمثلاً عرض السلطان فرج في سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) المماليك السلطانية ثم فرق عليهم خيولاً ولبوساً^(١٢٧) ، ووزع السلطان جقمق في سنة ٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م خلعاً على مشايخ العربان باستمرارهم على ما كانوا عليه ، منهم عيسى ابن عمر الهواري أمير عربان الوجه القبلي^(١٢٨) ، وأرسل قايتباي في سنة ٨٧٦ هـ - ١٤٧١ م لنواب الشام كوامل للشتاء وعدة خلع للأمير يشبك الدوادار برسم من يرد عليه من التركمان كما أرسل نحو ٤٠ ألف دينار برسم توسعة على العسكر^(١٢٩) . ويختص أمراء الشام بصفة خاصة بأكثر من قباء واحد للشتاء إلا من توجه إلى السلطان في أمر ما ، فإنه ينعم عليه بما يقتضيه الحال^(١٣٠) .

أما الطعام فهو مقرر لجميع الأمراء بحكم العادة على اختلاف مراتبهم : الرواتب الجارية في كل يوم من اللحم وتوابله ، والخبز والشعير لعليق الخيل^(١٣١) والزيت ، ولبعضهم الشمع والسكر وكذلك لجميع ممالك السلطان وذوى الوظائف من الجند^(١٣٢) ، وتقدر الطيور المطبوخة والتي توزع على الأمراء

كل يوم بنحو ٧٠٠ طائر ، وتقدم في أوان خاصة تسمى « مخافى » وهو طبق واسع كبير العمق يشبه ما كان يعرف في العصور الوسطى باسم « طيفور » Plat-Creux . ويلاحظ أن المشرف على هذه الإنعامات من المواد الغذائية ديوان يعرف باسم « ديوان الدولة » (١٣٣) كما يختص مباشر الأهرام (مخازن الحبوب) ضمن أعماله ، بضبط ما يصرف لصاحب جرایة أو صلة أو إنعام (١٣٤) .

ويوضح الجدولان الآتيان (أ، ب) رتبة الإمرة والوظيفة التي تؤهل لها هذه الإمرة واختصاصاته ظائف .

جدول (١)

الوظائف التي تؤهل لها رتب الإمارات العسكرية

الرقم	رتبة الإمرة	الوظائف التي يتأهل لها صاحبها
١	مقدمو الألوف	<p>أمير كبير - أمير سلاح - أمير مجلس - أمير دوا دار كبير - أمير آخور كبير - أمير رأس نوبة النواب - أمير حاجب الحجاب - أمير خازن دار كبير - أمير الحاج الشريف (١٣٥) .</p> <p>ومن أمثلة أصحاب هذه الوظائف في عهد قايتباي سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) :</p> <p>الأمير أزيك بن ططخ أمير كبير ، الأمير تمراز الشمسي أمير سلاح ، أقبردي بن علي باي أمير دوا دار كبير ، قانصوه بن طراباي المعروف بخمسمائة أمير آخور كبير . تغري بردي ططر حاجب الحجاب . إمريه مجلس شاغرة لنقل صاحبها أزدمر قريب السلطان إلى نيابة حلب ، ويلاحظ أن أزدمر كان في إمريه المجلس من غير إقطاع ولكن براتب قدره ١٥٠٠ دينار في الشهر مرتبة على الذخيرة ، وكان بها قبل أزدمر لاجين الظاهري الذي استعفى منها قرا المحمدي الظاهري رأس نوبة النواب (١٣٦) . والملاحظ كذلك أن هناك من مقدمي الألوف</p>

تابع جدول (١) الوظائف التي تؤهل لها رتب الإمارات العسكرية

الرقم	رتبة الإمرة	الوظائف التي يتأهل لها صاحبها
٢	أمراء الطبليخاناه	<p>من هم من غير وظائف مثل أربك اليوسفي المعروف بالخازندار وتاني بك الجمالي وتاني بك الإينالي وأزدمر تمساح ويشبك الجمالي شاد الشرانجاناه - خازندار الثاني - الدوادار الثاني - أمير آخور الثاني رأس نوبة الثاني - الحاجب الثاني - نائب القلعة المنصورة - الزردكاش - أمير شكار وأمير جاندار (١٣٧) .</p> <p>ومن أمثلة أصحاب هذه الوظائف في عهد برقوق الأمير جمال الدين المعروف بابن الحاجب كان أمير شكار في سنة ٦٨٧ هـ ١٣٦٦ م (١٣٨) .</p>
٣	العشرينات والعشرات	<p>الدوادار الثالث وأمير آخور الثالث ورأس نوبة الثالث والحاجب الثالث - استادار الصحبة وسبعة حجاب وعشرة رءوس نوب (١٣٩) ، وقد ينتقل أمير عشرة ورأس نوبة إلى ولاية القاهرة التي يصح أن يشغلها من هو بإمرة ومن هو بغير إمرة مثل الأمير جانع بك الشبكي أمير عشرة ورأس نوبة ولاة جقمق في سنة ٨٥٠ هـ - ١٤٤٦ م ولاية القاهرة (١٤٠) . كما قد يتولى أمير عشرة نظر مكة . مثل الأمير سودون عبد الله وهو نائب قلعة دمشق . خلع عليه جقمق بإمرة عشرة وولاه نظر مكة (١٤١) .</p>

جدول (ب)
اختصاص أصحاب هذه الوظائف

اسم الوظيفة	اختصاصها
أمير كبير	هو أتابك العساكر وأول من لقب به في عصر المماليك الأمير شيخو في عهد السلطان حسن .
أمير مجلس	من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب ويرى القلقشندى أن الأفضل أن يقال أمير المجلس .
أمير دوا دار	الدوا دار ماسك الدواة وأول من أحدثها السلاجقة كان يليها أمير عشرة أيام بيبرس ثم صار يعينه فيها من الطبلخاناه والألوف وهي درجات ، ومهمته تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور .
أمير آخور كبير	كبير المشرفين على إصطبل السلطان أو الأمير ، وآخور كلمة فارسية معناها المعلق .
أمير رأس نوبة	كبير المشرفين على ممالك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم ، والنوبة هي المرة بعد الأخرى والمقصود بها تنظيم الحراسة .
أمير حاجب	كبير الحجاب وهو من يبلغ أخبار الرعية للسلطان وهي وظيفة قديمة عرفت في عصر الفاطميين باسم « صاحب الباب » وكان في عصر المماليك يقف بين يدي السلطان في المواعيد .
أمير خازن دار	كبير المشرفين على الخزانة وتطورت رتبة الحاجب في عصر المماليك حتى صارت من الوظائف الكبرى الهامة .

تابع جدول (ب) اختصاص أصحاب هذه الوظائف

اسم الوظيفة	اختصاصاتها
أمير الحجاج أمير سلاح	يتولى رئاسة بعثة الحج والمحمل . كان يطلق حتى أيام برقوق على من يحمل سلاح السلطان ويناول له إياه في الحرب وفي عيد النحر ، وهو المتولى أمر الأسلحة السلطانية عامة ، المشرف على مخزن الأشربة من السكر والحلوى والعقاقير والفواكه ولهذا المخزن مهتار وعدة شربدارية وهم القائمون بالعمل فيه .
أمير شكار	المتحدث على جوارح الطير وسائر أمور الصيد ، وشكار كلمة فارسية بمعنى الصيد ، وللطيور ديوان يسمى الشكارخانا ، ولها جماعة الحوندارية وهم خدام طيور ونحوها ويحملونها إلى موضع تعليمها ، وأصله من كلمة « حيوان دار » وأطلق الحيوان في عرفهم على هذا النوع من الطير .
أمير جاندار	الذى يستأذن للأمرء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل ، وجان كلمة فارسية وتركية معناها الروح فيكون معناها الأمير الممسك للروح وربما المراد أنه الحافظ للسلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبته (١٤١).
أستادار الصحبة	الأستادار من يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ويمثل لأوامره ولعل أستادار الصحبة هو الملازم للسلطان في رحلاته ويمتول أمر ما ينفقه خلال الرحلة (١٤٢) :

وفى شهر رمضان ، لكل أمير من خواص السلطان مرتب من السكر والحلوى ولسائرهم الأضحية فى عيد الأضحى (١٤٣) ، وإذا رزق أحد الأمراء بولد ، جرت العادة بأن يطلق له السلطان دنانير وخبزاً ولحماً وعليقاً ، حتى يتأهل للإقطاع فى جملة الحلقة (١٤٤).

ومن حيث العقارات ، نجد أنها مقصورة على الخواص دون العموم ، ومن هذه العقارات ما أنفق عليه نحو المائة ألف دينار ، وكثرت هذه المنح بصفة خاصة فى عهد الناصر محمد ، فحدث مثلاً ، أن أمر الناصر فى سنة ٧٣٨هـ - ١٣٣٧م ببناء قصرين وإصطبلين قريباً من الرملة تحت القلعة ، وأقام الأمير أقبغا عبد الواحد أستاذاراً أو مشرفاً لعمارة القصرين والإصطبلين ، ثم أهداهما للمملوكيه : يلبغا اليحياوى والطنبغا الماردىنى (١٤٥).

وفى الحفلات المختلفة التى يقيمها ولى الأمر كحفلات الختان لأبنائه ، يوزع على الأمراء هدايا ، قد تكون مالية ؛ فى ختان السلطان خليل لأخيه الناصر محمد سنة ٦٩٢هـ - ١٢٩٢م ، عمل مهماً عظيماً ومنح الأمراء مقادير من المال كلا بحسب مرتبته ، فأخذ أمير المائة مائة دينار ذهب ، وأمير الخمسين خمسين والأربعين أربعين ، « كل واحد على مقداره » (١٤٦).

أما منح الخيول وهى من أهم المنح فى دولة حرية إقطاعية ، فقد جرت عادة ولاية الأمر فى عصر المماليك بمنحها فى السنة مرتين : إحداهما عند خروج السلطان إلى مرابط خيوله فى أواخر ربيعها ، فى هذه المناسبة قد تصل المنحة إلى مائة فرس فى كل سنة فينعّم على أمراء المثين ، بخيول مسرجة وملجمة وعلى من عداهم بخيول عرى ، كأمراء الطبلخاناه ، أما العشرات فليس لهم « حظ إلا ما ينقدّم على سبيل الإنعام » ومن مات له فرس من ممالكه أعطاه عوضه وذلك بعد إحضار جزء من لحمه وشهادة بأنه نفق (١٤٧) ولهذا التعويض نظير فى مملكة بيت المقدس الصليبية عرف باسم Restor منحته الملوك لأتباعهم حتى لا تفتر عزائمهم وهو من المظاهر الهامة فى نظام الخدمة الحربية الصليبية (١٤٨).

والمرة الأخرى عند خروجه للصيد أو عند لعبه الكرة فى الميدان ، فقد

يوزع السلطان على بعض الأمراء المقدمين ، فضلاً عن الخيول ، حوائص من ذهب ، لكن توزيع هذه الحوائص يرتب على أساس أميرين في كل موكب ميدان ، حتى يأتي على آخرهم في ثلاث أو أربع سنين (١٤٩) .

كذلك لخيول الأمراء في كل سنة إطلاقات أراض بالأعمال الحيزية لزراعة القروط ، وهو البرسيم ، لخيولهم من غير خراج ، كما أنه للممالك السلطانية البرسيم المزروع على قدر مراتبهم ، أو ما يدفع لهم من القروط بدلا من علق الشعير المرتب لهم في غير زمن الربيع عوضاً عن كل عليقة نصف فدان من القروط القائم على أصله في مدة ثلاثة أشهر (١٥٠) ، وتنظم هذه الإطلاقات من العلق في قوائم تعرف باسم : سياقة العلوفات (١٥١) .

أما نفقة البيعة ، ويعتبرها الأمراء حقاً لهم بحكم العادة ، فقد جرت عادة السلاطين عند ولايتهم للسلطنة أن ينفقوا أموالاً في سائر العسكر والأمراء حتى إذا حاول أحدهم الخروج على هذا التقليد رفض الجند وثاروا في وجهه . فمثلاً لما تسلطن برقوق في سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٣م ، أنفق على الأمراء والجند نفقة السلطنة فاستقامت أموره (١٥٢) ، وكذلك فعل السلطان إينال في سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م ، حيث ابتداء بفرقة نفقة البيعة على الجند وميز بعضهم على بعض بحيث تفاوتت المقادير الممنوحة لهم بين ١٠٠ و ٥٠ و ٢٥ ديناراً إلى عشرة دنائير ، ولذلك يعتبر أول من « شح في نفقة البيعة » على حد تعبير ابن إياس (١٥٣) ، كذلك لما تسلطن ابنه أحمد في سنة ٨٦٥هـ - ١٤٦٠م نادى في الحوش للعسكر بأن نفقة البيعة يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الأولى ، لكل مملوك ٢٠ ديناراً ، فسر الجند بذلك ، ولكل أمير من الكبار : الأتابكي خشقدم ٤٠٠٠ دينار وأرباب الوظائف الأمراء والمقدمين لكل واحد منهم ٢٥٠٠ دينار وبقية المقدمين كل واحد ٢٠٠٠ دينار ولكل أمير طبلخاناه ٥٠٠ دينار وللعشرات كل واحد ٢٠٠ دينار ، ثم أنفق على الجند على العادة القديمة من ١٠٠ إلى ما دونها حتى ١٠ دنائير (١٥٤) .

ولما حاول قايتباي إلغاء نفقة البيعة ، رفض الجند ، إذ أنه اشترط عند

ولايته السلطنة في سنة ٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م ألا يتفق على العسكر نفقة البيعة فرفضوا لأنه شرط غريب لم يألفوه سابقاً ، وأصر قايتباي ، واعتقل الكثير من المتذمرين . وأنفق محمد بن قايتباي نفقة البيعة على جنده في السنة التالية لسلطته وهي سنة ٨٩٠٢ هـ - ١٤٩٦ م (١٥٥) وهكذا .

وهناك نفقة أخرى تعرف باسم « نفقة التجريدة » ربما أشبهت ما يعرف في عصرنا الحاضر باسم « بدل ميدان أو مرتب ميدان » ، وهذه ينفقها السلطان على « المجردين في المهمات الحربية » ، زيادة عما بأيديهم من إقطاعات وعرف شبيهها كذلك في مملكة بيت المقدس الصليبية ، وتمنح مقدماً ، كما هو الشأن عند الممالك .

ومن الأمثلة على ذلك ما أنفقه الناصر محمد سنة ٦٩٩ هـ - ١٢٩٩ م في جنده قبيل خروجه لحرب التتر إذ جعل أجناد الحلقة ثلاث طبقات ، نصيب الفرد من الطبقة الأولى ٨٠ ديناراً ومن الطبقة الثانية ٧٥ ديناراً ومن الأخيرة ٦٥ ديناراً ، ووزع على أجناد الشام لكل جندي ١٥ إردباً من كل من القمح والشعير والفول ، وعلى أجناد الأمراء لكل واحد ٥٠ ديناراً ، وظلت هذه قاعدته التي سار عليها عند خروجه في كل تجريدة (١٥٦) . ولما غضب على نائبه تنكر سنة ٧٤٠ هـ - ١٣٣٩ م وأعد حملة لمحاربته ، أنفق على كل مقدم ألف دينار وعلى أمير الطبلخاناه ٤٠٠ دينار ومقدم الحلقة ألف درهم ، وكل مملوك من الممالك السلطانية ٥٠٠ درهم وفرساً وفرقلاً وخوذة (١٥٧) .

وامتنع جند برقوق عن استلام نفقة التجريدة حين استعد لحرب تيمورلنك سنة ٧٩٦ هـ - ١٣٩٣ م لقلتها ، فقد أعطاهم دون المائة دينار ، واضطر هو لتوزيعها بنفسه عليهم ، فأخذوها كارهين (١٥٨) ، وبلغت نفقة قايتباي على حملته ضد العثمانيين في سنة ٨٩٥ هـ = ١٤٨٩ م نحو ٥٠٠ ألف دينار (١٥٩) ويقال إن نفقات الدولة بلغت في عهده مما صرفه على التجريدات الحربية وثمان الممالك والخيول والسلاح نحو ٣٧٧٠٠٠٠ دينار خارجاً

عما أنفقه بيده وعما تصرفه دواوينه يومياً وشهرياً من ثمن اللحم والدقيق والحوامك (١٦٠) .

ومن الحقوق السلبية إعفاء بعض الأمراء من بعض الالتزامات كالقدمة سواء فيها السنوية العادية أم الطارئة لسبب ما ، كجذب الأرض وقلة المحصول أو لمجرد عفو السلطان والتخفيف عن تابعه أو مكافأة له على عمل أجاده ، فمثلاً حين أجذبت أرض الشام في سنة ٧٢٢هـ - ١٣٢٢م وانحبس المطر ، رسم الناصر لأبي الفداء ألا يرسل قوده على العادة ، عطفاً عليه ، ومع ذلك أرسل أبو الفداء عدة خيول ، فرد عليه السلطان بتشريف ومقدار من المال ومقدار من الحنطة يقدر بألف مكوك (١٦١) ، ولما قبض الأمير أرغون النائب بحلب ، على صاحب دلغادر الثائر على السلطان ، أرسل له السلطان صالح ليحمله إلى مصر وأنعم عليه بخمسمائة ألف درهم ، كما أعفاه من تسير القود الذي جرت عليه عادة نواب حلب بحمله إلى السلطان من الخيل والجمال والبخاني والهجن والبغال والقماش والحواري والممالك وقيمة ذلك ٥٠٠٠٠٠ درهم (١٦٢) ، ويدلنا هذا التثمين الأخير للقود الخاص بحلب أن التقادم كانت محددة بقدر معلوم من المال بحسب مرتبة الأمير ونيابته ، وأن هذا القدر هو الحد الأدنى لما ينبغي على الأمير تقديمه ، كذلك وقع الإعفاء من تقادم وهدايا المناسبات كما فعل بيبرس في سنة ٦٦٢هـ - ١٢٦٣م بمناسبة ختان ابنه السعيد ؛ فقد أمر بمنع التقدمة التي كان يقدمها الأمراء والخواص « التي جرت العادة بها للملوك في مثل هذا المهم . فلم يقدم أحد منهم شيئاً » (١٦٣) .

بل ربما سامح السلطان بعض المقطعين بما عليهم من أموال مثل « المسموح » الذي ناله الأمير بكتاش الفخري سنة ٧٠٥هـ - ١٣٠٥م (١٦٤) من السلطان الناصر محمد بعد أن كبرت سنه ونيفت على الثمانين ، فخشي أستاذه وهو المشرف على إقطاعه ، أن يطالبه السلطان بعد موت بكتاش بما عليه من ديون للدولة من « تقاوى سلطانية وتفاوت الإقطاعات » في مدة إمرته ، وأوعز إلى ابن الأمير المقطع بأنه إن لم يسأل السلطات في ذلك ، سوف لا يبقى

لهم « موجود » بعد وفاة أبيه ، واتفقا معاً على أن يتنازل أبوه عن الإقطاع لعجزه دون أخذ رأيه ، وتم الأمر بموافقة السلطان على ذلك وأعطاه « مسموحاً » بما عليه من ديون (١٦٥) ، وحدث كذلك في الروك الناصري سنة ٨١٥هـ - ١٣١٥م ؛ إذ سامح الناصر « بالبواقي الديوانية والإقطاعية » ، من سائر النواحي إلى آخر شعبان سنة ٧١٤هـ - ١٣١٤م ورسم في سنة ٧٣٨هـ - ١٣٣٧م بمساحة ضمان دمشق بما عليهم من البواقي للديوان ومبلغه ٢٨٠ ألف درهم ، وهذه هي « المساحات » (١٦٦) .

هوامش الفصل السادس

- (١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢١٩ .
- (٢) المصدر السابق ص ٢٢٠ .
- (٣) السلوك ج ١ ص ٤٩١ - ٤٩٢ .
- (٤) التعريف ص ١٥٧ - ١٦٠ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣٠٧ .
- (٥) تكتب صيغة القسم في القطع الصغير أوقفط العادة من الورق ، وعرضه مدس ذراع (التعريف ص ٣٠٧ - ٣١٨ ، ٣٢٠ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣١١ ، انظر نسخة اليمين بالملاحق) .
- (٦) انظر أصحاب الوظائف من المقطعين فيما يلي .
- (٧) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣١٠ .
- (٨) التعريف ص ١٥٠ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣١٠ .
- (٩) هناك زيادات كثيرة أخرى لغير هؤلاء (التعريف ص ١٤٨ - ١٥٠ صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ٣٠٨ - ٣٠٩ ، انظر الملاحق) .
- (١٠) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٨٧ .
- (١١) السلوك ج ١ ص ٨٠٢ .
- (١٢) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣ .
- (١٣) أنباء القمر ج ١ ص ٤٦٥ .
- (١٤) لما تولى خايربك نيابة مصر عن السلطان سليم في سنة ٨٩٢٤ - ١٥١٨ م ، أحضر مصحفا شريفا وحلف الأمراء العثمانيين بمصر بآلا يخونوا ولا يفتروا ، كما حلف من خدم العثمانيين من المماليك كالأمر قايتمباي اللوادار . (بدائع الزهور ج ٣ ص ١٦٠) .
- (١٥) التعريف ص ٨٤ و ٩٢ - ٩٣ ، انظر الملاحق .
- (١٦) المصدر السابق ص ٩٨ - ٩٩ ، انظر الملاحق .
- (١٧) المصدر السابق ص ٩٩ - ١٠٠ ، انظر الملاحق .
- (١٨) المصدر السابق ص ١٠٩ ، ١١٠ ، انظر الملاحق .
- (١٩) المصدر السابق ص ١١١ - ١١٢ ، ملاحق .
- (٢٠) هناك وصايا أخرى للأستادار المشرف على بيوت السلطان ، ولأتابك المجاهدين ، وهو رئيس طائفة الإسماعيلية وغيرهما ، وكذا لجميع الطوائف من أصحاب الحرف . (التعريف ص ٩٦ - ٩٨ و ١٢٤ ، انظر الملاحق وفصل المجتمع) .

- (٢١) تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ٧٣ .
- (٢٢) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣١٢ - ٣١٣ .
- (٢٣) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٩٢ ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٥ - ٢١
- (٢٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٦ ٣٣١ .
- (٢٥) المصدر السابق ص ٣٤٦ .
- (٢٦) المصدر السابق ٣٨٠ .
- (٢٧) فينو جرادوف وكوبلاند (ترجمة زيادة) ص ٦٤ ، - Ganshoff, pp. 65 - 69, III - II2, Stephenson, pp. /18-22
- (٢٨) Dutailis, p. 62
- (٢٩) كوبلاند وفينو جرادوف - ترجمة زيادة - ص ٦٤ - ٦٥
- (٣٠) خطط ج ٢ ص ١٥٣ - ١٥٤ ، دولة آل سلجوق ص ٥٥ ، راجع الفصل الأول .
- (٣١) التعريف ص ٨٥ .
- (٣٢) حدد الإقطاع الغربي من الوجهة النظرية على الأقل مدة ٤٠ يوما للخدمة الحربية الواجبة على الأتباع، لكن هذه المدة كانت الحد الأدنى ، ووجد كثير من الشواذ ، كما اختلفت المدة في كثير من جهات أوروبا الإقطاعية، فمثلا كانت الخدمة في مقاطعات أنجو ونورمانديا بفرنسا لمدة أربعين يوما على حساب التابع وما زاد عن ذلك على حساب السيد ، وامتدت الخدمة الحربية في صقلية النورمانية الإقطاعية إلى سنة ، وفي بعض الولايات الألمانية قدرت بستة أسابيع يستطيع التابع بعدما أن يعود إلى محل إقامته ليستريح مدة أربعين يوما ، وفي البعض الآخر لم تحدد بوقت معلوم ، كما هو الشأن في إقطاع أسقف لياج Liege ، وكذلك كان الشأن في إنجلترا الإقطاعية النورمانية . (La Monte, pp. 141 - 143, Ganshoff pp. 78 - 79)
- Stenton, pp. 12 - 13 , Ba rker, p48, Stephenson, pp, 236 - 238.
- (٣٣) درة الأسلاك ج ١ ورقة ٣٥ .
- (٣٤) السلوك ج ١ ص ٨٣٧ - ٨٣٩ وحاشية ٢ .
- (٣٥) الجوهر الثمين ج ٢ ورقة ١٨٥ ، نزهة الأنام ورقة ١١ .
- (٣٦) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٦٢٤ .
- (٣٧) تاريخ ابن الفرات ج ٢ ص ٣٦٢ - ٣٦٤ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- (٣٨) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٢٩ و ٣٣١ .
- (٣٩) من أمثلة المشير المقرر على العربان في العصر الأيوبي، ما كان مقررأ على عربان الفيوم وقدره ٤٠٠ فارس ، النصف على عرب بني عجلان والنصف الآخر على عرب بني ممالوس ، ومفردات هذا المدد مفصلة بالنسبة للقبائل المنضوية تحت لواء الطائفتين الكبيرتين (تاريخ الفيوم ص ١٧٧ - ١٧٨) .

- (٤٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠٨ ، ١٢٤ ، ج ٣ ص ١٥ و ٩٠ .
- (٤١) انظر فصل المجتمع .
- (٤٢) السلوك ١ ص ٥٢٨ .
- (٤٣) السلوك ج ٢ ص ١٩١ - ١٩٢ .
- (٤٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣٠ .
- (٤٥) عمل السلطان قايتباي في سنة ٨٨٧٤ - ١٤٦٩ م ، على إعادة ما أخذه من المال عوضاً عن الأبدان ، ونودي من قبله بأن من دفع مالا فليصعد إلى القلعة ليأخذه . ولكنه رد إليهم نصف ما أخذه منهم ، وهناك أمثلة كثيرة عن الأبدان والموض المادي . (بدائع الزهور ج ١ ص ٣٣١ و ج ٢ ص ٩٣ ، ١١٦ ، ٢٣٠ ، السلوك مخطوط ج ٣ ص ٣٧٢) .
- (٤٦) الأمثلة كثيرة على الاختبار وقطع الجامكية و « كسر الخاطر » ، للفاشلين ونزولهم من القلعة « وهم في غاية الفكر » على قول ابن إياس (بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠١ ، ٢٣٠ ، ٢٥٨) .
- (٤٧) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٨ ج ٣ ص ٨٥ .
- (٤٨) Ganshoff, pp. 82-83
- (٤٩) La Monte, p. 266
- (٥٠) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- (٥١) عيون التواريخ ص ٢٢٠ .
- (٥٢) السلوك ج ٢ ص ١٩٤ .
- (٥٣) أخبار الأعيان ص ٣٤٦ .
- (٥٤) أخبار الأعيان ص ٢٣٧ - ٢٤٣ و ٣٤٦ .
- (٥٥) السلوك ج ٢ ص ٤٣٠ - ٤٣١ وحاشية - ٥ .
- (٥٦) السلوك ج ١ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .
- (٥٧) تاريخ بيروت ص ٤٣ ، ٧٩ - ٨٠ ، ٩٠ وما بعدها ، أخبار الأعيان ص ٢٢٣ - ٢٣٨ .
- (٥٨) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .
- (٥٩) يقوم بخدمة البريد داخل مصر خيول العرب وخيول السلطان على ألا تتعدى خيول السلطان مدينة بليس .
- (٦٠) التعريف ص ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٦ .
- (٦١) السلوك ج ١ ص ٤٨١ .

(٦٢) كان عيسى هذا أحد خدام الناصر محمد وهو بالكرك ، فلما عاد إلى السلطنة سلمه الهجن ، وربما جاءت تسميته بالهجان نسبة إلى هذا العمل الذي وكل إليه به ، فعظمت مرتبته وكثرت أمواله ، وقبض عليه الناصر حسن سنة ٨٧٥٤ - ١٣٥٣م (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٥٧) .

(٦٣) يقسم القلقشندي الأموال الديوانية إلى قسمين كبيرين : أموال شرعية وتشمل خراج الأراضي والمعادن والزكاة والجوالى والموارث الحشرية ، وغير شرعية وتشمل المكوس ، سواء ما كان تابعا منها للسلطان أو مفرقا في الإقطاعات ، وإذا جبيت الأموال مساهمة ، عرفت بالخراجى أو المال الخراجى ، وإذا جبيت مشاهرة عرفت بالهلالى ، مثل أجرة الأملاك المسقفة من « الآدر . والحوانيت والأفران وأرحية الطواحين » ، ومن الهلالى جهات عرفت بالمعاملات مثل : الزكاة والموارث الحشرية والمتجر ، الشب ودار الضرب ودار العيار ومقرر الجصور ومقرر البريد ، وغيرها من جهات المكوس .

ومن الخراجى ما يؤخذ هدية من الفلاحين من طرف الريف ، وهناك مال بين الخراجى والهلالى وهو « الجوالى » فهى تورد بعد الهلالى والخراجى ، وذلك مساهمة ، وكانوا يرون وجوبها مشاهرة ، وفائدة ذلك فيمن أسلم أو مات في أثناء الحول ، فإنهم كانوا يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته ، كذلك عند انتقال الإقطاع من شخص إلى آخر فإن الجزية تجرى مجرى المال الهلالى لأنها تستخرج على حكم الشهور الهلالية . (صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٤ ، ٤٧١ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٢٨ ، ٢٧١ ، خطط ج ١ ص ١٦٧ و ١٧٢ ، ١٧٣ ، زبدة كشف الممالك ص ٩٧ ، ٩٨) .

(٦٤) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٨ .

(٦٥) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٤ انظر الفصل السادس .

(٦٦) يذكر ابن عاتق أن قاعدة البدل في عهد الأيوبيين : أردب من القمح يستبدل به إردب ونصف إردب من الشعير أو من الحمص أو من الجلبان وهكذا (قوانين الدواوين ٣٥٩) .

(٦٧) « العمل » هو نوع من القوائم يعملها الكاتب في الدواوين ويشمل هذا العمل متحصل الغلال والتقاوى بالناحية الغلانية لمغل سنة كذا أو كذا الهلالية (نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٠ و ٢٧٨ ، انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية) .

(٦٨) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٠ ، ٢٧٨ .

(٦٩) انظر فصل المجتمع .

(٧٠) الملى : ٤٠ ذراعا مربعا .

(٧١) عيون التاريخ ص ٢٠٤ .

(٧٢) فرض في هذه المناسبة على أملاك القاهرة وضواحيها أجرة شهر واحد وعلى الرزق على كل فدان عشرة دراهم ، وعن كل فدان من البساتين مائة درهم . (بدائع الزهور ج ١ ص ٣٣٠) .

(٧٣) أنبله النمر ج١ ص ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، الأعلام بتاريخ أهل الإسلام ج٢ ورقة ١٨٠ ، ١٨١ ، بدائع الزهور ج١ ص ٣٣٠ .

(٧٤) كان المتولى لجباية هذا الخمس ، الأمير شرف الدين بن البدرى حسن ، فتوعد الممالك الجلبان بالقتل ونهبوا بيته فيما بعد (بدائع الزهور ج٢ ص ٢٥٢ ، ٣٠٢) .

(٧٥) كوريلاندوفينو جرادون (ترجمة زيادة ج ص ٩٠ - ٩١) Stephenson p. 238

(٧٦) تشبه هذه الضريبة ما عرف الأنجلو سكسون باسم Danegeld نسبة إلى خطر الدانين وقد أبقاها وليام الفاتح على أثر دخوله إنجلترا .

(Bréhier p. 64 ; Stephenson p. 261) .

(٧٧) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٣٨ ، ٤٠ و ٨١ ، ٨٢ و ٩٠ ، ٩١ .

(٧٨) النجوم الزاهرة ج٩ ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٧٩) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، التعريف ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٨٠) يلاحظ : أن على الأمير التزاما بحكم العادة وهو « مقرر الطيور » غير ما قد يكون ضمن تقدمته من طيور إذ كان لكل أمير من كبارهم حوش للصيد به عدة شباك وصيادون طول الشبكة ١٢ ذراعا يجذبها ١٦ نفرا ، ويتولى ديوان الأمير حمل ما على الأمير من الطيور السلطان (الزبدة ص ١٢٨) .

(٨١) أبو الفداء ج٤ ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٨٢) السلوك ج٢ ص ٢٣٧ ، ٢٤٦ .

(٨٣) سلاطين الممالك ص ١٨٦ ، ١٨٩ .

(٨٤) الجمال البخاقى : البخت الأبل الحرسانية (القاموس المحيط) .

(٨٥) جمال عراب مفردا (عربى) كريم سالم من الهجنة (أقرب الموارد) .

(٨٦) السلوك مخطوط ج٣ ص ٢١٤ .

(٨٧) السلوك مخطوط ج١ ج٣ ص ٣٦١ .

(٨٨) السلوك مخطوط ج٣ ص ٤٣٧ .

(٨٩) سمور : كتور دابة أو حيوان برى يشبه السنور يتخذ من جلدها فراء مشمة وربما أطلق السمور على جلده ويجمع سماير . (القاموس المحيط) .

(٩٠) البدنة قميص من غير أكمام تلبسه النساء ، والبدن الدروع القصيرة (أقرب الموارد) .

(٩١) الشق : النصف ، وشق كل شيء جانبه والشقق الحرير بقع ملوثة من الحرير ، وعموما الشقق من الحرير وقطع الأبسطة (راجع النجوم الزاهرة ج١٢ ص ٣ ، ٤ ، ٧٧ القاموس المحيط ، أقرب الموارد) .

(٩٢) حوادث الدهور ورقة ٢٦ ، ٢٧ .

(٩٣) كانت هذه هي الحجة الثانية للناصر ، وقد أبطل فيها سائر المكوس التي كانت

- مفروضة على الحجاج ، وعوض أميرى مكة والمدينة بإقطاعات بمصر والشام . (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٨ و ٥٩ ، السلوك ج ٢ ص ١٩٥ ، ١٩٦) .
- (٩٤) الأعدال جمع عدل وهو نصف الحمل (أقرب الموارد) .
- (٩٥) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٣٢ .
- (٩٦) ركبت خوند فاطمة في محفة زركش ومعه ٥٠ جملا محملة بالحرير الحمل الملون وخرج معها أرباب الدولة والوظائف ومقدم الممالك وأعيان الخدم وبأيديهم المعصى ، وذلك في سفرها إلى الحجاز (بدائع الزهور ج ٢ ص ١٥٦ ، ١٩٣) .
- (٩٧) بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .
- (٩٨) صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٣ .
- (٩٩) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٢٠٤ .
- (١٠٠) أنباه القمر ج ١ ص ٤٣١ .
- (١٠١) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٢٤ .
- (١٠٢) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٦١ .
- (١٠٣) أمثلة الضيافات والولائم التى تقام للسلطان كثيرة ، منها وليمة المقر الأتابكى قائم للسلطان خشقدم في سنة ٨٨٧٠ - ١٤٦٤م ، فنزل السلطان مع عسكره ومد لهم الأمير ضحاطا عظيما كان مصروفه ألف دينار ، وجاء أرباب الملايعب من المشعوذين ، ووليمة محمد بن برقع من هربان الفيوم للسلطان قايتباى في سنة ٨٨٧٦ - ١٤٧١م ، فدت الأسمطة وبات السلطان عنده ، ولما وصل قايتباى إلى العباسية أضافه شخص يسمى ببيرس بن شعبان ، من شيوخ العرب ، ولما سافر إلى نوى في سنة ٨٨٧٨ - ١٤٧٣م) أضافه ابن طفيس وهكذا .
- بدائع الزهور ج ٢ ص ٧٩ ، ١٣٣ ، ١٤٦ ، القول المستطرف ص ٤٢ ، ٥٠ .
- (١٠٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
- (١٠٥) ورث الممالك هذه الألقاب عن أساتذتهم الأيوبيين ، وهؤلاء ورثوها عن أساتذتهم من آل زنكى كصلاح الدين يوسف ، وسيف الدين أبو بكر والصالح نجم الدين وهكذا (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٨٨) .
- (١٠٦) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ .
- (١٠٧) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٣٠ .
- (١٠٨) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٩٥ .
- (١٠٩) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٦٦ .
- (١١٠) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٩٦ .
- (١١١) تاريخ بيروت ص ٩٢ ، ٩٣ ، تاريخ الأعيان ص ٢٣٤ .
- (١١٢) يشمل هذا القلم وغيرهم من العرب والترك مثل مجلس القاضى ومجلس

الشيخ القسوفية وأهل الصلاح، ومجلس الصدر للتجار وأرباب الصنائع، وربما كتبت في أيام الناصر لكتاب الدرج ومن في معنهم (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٩٧) .

(١١٣) هؤلاء من أمراء الغرب المتوخين بلبنان (تاريخ بيروت ص ٩٢ ، ٩٤ وتاريخ الأعيان ص ٢٣٤) .

(١١٤) الإعراب ورقة ٩٠ .

(١١٥) السنجق بالتركية الرمح والعصاة راية من حرير أصفر مطرزة بالذهب (تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ٦٢ ، ٦٤ و ٧٥ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨ ، السلوك ج ١ ص ١٢٤ انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية) .

(١١٦) الدهل : الساعة والشئ اليسير ولعل المراد هنا بالطبول الدهل أنها طبول صغيرة (القاموس المحيط) .

(١١٧) زبدة كشف الممالك ص ١٢٥ .

(١١٨) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٨٢ .

(١١٩) زبدة كشف الممالك ص ١١٢ .

(١٢٠) زبدة كشف الممالك ص ١١٣ .

(١٢١) بدائع الزهور ج ٣ ص ١٧٨ .

(١٢٢) مثل هذه الوظائف : مقدم البريد المهندار ، دلال الماليك ، متولى القاهرة نقيب الجيش . ويتولى نقيب الجيش إحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ، أما المهندار فهمت تلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان وإتزالهم دار الضيافة والعناية بأمرهم . (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٦ ، ٤٥٩) .

(١٢٣) أمير طبر يتحدث على الطبر دارية الذين يحملون الأطبار ، وهى الفئوس ، حول السلطان فى المواكب ، وأمير علم يتولى أمر الاعلام السلطانية والطلبخانة (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٦ و ٤٥٨ و ٤٦٢ ، الزبدة ص ١١٥) .

(١٢٤) الخلع على أنواع ، وهى لأرباب السيوف وأرباب الأقلام عامة من الموظفين والعلماء ، وهى محفوظة بالخزانة الكبرى ، بالقلمة ، لكن بعد أن حولها الأمير منطاش بجنا لماليك برقوق فى سنة ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م) ، صارت الخلع عند ناظر الخاص ، لذلك نجد من مهمات الخاص السلطانى فوق إدارته وإشرافه على بلاد الخاص أو الإقطاع السلطانى، عمل برك التجاريد الشريفة ومهام عيد الأضحى وتفرقة الضحايا للخاص والعام ومهام عيد الفطر والباثكة ، ومهم كساوى الادر الشريفة من الأقمشة المذهبة المتنوعة وكساوى الماليك السلطانية وتفرقة الملبوس لأركان الدولة والسادة القضاة الموائ والأمراء وكفال الممالك ، لكل منهم ما يليق ، وتكفيه المطلوب والصبر المقررة لأرباب الإدراك وحمل الخلاوى والفواكه للخاص الشريف والادر الشريفة وتكفيه الهدايا يرسم الملوك، وتكفيه التشاريف لأرباب الوظائف فى عيد الفطر، وكذلك لكل من

- يستقر في وظيفة ، وللقصاد والمترددین (زبدة كشف الممالك ص ١٠٧ ، ١٠٩) .
- (١٢٥) خطط ج١ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ بولاني ، صبح الأعشى ج٦ ص ٥٢ ، ٥٣ .
- (١٢٦) خطط ج٢ ص ٩٧ ، ٩٩ .
- (١٢٧) بدائع الزهور ج١ ص ٣٤٥ .
- (١٢٨) التبر المسبوك ص ٤٢٦ .
- (١٢٩) بدائع الزهور ج٣ ص ١٣٢ .
- (١٣٠) صبح الأعشى ج٥ ص ٥٥ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٥ .
- (١٣١) انظر مايل .
- (١٣٢) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٤
- (١٣٣) السلوك ج١ ص ٤٦٨
- (١٣٤) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٢١ .
- (١٣٥) زبدة كشف الممالك ص ١٤ .
- (١٣٦) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٠٩ .
- (١٣٧) زبدة كشف الممالك ص ١١٤ .
- (١٣٨) ابن قاضي شبة ج١ ص ٦ .
- (١٣٩) زبدة كشف الممالك ص ١١٤ — ١١٥ .
- (١٤٠) حوادث الدهور ورقة ٤٨ .
- (١٤١) حوادث الدهور ورقة ٥٢ .
- (١٤٢) السبكي ص ٣٤ — ٣٥ ، انجوم الزاهرة ج٧ ص ١٨٥ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٩ ، صبح الأعشى ج٥ ص ٤٤٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ و ج١٣ ص ٣١٠ ، زبدة كشف الممالك ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، إخوان الصفا ورقة ١٣٠ .

- (١٤٣) خطط ج٣ ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .
- (١٤٤) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٤ ، خطط ج٣ ص ٣٥١ .
- (١٤٥) خطط ج٣ ص ٣٥٢ ، انجوم الزاهرة ج٩ ص ١٢١ ، ٢٢٣

- (١٤٦) عيون التواريخ ص ٨٤ - ٨٥ .
- (١٤٧) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٤ - ٣٨٥ .
- (١٤٨) La Monte, P. 152, Barker. p. 40
- (١٤٩) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٥ ، صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٤ ، ٥٥ .
- (١٥٠) صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٤ ، ٥٥ .
- (١٥١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٨٤ .
- (١٥٢) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٠ .
- (١٥٣) بدائع الزهور ج ٣ ص ٤٠ - ٤٢ .
- (١٥٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ .
- (١٥٥) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٦ .
- (١٥٦) الجواهر الثمين ج ٢ ورقة ١٢٩ ، دول الإسلام ورقة ٤٢ .
- (١٥٧) الفرقل نوع من الدروع .
- (١٥٨) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- (١٥٩) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
- (١٦٠) تاريخ الملك الأشرف غير مرقم .
- (١٦١) المكوك مكيال ، انظر المكاييل .
- (١٦٢) السلوك مخطوط ج ٣ ص ١٢ .
- (١٦٣) اختن مع السعيد عدد من أبناء الأمراء .
- (١٦٤) السلوك ج ٢ ص ١٨ - ٢٠ ، انظر نسخة المسموح بالملاحق .
- (١٦٥) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤٩ - ٥٠ .
- (١٦٦) السلوك ج ٢ ص ٤٣٦ ، انظر الملاحق .

الفصل السابع

الإدارة المحلية للاقطاعات

خصائص الإدارة المحلية وما يميزها عن قرينتها في الإقطاع
التقربى - إجراءات التسليم للإقطاع - محضر التسليم ومحتوياته -
فحص أراضى الإقطاعات - توزيع البنود على الفلاحين - قوانين
الفلاحة - المقاسمة والإيجار - البحوث الفقهية حولها - اختلاف
قيمة الإيجار - الأراضى المضمنة والمفصولة في الإقطاع بين الشرق
والغرب - طرق الزراعة ونظام الحقلين - الري وتنظيمه والجسور
السلطانية والبلدية والترع - ربط الخراج ونوعه - أنصبة الفلاحين -
نظام استغلال الفلاحين للمراعى المقطعة - تخزين المحاصيل في
الشون والأهراء - الفلاح والقرن في الشرق والغرب .

يبدو من دراسة الإدارة المحلية للإقطاعات واستغلالها أن هنالك أربع حقائق كبرى مميزة لهذا الاستغلال المحلى البحت :

أولى هذه الحقائق ، بروز جانب التقنين والتشريع والجدل الفقهي في كيفية تسليم الأرض إلى الفلاحين : مقاسمة أم إيجاراً أو نحو ذلك من قوانين الفلاحة ، ثم في قسمة المحصول وصدور بعض فتاوى في هذه الصدد . وثانيها أن هذا الاستغلال لم يختلف في تفاصيله في إقطاع السلطان عنه في إقطاع الأمير والفارق في المسميات لا في الأعيان ، فهذا الخاص السلطاني ويشرف عليه ديوان الخاص أو ديوان الخواص الشريفة ، ويلقب رئيسه بالناظر^(١) ، وذلك إقطاع الأمير ، والمشرف عليه ديوانه ورئيسه : الناظر أو صاحب أو المباشر أو الكاتب^(٢) . والحقيقة الثالثة : لم يعن الأمير المقطع بالإقامة في إقطاعه ليرعى شئونه كما هو الشأن في الإقطاع الغربي ، بل أقام في القاهرة في قصوره ، أو حيث تكون وظيفته في ولاية أو كشوفية أو نيابة ، وربما قيل إن بعثة إقطاع الأمير المملوكي هي التي جعلت الأمير لا يفكر في الإقامة بإقطاعه ، غير أن هذا التعليل خاطيء بدليل قلة اهتمام الأمير بالسفر للتفتيش والإشراف على شئون إقطاعه إلا أحياناً متقطعة وبإذن من السلطان أو « بدستور » في المصطلح ، وأكثر ما اقتصر هذا الإذن على مواسم الربيع ، ومثال ذلك : إصدار السلطان خليل بن قلاوون إلى أمرائه الأمر سنة ٦٩٠ هـ - ١٢٩١ م ، للتوجه إلى إقطاعاتهم وتربيع خيولهم^(٣) ، وإعطاء الناصر محمد سنة ٧٠١ هـ - ١٣٠١ م « دستوراً لمن أراد السفر إلى إقطاعه لعمل مصالح بلاده^(٤) » ، بل لعل من أبرز خصائص النظام الإقطاعي في دولة المماليك ، هو عدم إقامة المقطع في إقطاعه ، لأن الإقطاع نفسه غير ثابت وغير مضمون البقاء في يد صاحبه

في أى وقت ، « هذا وأصحاب الإقطاعات في دولة الممالك الإقطاعية الحربية ، هم أولو الأمر وهم الحكام .

وأحياناً يرى السلطان أن يأذن لأصحاب الإقطاعات أن يتوجهوا إلى إقطاعاتهم وهو في رحلة للصيد أو الحج أو في حرب أو نحوه ، ومن أمثلة ذلك أن السلطان خليل خرج إلى البحيرة للصيد في سنة ٦٩٣هـ - ١٢٩٣م ، فلما وصل إلى تروجة أعطى « الأمراء دستوراً ليتوجهوا إلى إقطاعاتهم ويتفرقوا في بلادهم^(٥) » ، وحين سافر السلطان الناصر محمد للحج سنة ٧١٩هـ - ١٣١٩م رسم لمن لم يسافر معه من الأمراء بالرحيل إلى إقطاعاتهم ، بل حتم عليهم في هذا الأمر ألا يجتمع أحد بصاحبه خلال غيبته^(٦) ، ومن هذا كله يتضح أن غيبة الأمراء عن إقطاعاتهم لم يكن منشؤها قلة اهتمامهم بشئون إقطاعاتهم فحسب بل لأن السلاطين حرصوا على أن يظل الأمراء بعيدين عن إقطاعاتهم حتى لا تتكون لهم عصبيات انفصالية خطيرة على السلطنة .

أما أجناد الأمراء ، فعاش أغلبهم في إقطاعاتهم لأنهم فوق وظيفتهم الخربية التي يؤدونها عند الطلب للنفير العام ، يتولون شئون الإدارة الإقطاعية اليومية ، ومن أدلة ذلك أن السلطان بيبرس أنفذ النقباء إلى أعمال مصر لإحضار الجند من إقطاعاتهم استعداداً لحرب الصليبيين سنة ١٢٦٥م ، وعاقب بيبرس الولاة الذين أبطأوا في تنفيذ أوامره^(٧) ، وربما اضطر الأجناد للعمل بأيديهم في الإقطاعات إذا عزت الأيدي العاملة بسبب الأوبئة والطواعين التي أفتت الفلاحين بصفة خاصة ؛ ففي أيام السلطان حسن وقع وباء سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م ، في أوان التخضير « أى في أول ظهور الزرع » ، فلما حان وقت الحصاد لم يوجد من الفلاحين إلا القليل ، فخرج الأجناد بغلمانهم للحصاد ونادوا « من يحصد يأخذ نصف ما حصد » ، ومع ذلك لم يجدوا مجيئاً لكثرة ما وقع من الفناء بين الفلاحين ، فاضطروا للدراسة غلالهم على خيولهم وذروها بأيديهم ، لكنهم عجزوا عن غالب الزرع ، فتركوه^(٨) .

أما الحقيقة الرابعة ، فهي خضوع الاستغلال المحلي لتدخل السلطان

في جميع المراحل من قبل أن تنهأ الأرض للزراع حتى ينتهي موسم الحصاد ،
فيتدخل مندوبوه في الفحص الأول عند تسلم الأمير لإقطاعه للتأكد من
مساحة الأرض ومعرفة مدى ما يصيبها من ماء الري ونوع المعاملة التي يقبلها
الفلاحون في الزراعة وقيد أسماء الفلاحين ، ثم يصرف التقاوى من قبله ،
وإذا نما الزرع أرسل مندوبيه ليشاركوا مع مندوب الأمير المقطع في مسح
الأرض مرة أخرى والزرع قائم وهكذا ، حتى وقت الحصاد ، فيأخذ خراجه
وعشوره وتقاويه وقروضه .

ويبدو أن حرص السلطان على هذا التدخل المستمر لم ينشأ عن رغبة
في رعاية مصالح الفلاحين وإنصافهم من المقطعين إذا جاروا عليهم وإن كان
لهم حق التظلم إليه في أي وقت (٩) ، وإنما نشأ عن شدة حرصه على حصوله
هو على حقوقه من المقطعين ، وهذا أمر طبيعي في دولة إقطاعية منح الإقطاع
فيها كما تمنح الوظائف ، وهذا المظهر من أكبر ما يميز الإقطاع في الدولة
المملوكية عن الإقطاع الأوربي ، حيث يتصرف السيد في دوائره Manors
تصرفاً مطلقاً دون تدخل الملك صاحب السلطة العليا الإسمية ، أما أن يتدخل
لرفع غبن أو ظلم حاق بانفلاح من أي وجه ، كزيادة في الإيجار أو قسوة
في جباية الأموال المفروضة عليه فلم يكن ذا بال لديه ، بل إن كلمة « شرع
الديوان » اصطلاح استترت وراءه كل مظالم الدولة الإقطاعية في استرقاق
الفلاحين ، ولا أدل على ذلك من أن جباية الخراج والإيرادات أو « جمع
المغل » كما اصطلاح على ذلك ، كان يتم في أكثر الأحيان بحملات حربية .

يتسلم الأمير إقطاعه ويشهد على نفسه بحضرة الموقعين من ديوان الإنشاء
ويوضح في محضر التسليم مساحة الإقطاع ، وحدوده وما عليه من خراج
لليوان ومقدار التقاوى وعدد الفلاحين المقيمين به ، وما به من « جسور
سلطانية ، وبلدية » ، وبمقتضى هذا المحضر لا يستطيع الأمير أن يتعدى
أطواره ولا أن يأخذ من إقطاعه « إلا ما جرت به العادة » (١٠) ، ولو أن
أحداث الواقع قد ناقضت هذا القول .

والزراعة في مصر يقوم أغلبها على النيل وما يشتق منه من ترع ، والقليل يروى بماء المطر كبعض أطراف البحيرة (١١) ، ولذا غدا قانون الأراضي في مصر مبنياً ، على قول المقرري ، « على ما يشمل الري من أراضيها ويعطوه النيل وينتفع بحفر الترع وضبط الجسور وتصريف المياه عن الأراضي » (١٢) ، وذلك على عكس بلاد الشام المعتمدة على المطر (١٣) .

لهذا كانت الأراضي تفحص في مصر سنوياً بعد الفيضان ، لتقدير الخراج المناسب عليها ، ويشرف على هذه العملية موظف من قبل السلطان يعرف باسم « مباشر الخراج أو كاتب الخراج » ، وفي كل إقليم واحد من هؤلاء يعاونه موظفون محليون آخرون هم « خولة البلاد ومشايخها » ، فيطلب المباشر منهم البيانات الخاصة بمساحة الأراضي المنتفعة بالري ، فتجمع له في أوراق تسمى « قوانين الري » (١٤) ، وصورة هذه القوانين : « قانون رفعه كل واحد من فلان وفلان الخولة والمشايخ بالناحية الفلانية بما شمله الري وعلاه النيل المبارك من أراضي الناحية لسنة كذا الخراجية وهو من القدن ... (يذكرون جملة قانون البلد) (١٥) ، ويفصلونه بالري والشرافي (١٦) ، والملاحظ أن الأراضي التي وصفت في هذا الفحص بكلمة « الري » لها تفصيل آخر أكثر إيضاحاً ودقة من حيث أنواعها لتقدير الضرائب المناسبة ، فلكل نوع من هذه الأراضي ، قطعة تناسب حاله (١٧) ، وأنواع أرض الري هي : « الباق والنقواء وري الشرافي والبرايب والسقماهيبة والشتونية والسلايح والوسخ والمزروع والحرس والغالب والمستبحر وأخيراً السباخ » (١٨) .

وتعتبر أرض « الباق » أعلى الأنواع رتبة من حيث الجودة ، ولذلك فهي أكثر تقديراً في قيمة الضريبة المقررة عما عداها (١٩) ، ويلها « ري الشرافي » وهي التي كانت محرومة من الري ثم رويت ، وزرعت وأنجب زرعها لاستراحتها مدة من غير زرع ، أما إذا كانت رويت ثم بارت فتعطلت من الزرع فاستراحت أنجب زرعها بعد ذلك وتسمى في هذه الحالة « السلايح » ، ثم البرايب وتكون على أثر زراعة القمح والشعير فضعت فلا تصلح بعد

هذين الصنفين إلا لزراعة القرط والمقاني ، ومن شأن هذه الأصناف الأخيرة أن تقوى الأرض إذ تستريح بزراعتها فتصبح بعدها أرض باق . أما السقماهيية فهي التي تلى زراعة الكتان ولا تزرع قمحاً حتى لا تضعف . « والشتونية » هي التي رويت وبارت في السنة الماضية ثم زرعت ، وتعتبر دون الشراقي . وأرض النقاء^(٢٠) هي النقية مما يعوقها من الزرع . « والمزروع » هو النوع الذي يزرع عادة كل سنة على حين أن أرض « الحرس » تكثر فيها الحلفاء ، فلا تزرع إلا بعد تنظيفها ، وقد يطفى نبات الحلفاء ويتكاثف بحيث يحتاج تنظيفها إلى تكاليف كثيرة فترك من غير زرع لتصبح مراعى ، وفي هذه الحالة تعرف باسم « الغالب »^(٢١) ، وأكثر ما يكون الحرس والغالب بالصعيد الأعلى لتعطيلها من الزراعة سنة بعد أخرى . أما أرض « الوسخ » فهي التي استحكم وسخها فلم يستطع الزراع إزاحته نهائياً ، بل حرثوا وزرعوا فجاء نباتها مختلطاً بالحلفاء ونحوها . و « المستبحر » أرض وطيفة استمرت فيها مياه الفيضان حتى انتهى موسم الزراعة ، فمنها ما بار ومنها ما زرع قثاء^(٢٢) . وأرض « السباخ » أدنى الأنواع لغلبة الملح عليها ، فلم تصلح لزراعة الحبوب ، وربما زرعت نباتات أخرى ، إذا قل ملحتها ، مثل الهليون والباذنجان ، كما يزرع فيها القصب الفارسي^(٢٣) . فالأرض إذن من حيث جودتها وقيمة الضريبة المفروضة عليها في عصر المماليك هي : الباقي والبرايي والنقاء والحرس والمستبحر .

ويتلو هذا البيان المفصل لنوع الأرض بيان آخر بنوع المعاملة التي تسلم بمقتضاها الأرض إلى الفلاحين ، مقاسمة كانت أم إيجاراً ، ثم تزرع الأحواض بمساحات معينة على المزارعين « القرارية » وهم المستقرون من القاطنين بالجهة و « الطواريء » وهم المزارعون النازحون من جهات أخرى ، يكتب هذا البيان في أوراق أخرى تسمى « أوراق التسجيل »^(٢٤) ، وأخيراً تحمل هذه البيانات في سجلات أخرى مع ذكر أسماء المزارعين ، ويوقع عليها الشهود الذين حضروا التسجيل^(٢٥) ، ومن ثم يحتفظ بصورة هذه الأوراق بديوان صاحب الإقطاع^(٢٦) .

تصرف بعد ذلك البنود لكل مزارع من قبل السلطان ، وهى المعروفة فى المصطلح باسم « التقاوى السلطانية » وقد جرت العادة أن « الأمير أو الخندى عندما يستقر فى إقطاعه ، يقبض ماله من التقاوى السلطانية ، فإذا خرج عنه إقطاعه طوبى بها (٢٧) » وتوزع هذه التقاوى على الفلاحين بنسبة ما يحمل من الأراضى لفلاحها ، وربما كان ذلك لضمان الإقطاع والتشجيع على الزراعة والعمل على تحسين الإنتاج من ناحية ، ثم تحديده من ناحية أخرى فضلا عن تيسير الحصول عليها . فمثلا أمر السلطان بيبرس فى سنة ٦٥٩هـ - ١٢٦٠م بحمل الغلال إلى دمشق . ومنها وزعت فى البلاد لتصير « تقاوى للفلاحين » (٢٨) وعندما تم فتح بلاد سويس فى عهد الناصر محمد سنة ٧٣٨هـ - ١٣٣٧م ، وزعت القطاعات على الفاتحين ، رسم السلطان أن يحمل إليها من حماة وطرابلس ٢٠ ألف غرارة (٢٩) غلة برسم تقاويها وتحضيرها وعين لكل ضيعة ما يكفيها (٣٠) ، وتشبه هذه العملية ما يقوم به بنك التسليف الزراعى فى العصر الحاضر لمساعدة المزارعين بإقراضهم البنود والسماد والمال وهذا باستثناء التقاوى البلدية (٣١) . بنام هذه العملية التى تعتبر مثالا للمركزية القوية ، تكون الأرض قد تهأت للزراعة . ولا نخرج قوانين الفلاحة التى يسير على أسسها الفلاح فى زراعة الأرض عن نظام المقاسمة أو الإيجار أو ما يشبه الإيجار وهو التضمين ونظام القبائل .

فمن حيث المقاسمة فإنها تختلف بحسب نوع الأرض ونوع ربيها : فتكون تارة مناصفة وتارة أخرى مثالثة وغيرها مرابعة أو مخامسة أو مسادسة أو مسابعة أو مثامنة وتعرضت هذه القواعد والقوانين لجدل الفقهاء (٣٢) . من ذلك ، هذا الاستفتاء الذى صدر فى عصر المماليك خلال القرن التاسع الهجرى والقرن الخامس عشر الميلادى عن حكم زراعة الأرض المقطعة بطريق المقاسمة ، وخلاصته « ما قول سادتنا علماء المسلمين رحمة الله عليهم أجمعين ، فى الأرض التى أقطعها السلطان أو أرض غيرها إذا زرعها فلاح بطريق شرعى : مقاسمة بالثلث أو بالربع ؟ فهل يجوز ذلك أم لا ؟ » أجاب

فقهاء الحنفية بالجواز ، ومن هؤلاء شهاب الدين أحمد بن حجر (٣٣) .
أما الإيجار (٣٤) أو الإجارة ، فالشأن فيها شأن غيرها من المسائل الهامة
التي تعرضت للجدل الفقهي بقصد التشريع والتقنين ومدى صحة العقود
ومطابقتها للشرع ، فهي متعلقة بالمعاملات ، ولذلك نجد السبكي يتساءل ،
وهو من المعاصرين للمماليك :

« الإقطاعات المعروفة في هذا الزمان إنما هي إقطاعات إرفاق بمعنى
استغلال لا تمليك ، وعليه : فهل يجوز للمقطع إجارة الأرض التي أقطعها
له الإمام أولاً ؟ » .

أجاب السيوطي - وهو من متأخري الفقهاء المؤرخين في عصر المماليك -
بجواز إيجارتها ، على أن ينفسخ عقد الإيجار بموت صاحب الإقطاع لأن
الإقطاع لا ينتقل إلى الوارث ، وقد يقطعها السلطان للوارث وقد لا يقطعها ،
وقد خالف بذلك رأى الفقهاء الذين أفتوا بعدم الجواز لأنها بصدد أن ينتزعها
ولى الأمر من المقطع أو يقطعها غيره . وفي فتاوى الإمام النووي ما نصه :
« إذا أقطع السلطان جندياً أرضاً ، فهل يجوز له إيجارتها أم لا ؟ » أجاب بعض
العلماء بالجواز واعترض البعض ، والرأى الغالب صحة الإجارة وهو الذى
سار عليه الأمر في عصر المماليك . وكان التقي قاضى شعبة يفتى به ولا يفرق
بين طول مدة الإقطاع وقصرها ، لكن إذا خرج الإقطاع بموت المقطع
أو انقضاء مدته أو انتزع منه ، انفسخت الإجارة . ورتب الفقهاء على ذلك
أنه ليس للمقطع أن يتصرف في جميع الأجرة ، لتوقع خروج الإقطاع عنه
وله ألا يتصرف إلا في أجرة ما مضى إذ للإمام أن يرجع ويقطعه لغيره وقد
يموت فينتهى إقطاعه ويعود إلى بيت المال (٣٥) .

وتختلف قيمة الإيجار تبعاً لنوع الأرض ونوع ريعها ونوع المحصول ،
فضلاً عن الأحوال الطارئة من رخاء أو غلاء أو فتن ، ثم قسوة ولى الأمر
أو عدله ، وقد تراوحت قيمة إيجار الفدان الواحد في غالب الأحيان حتى
أواخر القرن الثامن الهجرى بين الفئات الآتية (٣٦) :

أرض الباق : ٤٠ درهماً فما حولها ، ثم ارتفع السعر فصار أكثر من مائة درهم .

أرض البرايب : ٣٠ درهماً فما حولها ، ثم ارتفع السعر فصار أكثر من ٨٠ درهماً .

أرض البرش : ٢٠٠ درهم فما حولها ، ولم يكن ذلك إلا عند ارتفاع أسعار الغلال (٣٧) .

وبعد سنة ٨٠٠هـ - ١٣٩٧م ، إلى سنة ٨١٠هـ - ١٤٠٧م (٣٨) ، ارتفع إيجار القدان حتى بلغ للنوع الأول نحو ٣٠٠ درهم وربما زاد في النوع الطيب من أرض البرايب إلى ٦٠٠ درهم (٣٩) .

وكثيراً ما استغلت أوقات الغلاء في إيقاع الظلم بالفلاحين ورفع قيمة الإيجار ، فيتسلط أجناد الأمراء وموظفونهم عليهم تقريباً من أمرائهم للترقي في خدمتهم ، والوسيلة إلى ذلك هي المال ، يقول المقرئزي عن عدوانهم وأثره : « فنفذوا إلى الأراضي الحارثية في إقطاعات الأمراء وأحضروا مستأجريها من الفلاحين وزادوا في مقادير الأجر ، فثقلت لذلك متحصلات مواليتهم من الأمراء ، فجعلوا الزيادة ديدنهم كل عام ، حتى بلغ القدان لهذا نحواً من اثني عشر أمثاله ، لا جرم أنه لما تضاعفت أجرة القدان من الطين وتزايدت كلفة الحرث والبذر والحصاد وغيره ، وعظمت شكايه العمال والولاة واشتدت وطأتهم على أهل الفلاح ، وكثرت المغارم في عمل الجسور ، خرب معظم القرى وتعطلت أكثر الأراضي من الزراعة ، فقلت الغلال وغيرها مما تخرجه الأرض لموت أكثر الفلاحين وتشردهم في البلاد من شقوة السنين وهلاك الدواب ولعجز الكثير من أرباب الأراضي عن ازديادها لغلو البذر وقلة المزارعين » (٤٠) .

وربما كان أستاذار الأمير هو المسئول الأول عن هذا العدوان ؛ إذ أن مهمته الأساسية هي مراعاة شئون الإقطاع التفصيلية وعلاقة الإقطاع بالدواوين السلطانية والنظر في أحوال الفلاحين العاملين فيه . فمن وصاياه في القيام على

مستوليات الأمير في إقطاعه « ألا يطعمه حراماً ولا يبيعه رخيصاً ، وأن يرفق بأهل القرى ويؤدى أمانة الله التى عقلها فى رقبته ، حيث دخل هذه الوظيفة للفلاحين وغيرهم من رعية الأمير ، كما عليه أن يؤدى حق الأمير بل هو أحوج من الأمير إلى الرفق بهم » (٤١) .

ويدخل ضمن الإيجار أو ما يشبهه ما عرف باسم « الأراضى المضمنة » أو « المفصولة على أربابها بشيء معلوم من المال يؤخذ منهم عند إدراك المغل » (٤٢) .

وقد ذكر صاحب نهاية الأرب أن هذا كان موجوداً فى بعض أعمال الشام ولا سيما الساحلية منها فى عصر الصليبيين ، وهو كما يقول النويرى : « نظير المستأجرات بالديار المصرية » ، ولما استرجعت هذه البلاد منهم ، ظل الأمر سائراً على هذا النحو جريباً على عاداتهم (٤٣) ، غير أن ابن شاهين قد أوضح بأن ذلك النوع من الإجراء وجد كذلك فى مصر فى عصره ، أى أواسط القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى ، يقول : « كان فى قديم الزمان نجد أن البلاد جميعها يؤخذ خراجها من كل صنف والآن (٤٤) صار مفصولاً » ، فثلاً كانت المنزلة وفارسكور تابعتين للسلطان وكانت « كل واحدة منهما مفصولة على متدركها فى كل سنة بمبلغ ٣٦ ألف دينار وما عداها من القرى الجيدة فمفصولة أيضاً على متدركها بنحو ٢٠ ألف دينار ودون ذلك مفصولة باثنى عشر ألف دينار ، وكل متدرك بهذه القرى أعظم من ملك من ملوك الشرق » (٤٥) .

ونظام الأراضى المفصولة على أربابها أقرب ما يكون إلى نظام « القبالات » الذى وجد فى مصر الإسلامية خلال القرن الأول الهجرى ، يقول المقرئى : « كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شاء من الأمراء والأجناد والوجوه وأهل التواحي من العرب والقبط وغيرهم » (٤٦) .

واستمر هذا النظام حتى نضج النظم الإقطاعية فى عصر المماليك ، ولذلك ينص عليه فيما عرف باسم « أوراق المسجل » (٤٧) وسواء أكانت الأرض

من السلطان أو من الأمير المقطع فإن « متقبلها » يسلمها إلى الفلاحين من قبله لزراعتها بطريق المقاسمة أو الإيجار، ويعرف المتقبل كذلك باسم « المتدرك » وهو تابع بحكم وضعه أو « فصل » كما ينعتة النويرى^(٤٨) ومنه اشتق كلمة « مفصول » التي سلمت على هذا الأساس وهو نفس الكلمة الأجنبية Vassal التي شاع استعمالها في العصر الإقطاعي الأوربي وانتقلت مع الصليبيين إلى الشرق ، يقول النويرى :

« ولفظ الفصل بالشام كلمة إفريقية استمر استعمالها في البلاد الساحلية التي ارتفعت من أيدي الفرنج جرياً على عاداتهم »^(٤٩)، فوجه الشبه بارز بين الأراضي المفصولة وغيرها المضمنة على شكل قبالات في النظم الإقطاعية الشرقية والغربية ، كذلك في تسليم الأرض للعامل الذي يعمل بيده ، إذ المعروف أن الصليبيين قد استخدموا « السوريين » في فلاح الأرض ، ومن النادر اشتغالهم بأنفسهم كزراع Tillers ، فزرع لهم الفلاحون السوريون وعرفوا باسم Rustici ، ومعناها : الزراع أو الريفيون على أساس المقاسمة ، تارة مثالية وأخرى مرابحة كما هو الشأن في الدولة المملوكية^(٥٠). أما طرق الزراعة ، فظلت على ما هي عليه منذ أقدم العصور ، وكانت الدورة الزراعية في مصر واحدة في السنة أي أن الأرض كلها تزرع مرة في كل سنة ، وذلك على خلاف الشام حيث يراح شطر ويزرع شطر ، ثم يبدل الشطران في السنة التالية^(٥١) ، بمعنى آخر ، سارت بلاد الشام وفق النظام الذي عرف في العصور الوسطى « نقلاً عن الرومان » باسم « نظام الحقلين » The Two Field Cultivation ، تجنباً لإجهاد الأرض ومحاولة لتحسين الإنتاج^(٥٢).

تقسم الأرض لما تصلح له من أنواع المحاصيل في جهات البلاد المختلفة ، وتعد إعداداً معيناً وفق حاجة الزراعة المنتظرة في المواعيد المعروفة لها ؛ فمثلاً يزرع العدس والحمص ، وهما من المحاصيل الشتوية ، في أرق الأرض حرثاً من الأراضي العالية ، ويزرع تلويقاً في الأراضي الخرس^(٥٣). ويزرع القمح

« إثر الباق والشرافي بالصعيد من نصف شهر » بابة « إلى آخر هاتور في العوالي من الأرض التي تخرج بدرياً ، وأما البحائر المتأخرة فيمتد وقت الزرع إلى آخر كيهك^(٥٤) ، ويلاحظ أن فدان القمح ينتج من ٢ - ٢٠ إردباً ، وينتج الشعير من ٨ - ٢٠ إردباً والحمص من ٤ - ١٠ أرادب وينتج العدس ٢٠ إردباً إلى مادون ذلك ، والكتان ٣٠ شدة أي حزمة ، ومن البذور ستة أرادب ، وهكذا ، على أنه يحدث أن يرتفع المحصول ارتفاعاً كبيراً كما حدث في سنة ٨٠٦ هـ - ١٤٠٣ م إذ انحسر الماء عن قطعة أرض من بركة الفيوم على عهد السلطان فرج بن برقوق فزرعت شعيراً وجاء محصولها عجيباً ، فقد أنتج الفدان ٧١ إردباً من الشعير بكيل الفيوم ، وبالكيل المصري ١٠٠ إردب ، وهذا مصداق قول أبي بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة : إن في مصر إذا زرعوا ، يخرج من المد ثلثمائة مد ، والعلة في ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن أرضهم وكثرة كدورة ماء النيل^(٥٥) .

« ومن أمثلة المحاصيل الصيفية : قصب السكر ، ويحتاج إلى « أرض دمنة قد شملها الري وعلاها النيل ، وقلع ما بها من الحلفاء ونظفت ثم برشت بالمقلقات^(٥٦) فإذا أصلحت الأرض وطابت وصارت تراباً ناعماً شقت حينئذ بالمقلقات ، ويرى فيها القصب ... بعد أن تجعل الأرض أحواضاً وتفرز لها جداول يصل الماء منها إلى الأحواض ، ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاث أنابيب كوامل وبعض أنبوبة ، ويختار ما قصرت أنابيبه وكثرت كعوبه ، ويقال لهذه العملية « النصب » ولابد للقصب من القطران قبل أن يحلوح حتى لا تتطرق إليه الآفات ، كما لابد من حرق آثار القصب بعد قطعه ثم سقيه وعزقه فينت قصب يقال له « الحلقة » أو « العقر » ويسمى الأول^(٥٧) الرأس ، وينتج فدان القصب من ٤٠ - ٨٠ أبلوجة من العصير^(٥٨) ، وفدان السمسم من إردبين إلى ستة أرادب والقطن ٨ قناطير فما دون ذلك وهكذا . . .^(٥٩) .

« ومن حيث الري ووسائله وتنظيمه . فالملاحظ أن وسائله هي العادية

المألوفة منذ القدم ، فاستخدم الشادوف والساقية وطريقة « الراحة » عند
« طلوع النيل » (٦٠) :

ولما كان تنظيم الري ووسائله من الأمور الحيوية لضمان عمارة الإقطاع
من ناحية وتيسير وسائل النقل من ناحية أخرى ، فقد التزم المقطعون في عصر
المماليك بإقامة الجسور في إقطاعاتهم وهذه هي (الجسور البلدية) تمييزاً لها
عن « الجسور السلطانية » ، وهذه ينحصر نفقها ناحية دون أخرى ، وليس
للمشرفين من « كشاف التراب » عليها أية سلطة (٦١) ، والمعروف أن السلطان
كان يجي رسماً مقررأ نظير إقامة الجسور السلطانية لعموم نفقها ، يدفعه
المقطعون ، وعرف هذا الرسم باسم « مقرر الجسور » ، وقد ذكر المقرئى
أنه منذ عهد فرج بن برقوق صار يجي من البلاد مالا عظيماً ولا يصرف منه
شيء ألبتة بل يرفع إلى السلطان ويتفرق أكثره بأيدي الأعوان ويسخر أهل
البلاد في عمل الجسور فيجىء « الحلل » ، والمشرفون على الجسور السلطانية
موظفون من قبل السلطات هم « كشاف الجسور » ، ويوجدون في كل الأقاليم
والمختصون بصيانتها موظفون آخرون يسمون « كشاف التراب » يندبون كل
سنة مرة واحدة من الأمراء مقدمى الألوف إلى كل إقليم في زمن الربيع لاستخراج
ما هو مقرر على البلاد من « الحفير والجرافى » ، والمقصود بالحفير التراب
الذى يوضع في الأماكن التى يجرفها مياه الفيضان ، أما الجرافى فهى
الآلات التى يجرف بها التراب لإقامة الجسور وحفظها عند الفيضان ، فثلاً
كان كاشف التراب بالشرقية فى سنة ٨٧٣هـ - ١٤٦٨م ، أيام قايتباى ، هو الأمير
برقوق الناصرى . (فحصل به نفع لقمع العربان المفسدين وعمارة الجسور)
واهتم السلاطين بها اهتماماً زائداً ، من ذلك ما فعله الناصر محمد فى سنة ٧١٤هـ -
١٣١٤م حين ندب الأمراء إلى الأعمال المختلفة للإشراف على الجسور السلطانية
فكان الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى منتدباً بالشرقية والأمير علاء الدين
العزيرى للهنساوية ، والأمير حسين بن جندر لأسيوط ومنفلوط ،
والأمير سيف الدين آقول الحاجب للغربية الخ . . ، وإذا زاد النيل زمن

الفيضان وخيف الضرر من طغيان المياه زاد السلطان في العدد المكلف بصيانتها كما حدث في سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م ، عندما زاد النيل وهدمت بيوت كثيرة فأمر السلطان برقوق جماعة من الأمراء والمماليك بالإقامة بجسوار النيل أو « البحر » ، كما كان يسمى ، والخلجان لحفظ الجسور ، ويشبه هذا ما يقع حالياً من إقامة المهندسين والعمال بجوار الجسور عند ارتفاع النيل ، ومن السلاطين من كان يسافر بنفسه للكشف عليها كما فعل قايتباي في سنة ٨٨٨هـ - ١٤٨٣م وفي سنة ٨٩١هـ - ١٤٨٦م وهكذا (٦٢) .

أما الجسور البلدية فيتولى إقامتها المقطعون والفلاحون ، حتى إذا ما انتقل الإقطاع بوجه من وجوه النقل (٦٣) ، خلال السنة ، حوسب المقطع الجديد على ما أنفق سابقه في إقامة جسوره ، وعبرة المقریزی : « ومن العادة أن المقطع إذا انفصل وكان قد أنفق شيئاً من مال إقطاعه في إقامة جسر لأجل عمارة السنة التي انتقل عنه الإقطاع فيها ، فإن له أن يستعيد من المقطع الثاني ما أنفقه من مال سنته في عمارة سنة غيره » (٦٤) ، وقد ورد مرسوم في عهد الناصر محمد إلى ناصر الدين الحسين من بنى تنوخ المقطعين بغربي لبنان موجه من قبل تنكزنائب الشام بخصوص عمارة جسر نهر الدامور الجارى بين صيدا وصور وبيروت لتسهيل سبل النقل نظراً لما يقاسيه « السفار » ، فأجابه الأمير المقطع « ورد المرسوم العالى - أعلاه الله - يتضمن عمارة جسر . . وفى ذلك حسنة عظيمة ساقها الله تعالى لتسطر في صحائف مولانا ملك الأمراء ... » (٦٥) ، وطلب في آخر الكتاب الاستعانة بالمهندس الحبير أبى بكر بن البصيص البعلبكي وختم كتابه بهذه العبارة المألوفة في ذلك العصر : « والمملوك يمثل ما يرد عليه عليه من المراسيم العالية » (٦٦) .

وبجانب الجسور نجد الترع والخلجان ، وهى من المنافع العامة كذلك تتولاها الدولة من حيث الإشراف : حفراً وتطهيراً ونفقة لكن يلزم بها المقطعون من حيث العمل . من ذلك ما حدث في عهد قلاوون ، مثلاً ، حين توجه بنفسه في سنة ٦٨٢هـ - ١٢٨٧م ، للإشراف على حفر الخليج

المعروف باسم « الطبرية » غربى فرع رشيد وسار العسكر المنصور لامثال أمره
وهرعوا بالمعاول والمساحى وجمعوا ما تفرق من الرجال فى تلك النواحي
لإجراء النيل فى الخليج وتم حفره فى عشرة أيام . وفى عهد الناصر ألزم الأمراء
فى سنة ٧٢٤هـ - ١٣٢٤م ، بحفر خليج خارج القاهرة يصل النيل بالخليج الكبير
لزيادة الماء فيه ، وتولى الأمير أرغون نائب السلطنة الإشراف على هذه العملية
وكتب إلى ولاية الأعمال بإحضار الرجال للحفر وعين لكل واحد من الأمراء
أقصاباً يحفرها ثم اقتضى العمل هدم كثير من البيوت والأماكن ، فهدمت
ودفع السلطان ثمنها . وربما استغلت أمثال هذه العمليات والمنافع العامة لخدمة
المنافع الشخصية الخاصة ، ولأبأس لدى السلطان فى ذلك مادامت المنفعة الشخصية
جزءاً من المنافع العامة ، وفى عهد السلطان جقمق ، توجه الأمير زين الدين
الأستادار فى سنة ٨٥٤هـ - ١٤٥٠م إلى الوجه البحرى للإشراف على حفر بحر
المنزلة لأنه « استدفعه وصار فيه الرمال كالجبال » ولما كان للأميرين إينال
العلائى الناصرى أتابك العساكر وشمس بن عبد الرازق المؤيد أمير مجلس ، بتلك
البلاد جهات داخلية فى إقطاعاتها ، فقد زكى الأستادار سفرهما معه للنظر
فى مصالح بلادهما ، ولذلك رسم السلطان لهما بالسفر معه ، وهذا يدلنا من
جهة أخرى على أن مجرد رعاية مصالح الإقطاع والسفر إليه لا بد لها من إذن
السلطان .

ويتبع الجسور والترع والخلجان ، القناطر ، وهذه اهتم بها السلاطين
كما فعل قايتباى مثلاً فى سنة ٨٩٦هـ - ١٤٩٠م ، حين أمر الأمير أربك أتابك
العسكر بالتوجه إلى شبرامنت بنواحي البحيرة لعمارة القناطر بها ، وبلغت
النفقات نحو ٥ آلاف دينار ، كما أمر ببناء رصيف « به نفع للمسافرين أيام
زيادة النيل » (٦٧) .

هذا ما يتعلق بطرق الزراعة وأمور الري أو قوانين الفلاحة عامة ،
فإذا نبت الزرع ، أرسل صاحب الإقطاع مباشرين بحضور مندوب السلطان
لمسح الأرض المزروعة مرة أخرى تمهيداً لربط الخراج عليها بصفة نهائية ،

ويعرف رئيس المباشرين من قبل صاحب الإقطاع باسم « الشاد » ومعه « عدول »
فوو خبرة بالمساحة وكاتب خبير أمين ، وكذلك « قصابون » لعملية القياس .
يمسح هؤلاء الأرض المزروعة ، وتجمع البيانات في سجلات جديدة أهمها
« المكلفة » التي تضم أسماء المزارعين . فمثلا كانت مكلفة مساحة أسبوط على
عهد السلطان حسن تشتمل على ٦٠٠٠ نفر ، وهذا عدد قليل جداً بالنسبة
للمألف (٦٨) ، وعلى هذه المكلفة يوقع الشهود وحاكم العمل ، ثم تحمل إلى
ديوان صاحب الإقطاع (٦٩) . بهذه العملية يقدر الخراج غلة أو نقداً ، وأعلى
تقدير للخراج الغلة المقررة على كل فدان ثلاثة أراذب ، وذلك في الأرض
الجيدة كبعض نواحي قوص ، وأقل قيمة سدس إردب عن الفدان ، ولا يكون
ذلك إلا في الأراضي التي غلبت عليها الأخراس وقل الانتفاع بها (٧٠) .
ومن الأراضي ما يؤخذ خراجها نقداً ويعبر عن النقد كذلك بلفظ « العين » (٧١)
ومتوسط قيمة خراج الفدان نحو ٢٥٠ درهماً ، وعرفت هذه القيمة بصفة
خاصة ببعض نواحي أراضي الجزيرة ، على أنه قد سجل في بعض السنين خراج
ثلاثة أفدنة بنحو ألف درهم ، وأغلب ما يزرع في هذا النوع الأخير من
الأراضي ، الكتان (٧٢) على حين أن قطعة فدان الكتان المأوفة بالصعيد ،
تتراوح بين ٣ ، ٥ ، ١٣ ديناراً (٧٣) .

ويحدث أن تزداد قطعة الفدان أو تنقص تبعاً للظروف المحيطة من غلاء
أو شرق أو يسر في الري أو قيام فتن تستلزم نفقات ، أو نتيجة لظلم أو عسف
يقع ، وفي مثل هذه الحالات ، تتغير فئات الخراج زيادة ونقصاً ، وربما ألغى
الخراج نهائياً في بعض السنوات تشجيعاً للفلاحين على العمل وعمارة الإقطاع ،
كما كان الشأن في بعض إقطاعات تنكر نائب الشام في عهد الناصر وبعض
أمراء الشام والأمراء التركمان الذين أقطعهم الناصر أراضي سيس على أثر
فتحها في سنة ٧٣٨هـ - ١٣٣٧م ، إذ جاء عنهم أنهم استعملوا الأرمن في الفلاحة
وحطوا عنهم الخراج فعمرت ضياعها (٧٤) مع ملاحظة أن الخراج الذي يحصل
من الفلاحين ليدفع للسلطان قد يسامح المقطع ببعضه أركله إن تأخر على المقطع

باق بسبب ضعف أو حاجة ، أما إذا كان الباقي المتأخر ناتجاً عن إفريط من
الزراع أو المباشرين حوسبوا عليه بحكم قاضى الناحية بحضرة العدول (٧٥) .

وقد رسم السلطان جقمق فى سنة ٨٥٦هـ - ١٤٥٢م للمقطعين « بأن
البلاد التى رويت من ماء النيل فى تلك السنة يأخذون عنها من الفلاحين القطيعة
قطيعتين ، ففعلوا ذلك ومشى هذا الأمر » ، وكان ذلك لحاجة إلى المال ووقوع
شرق وغلاء فى بعض الجهات الأخرى فى ذلك الوقت (٧٦) . وفى عهد قايتباى ،
تولى جماعة من مماليكه تحصيل الخراج « فجاروا على الفلاحين وأخذوا منهم
غير العادة أضعافاً » وكذلك الكشاف ، يقرر عليهم الأموال فيجورون على
البلاد ويأخذون المال مضاعفاً ، ومنذ ذلك الوقت ، « تلاشى أمر البلاد وانحط
خراج المقطعين » ، كما يعلق ابن إياس (٧٧) . وكذلك حدث فى زمن السلطان
الغورى ، أن أرسل السلطان شخصاً من الخاصكية يقال له نافق الحازن إلى
الأعمال الشرقية والغربية « ليستوفى على المقطعين ما كانوا أوردوه من الخراج
عن السنة التى أفردوها السلطان على المقطعين ، فلما توجه نافق المذكور إلى
هناك ، طبق على الفلاحين وفحص عن أصل خراج كل حصة وما تعمل
فى كل سنة من الخراج ، فصار المقطعون فى وجل بسبب ذلك ، ورحل
غالب الفلاحين ، وقد طالبهم ببقية الخراج زيادة عما أوردوه المقطعون
فى بيت الأتابكى قبت الرحبى ، فأرسل الفلاحون يطلبون من المقطعين
الرجعان بما أوردوه بيت الأتابكى ، فغرموا الفلاحون لنافق المذكور جملة
من المال حتى حل عنهم (٧٨) .

هذا ما يتعلق بأمور الخراج ، أما نصيب الفلاح ، فيحل له عند نضج
المحصول وبعد الحصاد ، فتكون المقاسمة مناصفة أو مثالثة ، بحسب ما اتفق
عليه ، يأخذ المباشر ما يخص الديوان (٧٩) ، وتكون هذه القسمة بحضور شهود
نظير أجر يتناولونه من المقطع والفلاح ، وبلغ من عناية المعاصرين من الفقهاء
بالتحرى عن حكم الشرع فى هذا الأجر ، أن طرحت الاستفتاءات حوله ،
ومنها ، « فإذا أخرج المقطع والفلاح من نصيبهما أجرة معلومة للشهود فهل

لشهود أن يتناولوا الأجرة ؟ وهل هي حلال ؟ وهل لهم على كتابة ما يطلب منهم كتابته الأجرة ؟ أجاب شهاب الدين بن حجر : « والله يهدي للحق ، حضور الشهود قسم الغلات وضبط ما يتحصل منها وما يخص كل واحد من مستحقها برضى أربابها .. وأجرة الشهود ليس بحرام ، وهي من جملة المكاسب الدائرة بين الناس » (٨١) .

وهناك رسوم أخرى يدفعها الفلاح القرارى دون الطارىء ، وتعرف هذه الرسوم باسم « الحقوق » وهذه تسجل عند تسليمهم الأرض وتقدر بالدرهم بنحو ٢ إلى ٤ دراهم عن كل فدان غير الغلة ، على أن هناك من الأراضى ما هو معنى من هذه الحقوق (٨٢) وربما كان السبب فى فرضها أو الإعفاء منها راجعاً إلى نوع الأرض وسهولة رباها ، أو لصفة الأرض كأن تكون وقفاً ، كمدينة شباس الملح بالغربية مساحتها ٧٤٣ فداناً قدرت الحقوق الواجبة عليها بنحو ٢٧٠٠ درهم ، وهى وقف السادة الأشراف (٨٢) ، كذلك بلغت الحقوق الواجبة على مدينة الرويين بالأعمال القومية نحو ٢٣٥ ديناراً ، وهى وقف المدرسة الشافعية بالقيوم (٨٢) .

يؤخذ من الفلاح بعد هذه الرسوم عشر ما بقى له ، وهذا العشر كسابقه « الحقوق » ليس مطرداً فى جميع البلاد ، فجهات البر والأوقاف معفاة منه ، كما أن بعض المزارعين الذميين معنى منه فى بعض الجهات ، على أنه عام فى نواحى الإقطاعات ، وربما قدر هذا العشر والزرع قائم أو حصيد قبل دراسته ، فيندب له : « من يقف على النواحى ويحرز ما بها من غلال ويقدر العشر عنها » (٨٤) ، وفرق بين هذا العشر الذى تعفى منه جهات البر الإسلامية والذمية فى الإقطاع المملوكى وبين العشر الذى كان يدفعه الفلاح فى أوربا الإقطاعية وتصر الكنيسة على تحصيله فى أراضيها (٨٥) .

هذا ويدفع الفلاحون ما أخذوه من التقاوى السلطانية والقروض بالكيل المتعامل به فى الإقليم ، ويكلف ولاية كل إقليم بتحصيلها . فثلاً حين رآك الناصر محمد البلاد ، حسب التقاوى السلطانية « المخلدة » بالنواحى منذ أيام بيبرس وقلاوون ، فى إقطاعات الأمراء والأجناد ، فوجد أن جملتها ١٦٠

ألف إردب ، وهذا غير صافي الخصاص السلطاني ، فقرر النشوناظر الخصاص مع السلطان الناصر تحصيلها وألزم الولاة بذلك (٨٦) ، تعمل بعد ذلك دفاتر جديدة أو سجلات تعرف باسم « مخازيم » ، ويفصل فيها أسماء الفلاحين وأصل المقاسمة ، مناصفة أو مثالثة الخ . . . والرسوم والعشر وما حصل من التقاوى والقروض (٨٧) .

أما نصيب الفلاح من الثمن ، فيقدر بالثلث فقط ، على حين يقسم الثلثان الآخران ، بين المقطع والسلطان ، ويطلق على نصيب السلطان اسم « مقرر الأتبان » إلا إذا رأى الفلاح حاجته إلى المزيد من الثمن ، فله في هذه الحالة أن يشتري حصة الديوان بسعر المائة حمل ٤ دنانير (٨٨) ، وإذا أراد أن يرعى ماشيته ، دفع رسماً معيناً ، وذلك بعد إضافة المراعى إلى الإقطاعات ، فكما أن الأمير المقطع يأخذ « ممن يرعى دوابه في أرض بلده الكتيح في كل سنة مالا عن كل رأس » ، وطريقة تقدير الثمن ، أن يرسل مندوبين من قبله ما بين مشدين وكتاب وشهود لعد المواشي وتحصيل الرسوم ، وذلك بعد هبوط النيل ونمو الكلاً (٨٩) ، ويختلف هذا الاستغلال للمراعى ، عن أشباهه في الغرب الإقطاعي ، إذ كانت المراعى بأوربا الإقطاعية ملكاً عاماً لأهل القرية كما كان الشأن في فجر الإسلام قبل أن تقطع المراعى (٩٠) .

وهناك التزامات أخرى متنوعة يؤديها الفلاحون بحكم العادة لصاحب الإقطاع ، « كالضيافة والهدايا » ، وتشمل بعض منتجات الريف من غلة ودجاج وكشك وخراف وبرسيم وكحك وغيره ، بل إن هذه الضيافة اعتبرت ضمن الحراج إذ كانت تجبي مساهمة ، فإذا نزل المقطع مع أتباعه في إحدى القرى الموجودة بإقطاعه ، حصلت له الهدايا (٩١) ، هذا فضلاً عن بعض الخدمات التي يؤديها الفلاحون للمقطعين ، وتدخل ضمن الهدية والضيافة ، وهي سخرة إقطاعية بمعنى آخر ، وهذه الضيافات والهدايا نظائر بالشام ، وفي الروك الناصري أبطلت الضيافة والهدايا وأدخلت ضمن عبء الإقطاع (٩٢) . غير أن هذا الإجراء لم يعف الفلاحين من أعبائها .

وتخزن المحاصيل المجموعة بأنواعها المختلفة في مخازن صاحب الإقطاع ، فإن كان سلطاناً ، كانت مخازنه على نوعين : الحواصل ، وتوصف بالشريفة ، وهى التى يساق إليها المحصل من الأصناف المختلفة كالبحار وأنواع الأصناف الأخرى من الأخشاب والأقصاب والحديد ، ويعرف النوع الثانى باسم « الشون والأهراء » . فأما الشون ، فيوضع بها ما يستعمل من الغلال والأحطاب والأتبان ، وأما الأهراء فيوضع بها ما يخزن من الغلال المتنوعة ، ولا تفتح إلا عند الضرورة ، ولذلك تعتبر الأهراء مخازن عامة . فمثلاً نجد السلطان الملك الأشرف شعبان قد حجز على بيع الغلال وكل من يريد بيع غلته ، عليه أن يحملها إلى الأهراء السلطانية ويقبض ثمنها ، فلما وقع الغلاء فتحت الأهراء وبيع ما فيها ، ويقال إن السلطان كسب فى هذه العملية ٣٠٠ ألف دينار . ولهذه الأهراء مراكب خاصة تعرف واحداً باسم « الدرمة » وحمولتها ٥٠٠٠ إردب ، ولها موظفون للإشراف عليها (٩٣) ، وكانت الشون موزعة فى أقاليم مصر . فمثلاً كان يتجمع بالشون السلطانية بمدينة منفلوط من الغلال المحصلة من بلاد الوجه القبلى نحو ١٥٠٠٠ ر ١٥٠٠ إردب فى بعض العهود (٩٤) ، أما شون الأمراء ، فنظامها على نحو نظام الشون السلطانية ، إلا أنها توصف « بالمعمورة » تمييزاً لها عن السلطانية التى توصف « بالشريفة » (٩٥) .

ويلاحظ أن الفلاح ليس مكلفاً بهذه الالتزامات المتنوعة فحسب ، بل إن طريقة جبايتها وتحصيلها كانت تعسفية إلى حد كبير ، فمثلاً حدث فى سنة ٨٧٥٤ (١٣٥٣ م) فى عهد السلطان صالح بن محمد بن قلاوون ، أن تعجل المقطعون الخراج قبل ميعاده من الفلاحين ، وذلك بصدد الاستعداد لقمع فتنة العربان بالصعيد بقيادة الأمير شيخو ، فرسم السلطان للفلاحين ببيع خيولهم بالسوق ، ويوردون أثمانها مما عليهم من الخراج ، « فبيعت عدة خيول وأوردوا ثمنها للمقطعين » (٩٦) .

ولما كان عربان الصعيد المقطعون كثيرون المحاطلة فى دفع الخراج فضلاً

عن فتنهم المستمرة ضد الممالك ، فقد احتاج السلطان إلى كثير من العناء في تحصيل الخراج أو « جمع المغل » في المصطلح : فمثلاً خرج الأمير شبلث الدوادار في سنة ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م في عهد قايتباي متوجهاً إلى الوجه القبلي « بسبب جمع المغل من البلاد القبلية » واستغرقت هذه الرحلة نحواً من سبعة أشهر ، ويقال إنه فعل ببلاد الصعيد من المظالم ما لم يسمع بمثله ، حتى إنه شوى بالنار « محمود » شيخ بني عدي ، كما خوزق (٩٧) جماعة من العربان ، وسلخ جلد جماعة ، بل دفن كثيراً من الأحياء منهم في التراب ، فدخل الرعب في قلوبهم ، ولذلك خلع عليه السلطان حين عاد (٩٨) .

ومن القيود المفروضة على الفلاحين إجبارهم على الفلاحة ، يقول السبكي : « ومن قبائح ديوان الجيش ، إلزام الفلاحين بالإقطاعات بالفلاحة ، والفلاح حر لا يبدل لآدمي عليه (٩٩) » . وفصل المقرئ في هذه العبارة بصدد حديثه المقارن عن نظم الزراعة في مصر الإسلامية في عصر الفتوح الكبرى ونظمها في عصره ، فذكر أنه لم يعرف في ذلك العصر الأول « هذه الآبذة التي يقال لها الفلاحة في عهده ، ويسمى المزارع المقيم بالبلدة فلاحاً قرارياً ، فيصير عبداً لمن أقطع تلك الناحية إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق فهو من ما بقي ، ومن ولد له كذلك (١٠٠) » ، بل إنه إذا حدث وهرب فلاح ، فراراً من الظلم والقسوة ، أعيد قسراً ، يقول السبكي : « وقد جرت عادة الشام ، بأن من نزع من دون ثلاث سنين ، أي خلال ثلاث سنوات ، يلزم ويعاد إلى القرية قهراً ، ويلزم بشد الفلاحة ، والحال في غير الشام أشد منه فيها ، ومن قبائحهم يقولون : هذا شرع الديوان (١٠١) » وشرع الديوان هذا ، والمقصود به ديوان الإقطاع أو ديوان الجيش ، هو في الواقع استرقاق الفلاحين .

وهذا ما حدث بعينه في الإقطاع الأوربي نقلاً عن الرومان ، حيث كان الفلاح مقيداً بالأرض فإذا هرب منها ، قبض عليه وسلسل كالعبد وعوقب أشد العتوبة ، بل يعاقب كذلك من سهل له الفرار (١٠٢) ، والمعروف أن الفلاح من الوجهة القانونية أكثر حرية من العبد أو القن ، ولكنه يشبه من حيث إنه يعيش على الأرض ولا يستطيع مفارقتها (١٠٣) . والحلاصة أن الفلاح عاش في النظام الإقطاعي حياة بائسة كلها مغارم (١٠٤) :

هوامش الفصل السابع

(١) من مشاهير نظار الخواص الشريفة شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله المعروف بالنشوي في عهد الناصر محمد وهو من المشائخة الذين عظم شأنهم ، وأول من لقب بنظر الخواص رجل من المشائخة كذلك في عصر الناصر ، هو أكرم بن هبة الله القبطي كريم الدين الكبير أسلم وتسمى باسم عبد الكريم ويكنى أبا الفضائل (الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٠١ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٩٣ ، ٩٤ و ج ٩ ص ١٣١ ، ١٤٣ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ السلوك ج ١ ص ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ج ٢ ص ٤٧٥ ، ٤٨٣ و ٥٠٥ وزبدة كشف الممالك ص ٧) .

(٢) من مباشرى دواوين الأمراء فخر الدين العلم ناظر ديوان الأمير بشتاك في عهد السلطان الناصر محمد والقاضي أبو منصور « صاحب » ديوان الأمير أقبردى الدوادار في عهد محمد بن قايتباي (سلاطين المماليك ص ٢١٣ وبدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٥) .

(٣) الألفاظ الخفية ص ٢٦ .

(٤) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٩٨ .

(٥) النهج السديد ص ٥٦٧ ، السلوك ج ١ ص ٧٨٨ .

(٦) السلوك ج ٢ ص ١٩٧ ، أنباء الغمر ج ٢ ص ٢٦ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٤٤ .

(٧) السلوك ج ١ ص ٥٤٤ .

(٨) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٠٨ - ٢١٠ ، خطط ج ١ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٩) انظر فصل المجتمع فيما يلي .

(١٠) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ .

(١١) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٨ .

(١٢) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٧ .

(١٣) أطلق الشاميون على المطر أسماء مختلفة تبعاً لموسم الزرع ، فعرفوا المطر الذى ينزل في فصل الحريف أو الربيع الأول باسم (الوسمى) ، والمطر الذى ينزل في شهر نيسان (أبريل) حين يقرب النبات من النضج يسمى « الفاطم » (النويرى نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٥ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨١ ، أقرب الموارد) .

(١٤) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(١٥) قانون بمعنى مساحة (التحفة السنية ص ٢٤ ، ٢٧ ، ١٤٧ ، انظر الألفاظ الاصطلاحية) .

(١٦) الشراقى هى الأرض التى لم يصل إليها الماء لقصور النيل عنها أو لملوها أو سد طريق الماء عنها (نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٧ ، خطط ج ١ ص ١٦٢) .

(١٧) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٨ .

(١٨) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ، خطط ج ١ ص ١٦٢ .

(١٩) يطلق اسم الباق على الأرض حين تخلو من زراعة القروط والمقاتى .

(٢٠) النقاء هو الطين السواد الذى يصلح للزراعة وينبت فيه الكلا الصالح للرعى إذا لم تنزع ، ويسمى هذا الكلا فى الصعيد « الكتيح » وهونبات تستنى به الخيل والدواب والماشية عن البرسيم .

(٢١) قطعة تغالب دون قطعة الحرس .

(٢٢) قطعة هذا النوع متوسطة ، وأغلب ماتكون بالنقد أو العين وليست فلة - انظر مايل .

(٢٣) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ، خطط ج ١ ص ١٦٢ .

(٢٤) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٨ ، خطط ج ١ ص ١٣٨ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٨ .

(٢٥) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٢٦) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٨ .

(٢٧) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٠ .

(٢٨) السلوك ج ١ ص ١٤٦ .

(٢٩) تستخدم انفرارة فى دمشق لتعبئة الحبوب وسعتها ١٢ كيلة والكيل ٦ إمداد ينقص قليلا عن الربع المصرى . (مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٧٦ - ٣٧٧ ، خطط ص ١٦٣ انظر - المكاييل بالملاحق) .

(٣٠) انسلوك ج ٢ ص ٤٣٦ .

(٣١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٠ ، خطط ج ١ ص ١٤٧ .

(٣٢) المقاسمة والمزارعة والمخابرة الفاظ مترادفة وهى اصطلاحات لزراعة الأرض على شطر مما يخرج منها من المحصول ، وتختلف المخابرة ، وهى لغة مشتقة من الخبير وهو الفلاح ، عن المقاسمة والمزارعة فقد اعتبر الفقهاء أن المقاسمة أو المزارعة عتكون إذا كان البذر من صاحب الأرض ، على حين يكون البذر من العامل أو الفلاح فى المخابرة ، وذكروا أن النبى (ص) نهى عن المزارعة والمخابرة على أساس أن العقد فيها على شىء غير معروف ، لأن العامل يعمل فى الأرض من غير أن يدرى ما يصيبه ، ومن الفقهاء من أجاز هذه الطرق استنادا إلى أن النبى (ص) عامل أهل خيبر على أرضها ونخلها بشطر مما يخرج منها من ثمر أو زرع ، وفى رواية أخرى أنه عاملهم على أساس « المساقاة » وهى عقد يتضمن معاملة الشخص غيره على شجر أو عنب أو نخل ليتعهده بالسقى والتربية نظير قدر معين من الثمر ، وعلى هذا الأساس تجوز المزارعة تبعاً للمساقاة ، واختار النووى جواز المزارعة والمخابرة على أن يكون البذر من المالك ، وحل أحاديث الرسول (ص) فى أنهى عنها على ما إذا اشترط المالك لنفسه ناحية معينة من الأرض

والعامل أو الفلاح الأخرى . كما أجاز أبو يوسف ومحمد ذلك ، لأن فيه توسعة على الناس ومصلحة لهم والذي سار عليه الأمر في عصر الماليك ، هو أن البذر من الفلاح ، والمقطع أو أى مالك لحق الاستغلال أو الانتفاع ، لأن التقاوى السلطانية توزع ثم تحصل قيمتها عينا أم غلة (الشعراني : الميزان - فقه شافعي - ج ٢ ص ١٠٠ - ١٠١ ، حاشية البيجوى على ابن قاسم الغزى على متن أبي شجاع في مذهب الإمام الشافعي ج ٢ ص ٤٠ - ٤١ ، الخطيب : الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ج ٢ ص ٦٧ ، ٧٧ ، الحضري . التهذيب في علم الفقه ص ٧٣ ، حاشية البرماوى على شرح الغاية لابن قاسم الغزى ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، الجزيري : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ج ٢ ص ٣ - ٦ ، الكردي : تنوير القلوب ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، شرح فرائض التاج (فقه حنفى) ورقة ١٩٣ و ٢١٩ (مجاميع مخطوط رقم ٤٨٤ - بدار الكتب) ، النسفى : كنز الدقائق ص ٢٣١ ، درر الحكماء في شرح الحكماء في شرح غرر الأحكام ورقة ٤٢٦ ، يعقوب أرتين باشا : الأحكام المرعية في شأن الأراضى المصرى ص ١٤ - ١٧ - المرجعان الأخيران بمكتبة الحرم الشريف بمكة المكرمة رقم الأول ٦٥ والثاني ٤٥٩)

(٢٢) شرح فرائض التاج ورقة ١٩٣ - ١٩٤ .

(٢٤) الإجارة لغة : اسم للأجرة ، وشرعا : عقد منفعة مقصودة قابلة للبذل والإباحة بعوض معلوم ، ومعناها كذلك الكراء وهو التأجير لغة ، ومنها الإكراء وهو الفلاح ، وقد أمر الرسول (ص) بالمؤاجرة . (أبو عبد الله مسعود النسفى : كنز الدقائق ص ٢٩٤ ، دور الحكماء في شرح غرر الأحكام مخطوط ورقة ٣٧٩ ، ٣٨٢ (مكتبة الحرم الشريف المكي رقم الأول ٦٥ والثاني ١٨٩) حاشية البيجورى ج ٢ ص ٣٠ - ٣١ ، الشعراني الميزان ج ٢ ص ١٠١ ، التهذيب ص ٧٣) .

(٣٥) رسالة في أحكام الرزق الصادرة من الإمام أو نائبه ص ٣ - ٤ .

(٣٦) حدثت فترات استثنائية خلال تلك الحقبة ارتفع فيها السعر لمظالم المشرقيين على الإقطاعات ، فثلا طرح النشو ناظر خاص الناصر محمد سنة ٨٧٣٧ (١٣٣٩ م) فدان انقلقاس على « القلاقسية » بـ ١٢٠٠ درهم (السلوك ج ٢ ص ٤٢٠ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٤ ، ٤٥٨) .

(٣٧) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٤ ، ٤٥٨ .

(٣٨) كانت الفوضى منتشرة في هذه الفترة ولا سيما في سنة ٨٨١٠ (١٤٠٧ م) بسبب خروج الأمير جكم العوضى نائب حلب على السلطان فرج بن برقوق وإعلان نفسه سلطاناً بحلب حتى خضعت له البلاد الشامية من الفرات إلى غزة ، ومع مقتل جكم ، قامت ثورة أخرى بزعامة نوروز الحافظى نائب الشام وشيخ المحمودى نائب طرابلس ، وهو الذى تسلطن فيما بعد (بدائع الزهور ج ١ ص ٣٥١ - ٣٥٢) .

(٣٩) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٤ ، ٤٥٨ .

(٤٠) إغانة الأمة بكشف الغمة (نشر زيادة والشيال) ص ٤٥ - ٤٧ .

(٤١) معيد النعم ص ٣٥ .

- (٤٢) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٠ - ٦١٠ .
 (٤٣) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٠ - ٢٦١٠ .
 (٤٤) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٣٠ .
 (٤٥) زبدة كشف الممالك ص ١٣٠ .
 (٤٦) خطط ج ١ ص ١٣٨ .
 (٤٧) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٨ وصبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٨ .
 (٤٨) يرجع أصل كلمة Vassal إلى الكلمة الكلتيّة Gwas بمعنى خادم أو ولد صغير ثم صارت في اللغة اللاتينية Vassus ، ويبدو أن كلمة Vassalus مشتقة من الصفة للكلتيّة Gwassawl بمعنى الذي يخدم ، وأخذت كلمة Vassus معنى العبد Slave خلال العصر الميروفنجي . ثم أطلقت بعد ذلك على الرجال الأحرار التابعين لسيادهم ، وتطورت دلالتها ، فصارت تدل على معنى التهذيب والركة Gentility ولكنها استعملت قليلا في إنجلترا الإقطاعية واستعمل مكانها وبمعناها بكثرة ، كلمة Tenant أى المستأجر أو المزارع ، ومن هؤلاء كبار المزارعين Tenant in Chief الذين حازوا أراضيهم من الملك مباشرة .
 (Ganshoff, p. 5, Steph. p. 735 ; Dutailis, p. 67) .

- (٤٩) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦١ .
 (٥٠) هذا اللفظ Rustici لاتيني جمع والمفرد Rusticus بمعنى ريفي ، ويتضمن معنى الخشونة والتخلف .

- (٥١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٥ .
 (٥٢) كان الرومان يعرفون أن الأرض سرعان ماتجهدتها الزراعة المتوالية ، وحاولوا علاجها تارة بأنواع من المخصبات (الأسمدة) وتارة أخرى ، زراعتها بأنواع معينة من المحصول من شأنه تقوية الأرض ، غير أنهم فصلوا نظام الحقلين ، فيزرعون النصف ويريحون النصف الآخر وقد سارت هذه الطريقة في العصور الوسطى في كل جنوب أوروبا كوديان بلاد الغال الحصبة وبعض مناطقها الشالية مثل بريتا ، ويلاحظ أن هناك طريقة الثلاثة حقول The Three Field Cultivation وهذه استخدمتها ألمانيا ، وبمقتضاها يترك ثلث الأرض كرايا من غير زراعة في كل سنة على حين يزرع الثلثان الآخران أحدهما في الخريف والآخر في الربيع ، وتعتبر من الطرق المتقدمة الناجحة في الزراعة لأنها ضمن إراحة قسم من الأرض كل سنة ، وتقوم مقام الدورة الزراعية وأعمال التسميد الحديث اللازمة لصون الأراضي (كوبولاند - ترجمة الدكتور زيادة - ص ٢٦ ، ٢٨ ، Stenton pp. 258 - 256)

- (٥٣) خطط ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٤ .
 (٥٤) المصدر السابق ص ١٦٣ .
 (٥٥) انظر المكاييل .
 (٥٦) المقلقات هي المحاريث الكبار ، والبرش الحرث (خطط ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦) .

- (٥٧) المصدر السابق ص ١٦٥ .
- (٥٨) الأبلوجة مكيال يسمع قنطاراً فاحوله من عصير القصب (خطط ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦)
- (٥٩) المصدر السابق .
- (٦٠) خطط ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦ .
- (٦١) زبدة كشف الممالك ص ١٢٩ .
- (٦٢) خطط ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ - ١٨٧ ، أنباء القمر ج ١ ص ٢٠١ ، وزبدة كشف الممالك ص ١٢٩ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٣٨ - ٤٠ ، السلوك ج ٢ ص ١٢٧ - ١٣٨ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١١٢ و ٢١٧ - ١٣٢ .
- (٦٣) انظر الفصل التالى .
- (٦٤) خطط ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ .
- (٦٥) يقصد بملك الأمراء الأمير تنكز باعتباره كبير نواب الشام .
- (٦٦) تاريخ بيروت ص ١٠٧ - ١٠٨ .
- (٦٧) درة الأسلاك مصور ج ١ ورقم ٢٧٣ ، حوادث الدهور ج ١ ورقة ١٧٩ - ١٨٣ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤٤ ، ٢٦٧ ، والتحفة السنية ص ١٠٣ ، انظر الخريطة .
- (٦٨) أورد صاحب النجوم إحصائية هذه المكلفة عند حديثه عن الوباء الذى حدث فى سنة ٥٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) وأدى إلى فناء كثير من الفلاحين - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١
- (٦٩) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٨ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٠ ، ٢٥٥ .
- (٧٠) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٤ - ٢٠ ج ٢ .
- (٧١) يقول المقرئزى « قطعة فدان القمح بالصعيد إردبان » وفى أسفل الأرض - أى الوجه البحرى - يؤخذ عينا لاغلة » (خطط ج ١ ص ١٦٣) .
- (٧٢) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٤ - ٢٥٠ .
- (٧٣) خطط ج ٢ ص ١٦٤ -
- (٧٤) يلاحظ أن تنكز عرف عنه كذلك تسخير الفلاحين (السلوك ج ٢ ص ٤٢٨ - ٤٣٠) .
- (٧٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ ، انظر مهمة قاضى الفلاحين بفصل المجتمع والمساميح باللاحق .

- (٧٦) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤ .
- (٧٧) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٢ .
- (٧٨) بدائع الزهور ج ٤ ص ٢٤ .
- (٧٩) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .
- (٨٠) شرح فرائض التاج ورقة ١٩٣ - ١٩٤ .
- (٨١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

- (٨٢) التحفة السنية ص ٨١ .
- (٨٣) التحفة السنية ص ١٥٢ .
- (٨٤) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .
- (٨٥) كوبلاند : الإقطاع والمصور الوسطى (ترجمة الدكتور زيادة ص ٣٤) .
- (٨٦) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٣١ .
- (٨٧) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٠ .
- (٨٨) قوانين الدواوين ص ٣٤٤ .
- (٨٩) خطط ج ١ ص ١٧٣ .
- (٩٠) كوبلاند وفينو جرادوف - ترجمة زيادة - ص ١٠٤ - ١٠٩ .
- (٩١) خطط ج ١ ص ١٤١ - ١٤٣ و ١٦٦ - ١٦٧ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥١ .
- (٩٢) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥١ .
- (٩٣) بدائع الزهور ج ٣ ص ١٢١ ، زبدة كشف الممالك ص ١٣٢ - ١٢٣ .
- (٩٤) زبدة الممالك ص ٣٣ .
- (٩٥) صبح الأعشى ج ٤ ص ٦١ .
- (٩٦) السلوك مخطوط ج ٣ ص ١٦ و ٣٤ .
- (٩٧) انظر فصل المجتمع ومسائل التمدب .
- (٩٨) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٢ ، ١١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٨ .
- (٩٩) معيد النعم ص ٤٤ .
- (١٠٠) خطط ج ١ ص ١٣٨ .
- (١٠١) معيد النعم ص ٤٤ .
- (١٠٢) كان هذا القيد من التشريعات التي أصدرها الإمبراطور تيودوسيوس (ت ٣٩٥م) حين نظم الزراعة في فلسطين، وينص التشريع «هنا لا يستطيع المزارع أن ينتقل حسب رغبته لكن بعد السوابق التي حدثت في الولايات الأخرى ، سيكون مرتبطاً بمالك الأرض ولن يتمكن أحد من إيوائه وإلا دفع غرامة ، كذلك للمالك الحرية الكاملة والحق المطلق في إعادة الهارب ثانياً» . Steph pp. 256-360 ; Scignobos (H, G,), T. II , pp. 2-5 ; Lot, pp, 107, 111 - 112) .
- (١٠٣) Vinogradoff, p. 476 ; Scignobos, II, pp. 2-5 .
- (١٠٤) كوبلاند (ترجمة الدكتور زيادة) ص ٢٤ - ٢٥ .

الفصل الثامن

المناقشات الإقطاعية

الخصائص الجوهرية في مناقلات الإقطاع وسلطة
ولى الأمر بين الشرق والغرب - الصور المختلفة
لانتقال الإقطاع - انتقال إقطاع السلطنة أو الخاص
الشريف لكل سلطان جديد - مناقلات عامة يجريها
السلطان لعوامل سياسية - مناقلات خاصة تتم بين
المقطعين أنفسهم بالمقايضات أو التنازل أو البيع نظير
مبالغ من المال - ديوان البدل ومهمته في هذا الصدد -
المهيسون - الأوراق التي تكتب بصدد المناقلات الإقطاعية
- تغير حالة الإقطاع نفسه - زيادة الإقطاع أو إنقاصه -
الطرخانيات وصورها - العزل عن الإقطاع - البطالون -
الانتقال بعد الوفاة ونظام الوراثة في الشرق والغرب -
المحلولات من الإقطاع وإقطاعها - المحاسبات عند الإقطاع -
الحلوان في الإقطاع المملوكى ونظيره في الغرب .

المناقلات الإقطاعية تعبير ساد في مصطلح النظام الإقطاعي في مصر والشام على عصر السلاطين المماليك للدلالة على انتقالات الإقطاع الواحد من يد إلى أخرى حسبما يرى السلطان ، وانفرد النظام الإقطاعي بهذه الخاصية لارتباط الإقطاعات بالوظائف والخدمات التي يؤديها المقطعون للدولة في شخص السلطان ، وما المقطعون على اختلافهم إلا موظفون في حكومة مركزية على أشد ما تكون المركزية ، وهذا على خلاف الإقطاع الغربي ، فهو وإن اتفق في بعض مظاهر النشأة أيام تأسيس الدول الجرمانية على أنقاض الإمبراطورية الرومانية ، إلا أنه صار من الناحية العملية ملكاً يتناقله الخلف عن السلف نظير حقوق والتزامات متبادلة بين السيد وتابعه ، ومع أن ولي الأمر في الإقطاع الأوربي - نظرياً - صاحب حق في استرجاع إقطاع تابعه إذا أخل بالتزاماته أو ارتكب جناية ، فالغالب أن يرفض التابع قرار ولي الأمر ، وحينئذ يكون السيف هو الفاصل بينهما^(١). أما الإقطاع السائد في عصر المماليك فهو إقطاع استغلال ، يقول السبكي : إن الإقطاعات المعروفة في هذا الزمان إنما هي إقطاعات إرفاق^(٢) ، وهذا الإقطاع لا يعطى المقطع رقبة الإقطاع وإنما حق الاستغلال ، أو الانتفاع أو الارتفاق فحسب ، ومع أن إقطاع التملك حدث في وجد في الأرض الموات والأرض العامرة ، إلا أنه ظل في حكم النادر ، فضلاً عن شرط إذن السلطان أو ولي الأمر في ذلك^(٣) ، ولذا نصت الوثائق الإقطاعية على أن الإقطاع من « صدقات السلطان » أو من مراحم مولانا السلطان وكرم الدولة ، وأن السلطان تصدق وأنعم وهكذا على خلاف المعروف عن الإقطاع الغربي ، حيث يعتبر كبار الإقطاعيين أنفسهم أقراناً للملك ، بل إن من قواعد الصليبيين المعروفة حين استقروا

بالشرق الأوسط : « أن القادم الأول له الحق الكامل في ملكية كل قصر وكل مدينة بشرط أن يظل قادراً على حمايتها » ، ولما كان النبلاء الإقطاعيون هم الذين سبقوا في التأسيس لأنفسهم بالأرض المقدسة ، وأن الملكية لم تأت إلا كضرورة التنظيم ظل بروز سلطة النبلاء الخاصة الكبرى في النظام الإقطاعي بالمملكة اللاتينية ، أما ما عرف في عصر المماليك من اصطلاح « الخشداشية »^(٤) وهم انزملاء أو الأقران ، فالفرق جد شاسع بين هؤلاء وبين الأقران في الإقطاع الغربي ، فالخشداشية هم الذين تربوا معاً عند سلطان أو أمير ، وعند ولاية أحدهم السلطنة ، وأكثر ما تفتن بالقوة ، يصبح لديه من القوة والمنعة بمماليكه ما يستطيع معه أن يستبد بالأمور دون غيره فيعزل ويولى من يشاء ويحرم متى رأى ذلك دون خشية من خشداشية أو نحوهم . يقول ابن إياس عن قطز : « فلما تسلطن قبض على جماعة من خشداشيته من الأمراء والخدام وأرسلهم إلى الحبوس بغير دمياط والإسكندرية ، فلما فعل ذلك استقامت أموره في السلطنة وصفا الوقت وأنشأ عصابة من الأمراء^(٥) ، وما المناقلات بالإقطاعية التي نحن بصدددها إلا المظهر الأكبر لهذه القوة والسيادة والتركيز .

وأول ما يسترعى النظر ، هو انتقال إقطاع السلطان إلى السلطان الجديد ، ولقد حرص أمراء المماليك أنفسهم على ألا تصبح السلطنة نفسها وراثية ، وبالتالي ينتقل إقطاع المرشح للسلطنة بعد تربعه على عرشها إلى أمير آخر ، وفي مثل هذه الأحوال تقوم حركة مناقلات إقطاعية كما فعل السلطان جقمق حين ولي السلطنة سنة ٥٨٤٢ = ١٤٣٨ م ، فخلع على الأمير قرقماش الشعباني واستقر به أتابكاً لعساكر مصر عوضاً عن نفسه وقرره في إقطاعية ووظيفة نظام المملكة التي كان يشغلها^(٦) ، وزاد عليه إمرة أربعين بدمشق ، وتلا ذلك طبعاً مناقلات إقطاعية أخرى^(٧) ، ولما تسلطن أحمد بن إينال سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م ، خلع على الأمير خشقدم الناصري أمير سلاح وقرره في الأتابكية عوضاً عن نفسه وأخرج له مكتوباً بإقطاع الأتابكية^(٨) .

وهناك مناقلات عامة تقتضيها عوامل سياسية فينتقل بعض المقطعين من جهة إلى جهة أخرى كما حدث في عهد كتبغا إذ عزل الأمير عز الدين الحموي نائب دمشق لسبب أمور صلت منه سنة ٦٩٥هـ = ١٢٩٥ م ، وولى مكانه أحد مماليكه وهو الأمير غرلو وأعطى الأمير المغزول إقطاع غرلو في مصر^(٩) ، وحدث مثل ذلك في عهد الناصر محمد سنة ٧١٢هـ = ١٣١٢ م ، حين تبرم الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء صاحب حماة من فئة المماليك السلطانية المقطعين بحماة ، فنقلهم الناصر إلى حلب ، وفي ذلك يقول أبو الفداء « سألتى السلطان عن أحوالى وما أشكو منه فلم أفصح له بشيء ، فاطلع بعلمه الشريف وحده ذهنه وقوة فراسته على تقلقى من الأمراء المماليك السلطانية المقيمين بحماة ، فإنهم استجدوا بحماة لما خرجت من بيت التقوى الأيوبي ، فاطلع على تعبي معهم وأنهم ربما لا يكونون وفق غرضي ، فاقضى مرسومه الشريف نقلهم إلى حلب مع استمرار إقطاعاتهم التي كانت لهم بحماة عليهم ، إلى أن يتجلى ما يعرضهم به ، فتقدم مرسومه إليهم بذلك ووصل إليهم المرسوم على البريد بتوجههم إلى حلب ، فخرجوا عن آخرهم بأهلهم وجندهم وكانوا نحو ١٤ أميراً ، بعضهم طبلخاناه وبعضهم أمراء عشرات ، ولم يبق بحماة غير من اخترت مقامه عندي » ، واقتضى هذا النقل تنظيماً إقطاعياً جديداً في السنة التالية ، إذ شعر الأمراء المنقولون بصعوبة إدارة إقطاعاتهم والاتصال بها ولاسيما وليس بحلب إقطاعات « محلولة » ، تكفيهم ، فرفعوا شكايتهم إلى السلطان وأعلنوا تبرمهم من صاحب حماة الذي تسبب في النقل ، وطلبوا العودة إلى حماة ، واستجاب الناصر إلى هذه الشكوى بأن اتفق مع الملك المؤيد على نقل إقطاعات المعرة وبلادها من نيابة حماة إلى نيابة حلب ، وجاء المرسوم الشريف ، وذلك في المحرم من سنة ٧١٣هـ - ١٣١٣ م^(١٠) ، وفي سنة ٧٢٩هـ = ١٣٢٩ م ، أمر السلطان الناصر بمبادلة إقطاع الأمير حسين بن جندر بمصر بإقطاع الأمير جوبان بالشام وذهب ابن جندر إلى دمشق وحضور جوبان إلى القاهرة ، لأن الأول استأذن في عمل (خوخة) بسور القاهرة

تنتهى إلى حارة الوزيرية ، لكنه استغل الإذن وفتح باباً كبيراً على قدر باب
زويلة ، ووضع عليه « رنكه » كأن خوخته باب من أبواب المدينة ، فسعى
به متولى القاهرة إلى السلطان فأبعده عن القاهرة (١١) ، وقام المقطعون أنفسهم
فيما بينهم بمناقلات إقطاعية عرفت باسم « المقايضات » والتنازل أى البيع
والشراء ، والغريب أن الحكومة نفسها هى التى نظمت وشرعت لهذه المناقلات
فأنشأت « ديوان البدل » وأكثر ما وقعت هذه المناقلات فى أوقات الفوضى
والفتن وركون بعض المقطعين إلى البطالة والإهمال وعدم العناية باستثمار
إقطاعاتهم ، فضلاً عن فساد الذمم وانتشار الرشوة وجمع المال بطرق مريبة ،
فتنازل أجناد الحلقة وهم الطائفة الأولى فى حيازة الإقطاعات الحربية ، عن
إقطاعاتهم نظير مبالغ من المال ، وهو بيع مقصور على حق المنفعة أو الاستغلال
وقايضوا إقطاعاتهم بعضها ببعض مما أدى إلى كثرة الدخيل فى الأجناد ، حتى
صار أكثر أجناد الحلقة زمن المقريزى (أى القرن الخامس عشر الميلادى)
من أصحاب الحرف والصناعات والباعة . على أن هذه الصورة من المناقلات
الإقطاعية بدأت فى عصر السلطان شعبان بن الناصر محمد حين استبد بشئون
السلطنة من دون شعبان الأمير غرلو شاد الدواوين (١٢) ، وأراد الحصول على
المال بأية وسيلة سريعة ، فاستحدث هذه المقايضات والتنازلات بين أجناد
الحلقة وقرر مبلغاً من المال يدفعه كل طرف من المقايضين إلى بيت المال ،
كما قرر إباحة الدخول فى أجناد الحلقة ، فمن أراد ذلك فعليه أن يحمل لبيت
المال قدر عبرة الإقطاع المعتاد لجندي الحلقة ، وقام « ديوان البدل » الذى
أنشأه غرلو سنة ٧٤٦هـ - ١٣٤٥م على تنظيم هذه المقايضات والبيوع
والنزولات ، وازدادت سلطة هذا الديوان وفسدت وسائله حتى استحق
أن يعرف بديوان « البدل » ، والذى يدعو للعجب ، أن المناشير الرسمية
صدرت بهذه المناقلات الشاذة ، وعينت المبلغ الذى يدفعه المتقايضون ، حينئذ تقدم
الأمراء إلى السلطان شعبان فى إبطال المقايضات ونحوها (١٣) ، فاستجاب إليهم ،

إلا أن الأمر عاد إلى هذا الفساد مرة أخرى حين تولى الأمير منجك اليوسفي منصب الوزارة للسلطان صالح بن الناصر محمد ، وانطلقت يده في الأموال ، فكثر الرشوة حتى صارت جميع أعمال المملكة وولاياتها لا يعين فيها إلا بالمال (١٤) ، وفتح باب النزولات والمقايضات ، فباع الجندى إقطاعه ، وتراوح المبلغ المدفوع في الإقطاع ما بين عشرين ألف درهم إلى ما دون ذلك ، للوزير منه جزء معلوم ، وازدادت الحال سوءاً أيام وزارة الأمير قبلاى سنة ٨٧٥٣ = ١٣٥٢ م للسلطان صالح (١٥) ، فبيعت « تقادم الحلقة » ، أى إقطاعات مقدمى الحلقة ، وظهرت طائفة جديدة من الموظفين عرفوا باسم « المهيسين » بلغت عدتهم نحو ٣٠٠ مهيس ومهمتهم الطواف على الأجناد وترغيبهم في النزول أو المقايضة بإقطاعات مقابل عمولة مقدارها مائة درهم على كل ألف درهم يتقاضاها المهيس بعد إتمام صفقة البيع ، وبلغ الفساد أقصاه حين صارت رسوم كتاب ديوان الجيش في المقايضات موضع خفض ورفع ، فخفض الأمير شيخو العمرى (١٦) على أثر تعيينه رأس نوبة سنة ٨٧٥٤ / ١٣٥٣ م ، في سلطنة صالح ، هذه الرسوم إلى ثلاثة دراهم بعد أن بلغت عشرين درهماً (١٧) .

ومن أمثلة التنازل عن الإقطاع ، ما حدث في إقطاعات أمراء الغرب من بنى تنوخ بلبنان ، فنزل ناصر الدين الحسين عن إقطاعه لولده زين الدين صالح لما كبر سنه ، ومضمون النزول وهو بتاريخ رمضان سنة ٨٧٤٩ / ١٧٤٨ م « أنه ينزل عن إقطاعه بحكم أن يقضى ديونه ويقوم بكلفته وكلفة عائلته باقى عمره » (١٨) ، ونزل صالح هذا بدوره عن إقطاعه لولديه أحمد ويحيى وجعله بينهما بالسوية في منشور واحد بتاريخ جمادى الآخرة سنة ٨٧٧٤ / ١٣٧٣ م ، واشترط عليهما أن من يتوفى منهما أولاً يستمر نصيبه لأخيه من غير تجديد منشور ثان (١٩) ، ومن الواضح أن هذا النوع من نزول الوالد لولده عن إقطاع فيه معنى من معانى الوراثة ، وتعرف الوثيقة الإقطاعية التى تكتب بصدد

التنازل أو المقايضة باسم « الإشهاد » وهى تقابل « المثال » فيوقع ناظر الجيش على الإشهاد بتأشيرة تختلف عما يوقع به على المثال ، واصطلح على تسمية هذه التأشيرة باسم « الكشف » ، ومضمون هذه التأشيرة : « رافعه (الضمير عائد على الإشهاد) فلان أنهى ما هو كذا وكذا وسأل كذا وكذا ... » . ويذكر حال الإقطاع المتنازل عنه أو المقايض به ، ثم يوقعها السلطان ، وتأخذ مجرى المثال (٢٠) .

هذا والإقطاع نفسه دائم التحول من حالة إلى أخرى غير حالة المناقلات بين المقطعين ، كأن يكون الإقطاع فى يد مقطع ثم يستحيل إلى ملك حر أو وقف ، أو يحدث العكس ، كأن يتحول الوقف إلى ملك أو إقطاع وهكذا ، فليس هناك أى قيد يحول دون هذا التحول ، فهذه بلدة تقدوس (٢١) بالشرقية ، وقف خوند والدة الأشرف شعبان ، تحولت بعد وفاتها إلى إقطاع للمقطعين (٢٢) . وحدث العكس فى سنديون بالقلوبية ، فقد كانت من إقطاعات الممالك السلطانية والحلقة ثم تحولت إلى وقف للسلطان برسباى (٢٣) ، وفى عهد قايتباى تحولت المنشية وجرف النجاة بالقوصية من أرض إقطاعية إلى خراب ، كما صار إقطاع مدينة سوهاى بالأعمال الإخيمية ملكاً للسلطان قايتباى وهكذا (٢٤) .

ومن المناقلات الإقطاعية زيادة الإقطاع أو النقل إلى إقطاع أكبر ترقية للعاملين ومن يرى ولى الأمر ترقية لهم ، و نقص الإقطاع أو النقل إلى إقطاع أصغر عقاباً أو لطمع السلطان نفسه ، وهناك الإنقاص بسبب العجز عن الخدمة لكبر السن أو المرض ، ويستوى فى هذا الصدد أن يأتى الإعفاء من جهة السلطان لتابعه بالعزل ، ويعطى مرتباً ثابتاً أو ينقل إلى إقطاع أصغر أو أن يأتى بناء على طلب المقطع نفسه لإعفائه من الخدمة على أن يمنح إقطاعاً أصغر يقوم بأوده بقية حياته ، وهو فى الحالين أشبه ما يكون بالحال على المعاش ، وطلب بعض الأمراء الإعفاء ، لاجزأ ولا مرضاً ولا تقدماً فى السن ، بل فراراً من المسئولية ، وأحياناً يرى السلطان إحالة التابع على المعاش أو يهدده بالإحالة

لا لسبب من هذه الأسباب وإنما لهدف سياسى وضرورة يراها ولى الأمر ، وهذه الإحالة الإجبارية هى نوع من العقاب المخفف ، ويطلق على الشخص فى هذه الأحوال كلها اسم « الطرخان » والمنزلة التى صار إليها هى منزلة « الطرخانية » (٢٥) .

والأمثلة على ذلك كله إنعام السلطان جقمق سنة ٨٤٨هـ / ١٤٤٤ م ، على الأمير الطنبغا اللفاف بإقطاع زيادة على إقطاعه ، وحاز هذا الأمير عدة زيادات فى عهد جقمق حتى بلغ مرتبة مقدمى الألوف (٢٦) ، وزاد السلطان جقمق كذلك الأمير سنقر الحازندار إقطاعاً فضلاً عما بيده فى سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م (٢٧) ، بل إن هذا السلطان أنعم على حفيده وهو ولد ابنه الفخرى عثمان سنة ٨٥٦هـ / ١٥٥٢ م ، بتقدمة ألف زيادة على تقدمة ألف سابقة أى أنه صار بيده إقطاعان كبيران يعد الواحد منهما من أكبر الإقطاعات فى الدولة (٢٨) وقصود هذه الزيادات مناشير جديدة لتثبيت حق المقطع فيما زيد له ، وتعرف باسم « مناشير الزيادات » وحكمها حكم المناشير العامة من حيث الاختلاف تبعاً لمرتبة الأمير (٢٩) .

أما إنقاص الإقطاع فمن أمثله نقل الأمير كوندك نائب السلطنة عند السلطان السعيد بن بيبرس من منصبه وإقطاعه ، وهو إمرة مائة وتقدمة ألف ، فى سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩ م ، إلى إمرة أربعين بحلب ، وجاء ذلك نتيجة موقفه من بعض الخاصكية ، فقد امتنع عن تنفيذ أمر السلطان بإطلاق مبلغ قرره لهم (٣٠) ، وارتجع السلطان شعبان سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦ م ، من أولاد يلبغا الأتابكى تقادمهم وأنعم عليهم بطبلخانات (٣١) ، ولما أمر السلطان جقمق بعزل الأمير سودون السودونى الحاجب عن وظيفته سنة ٨٤٦هـ / ١٤٤٢ م ، ونفيه إلى قوص شفع فيه فرسم جقمق بتوجهه « على إقطاع هين فى طرابلس » ثم شفع فيه فأقام فى القاهرة (٣٢) ، كذلك نفي جقمق الأمير أرزمك البشتكى سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠ م ، فلما شفع فيه أعاده بعد أن أخرج من إقطاعه حصّة

بناحية المرصفا بالقلبوية (٣٣) ، وحدث مثل ذلك سنة ٨٨٥٩ / ١٤٥٢ م ، حين أخرج السلطان جقمق نصف إقطاع الأمير جانبك النوروزى (٣٤) .

ولما تظلم أهل قرية سرمين بالشام إلى السلطان قايتباى خلال رحلته سنة ٨٨٨٢ / ١٤٧٧ م ، من مقطوعهم ، أمر السلطان بإخراج هذه القرية من إقطاعه وأضافها إلى الذخيرة الشريفة ، وعوض المقطع مبلغاً من المال نظير ذلك (٣٥) .

ومن أمثلة الإنقاص لطمع السلطان نفسه ما فعله السلطان الناصر محمد . سنة ٨٧٢٦ / ١٣٢٥ م ، حين أمر بإخراج قرية النحريرة بالغربية بعد تعمیرها إلى الإقطاع السلطانى وكانت ضمن إقطاع الأمير سنقر السعدى نقيب الجيوش (٣٦) .

ومن صور « الطرخانيات » المختلفة ما فعله السلطان على بن شعبان . سنة ٨٧٧٩ / ١٣٧٧ م ، حين ارتجع إمرة طينال الماردىنى وهى طبلخاناه ، وعوضه عنها إمرة عشرة ورسم له أن يكون طرخاناً (٣٧) ، كما سمح فى سنة ٨٧٨١ / ١٣٧٩ م ، للأمير أيدمر الشمسى أحد المقدمين ، أن يكون طرخاناً ، ورتب له ما يكفيه (٣٨) ، وجاء الأمير إياس الطويل نائب طرابلس فى سنة ٨٨٧٦ / ١٤٧١ م ، إلى السلطان قايتباى وطلب الإعفاء لكبر سنه ، فرسم له السلطان بالعودة إلى إقطاعه بطرابلس يأكل منه وهو طرخان (٣٩) ، أى أنه لم ينقص إقطاعه أو إمرته ، وطلب سودون الأفرم من قايتباى إعفاءه من السفر لقمع بعض الخارجين ، فأخرج السلطان عنه التقدمة وأعطاه للأمير فجماس الإسماعى ، ثم رتب لسودون إمرة عشرة وبقى طرخاناً حتى توفى بمصر سنة ٨٨٧٨ / ١٤٧٣ م (٤٠) . وتقدم الأمير لاجين الظاهرى إلى السلطان قايتباى فى عام ٨٨٨٥ - ١٤٩٠ م وذكر للسلطان أنه قد شاخ وكبرت سنه وعجز عن الحركة ، وطلب إعفاءه من إمرة مجاس ، فأعفاه السلطان ورتب له ما يكفيه واستمر طرخاناً إلى أن مات (٤١) .

كذلك توفي الأمير بردبك الظاهري سنة ٨٩٢هـ - ١٤٨٦م ، ويده
إمرة عشرة بأكلها وهو طرخان (٤٢)

ومن الذين طلبوا إنقاص إقطاعاتهم والحصول على منزلة الطرخانية
فراراً من المسئولية ، الأمير قرقماش ، إذ اعتذر عن السفر وأظهر العجز
للسultan قايتباي وهو يستعد لحرب شاه سواربن دلفادر سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م ،
على أن يكون طرخاناً في أي مكان يحدده السلطان ، غير أن قايتباي فطن
لحيلته فلم يجبه وأنبه وألزمه بالسفر (٤٣) .

ومن عوقبوا عقاباً خفيفاً بالإحالة إلى منزلة الطرخانية ، الأمير منجك
اليوسفي نائب حلب في عصر السلطان حسن ؛ فقد اختفى هذا الأمير ثم قدم
على السلطان متوسلاً سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م ، فرق له السلطان « لكونه لم يخرج
من بلاده ، ورسم له بإمرة طبلخاناه بدمشق وأن يكون طرخاناً يقيم حيث
شاء ، وكتب له توقيعاً شريفاً (٤٤) . وعرض السلطان برقوق بعض ممالك
السلطان شعبان سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م ، فعزل خمسة منهم عن إقطاعاتهم وجعل
لهم رواتب في مرتبة الطرخان (٤٥) ، بل إن السلطان الغوري توعد فريقاً من
أمرائه المقصرين في إعداد الممالك وتجهيزهم « باللبس الكامل والخيول الجيدة »
أثناء العرض بإخراجهم عن إمراتهم إلى الطرخانية (٤٦) .

على أن الطرخانيات ، لم تقتصر على أرباب السيوف ، بل سرت هذه
التسمية كذلك على رجال القلم الذين استعفوا من الخدمة ، إلا أن هذا النوع
قليل نادر (٤٧) ، وليس في المراجع المتداولة هنا سوى « طرخانية » واحدة
أوردها القلقشندي ، وهي عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون للقاضي
قطب الدين بن المكرم أحد كتاب الدرج بديوان الإنشاء حين اختار الإقامة
بالحجاز (٤٨) .

وجرى المصطلح على تسمية الوثائق الخاصة بهذه العملية باسم « مراسيم بالطرخانيات لرجال السيف » و « تواقيع » بها لرجال القلم ، وهى من بعض نواحيها أقرب ما تكون إلى كتاب الشكر الذى يوجه عادة إلى من يستقبل لا من يقال أو يجبر على الاستقالة أو يحال على المعاش فى العصر الحاضر بالطريق العادى ، وتبدأ الافتتاحية فى الوثيقة من هذه الوثائق بالخطبة العادية ، وذكر عبارات الرأفة والرحمة والكرم والشفقة بالكهولة فيقال مثلاً « الحمد لله اللطيف بعباده الرءوف بخلقه ، المان بفضله ، الغامر بجوده ، الحائد برزقه المتفضل على العبد فى الصبا وفى الكهولة بعفوه ، وفى الشيخوخة بعفته » ، ثم إن الطرخانية تشير بعد ذلك إلى حسن سيرة الشخص وخدماته وأنه وصل إلى مرحلة من السن تلمس منه عندها البركات والدعوات مثل : « ولما كان فلان ممن توفر فى الخدمة الشريفة قسمه وكبرت فى الطاعة سنه ووهن عظمه وعجزت عن الركوب والنزول حركته ، ولم يبق إلا أن تلمس بركته ، اقتضى حسن رأى الشريف أن يضاعف إليه الإحسان . . فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يكون المشار إليه طرخاناً يقيم حيث شاء من البلاد الإسلامية المحروسة ، معاملاً بمزيد الإكرام والاحترام . . لا يطلب لخدمة فى نهار ولا ليل ، ولا يلزم بالقيام بنزك ولا خيل (٤٩) . . » ، وتطلب الطرخانية شكر الطرخان ودعائه لنعم ولى الأمر والدولة فى عبارات مثل « وليشكر واقع هذا الحلم الذى سرى وسار كالمثل السائر فى الوجود ، وليقابل هذا الإقبال بالدعاء لأيامنا الزاهرة » . وقد تحدد الطرخانية معلوم الطرخان الذى يتناوله ولكن هذا لم يرد إلا فى طرخانيات أرباب الأقلام إذ حددت طرخانية ابن المكرم راتبه بقدر النصف مما كان يأخذ وهو على كتابة الدرج ، بل ورثت هذه الطرخانية هذا المعلوم لأولاده ، وأولاد أولاده من بعده ، وهذا ما لم يتضح فى طرخانيات أرباب السيوف (٥٠) .

أما العزل عن الإقطاع عقاباً وما يليه من نفي أو سجن فمن أسبابه الخروج

على السلطان سواء أخذ الخروج صورة الخيانة الكبرى بالاتصال بالأعداء كما وقع من العربان من آل مهنا بالشام أكثر من مرة في عهد بيبرس والناصر محمد (٥١) أو ثار المقطع في وجه سيده أكثر من ذلك ، قد يعزل الفاضل من أعوان السلطان في قمع الثورة كما فعل برقوق ، وهذه الثورات أكثر من أن تحصى في عصر المماليك (٥٢) ، كذلك كان للوشاية والسعايات أثرها في عقوبة المقطع بالعزل (٥٣) ، بل إن من السلاطين من أوقع هذه العقوبة بمن عرفوا بسوء السيرة كشرب الخمر أو الاعتداء على حقوق الغير واستغلال مناصبهم (٥٤) ، ومنهم من عزل ظلاماً إيثاراً للمقربين لديه كما كان يفعل محمد ابن قايتباي (٥٥). وأفحش السلطان الغورى في هذه الناحية، يقول ابن إياس: « ومن الحوادث الشنيعة في هذا الشهر (جمادى الآخرة ٩٦٤ هـ) أن السلطان شرع يخرج إقطاعات أولاد الناس من أجناد الحلقة . . . فأخرج نحواً من ثلثمائة إقطاع ورزقة من غير جنحة ولا سبب ، وصار ينعم بها على المماليك بمكاتبات ، وهذا الأمر ما سبقه به أحد من الملوك السالفة ، فحصل للناس الضرر الشامل ولا سيما أولاد الناس ، صارت المماليك يهجمون عليهم ويأخذون منهم مناشيرهم غصباً عنهم ويبدلونهم بالضرب وكانت حادثة مهولة لم يسمع بمثلها ، وأنا من جملة من وقع له ذلك ، وخرج إقطاعى لأربعة من المماليك (٥٦) » وكثيراً ما يتلو هذه الأحداث إيقاع « الحوطة » ومصادرة « الموجود » للمعاقب من مال وأثاث وثياب وسلاح (٥٧) .

ويعرف أمثال أولئك المعزولين « بالباطالين » ، على أنه يحدث أن يطلب الأمير إعفائه من الإقطاع والخدمة ليكون « بطالا » ، دون سبب سوى اعتلال الصحة أو تقدم السن أو العجز عن الخدمة الحربية ، فيجيبه السلطان إلى ما طلب ، وربما أعطاه في هذه الحالة « معلوماً » من الرواتب السلطانية أو عوضه بطريقة ما أو أبقي عليه إقطاعه وهو « بطال » .

ويشارك « البطال » في هذه الحالة مع الطرخان إلا أن الأخير - ومعناه

الأمير باللغة التركية - يظل محتفظاً بمنزلة الأديبة واحترام السلاطين له ، بل والتبرك به حتى ولو كان من المعاقبين بهذه الحالة إلا أنه عقاب مخفف ، بخلاف البطل الذي لا يكون إلا معاقباً في أغلب الأحيان . هذا وللبطالين المعاقبين (٥٨) زى معين ، فضلاً عن رتبة أولى الأمر فيهم وصدور كثير من التشريعات ضدهم . فمثلاً أخرج السلطان على بن شعبان الأمير بلاط أمير سلاح عن إقطاعه في سنة ٥٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م ، على أن يكون بطالا لكنه أنعم عليه بضبعة تغل ٢٠٠ ألف درهم (٥٩) ، وفي مستهل سلطنة برقوق في سنة ٥٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م ، عرض الممالك الأشرفية ورقى أصحاب « الأخباز الثقال » إلى رتبة مقدمين بالحلقة وجعل بقيتهم ضمن الأجناد ، وكانت عدتهم نحو ٥٠٠ مملوك منهم : ٤٠٠ مملوك من أصحاب الإقطاعات بالحلقة و ١٠٠ من أصحاب الجوامك فأمر أصحاب الأخباز بالحلقة بلزوم دارهم وأكلهم الإقطاعات وقطع أرباب الجوامك وعين بدلا منهم من الذين اشتراهم ورباهم وقال : « هؤلاء خونة ، خانوا أستاذهم الأشرف (شعبان) وأعانوا على قتله فلا خير فيهم (٦٠) » ، وبعد خلع برقوق وعودة أمير حاج إلى السلطنة أفرج في سنة ٥٧٩١ هـ - ١٣٨٨ م عن الأمير شيخ الصفوى ورسم له أن يتوجه إلى القدس بطالا ورتب له ما يكفيه (٦١) ، كذلك نجد الأمير ملكتمر ولقبه سيف الدين تنقل في الخدم أيام شعبان وبطل في آخر وقت وأقام في القاهرة ببيته بطالا ، ويرجع سبب إخراج الإمرة عنه ، إلى أنه أقام بداره منقطعاً ، فقرر له برقوق بلدة بالدقهلية تغل ٣٠ ألف درهم فأقام يأكلها حتى وفاته في سنة ٥٧٩٤ هـ - ١٣٩١ م (٦٢) وشفع في عهد قايتباي في الأمير جاني بك وكان يقيم بالقدس بطالا فحضر إلى القاهرة حيث رتب له السلطان ما يكفيه إلى أن مات (٦٣) .

ولما كبرت سن الأمير قندس الناصرى وكف بصره ، وكان أمير مائة ومقدم ألف ، عزله السلطان شعبان سنة ٥٧٦٥ هـ / ١٣٦٣ م ، وعوضه بأن أعطى ابنه الأمير على إمرة طبلخاناه (٦٤) .

وقد يستعفى الأمير المقطع من الوظيفة والإقطاع ليقم بطلا لسبب ما كالمرض كما فعل الأمير برسباى الناصرى فى سنة ٨٥١هـ / ١٤٤٧م ، فقد طلب الإعفاء من نيابة حلب « لتعله وطلب التوجه إلى دمشق بطلا » ، فوافق السلطان جقمق ، وعين بدلا منه الأمير تم بن عبد الرازق المؤيد نائب حماة ، وترتب على ذلك حركة تنقلات بين نواب صفد وغيرها (٦٥) .

ومن البطالين الذين حرموا الراتب أو المعلوم : الأمير طشتمر اللفاف الذى قبض عليه السلطان على بن شعبان فى سنة ٨٧٩هـ / ١٣٧٧م ، ونفاه إلى القدس بطلا ، كما نفي جماعة من الطبلخاناه والعشرات لسبب ما أحـثره من الفتن (٦٦) ، كذلك تتبع برقوق الممالك الأشرقية سنة ٨٨٨هـ / ١٣٨٦م ، فشردهم قتلا ونفياً إلى أن شفع فى الباقي فقطعت إمرتهم وتركوا بطالين لأنهم أرادوا الثورة عليه (٦٧) . وحدث فى سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م ، أن شكاه أهل طرابلس من سوء معاملة نائبها الأمير يشبك من جاهى بك المؤيدى الصفدى ، فعزله جقمق ورسم بقدمه إلى القاهرة ومنها إلى دمياط ليقم بها بطلا (٦٨) . ثم إن السلطان قايتباى رسم فى سنة ٨٧٢هـ / ١٤٧٦م ، بالقبض على أعيان الممالك الحشقدية ومنهم مغلباى الذى أخرجه إلى القدس بطلا (٦٩) ، ولما أراد قايتباى أن يعين قريبه الأمير تراز الشمسى فى سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ، نائباً بالشام ، وامتنع تراز وادعى الفقر وعدم القدرة على إعداد لوازم السفر ، فوجه السلطان فنزل تراز إلى داره وأغلق بابه وصرف نقباءه وحينئذ أرسل إليه السلطان : « توجه إلى مكة وأقم بها بطلا (٧٠) » ، وقبض السلطان العادل على طومان باى على قلج نائب الإسكندرية سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م ، وأرسله إلى الشام بطلا إذ كان من عصبة جان بلاط المخلوع ، وهكذا (٧١) .

لما كان عدد البطالين كبيراً فى أى وقت وكان يخشى منهم الفتنة ، فقد عمل بعض السلاطين على التخلص منهم بطردهم من القاهرة ، كما فعل برقوق فى سنة ٨٩٣هـ / ١٣٩٠م على أثر عودته إلى السلطنة إذ حدد إقامتهم

بدمياط ، وحذا حنوه ينال سنة ٨٥٩ / ١٤٥٤ م وطردهم من القاهرة
وهدد من تأخر منهم « بعد سماع المنادة » (٧٢) .

وكما وجد الطرخان من رجال القلم وجد البطل كذلك من هذا الفريق
إلا أن الكثرة من البطالين في هذا الفريق أوضح منها في أقرب أرباب
الطرخانات ، ومن أمثلة هؤلاء البطالين : الشريف علاء الدين البغدادى
شاد الدواوين والصاحب فخر الدين بن غراب الوزير ، والقاضى سعد الدين
ابن إبراهيم ناظر الجيش وناظر الخاص ؛ « فقد قبض عليهم السلطان فرج
سنة ٨٠٢ / ١٣٩١ م ، ثم أفرج عنهم وأخرجهم إلى بيوتهم بطالين كما أن
السلطان جقمق أمر بإعادة القاضى عبد الباسط وكان منفيّاً بمكة ، فلما حضر
أكرمه وأقام في بيته بطالاً « وهو في غاية العظمة والعز » ، ومنع السلطان
جقمق القاضى علم الدين صالح من السفر إلى القدس وأن يقيم بداره بطالاً ،
وعرض السلطان قايتباى نواب الشافعية والحنفية وعنفهم بالكلام وأمر
بإبطال جماعة منهم ، وهكذا (٧٣) .

أما إذا ظل المقطع متمتعاً بإقطاعه مؤدياً لالتزاماته ومات على هذا النحو
سواء في حرب أو على فراشه ، عاد الإقطاع بأكمله للدولة وتصرف والى
الأمر فيه حسبما يرى ، لأن مبدأ الوراثة في الإقطاع في الدولة الإسلامية
غير موجود إلا في إقطاع التملك ، أما إقطاع الاستغلال وهو السائد في العصر
المملوكى ، فلا وراثة فيه ، إذ كان المتبع في أغلب الأحيان بخصوص أبناء
الأمراء المتوفين ، أن يعطوا الجوامك أو يمنحهم السلطان إمرة خمسة ، وذلك
رعاية لأسلافهم ، وليس بموجب أى حق إقطاعي (٧٤) . وربما رأى السلطان
توريث الابن متى توفرت فيه صلاحيته لأن يلي سلفه ، وربما نظر في توريث
الإقطاع من ناحية أخرى على أنه من البر والصلة وفضلاً عما فيه من تكريم
للمقطع السابق واعترافاً بخدماته وهذا بجانب العامل الأساسى في تدعيم القوة
الحرية والعامل الاقتصادى في تعمير الإقطاعات ، وهذه على أية حال قليلة
في عصر السلاطين المماليك ، والمعروف أن إحداث وراثة الإقطاعات في زمن

الممالك — على قلتها — كانت اقتداء بما فعله أساتذتهم الأيوبيون من قبل ، وهؤلاء اقتدوا بما سنه نور الدين (٧٥) .

وتختلف هذه القواعد العامة في المناقلات الإقطاعية بعد الوفاة عند الممالك عنها في الإقطاع الأوربي الذي جرى على انتقال الإقطاع بكافة حقوقه والتزاماته للولد الأكبر ، وهذا هو مبدأ الوراثة الذي تقرر منذ نهاية القرن العاشر الميلادي ، غير أن الوارث لا يحل محل أبيه حتى يقوم بمراسيم معينة في التبعية والولاء (٧٦) ، ففي براءة الملك هنري الأول لأتباعه حين تتويجه سنة ١١٠١ م ، تنص المادة الثانية على أنه « إذا مات أحد من رجال الذين يحوزون إقطاعاتهم مني ، على وارثه أن يدفع حلواناً مناسباً (٧٧) ، كذلك أتباع باروناتي يدفعون حلواناً مناسباً » . وفي المادة الثانية من « العهد الأعظم » الذي أصدره الملك حنا سنة ١٣١٥ م « إذا مات البارون يرثه الراشد من أبنائه أو بناته على أن يدفع وارث البارون حلواناً قدره ١٠٠ جنيه ويدفع وارث الفارس ١٠٠ شلن ، وتنقص قيمة الحلوان بنسبة مساحة الأرض تبعاً لعادة الحلوانات القديمة » على أن المادة الثالثة من هذا العهد تعني الورثة القصر من دفع الحلوان خلال مدة الوصاية حتى يتأهل لتسلم الإقطاع (٧٨) ، وتنظم بعض المواد الأخرى من هذه العهود : الوصاية وزواج الوراثة أو زوجة المقطع المتوفى ، فتنص المادة الرابعة مثلاً عن « عهد الحريات » على حقوق الزوجة في إقطاع زوجها سواء أكانت وصية على أولادها القصر أو كان أحد الأقارب هو الوصي (٧٩) ، وتحدد المادة الرابعة من العهد الأعظم نصيب الوصي ، على حين تفيد المادة الخامسة « بالمحافظة على المنشآت التي بالإقطاع إلى أن يتسلمها الوارث وهكذا (٨٠) . . . » وإذا لم يكن هناك وارث للسيد في الإقطاع الغربي عامة ، حق ارتجاع الإقطاع ، والاستيلاء عليه ، في الإقطاعات الدينية فكان السيد يرتجع الإقطاع بعد وفاة المقطع الرهزي وهو الأسقف أو غيره حتى يعين بدله (٨١) .

ومن أحداث الوراثة على قلتها في الإقطاع المملوكي العربي ، وما قد

يتبعها من وصاية ما وقع في عهد السلطان بيبرس ، إذ أعطى في سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣ م ، إقطاع الأمير شهاب الدين الفيضى نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية بالشام ، إلى ابنه بعد وفاته وكان بإمرة مائة (٨٢) ، وفي معنى الوراثة ما فعله بإقطاع الأمير شجاع الدين والى سرمين من أعمال حلب ، فقد أبقى إقطاعه بين إخوته وغلمانه بعد أسره عند الصليبيين وكان ذلك كما يقول صاحب السلوك استجلاباً للقلوب (٨٣) ، والمعروف عن الناصر محمد أنه كان إذا مات أحد من أجناده وخلف صبيّاً لا يخرج إقطاع أبيه عنه فإن كان صغيراً جداً أعطاه صدقة (٨٤) ، وتوفى في عهدة الأمير بلر الدين أخو أبي الفداء صاحب حماة سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥ م ، وترك من بعده ابنين صغيرين وبنيتين ، فأعطى صاحب حماه ، بما له من سلطة مخولة من الناصر ، إمرة المتوفى وإقطاعه لابنه الطفل ، وعمره يومئذ ثلاث ثلاث سنوات وأقام لهم نواباً يباشرون أمورهم (٨٥) ، ولما توفى الأمير حسام الدين بن مهنا أمير العرب بالشام سنة ٧٣٤هـ - ١٣٣٣ م ، أعطى الناصر الإمرة من بعده لولده الأمير مظفر الدين موسى (٨٦) ، كذلك سار السلطان جقمق على هذه القاعدة فكان ، كما ينعتة ابن إياس « لا يخرج إقطاع من له ولد إلا إلى ولده (٨٧) » .

ومن أمثلة المناقلات العامة بعد الوفاة ، ما فعله الناصر محمد سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥ م ، حين منح إقطاع الأمير حسام الدين لاجين بعد موته (٨٨) ، كما أنعم في سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧ م ، على الأمير بلر الدين جنكلى بن البابا بإقطاع الأمير سيف الدين قلى سلاح دار بعد وفاته (٨٩) ، ولما توفى الأمير بكتمر ابن عبد الله الحسامى المعروف بالحاجب سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨ م وزع الناصر إقطاعه بين عدة أمراء زيادة عما بأيديهم ، فأكمل منه الأمير طرغاي الجاشنكير حتى بلغ إقطاعه إمرة مائة ، وأعطى ناحية جوجر (٩٠) من الإقطاع الشاغر للأمير يوسف بن الأسعد شاد الدواوين ، ثم أنعم كذلك بناحية منية زفتا على الأمير قوصون الناصرى . وبعد وفاة آتوك بن السلطان الناصر (٩١) أوائل سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠ م ، منح السلطان إقطاعه ٩١ للأمير قطلوبغا الفخرى (٩٢) ،

وفى عهد السلطان جقمق توفى الأمير يشبك السودوفى المعروف بالمشد سنة ٨٨٤٩ / ١٤٤٥ م وكان أتابك العسكر بمصر ، فعين السلطان فى منصبه وعلى إقطاعه الأمير إينال العلائى الدوادار الكبير ، وتلا ذلك حركة مناقلات (٩٣) ، استفاد منها الأمير يونس السينى أقبای ، كما استفاد من وفاة الأمير تميز القومشى سنة ٨٨٥٣ / ١٤٤٩ م ، وما تبع وفاته من مناقلات إقطاعية كذلك (٩٤) . ولما توفى دولاباى المحمودى سنة ٨٨٥٧ / ١٤٥٣ م ، نقل السلطان إينال تقدمته ووظيفته إلى الأمير خيربك المعروف بالأجروود ، وعلى أثر وفاة الأجروود سنة ٨٨٥٩ / ١٤٥٤ م ، انتقل إقطاعه إلى الأمير قائم خجا المؤيدى ، أما إقطاع قائم الذى شغرى بعد ترقيته ، فقد أنعم به السلطان على الدولة مساعدة لما عليها من الكلف (٩٥) ، كما أن إقطاعات الجنود الذين قتلوا فى حرب العثمانيين بقيادة أربك عام ٨٨٩١ / ١٤٨٦ م ، وزعها السلطان قايتباى فى ذلك العام ، وصار الأتابكى أربك هو المشار إليه فى هذا الأمر ، كما يقول ابن إياس (٩٦) وقد يستولى المقطع الحديد على مخلفات المقطع المتوفى ويتزوج أحيانا من زوجته ، ومثال ذلك ما وقع فى عهد الناصر ، إذ نفس بعض الأمراء على مكانة الأمير قوصون ومنزلته من السلطان وحدث نزاع بينه وبينهم ، فأوضح قوصون وضعه قائلا : « أخذنى السلطان من شخص تاجر كنت فى خدمته ، فلما أخذنى السلطان ، اتفق أن فى ذلك اليوم توفى أحد من الخاصكية الثقال (٩٧) فأنعم على السلطان بإقطاعه وبركه وبيته وصرت خاصكيا فى ذلك اليوم » (٩٨) .

وحين توفى الأمير بكتمر الساقى سنة ٨٧٦٣ / ١٣٦١ م ، أنعم السلطان محمد بن حاجى حفيد الناصر محمد على الأمير بشناك بإقطاع بكتمر وجميع حواصله وغلاله ثم زوجه من زوجته بعد وفاء عدتها (٩٩) .

أى أن وفاة المقطع أو عزله لم تكن من المناسبات التى ينفصح المجال فيها لترقية المقطعين أو إقطاع المرشحين للإقطاع فحسب ، بل كانت كذلك من الفرص الثمينة التى يعاد فيها البطل إلى إقطاعه أو إقطاع جديد فضلا عن حاجة الدولة إلى المزيد من القوات زمن الحرب ، وما يقوم به بعض السلاطين من

عفو عن بعض البطالين ، بل إن مما ينصح به السلطان النظر في حال الجند البطالين الذين طلبوا استخدامهم فلم يستخدمهم أو أعطاهم إقطاعاً لا يرضيهم فلأنهم يتربصون به الدوائر (١٠٠) ، وكثيراً ما قامت المشاحنات والفتن بسبب الرغبة في الحصول على الإقطاع الشاغر ، كما حدث في سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م على أثر الطاعون الذي وقع في عهد قايتباي ، وهو ثالث طاعون يقع في عهد ذهب ضحيته عدد كبير من المقطعين ، فقامت فتنة حادة بين الممالك الجلبان ، بسبب تفرقة الأقطاع (كذا) ، التي توفرت عن الممالك الذين ماتوا بالطاعون ، لأن قايتباي راعى ألا يخرج إقطاع المتوفى عن زملائه من أهل طبقة ، فلما لم تف الإقطاعات الشاغرة لجميع المرشحين ثاروا في وجهه مما اضطره لإرضائهم من أبواب أخرى ، وقد تراوحت عبء الإقطاعات التي منحها في تلك المناسبة ما بين ٣٠ و ١٥ ألف درهم ، كما وزع كثيراً من خيول المتوفين ، واستغرقت هذه العملية نحو ثلاثة شهور (١٠١) .

ولم يقتصر الأمر على أمثال هذه الفتن ، بل ربما دفعت الرغبة الملحة ببعض الراغبين في الحصول على الإقطاع الشاغر إلى الانتحار إذا رفض طلبه ، فهذا جرياش المجنون من أجناد قايتباي تقدم إلى سيده في سنة ٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م وكان من المبرزين في الرمي بالنشاب وطلب إقطاع شخص توفي ، ولما لم يجبه السلطان ، عاد إلى داره وذبح نفسه بيده (١٠٢) ، ولما توفي الأمير ثم الضبع أحد أمراء العشرات سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م ، وقف الأمير ملاج بن ططخ يطلب من قايتباي إقطاع ثم ، غير أن السلطان رفض ، فرجع ملاج إلى داره وشتق نفسه « من شدة قهره » (١٠٣) .

ومن أمثلة إعادة البطل إلى إقطاعه أو إلى إقطاع شاغر ، ما فعله بيبرس على أثر ولايته للسلطنة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م ، فقد أرسل إلى نوابه لإحضار « خشداشيتة البحرية » المفرقين في البلاد بطالين (١٠٤) ، كذلك أفرج السلطان خليل في سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م ، عن الأمير زين الدين كتبغا ورد عليه إقطاعه وخلال سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م أمر خليل بإخراج الأمير بدر الدين بيبرس

الشمسى ، وكان له بالسجن ١٣ سنة ، وأعطاه إمرة مائة فارس ، ثم أقطعه منية بنى خطيب «دربستا» أى «كاملة» (١٠٥)، وكان الشمسى ذا دعابة فكها طروباً أنس له خليل (١٠٦)، والملاحظ أن منية بنى خطيب تابعة لأعمال الأشمونين وكانت عبرتها ٣٨٨٠٠ دينار ، وقد تطور أمرها بعد ذلك إلى مقطعين آخرين ثم إلى الديوان المفرد (١٠٧) ، وتلا ذلك إفراجه عن بقية الأمراء المعتقلين فى السنة التالية وأعاد إلى إقطاعاتهم ، وجددت الأيمان للسلطان ونائبه كتبغا (١٠٨) ، ثم إن الناصر محمد أفرج فى سنة ٨٧٣٥ - ١٣٣٤ م ، عن جماعة من الأمراء بسجن الإسكندرية وأعادهم إلى إقطاعاتهم ، منهم : الأمير بيبرس حاجب الحجاب ، والأمير تمتاز الساقى والأمير لاجين العمرى وغيرهم (١٠٩) ، وحدث فى سنة ٨٧٨١ - ١٣٧٩ م ، أن نفى السلطان على بن شعبان بعض الأمراء وأفرج عن كان معتقلاً بالسجن ، وأنعم عليهم بإقطاعات من تفاهم عوضاً عنهم (١١٠) ، وفى عهد جقمق رد زين الدين الأستادار عدة إقطاعات إلى أربابها كانت قد دخلت فى الديوان المفرد (١١١) ، كذلك أعاد السلطان إينال فى سنة ٨٦٢ - ١٤٥٧ م ، الأمير أزبك بن ططخ الظاهرى ، وكان مقيماً بالقدس بطالا . فألبسه «سلاريا» (١١٢) من ملابسه وأنعم عليه بإمرة عشرة (١١٣) .

وفى ظروف الحرب شتد الحاجة إلى استخدام البطالين والعناية بأمرهم ولذلك لما أراد الناصر التوجه لحرب التتر فى سنة ٦٩٩ هـ - ١٢٩٩ م ، أمر بإحضار الجنود ، فاجتمع لديه عدد كبير منهم ، بل إن كثيراً من أرباب الحرف والصناعات تقدموا «ونزلوا أسماهم فى البطالين» ، ومن ثم فرق الناصر عليهم أخباز المفقودين ورسم لكل أمير بالعناية بعدد منهم ، فاخص مقدم الألف بعشرة والطبلخانات بخمسة وأمير العشرة باثنين (١١٤) ، ولما اشتد الخطر العثمانى نادى السلطان المؤيد فى سنة ٨٢٠ هـ - ١٤١٧ م ، للأجناد البطالين أن يخدموا عند الأمراء وعند السلطان ومن وجد بعد ذلك بغير خدمة فلا يلومن إلا نفسه ، ولذلك قبض على جماعة لم يستجيبوا للنداء (١١٥) ، كذلك فعل طومان باى

في سنة ٨٩٢٢-١٥١٦م بصدد الخطر نفسه ، وقد بلغ الذروة ، فأمر الطواشية بالمرور على «الممالك البطالقة» وأولاد الناس الذين كان السلطان قد قطع جوامعهم ، وأمرهم بالحضور للعرض ليختار من يصلح للسفر ، ومن لم يصلح عينه لمعاونة كشاف الأقاليم في حفظ الأمن ، فتوجه جماعة منهم إلى الشرقية وجماعة إلى الغربية والبحيرة والطرائة والمنوفية ومنفلوط والحيزة ، وألزمهم بأن يكونوا مع الكشاف لحفظ الأمن ورد العربان وحفظ البلاد في غيبة السلطان إذا سافر، (١١٦).

وجرى المصطلح على تسمية هذه الإقطاعات الشاغرة التي انتقلت عن أصحابها بوجه من وجوه النقل ، ولم تقطع بعد « المحلولات » أو « المرتجعات » ويشرف عليها ديوان « المرتجعات » أو ديوان المرتجع ، كما يشرف على إقطاعها من جديد ، ويشترك في المحاسبة التي تتلو الانتقال ، على أن هذا الديوان لم يوجد طوال عصر المماليك ، فقد ألغى وصار أمر المرتجع إلى موظف يعرف باسم « مستوفي ديوان المرتجع » (١١٧) ، ومن الذين تولوا هذا المنصب السيد عبد الله الماعز في عهد الظاهر بيبرس (١١٨) ، وعلم الدين عبد الوهاب ابن القسيس المعروف بابن كاتب سيدي ، في سنة ٨٧٨٩ - ١٣٨٧م ، في عهد السلطان برقوق (١١٩) ، ومن الموظفين الذين عملوا في المحلولات أو المرتجعات ويعاونون مستوفي ديوان المرتجع عامل المحلولات ، مثل المحي عبد القادر الذي شغل هذه الوظيفة بحلب أيام الناصر محمد (١٢٠).

والقواعد المتبعة في منح الإقطاع المحلول لصاحبه الأصلي أو لغيره ، أن يتولى السلطان بنفسه هذا المنح ، فإذا تقدم طالب الإقطاع من هذا النوع ، عليه أن يرفع « قصة » إلى السلطان بطلبه الإقطاع ، فيؤشر عليها ناظر الجيش بتأشيرة مماثلة لتأشيرة « الإشهاد » ثم يعتمدها السلطان ، ومن ثم تأخذ بحرى المثال حتى يصدر بها المنشور (١٢١) .

أما خارج مصر فليس للنواب باستثناء نائب حماه ، سلطة في استخدام أمير بدل آخر أو تأمير أمير عوضاً عن أمير مات أو القيام بأية مناقلات إقطاعية بل القانون ، إذا مات أمير في تلك النيابات سواء أكان كبيراً أم صغيراً

طولع به السلطان ، فبعين بدلا منه حسبما يترأى له ، إما ان هم في حضرته بمصر أو من الجهة التي شغل فيها الإقطاع أو الوظيفة .

وليس هؤلاء النواب من سلطة في ملء الشاغر أو المحلول من الإقطاعات إلا فيما يتعلق بأجناد الحلقة ، ويكتب بذلك مثال و « مربعة » ويرسلان إلى مصر حيث يتولى ديوان الجيش الفحص والمقابلة بما هو مسجل لديه من الإقطاع المطلوب ويكتب « مربعة » جديدة من قبله ويحولها إلى ديوان الإنشاء لإصدار المنشور (١٢٢) .

وتقتضى المناقلات الإقطاعية على أية صورة محاسبات ذات شطرين : أولهما بين المقطع السابق أو « المنفصل » وبين المقطع اللاحق أو « المتصل » ، وثانيهما بين الحكومة والمقطع السابق وبينهما وبين المقطع اللاحق ، فأما الشرط الأول فللمقطع السابق الحق في استعادة ما أنفقه من مال في استثمار إقطاعه كإقامة جسر أو نحوه ، وذلك من المقطع الجديد (١٢٣) ، وجرت العادة أن يترك السابق ماله من « تبين » لمن أقطع بعده ، ليجد به السبيل إلى عمارة ما يخصه (١٢٤) ، وأما الشرط الثاني فيمثل جانب الحكومة فيه : ديوان الجيش وديوان التصرف وديوان المرتجع والديوان السلطاني ، بعد إلغاء ديوان المرتجع ، وديوان الموارد ، ومهمة هذا الديوان الأخير في المحاسبة إمداد ديوان الجيش بالمعلومات عن المقطع المتوفى ، إذا لم يكن له وارث أو له وارث لا يستغرق ميراثه وعادت تركاته أو بعضها إلى هذا الديوان (١٢٥) .

يدون كاتب الجيش صورة المحاسبة وتحتوى على ذكر تاريخ منشور المقطع السابق وتاريخ انفصاله عن الإقطاع ، ويحاسب على أساس هذه المدة إن كان عليه ديون أو تقاوى سلطانية ومن مات من الموظفين وعليه ديون قبل الدولة حوسب ورثته أو أعفوا على قدر حصول العناية بهم (١٢٦) ، وإذا كان المقطع السابق معاقباً بالعزل تولى ديوان المرتجع تحصيل الغرامات المقررة على المعزول ، وهذه تراوحت فئاتها بين ألفين وألف دينار إلى ما دون ذلك ، بحسب رتبة الأمير ، واعتبرت من المظالم التي تلحق بالأمير المعزول ، لأنه

فضلا عن حرمانه من إقطاعه ، يدفع هذا الرسم ، وهذا ما حدا بالسلطان برسباى إلى أن يلغيه سنة ٨٢٥هـ - ١٤٢١م (١٢٧) ، وفيما يختص بالمقطع الحديد يتولى كاتب الجيش كتابة وثيقة جديدة تعرف باسم « الحوطة الجيشية » (١٢٨) ، وتتضمن اسمه وجهات الإقطاع وتاريخ التسلم ، وفي المصطلح « استقبال » الحوطة ويفصل ما استحقه الديوان من المحصول ، ثم ترسل الحوطة إلى « ديوان التصرف » ، وهو أقرب ما يكون إلى ديوان المحاسبة ، حيث يكتب المستوفى (١٢٩) ، رئيس الديوان باستلامها ، وثيقة بعلم الوصول تعرف باسم « الرجعة » ، ويسجل الإقطاع والمقطع بهذين الديوانين ، وكما حصل ديوان المرتجع غرامة من المقطع السابق المعاقب له أن يحصل على رسم آخر من المقطع الجديد بمناسبة تسلمه للإقطاع ، كرسوم دخول عليه ، ويشبه إلى حد كبير ما عرف باسم الحوان (Relivium) في الإقطاع الغربى ودرجت مقاديره بحسب رتبة الأمير المقطع ، كما درجت مقادير الحلوان الغربى ، فأمر مائة ومقدم ألف يدفع عند حيازته للإقطاع الشاغر « أو المحلول » من هذه المرتبة مبلغ خمسين ألف درهم ، ويدفع أمير الطبلخاناة عشرين ألف درهم ، وأمير العشرة هـ آلاف درهم ، وهذا الحلوان جديد في الإقطاع المملوكى إذ يرجع تقريره إلى القرن التاسع الهجرى وأوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، في عهد السلطان فرج على يد الأمير يلبغا السالمى الأستاذار (١٣٠) .

هوامش الفصل الثامن

(١) Ganshoff, pp. 10-12; Orton, p. 112; Seignobos, p. 1

(٢) رسالة في أحكام الرزق الصادرة من ولي الأمر ص ٢ - ٣ .

(٣) مثلامدينة التحريرية بالغربية كانت مقطعة لمشرة من أجناد الحلقة في عهد قلاوون، منهم شمس الدين السعدى المتوفى سنة ٨٧٢٧ - ١٣٢٦م فاستولى هذا الأخير على قطعة أرض وجعلها إصطبلا لدوابه فشكاه شركاؤه للسلطان فلما استجوبه قال : أريد أن أجعله جامعا فأذن له ، وتمت عمارة الجامع سنة ٨٦٨٥ - ١٢٨٦م ، وأنشأ بجواره بعض الحوانيت توارثها أبناءه من بعده ، ثم تصرفوا فيها بالبيع للأمير شيخو العمرى وهذا أوقفها على الخانقاه والجامع اللذين بناهما في الصليبية (خطط ج ٢ ص ٤٠٣ ، التحفة السنية ص ٧٠) .

(٤) انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية .

(٥) بدائع الزهور ج ١ ص ٩٦ .

(٦) نظام المملكة اسم وظيفة المشير الأول في السلطنة ، وهى وظيفة جقمق بجانب أتابكية العسكر أيام برسبای وابنه يوسف الذى تولى بعده جقمق (بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥) .

(٧) المصدر السابق .

(٨) بدائع الزهور ج ٢ ص ٦٦ .

(٩) عيون التواريخ ص ١٣٢ .

(١٠) تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ٧١ - ٧٥ ، انظر نسخة المرسوم بالملاحق .

(١١) السلوك ج ٢ ص ٢١٥ .

(١٢) خدم شجاع الدين غرلو عند بعض الأمراء وولى الأشمونين ونيابة الشوبك والقاهرة وتقرّب إلى شعبان حتى صار شادا للدواوين ، ثم عزله حاجى بن الناصر محمد ، وحقد عليه الأمراء وانتهى الأمر بقتله على يد حاجى سنة ٨٧٤٨ - ١٣٤٧م (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٣٩ ، ١٥٨ و ١٦١ و ١٦٧ ، بدائع الزهور ج ١ ص ١٨٧) .

(١٣) أعيان العصر مخطوط غير مرقم ، خطط ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(١٤) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٩٥ .

- (١٥) قبلاى بن عبد الله الناصرى أصله من مماليك الناصر محمد تولى وظيفة حاجب الحجاب للسلطان صالح سنة ٨٧٤٩ - ١٣٤٨ م ، ثم نائباً للسلطنة سنة ٨٧٥٢ - ١٣٥١ م ، وكان نائب الغيبة حين خرج السلطان لقمع ثورة بالشام ، وكانت وفاته سنة ٨٧٥٦ - ١٣٥٥ م (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٩٤ و ٢٦٢ و ٢٧٢) .
- (١٦) الأمير شيخو العمرى نسبة إلى التاجر خواجا عمر الذى باعه للناصر محمد ، ترقى بعد موت الناصر حتى صار أتابك العسكر وهو أول من سُمى بالأمير الكبير ، توفى سنة ٨٧٥٨ - ١٣٥٦ م فى سلطنة الناصر حسن (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٢٤) .
- (١٧) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٢١٦ ، خطط ج ٣ ص ٣٥٦ .
- (١٨) تاريخ بيروت ص ١٦٦ .
- (١٩) المصدر السابق .
- (٢٠) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٤ .
- (٢١) لا يوجد اليوم بالشرقية بلدة بهذا الاسم وإنما توجد بلدة « دقادوس » التابعة لمركز ميت عمر بمحافظة الدقهلية (الدليل الجغرافى ، التحفة السنية ص ٢٧) .
- (٢٢) التحفة السنية ص ١٢٧ .
- (٢٣) التحفة السنية ص ١١ .
- (٢٤) التحفة السنية ص ١٩٠ - ١٩٢ .
- (٢٥) صبح الأعشى ص ٤٨ ج ١٣ .
- (٢٦) حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٣٣ .
- (٢٧) حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٨٣ .
- (٢٨) المصدر السابق ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
- (٢٩) انظر الفصل الثالث من هذا القسم .
- (٣٠) السلوك ج ١ ص ٦٥١ - ٦٥٥ ، سلاطين المماليك ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .
- (٣١) كان يلعبا أتابكا لعساكر السلطان شعبان ، واستبد بالأمور دونه حتى إنه أجبر السلطان على النزول عن عرشه ، وأجلس مكانه أئوكة أخا السلطان (بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٩ ، السلوك مخطوط ج ٣ ص ١٦٨) .
- (٣٢) حوادث الزهور ج ٢ ورقة ١٤ .
- (٣٣) مساحة مرصفا ٢٧٨٥ فدانا وتعرف حالياً باسم « مرصفا وكفراحد » ، (التحفة السنية ص ١٣ - حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٢١٩ ، الدليل الجغرافى) .
- (٣٤) حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٢١٩ .
- (٣٥) القول المستطرف ص ٢٣ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١٧٥ .
- (٣٦) بدائع الزهور ج ١ ص ١٦٥ .
- (٣٧) ترقى الأمير سيف الدين طينال الماردىنى فى الحملة حتى صار مقدم ألف أيام الناصر

حسن ، وتقلب في عدة وظائف إلى أن توفي سنة ٥٧٨٩ - ١٣٨٧م ، (السلوك مخطوط ج ٣ ص ٣٥ ، ٢٢٩ ، ٣٨٤) .

(٣٨) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٣٩) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٤ .

(٤٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٤٠ ، ١٥٠ .

(٤١) المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(٤٢) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٤٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠٦ .

(٤٤) ظهر منجك بشكل متواضع وهو لابس « بشت عسلي وعلى رأسه مئزر صوف أبيض » والمئزر كل ما يستر (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣١٠ - ٣١١ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، روض المناظر - مخطوط غير مرقم - ، الجواهر الثمين ورقة ١٥٧ ، السلوك مخطوط ج ٣ ص ٩٣ ، القاموس المحيط) .

(٤٥) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٤٠٩ .

(٤٦) وقع ذلك العرض سنة ٨٩٠٦ - ١٥٠٠م ، بصدد الاستعداد لحرب العثمانيين ، والملاحظ أن ذلك النوع من العقاب ظل من الوسائل المستخدمة في أوائل العصر العثماني على الأقل ، بدليل ما فعله خاير بك سنة ٨٩٢٨ - ١٥٢١م ، إذ قطع جوامك الكثير من الشراكسة وأولاد الناس وجعل لكل واحد ألف درهم ، على أن يصير طرخاناً ، وهذا المعلوم هو نصف ما كان يتناوله قبل أن يكون طرخاناً ، وعلق ابن إياس على هذا الحادث بقوله : « فشق ذلك على الممالك الشراكسة ، وكان فيهم من هو كفء للأسفار والتجاريد ومنهم من هو شاب » بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٩٥ - ٢٩٦) .

(٤٧) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٥٢ .

(٤٨) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٥٢ - ٥٣ ، ج ٧ من النسخة المخطوطة ص ٣١ - ٣٢ ، انظر نسخة الطرخانية بالملاحق .

(٤٩) النزك الطعن بالنيزك وهو رمح صغير (صبح الأعشى ج ١٣ ص ٥٢ حاشية - ١)

(٥٠) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٤٨ - ٥٣ ، ج ٧ من النسخة المخطوطة ص ٢٨ - ١٣١ ، انظر الملاحق .

(٥١) أخبار الأعيان ص ٣٢٩ ، تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ٩١ ، ٩٣ .

(٥٢) السلوك ج ١ ص ٧٧٤ ، عيون التواريخ ص ٨٥ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٥ - ٢١٦ ، ج ٢ ص ٣٠٦ ، الجواهر الثمين ج ٢ ورقة ١٨٥ ، نزهة الأنام ورقة ١١ ، أنباء النمر ج ١ ص ٤٥٥ ، انظر فصل المجتمع .

(٥٣) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٩ ، ١٠٩ ، الألفاظ الخفية ١٨٩ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(٥٤) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٣٦٠ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٥ ، حوادث الدهور ج ٣ ورقة ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٣ - ٢٧٢ .

(٥٥) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٦ .

(٥٦) بدائع الزهور ج ٤ ص ١٣٦ .

(٥٧) عيون التواريخ ص ٨٥ .

(٥٨) عرف الأمير جمال الدين آقوش الأفرم الصغير نائب الشام على عهد بيبرس الجاشنكير أنه طلب الأمان من الناصر محمد حين تحرك من الكرك إلى دمشق سنة ٨٧٠٩ - ١٣٠٩ م ، فأمنه فدخل عليه وهو يلبس « كاملية وشد وسطه وتوشح بنصفيه ، ويعلق أبوالمحسن على ذلك بقوله « أى أنه حضر بهيئة البطانين من الأمراء » (النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٣٦٤ - ٢٦٧) .

(٥٩) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٦٠) يقصد بأستاذهم السلطان الملك الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان بن حسين (السلوك مخطوط ج ٣ ص ٤٠٩ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٣٢) .

(٦١) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٧٥ .

(٦٢) ابن الفرات ص ٣١٩ .

(٦٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٤٠ .

(٦٤) السلوك مخطوط ج ٣ ص ١٢١ .

(٦٥) حوادث الدهور ورقة ٥٨ - ٥٩ ، التحفة السنية ص ١٠٣ .

(٦٦) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٤٠ .

(٦٧) أنباء الغمر ج ١ ص ٢٣٣ .

(٦٨) التبر المسبوك ص ٢٦٨ .

(٦٩) بدائع الزهور ج ٢ ص ٩١ .

(٧٠) بدائع الزهور ص ٢٠١ .

(٧١) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(٧٢) بدائع الزهور ج ٢ ص ٤٨ ، تاريخ ابن الفرات ص ٣٥٩ .

(٧٣) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٢١ و ج ٢ ص ٢٩ و ٩١ و ٢٥٥ - ٢٥٦ ، حوادث بدائع الزهور ورقة ٩٧ .

(٧٤) صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥ ، السلوك ج ٢ ص ٣١٤ و حاشية - ٢ .

(٧٥) دأب السلطان نور الدين على توريث أجناده الإقطاعات لما في ذلك من تقوية للروح المعنوية عند جنده وضمأن ولائهم واستعدادهم كل وقت للجهاد في فترة استمر فيها النضال

الديني بين المسلمين والصليبيين ، لذلك كان أجناده يقولون : « الإقطاعات أملاكنا يرثها أولادنا : الولد عن الوالد ، فنحن نقاتل عليها » ويعلق المقرئ على هذا بقوله : « وبه اقتدى كثير من ملوك مصر » (السلوك ج ١ ص ٥٠٩ - ٥١٠ و حاشية - ٣ ، راجع الفصل الرابع) .

Stenton: p. 236 (٧٦)

Davies: pp. 27-28 (٧٧)

Stubbs, Select Charters, pp. 291-293 Davies, pp. 40-51 (٧٨)

Davies, p. 41 (٧٩)

Ibid, pp. 38-39 (٨٠)

Steneon p. 238 (٨١)

(٨٢) السلوك ج ١ ص ٥٠٩ و حاشية - ٢ .

(٨٣) المصدر السابق .

(٨٤) فتوح النصر ج ٢ ورقة ٢٨٠ .

(٨٥) انظر الفصل السابع .

(٨٦) تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ٩٨ .

(٨٧) تاريخ ابن الجزري ج ٢ ورقة ٣٨٧ .

(٨٨) السلوك ج ٢ ص ١٤٤ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤١ .

(٨٩) السلوك ج ٢ ص ١٧٧ .

(٩٠) جوجر تابعة لمركز سمنود بالغربية (السلوك ج ١ ص ٤٠٣ حاشية - ١) .

(٩١) السلوك ج ٢ ص ٣١٤ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٧٧ .

(٩٢) كان إقطاع أنوك من أكبر الإقطاعات ومنه ناي وطنان بالأعمال القليوبية ومساحتها

٧١٣٤ فدانا ، وعبرتهما ٤١٠٠٠ دينار ، تطور أمرهما بعد عهد الناصر ففدت ناي ضمن

إقطاع قاسم ابن السلطان شعبان وآل أمرها في عهد قايتباي إلى إقطاع الأمير يشبك الدوادار ،

أما طنان فدخلت في إقطاع على بن شعبان ثم صارت في عهد قايتباي إلى الديوان المفرد (التحفة

السنية ص ١٣ ، الدليل الجغرافي) .

(٩٣) حوادث الدهور ج ١ ورقة ٤١ .

(٩٤) حوادث الدهور ج ١ ورقة ٨٨ ، التحفة السنية ص ٧٨ ، التبر المسبوك ص ٢٥٦ .

(٩٥) كان خاير بك أمير مائة ومقدم ألف بدمشق سنة ٨٥١هـ - ١٤٤٧م ، في عهد جقمق

ثم ارتقى إلى أتابكية العساكر بها وإقطاعها ، على أثر وفاة الأتابك أيناك الشهباني الناصري ،

ونقل إقطاع خاير بك إلى خشقدم الظاهري أحد العشرات ورأس نوبة بمصر ، ومعنى ذلك طفرة

خشقدم من عشرة إلى مائة ، وخشقدم هو الذي تسلم سنة ٨٦٥هـ - ١٤٦٠م .

(حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٥٨ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٧٠) .

- (٩٦) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤١
- (٩٧) المقصود بكلمة الثقال أصحاب الإقطاعات الكبيرة .
- (٩٨) سيف الدين قوصون الساقى أمير أخور من المقربين للناصر ، حتى إنه زوجه ابنته وأنعم عليه ببستان بميدان اللوق سنة ٨٧١١ - ١٣١٤ م ، ولقوصون مسجده المشهور الذى بدأ عمارته سنة ٨٧٣٠ - ١٣٢٩ م ، وليس المسجد الموجود حالياً باسم (قيصون) محرفاً هو كل مسجده بل بعضه (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٣٧ ، ٩٥ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١٦٨) .
- (٩٩) السلوك ج ٢ ص ٣٥٧ .
- (١٠٠) آثار الأولين ٤٠ .
- (١٠١) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٧ .
- (١٠٢) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢٥ .
- (١٠٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٥ .
- (١٠٤) الجواهر الثمين ج ٢ ورقة ١٠٦ ، بدائع الزهور ج ٦ ص ٩٩ - ١٠٠ .
- (١٠٥) عيون التواريخ ص ٣٨ ، البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٢٠ ، السلوك ج ١ ص ٨١٢ بدائع الزهور ج ١ ص ١٢١ .
- (١٠٦) التحفة السنية ص ١٨٣ ، التحفة الملوكية ورقة ٥٧ .
- (١٠٧) التحفة السنية ص ١٨٣ ، التحفة الملوكية ورقة ٥٧ .
- (١٠٨) السلوك ج ١ ص ٨٠٢ .
- (١٠٩) بدائع الزهور ج ١ ص ١٦٨ .
- (١١٠) المصدر السابق ج ١ ص ٤٤٨ .
- (١١١) حوادث الدهور ورقة ٧٥ .
- (١١٢) سلاريا : نسبة للأمير سلار نائب السلطنة ليبرس الجاشنكير ، وقد نسب إليه كثير من الملابس .
- (١١٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ٦١ .
- (١١٤) السلوك ج ١ ص ٨٩٧ .
- (١١٥) أنباء الفجر ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٣ .
- (١١٦) بدائع الزهور ج ٣ ص ١٦ .
- (١١٧) زبدة كشف الممالك ص ١١٠ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٣ و ج ٦ ص ٣٣ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٣٠١ و ٣٠٣ ، السلوك ج ١ ص ١٩٢ وحاشية - ١ و ص ٧١١ حاشية - ٤ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٨) .
- (١١٨) توفى السيد عبد الله الماعز سنة ٨٦٨١ (١٢٨٢ م) السلوك ج ١ ص ٧١١ .

- (١١٩) بدائع الزهور ج ١ ص ٦٦٨ .
- (١٢٠) السلوك ج ٢ ص ٣٦٩ .
- (١٢١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٤ ، ١٦٠ .
- (١٢٢) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٣ ، ٣٩٤ خط ج ٣ ص ٣٥٣ .
- (١٢٣) خطط ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ .
- (١٢٤) قوانين الدواوين ص ٣٤٤ و ٣٦٦ - ٣٦٧ .
- (١٢٥) زبدة كشف الممالك ص ١٠٣ ، آثار الأول ص ٦٩ - ٧٠ ، السلوك ج ١ ص ٧٧٠ حاشية ٢ .
- (١٢٦) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٠ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٣ - ٣٩٤ ، زبدة كشف الممالك ص ١٠٣ ، آثار الأول ص ٦٩ - ٧٠ ، معيد النعم ص ٤٣ - ٤٤ .
- (١٢٧) أنباء الغمر ج ٢ ص ٣٢٧ .
- (١٢٨) الخوطة تشبه الحافظة في الدواوين والحوط الحفظ .
- (١٢٩) مهمة المستوفى إرشاد الدواوين المختلفة إلى ما فيه المصلحة العامة من استخراج الأموال ونحوها من حقوق الدولة ومطالبة المختصين برفع الحسابات في أوقاتها والتحقق منها ، ويعاون المستوفى نائب يعرف باسم « المعين » يكون بين يديه (نهاية الأرب ج ٨ ص ٢١١ ، ٣٠١ - ٣٠٣ ، التعريف ص ١١٥ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٤٦ ، قوانين الدواوين ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٥٤ - ٣٥٥) .
- (١٣٠) استبد يلبغا بالسلطة أيام السلطان فرج ، إذ كان أحد الأوصياء الذين عينهم برقوق على ولده (أنباء الغمر ج ٢ ص ٧٧٨ - ٨٧٩) .

الفصل التاسع

لمجتمع الاقطبي

خصائص المجتمع الإقطاعي — طبقاته — وصف
الحياة الخاصة للطبقة الأولى — السلطان في آدرة الشريفة —
حريم السلطان وأبنائه — من صور البذخ الإقطاعي — ملحقات
القصر السلطاني وهي البيوتات ، من شرائخبايه وطشتخاناه
ونحوهما — الأمراء في قصورهم وروعة مجالسهم ومواكبهم —
الطبقة الثانية وهي طبقة رجال القلم ومنزلتهم — نظرة
التبرك بهم وتمييز الأشراف بزي معين — استشارة السلاطين
لهم — أرباب الحرف وطوائفهم المختلفة من (بياض
العامة) إلى (الحرافيش أو الزعر أو العياق) — استدعاء
أولى الأمر لهم في الفن — الثورات الشعبية — الأزياء المميزة
لكل طبقة — أزياء أهل الذمة — أزياء النساء — وسائل
التسلية — الأعياد والحفلات العامة والخاصة — التعليم ونظرة
الممالك له — أحداث الأغلبية والأويثة ووسائل علاجها —
جرائم المجتمع الإقطاعي المملوكي — وسائل العقاب من
تعذيب وتجريس وتوسيط — مظاهر الكراهية بين العرب
والممالك وأثرها — بعض جرائم أخرى — نظام القضاء .

المجتمع الإقطاعي حيثما يكون في الشرق أو الغرب مجتمع جامد طبقى
البنيان والمظهر والمخبر ، وحقوق الفرد في هذا المجتمع تختلف بحسب الطبقة
التي ينتمى إليها الفرد نفسه ، والعلاقة بين الطبقات نفسها تختلف باختلاف
وضعها في المدرج الإقطاعي ، ولهذا استطاع السبكي والقلقشندي والمقرئزي
تقسيم المجتمع المملوكي في سهولة ، ومن زوايا مختلفة ، فجاءت تقسيماتهم
متشابهة في عمومياتها ، فينما تحدث السبكي عن هذا المجتمع من حيث أفراد
وعناصره ووظائف كل فرد ، وما ينبغي عليه مبتدئاً بالسلطان ومنتهياً بأرباب
الحرف^(١) ، فصل القلقشندي في كثير من خصائص هذا المجتمع من حيث
الألقاب والملابس وأنواع الوظائف ، أما المقرئزي وهو صاحب التقسيم
الاقتصادي ، فجعل المجتمع المملوكي سبعة أقسام ، وهي أهل الدولة ، وأهل
اليسار من التجار ، وأولو النعمة من ذوي الرفاهية . والباعة ، وهم متوسطو
الحال من التجار ويقال لهم أصحاب البر ويلحق بهم أصحاب المعاش وهم السوق ،
ثم أهل الفلح وهم أهل الزراعات والحرث سكان القرى والريف . والفقراء
وهم جل الفقهاء وطلاب العلم والكثير من أجناد الحلقة ونحوهم ، وأرباب
الصنائع والأجراء أصحاب المهن ، وأخيراً ذوو الحاجة والمسكنة وهم السؤال
الذين يتكفون الناس ويعيشون منهم^(٢) .

ويستخلص من هذه التقسيمات أن المجتمع المملوكي ثلاث طبقات كبرى
تضم كل منها فروعاً طبقية صغيرة ، وهذه الطبقات الكبرى هي : رجال
السيف أو الطبقة الحربية الأرستقراطية بعناصرها المختلفة ، ورجال القلم
من موظفي الدواوين والقضاة ورجال التعليم وأهل التصوف وطلاب العلم ،
وأرباب الحرف المختلفة بين تجارة وصناعة وزراعة .

ويقع المواطنون سواء من المصريين أو الشاميين أو الحجازيين أو اليمنيين ، وكذلك المستوطنون والواردون من الفرنجة والجنوبيين والبنادقة والمغاربة وغيرهم من الخاضعين للمماليك ضمن الطبقتين الأخيرتين^(٣) ، وغلب الحمود على هذا التقسيم ما عدا أن ينال فرد من طبقة ما شيئاً من خصائص طبقة أخرى ، فيجوز مثلاً أن ينال أحد العامة إقطاعاً حريباً ، لكنه لا يغدو بهذا الإقطاع جندياً ملماً بفنون العسكرية ، وأكثر ما حدث ذلك في أوقات الأوبئة والفتن والاختلال ، وربما منح السلطان عالماً أو شاعراً إقطاعاً من الإقطاعات على سبيل « الصدقة » أو « الرزقة »^(٤) أو أن يشتغل بعض أبناء الطبقة الحربية وهم « أولاد الناس » أو بعض أفراد هذه الطبقة نفسها بالعلم أو الفقه فيصير عالماً أو فقيهاً أو مؤلفاً^(٥) من غير أن يتفصل عن طبقته من حيث الإقطاع والمستوى المعيشي ، ومن أمثلة ذلك : بيارس الدوادار المؤرخ ونائب السلطنة^(٦) والطنبغا الجاولي الفارس الشاعر والفقيه^(٧) وابن دقماق المؤرخ الفقيه وأمير دمياط^(٨) ، وابن تغرى بردى المؤرخ^(٩) ، وجان تمر مؤلف كتاب النظم المملوكية^(١٠) والبدري حسن بن الطولوني نائب القلعة والمؤرخ^(١١) .

أما الحياة الخاصة لكل طبقة ، فأولها حياة السلطان في قصوره بالقلعة وهي الأدر الشريفة^(١٢) والمشرف عليها طواشي بدرجة أمير طبلخاناه يعرف باسم « زمام » الأدر الشريفة ، وتحت يده عدة خدام وعمال من الطواشي بلغ عددهم في وقت ما نحو ٦٠٠ طواشي لكل منهم عمل خاص^(١٣) ، وكبير موظفي القصر هو « الأستاذار » ويشرف على نفقة القصور^(١٤) .

ويكون نظام الحراسة ، بالنوبة ، وهذه تضبط على ساعات رملية ، وقد جرت العادة أن يحتفظ السلطان لهؤلاء الحراس ببعض ألوان الطعام ، ليتشاغلوا بالمأكول عن النوم ، كما توجد المصاحف الكريمة لمن يقرأ والشطرنج لمن يريد اللعب^(١٥) .

وبالآدر الشريفة حريم السلطان ، وهن زوجاته ، وعدتهن أربع ،
يلقبن « بالخوندات » ولكن ذلك لم يطرد عند جميع السلاطين ، فمنهم من
اقتصر على واحدة مثل السلطان إينال ، وللخوندات كما يقول ابن شاهين ،
« أبهة عظيمة في ذاتهن (١٦) » ، ففي مساكنهن بالقلعة التي تعرف باسم « القبايع »
وهي جانب من الآدر الشريفة (١٧) ، أقامت بعض الخوندات القاعة الكبرى
المعروفة « بالعواميد » ، ومن جملة أثاثها أوان من ذهب وفضة وتخت منفضة
من بينها تخت مرصع مذهب ، ومنازة من ذهب عليها جوهرة تضيء بالليل ،
وحصرت ثروة بعضهن فبلغت أكثر من ٦٠٠٠٠٠ دينار (١٨) ، وإذا انتقلت
الخوند من مكان إلى آخر فلا بد من إخلاء الطرقات التي يمر فيها موكبها ،
وذلك بطرد الناس وقفل الخوانيت (١٩) ، مثل ذلك ما حدث في سنة ٨٣٢ هـ /
١٣٣١ م ، حين عاد السلطان الناصر محمد من إحدى جولاته بالصعيد ،
إذا استدعى حريمه إلى البحيزة ، فطردوا سائر الناس من الطرقات وغلقت
الخوانيت ، ونزلت خوند طوغاي زوجته وأم والده آتوك ومعها الأمير أيد غمش
أمير آخور كبير ممسكاً بعنان فرسها بيده ، وحولها سائر الخدم مشاة ، وعبرت
النيل في الخراقة ، ثم استدعى السلطان بعض خواصه من مماليكه بحريمهم ،
وأقام بالبحيزة عدة أيام ، وهكذا عاش السلطان الإقطاعي وزوجاته ، وتدخلت
بعض الخوندات في شئون الدولة كزوجة السلطان إينال التي حملت زوجها
على أن يعهد لولده أحمد بالسلطنة (٢٠) .

واقتنى السلطان الجوارى أو السرارى ، ومتوسط عدتهن ٤٠ سرية ،
على أن من السلاطين المكث والمقل في هذه الناحية ، فيذكر عن الناصر محمد أنه
مات عن ١٢٠٠ وصيفة مولدة سوى من عداهن من بقية الأجناس ، وبني
لهن القصر المشرف على الميدان بالقلعة وهو قصر السبع قاعات ، وهذا بالرغم
من أن ما ينصح به السلاطين ، الإقلال من الحريم لأن الإكثار منهن ليس

من الإنصاف (٢١) ، وقامت بعض الجوارى بوظائف منزلية كالمراضع والبلاطات (٢٢) والدايات ، ولهن رئيسة عليا هي « القهرمانة » وإليها الإشراف العام على شئونهن وتربية أولاد السلطان وعمل الأعراس السلطانية والحفلات ، ومن أشهر من القهرمانات : الست مسكة والست حلق أو حدقة بقصر الناصر محمد ، طال عمرهما واتسعت ثروتهما ، ولهما أعمال بر ، وينسب لكل منهما أماكن محكرة ومساجد وتكايا ومدارس وأعمال بر (٢٣) .

أما أبناء السلاطين فأشرف عليهم مربون من الذكور غير الوصيفات ، يطلق عليهم اسم « اللالات » ، وجرت العادة ألا يظهر وهم حتى يجاوز الواحد منهم سبع سنوات ، وأضفى عليهم المصطلح ألقاباً ضخمة وهي : نجل المقام الشريف أو ولد المقام الشريف أو الأسياد أو أولاد الناس ، واشترك معهم في اللقب الأخير ، أبناء الأمراء ، كما اشترك في لفظ السيد أبناء الخليفة ، فإذا شب الواحد منهم ، وأخذ يختلط بالناس من طبقته الإقطاعية ، زادت ألقابه في كتب المؤرخين على الأقل مثل « المقام الفخرى سيدى عثمان بن جقمق » (٢٤) .

وأكثر ما يتضح البذخ الإقطاعى فى المطبخ السلطانى الذى « لا تنتفى النار منه أبداً » كما يعبر ابن شاهين (٢٥) ، سواء فى قائمة عدد موظفيه كالحوان سلار والمرقدارية (٢٦) أم فى كميات الأطعمة وألوانها فمن ألوان الأطعمة التى اشتهرت فى عصر المماليك الأقسماوية التى تصنع من السكر والأفاويه المطيبة بماء الورد ؛ يقول النويرى : « إنها شراب جيد للهضم » ، والسفرجلية ، وحب الرمان والسنبوسك والمطجن والمشوى ، كرنب سبعة ألوان (٢٧) والأشمطة التى تخرج منه يومياً ، وعددها خمسة وهذه هى الأشمطة العادية ، وهى غير أشمطة المناسبات فى الحفلات وغيرها ، ولا بد من أن يتذوق

« الجاشنكير » الطعام قبل السلطان خشية من أن يدس له السم (٢٨) . فيذكر عن مخصصات مطبخ السلطان كتبنا من اللحم فقط ، أنها بلغت ٢٠ ألف رطل يومياً ، وبلغ عدد الدجاج الذى يذبح كل يوم للسلطان فى عهد الناصر سنة ٧٣٩هـ / ١٣٠٨ م : ٧٠٠ طائر ، وهذا غير الخاصى التى يختص بها السلطان لنفسه وللمقربين من أمرائه ، وتكلف فى بعض الأحيان من اللحم فقط ٢٦ ألف رطل فى اليوم سوى الدجاج والأوز والرمان - صغار الضأن - والجدى المشوى والغزلان والأرانب وغيرها ، وبلغ راتب السكر أيام رمضان فى عهده ألف قنطار ، وزاد هذا الراتب فى عهد ابنه الصالح سنة ٧٤٥هـ - ١٣٤٤م ، إلى ثلاثة آلاف قنطار ، وتستهلك الدور السلطانية من الحلوى فى رمضان ٦٠ قنطاراً (٢٩) .

وفى غمار هذا البذخ الواضح ، أثرت حواشى القصور شأنها شأن الغالبية من حواشى الطبقات الأرستقراطية؛ فيقال إن متحصل الحاج على الطباخ فى سنة ٧٤٦هـ - ١٣٤٥ م ، أيام السلطان إسماعيل بن الناصر بلغ من « المعاملين » وهم المتعهدون فى كل يوم ٥٠٠ درهم ولابنه أحمد ٣٠٠ درهم ، وهذا عدا الأطعمة وما يصيبه فى « المهمات » وهى الحفلات ، فى « مهم » عمله للأمير بكتمر الساقى بلغ ما ناله فقط من ثمن الأكارع والرءوس وسقط الدجاج والأوز : ٢٢٠٠ دينار ، ولما صودر وأوقعت « الحوطة على موجوده » ، وجدوا له ٢٥ داراً على شاطئ النيل (٣٠) .

هذا هو القصر السلطانى ومطابخه (٣١) ، ويطول شرح ملحقات القصر من المؤسسات التى تعرف بالبيوتات ، وهى عبارة عن مخازن وحظائر مثل : الشرايحانة والطشت خاناه والفراش خاناه والطبلخاناه والإصطبلات وغيرها (٣٢) مما أفاض فيه القلقشندى والنويرى وابن شاهين وغيرهم إفاضة دالة على المستوى

الإقطاعى المعيشى للسلطين ، وهو مستوى لم يحلم أحد من طبقات الناس أن يبلغوه ، غير أمراء الممالك ولكن على مقياس أصغر . والواقع أن قصور الأمراء صورة مصغرة من القصور السلطانية والأمير نفسه على حد تعبير القلقشندى : « سلطان مختصر » ، وتعرف مساكنهم باسم الدور أو البيوت أو القصور وهى منتشرة فى أحياء القاهرة ، كدار الأمير تنكز قرب الأزهر وقصر يلبغا اليحياوى وقصر الطنبغا الماردينى ، قرب القلعة ودار الأمير طاز بالصليبية وبيت يلبغا العمرى بالكبش (٣٣) .

ويلاحظ أن كل أمير يتخذ لوناً معيناً لطلاء داره ومؤسساته من مطابخ ومراكب وشون وغيرها ، كما يتخذ له رمزاً أو شارة تعرف باسم « الرنك » وهذا ينقش على فراشه وداره وسلاحه وأدواته المنزلية من مشكاوات وأوان خزفية وفخارية وغيرها ، ومنهم من نقشه على عملته مثل السلطان بيبرس الذى وضع رنكه ، وهو صورة الأسد المتحفر على نقوده ، ويمثل هذا الرمز معنى من المعانى التى يهواها الأمير كالشجاعة مثلاً التى يبدو أن بيبرس تمثلها فى الأسد ، كما تمثلها الأمير يشبك الدوادار زمن قايتباى ، فقد اتخذ صورة الأسد رنكاً له عندما خرج لحرب شاه سوار بن دغاور ، وتمثل مهنة الأمير كالدوادار الذى يتخذ الدواة والمقلمة شارته مثل الأمير طغتمش الدوادار (٣٤) والساقى الذى يتخذ الكأس أو الهناب شارته مثل الأمير شيخون (٣٥) ، وربما ضم الأمير رمزين إشارة إلى أهم وظيفتين شغلها مثل طغتمش هذا الذى اتخذ الكأس والدواة ، وهناك رمز « البوق » لعله نجرد شارة الإمرة إذ كان من شارات الإمرة « البوق والعلم » ، أو لمهنة الأمير كأن يكون مشرفاً على فرقة الموسيقى التى تخرج مع الجيش مثل الأمير علم الدين الذى كان يحكم على الطبالين والزمارين والمنقرين فى عهد السلطان طومان باى (٣٦) ، ورمز الصولحان ،

إشارة لمهنة الجوكاندار، وهو حامل الصولجان للعب الكرة ، أو لما يهواه صاحب هذا الرمز من أنواع الرياضة ، وأكثر الرموز وضوحاً هي رموز « السيف » المختلفة الأشكال والأوضاع ، ووجد من اتخذ « بقجة القماش » رنكاً ، وهي إشارة لوظيفة الطشتدارية وهكذا (٣٧) .

ومجالس الأمراء في قصورهم غاية في الروعة والترف ، كما أن محتوياتها من مشكاوات وأوان وأثاث وفراش وغيرها من التحف ، ليس فقط دليلاً على مستوى هذه الطبقة ، بل هي كذلك دليل قائم على براعة الصانع المصرى من رجال الطبقة الدنيا في ذلك المجتمع ، كذلك دلت أسمطتهم على الترف الزائد : فيقال إن راتب سباط الأمير سيف الدين بشتك الناصرى من أمراء الناصر محمد بلغ ٥٠ رأساً من الغنم وفرساً كل يوم (٣٨) ، وضرب المثل بسباط الأمير يلبغا العمرى فيقال « الصحن اليلبغاوى » و « ضريبة » هذا الصحن عشرة أرطال لحم ضانى (٣٩) . والعادة أن يأكل الأمير وجميع أجناده حوله كما يأخذ غلمان أجناده الطعام من مطبخه كل يوم ، بل يغضب إذا علم أن أحداً منهم اشتهى لوناً من الطعام ولم يأكله عنده (٤٠) .

ولقصور الأمراء « بيوتات » ملحقة مثل بيوتات السلطان ، غير أنها تنعت « بالكريمة » تميزاً لها عن بيوتات السلطان المنعوتة بالشريفة ، وتنعت إصطبلات الأمير بالسعيدة وشونه « بالمعمورة » ، كما ينعت رجال حاشية الأمير ومعاونوه بالألقاب التى تنعت بها حاشية السلطان مثل الدوادار والاستادار وغيرها (٤١) .

وكما بدت الروعة في قصورهم وأسمطتهم ، برزت مواكبهم آية في الفخامة وإظهاراً للقوة ودليلاً على الجاه والثروة ، فإذا ركب أحدهم تقدمه أكابر أجناده من أرباب الوظائف كرأس نوبة والدوادار وسار خلفه صفار

الجمدارية ، وخلف الجميع أمير آخور ومعه « الجنائب » والأوشاقية (٤٢) ، وذلك على مثال السلطان ، بل إن الأمير يلبغا العمرى كان إذا توجه إلى القلعة لمقابلة السلطان شعبان ، اصطف مماليكه على خيولهم على طول الطريق من بيته بالكبش إلى القلعة (٤٣) .

وتضم طبقة رجال القلم العلماء على اختلافهم والقضاة والأئمة والصوفية ، ومن هؤلاء من شغل وظيفة رئيسية في الدولة ، كالوزارة وكتابة السر والحسبة ونظر الجيش ونظر الخواص الشريفة .

وقد قسم القلقشندى الوظائف التي يشغلها رجال القلم إلى قسمين : دينية وديوانية ، فالأولى مثل القضاء والإفتاء ووكالة بيت المال وتقابة الأشراف والحسبة ومشيخة الشيوخ (في الخانقاه) ونظر الأحباس المبرورة ونظر البيمارستان والخطابة والتدريس ، والديوانية مثل الوزارة ونظر الدولة ونظر الخاص ونظر الجيش ونظر بيت المال ونظر الإصطبلات واستيفاء الصحة ونظر الأسواق وخزائن السلاح والأملاك السلطانية والموارث الحشرية (٤٤) .

على أن بعض المناصب لم تبق وفقاً على رجال القلم ، فقد شغلها بعض الأمراء مثل الوزارة والحسبة .

فمثلاً شغل الأمير منجك اليوسفي منصب الوزارة زمن السلطان حسن ، وأول محتسب من الأمراء الترك هو الأمير منكلى بغا الشمسى الذى عينه السلطان المؤيد فى ذلك المنصب عام ٨١٦هـ - ١٤١٣م ، كذلك شغل الأمير ماماي السيفى منصب الحسبة زمن السلطان أبى النصر طومان باى (٤٥) .

ويعتبر الخليفة رأس رجال القلم (٤٦) ، فوظيفته على النحو الذى آلت إليه فى عصر المماليك دينية أدبية أكثر منها سياسية ، ولو أن بعض الخلفاء اشتغل بالسياسة ، وتولى أحدهم السلطنة لبضعة شهور ، لكنها سلطنة من غير سلطة حقيقية ، فلم تكن ولايته لها على يد الأمراء أنفسهم إلا ريثما يتمكن الطامعون المتنافسون منهم من تهيئة الأحوال لهم .

ومن اشتغل من الخلفاء بالسياسة ، واشترك في الفتن والمؤامرات ، الخليفة الربيع سليمان خلال الفتنة التي اقترنت بعودة السلطان الناصر محمد إلى سلطته الثانية ، ولذلك دفاه إلى قوص هو وأسرته التي تتكون من نحو مائة نفس ، وظل الخليفة بقوص حتى توفي سنة ٥٧٣٦هـ - ١٣٣٥م . كذلك اشترك الخليفة المتوكل على الله في المؤامرة التي دبرت ضد السلطان برقوق واكتشفت عام ٥٧٨٥هـ - ١٣٨٣م ، كما اشترك الخليفة القائم بأمر الله في المؤامرة التي انتهت بعزل منصور بن جقمق وتولية السلطان إينال عام ٥٨٥٧هـ - ١٤٥٣م ، وكذلك فعل الخليفة المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز ، يوم استجاب لدعوة قانصوه خمسمائة وحضر إلى القلعة ، كما حضر القضاة الأربعة ، وعزلوا محمد بن قايتباي وبايعوا قانصوه خمسمائة بالسلطنة ، غير أنه لما انهزم قانصوه أمام محمد بن قايتباي ، عاد الخليفة ومن معه وبايعوا المنتصر ولم يكن هذا بدءاً في ذلك الزمن ، فقد درج الخلفاء على مبايعة المنتصر دائماً ، برغم مبايعتهم لمن شايعوه أولاً؛ ومن أبرز الشواهد : الخليفة المستنجد بالله أبو المحاسن ، فقد بايع أحمد ابن إينال بالسلطنة بعد وفاة أبيه عام ٥٨٦٥هـ - ١٤٦٠م . فلما وثب خشقدم وعزل أحمد وتسلمن مكانه ، بايعه الخليفة ، وبعد وفاة خشقدم بايع من جاء بعده في السلطنة وهو بلباي ، ولما خالفه الأمراء وسلطنوا تمرغا ، بايع الخليفة السلطان الحديد ، لكنه خلع بعد شهرين على يد قايتباي ، فبايع الخليفة من جاء بعده ، وهكذا ، سيراً مع الحوادث .

أما ولاية الخلفاء للسلطنة ، وهي التي تحققت سنة ٥٨١٥هـ - ١٤٢٢م ، حين ولي الخليفة المستعين هذا المنصب ، بعد مقتل فرج بن برقوق ، فإن خلفاء بني العباس في مصر أدركوا حقيقة أن هذا المنصب محفوف بالمخاطر والمنافسات الدامية ، برغم أنهم طمعوا فيه فعلاً ، ولذلك أخذ المستعين الأيمان والمواثيق من الأمراء الذين بايعوه ، بعدم التعرض له ، وهذا برغم الفرحة الكبرى التي عمت البلاد بولاية الخليفة لهذا المنصب (٤٧) . غير أن المستعين لم يبق بمنصب الساطنة أكثر من ثمانية شهور (من محرم إلى شعبان سنة ٥٨١٥هـ

— ١٤١٢م) ، فقد خلعه المؤيد ، بحجة أن الدولة بحاجة إلى سلطان « تركى » قادر على إعادة النظام والأمن ، وخلعه من الخلافة كذلك وسجنه بالإسكندرية إلى أن أطلق السلطان برسبای سراحه فيما بعد (٤٨) .

كذلك يمكن ضم طائفة الأشراف إلى طبقة رجال القلم ، وإذا علمنا أن لقب « شريف » (٤٩) كان يطلق في ذلك الوقت على العلوى والعباسى ، فلا شك أن الخليفة العباسى ، يضم إلى هذه الطائفة من هذه الناحية ، على أن أعمال الأشراف في عصر المماليك ، كانت أقرب إلى شئون الدين والعبادة والتعليم ، منها إلى السياسة والحرب ، ولو أن البارزين فيهم ، حكموا بعض الولايات الخاضعة للتنفيذ المملوكى ، مثل حكام الحجاز واليمن ، وتولى بعضهم مناصب إدارية ، كما حاز البعض الآخر منهم الإقطاعات والإمرة . ومنزلة الأشراف محترمة في نظر المماليك ليس فقط إلا من ناحية انحدرهم من سلالة آل البيت ، فهذا السلطان شعبان بن حسين يميزهم في سنة ٧٧٣هـ — ١٣٧١م ، بشعار خاص هو « الطراز الأخضر » (٥٠) ، وهذا السلطان الغورى يستقبل في سنة ٩٠٨هـ — ١٥٠٢م السيد أبانمى بن الشريف بركات أمير مكة ولم يتجاوز سنه الثمانى سنوات ، ويضعه على حجره ويقبل يديه (٥١) ومع ذلك لم تتعارض نظرة التبرك هذه بالضرب على من يعارض سلطانهم أو يعصى أوامرهم ولا سيما حكام مكة واليمن (٥٢) .

ولهذه الطائفة « نقابات » لتنظيم شئونها فيعين لها نقيب حيث وجدوا . فلهم نقيب بمصر ، وآخر بدمشق وثالث بحلب وهكذا ، ويصدر أمر التعيين من السلطان ، ويعرف هذا الأمر باسم « التوقيع » (٥٣) ، ويوصى نقيب الأشراف بعدم التشيع والبعد عن التطرف والحنر من الخوض فيما شجر بين الصحابة (٥٤) ، كما أن لهم أيماناً يقسمونها (٥٥) .

وقد شغل الأشراف بعض المناصب الدينية والإدارية ، كالأذان في بعض المدارس أو المساجد والتدريس ووكالة بيت المال والقضاء وكتابة الإنشاء ، ومن هؤلاء الشريف بلر الدين حسن العباسى مؤذن إحدى مدارس

دمشق (٥٦) ، كذلك على بن الحسن بن محمد بن الحسين الرئيس الشريف نقيب العلويين ووكيل بيت المال بالقاهرة وقاضى العسكر (٥٧) ، ومن الأشراف الذين تولوا كتابة السر الشريف شهاب الدين فى عهد الناصر محمد (٥٨) ، ومن الذين تقلبوا فى عدة وظائف مختلفة وحازوا إمرات وإقطاعات ، الأمير السيد الشريف علاء الدين على بن أحمد بن محمد العباسى (ت ٥٧٥٢ / ١٣٥١ م) ، كان أحد أمراء العشرات بدمشق ووالياً بالقدس ، ثم اتخذه تنكز نائب الناصر محمد بالشام استاداراً له ، وتولى بعد ذلك وظيفة مشد الأوقاف ، وحين انضم إلى كبير الأمراء بالشام وهو الأمير قطلوبغا الفخرى ، فكر الأخير فى إقامة خليفة بالشام وقال « عندنا واحد شريف عباسى نقيمه نحن خليفة ونبايعه وما يحتاج إلى أحد من المصريين (٥٩) » .

وتمتعت بقية عناصر هذه الطبقة كذلك باحترام الممالك فى أكثر الأحيان وكانت موضع الاستشارة من السلاطين فى المسائل الكبرى ولاسيما مايمس (٦٠) الشرع منها كالحصول على الأموال بفرض ضرائب على الأملاك أو الأوقاف أو حل الأوقاف أو استبدالها أو فى عقوبة خارجى ثائر ، وهكذا . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فهناك استشارة قطز لهم بصدد حرب المغول بقيادة هولاكو ، واستشارهم فرج فى سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م ، لمقابلة خطر العثمانيين (٦١) ، وحين ازداد خطر سوار التركمانى فى سنة ٨٧٢هـ - ١٤٦٧م استشارهم قايتباى فاقترح كاتب السر الاستيلاء على بعض الأوقاف ، ولما مال الحاضرون إلى الموافقة اعترض شيخ الإسلام وهو أمين الدولة الأقصرائى الحنفى ورفض هذا الاقتراح فانفض المجلس « والسلطان حائق عليه » (٦٢) ولما قبض على هذا الثائر سنة ٨٧٧هـ - ١٤٧٢م استفتى قايتباى هذه الهيئة فى أمر عقوبته فأفتوا بإعدامه ، (٦٣) كذلك استفتاهم قايتباى فى سنة ٨٩٦هـ - ١٤٩٠م ، بصدد خطر العثمانيين (٦٤) . هذا وقد لجأ السلاطين إليهم حتى إلى صغارهم يلتمسون البركة إذا نزل بالبلاد قحط أو وباء ، ليزيد النيل أو يرتفع الوباء (٦٥) .

وبرغم نظرة التبرك هذه وبرغم استمرار لجوئهم إليهم وحاجتهم إلى

استشارتهم وتعرض بعض القضاة لسخط العامة بسبب بعض الفتاوى (٦٦) ، فإن ذلك كله لم يحل دون تجاهل فتواهم أو إهانتهم (٦٧) فلم يتخرج السلطان قايتباى من ضرب الفقيه شهاب الدين العقيلي لكذب دعواه فى اتهام أحد الفقهاء سنة ٨٧٩هـ - ١٤٧٤م ، كذلك لم تسلم هذه الطبقة من فرض الغرامات (٦٨) عليها مما أدى إلى اختفاء بعض القضاة ، كما ضرب البعض الآخر بأمر السلطان محمد بن قايتباى سنة ٩٠٣هـ - ١٤٩٧م (٦٩) :

وأرزاق هذه الطبقة مشاهرة من حيث الرواتب ، فكان راتب الوزير فى الشهر ٢٥٠ ديناراً (٧٠) ، وهذا غير المخصصات من « اللحم بتوابله أو من غير توابله » ، بحسب مراتبهم ، ولهم الخبز والعليق (٧١) ولأكابرهم السكر والشمع والزيت والكسوة فى كل سنة ول بعضهم الأضحية (٧٢) . وهناك الأوقاف المرصدة وأنصبتهم منها ، كما أن لبعضهم إقطاعات (٧٣) ، وبرغم ما يبدو فى هذه الأرزاق من سعة ، إلا أنها لم تكن شيئاً مذكوراً بجانب ما ينعم به أمراء الممالك ، ومع ذلك فقد عليهم الممالك واستكثروا أرزاقهم ، يقول السبكى : « ومن قبائحهم (أى الممالك) استكثارهم الأرزاق وإن قلت على العلماء واستقلالهم الأرزاق وإن كثرت على أنفسهم ، ولو اعتبر الواحد منهم رزق أكبر فقيه لوجده دون رزق أقل مملوك عنده » (٧٤) .

ويتميز فريق أرباب الحرف بطوائف مختلفة تبعاً لما يزاولون من عمل ، فهناك الفلاحون بالقرى ومياسير التجار من المواطنين والأجانب وأرباب الصنائع بالمدن ، وربما أطلق لفظ « العامة » على أصحاب الحرف الصغيرة كالحياطين والأساكفة والناطور (٧٥) وغاسل الموتى والطرقية ، وهم الباعة المتجولون ، كذلك شمل لفظ العامة المساكين من السؤال (٧٦) ، وميز كبار التجار وأثريائهم باسم « بياض الناس » كما نعت بذلك تجار سوق الحوائصين وتجار العنبر (٧٧) ، وإذا تعطل بعض أرباب الحرف الصغيرة عن العمل لسبب كساد أو فتن أو مجاعة أو ركن بعضهم إلى البطالة وانصرف إلى العبث واللهو والنهب وقطع الطرقات فى الأماكن المهجورة أو انخرط فى « مناسر الحرامية »

منهزاً فرصة الاختلال التي تفتاب المجتمع المملوكى بين آن وآخر ، عرف أمثال هؤلاء في هذه الحالات جميعها باسم « الحرافيش أو الزعر أو الزعار أو العياق » . وأغلب أعضاء طبقة أرباب الحرف منظم بوصايا كغيرها من عناصر المجتمع ، وأفرادها خاضعون لإشراف المحتسب وقوانين الحسبة ، وهذه الوصايا التي سجلها المعاصرون ، ونظام الحسبة القائم هي في الواقع القوانين الاجتماعية التي ينبغي أن يسير عليها كل فرد ، كما تدل من ناحية أخرى على مدى فقه ذلك المجتمع للشعور بضرورة تنظيم أحواله .

وكأى مجتمع كثيراً ما وقع الخلف لهذه القوانين وكثيراً ما عوقب بأشد أنواع العقوبة أديباً ومادياً ، فمن مهام المحتسب ارتياد الأسواق ومحال البيع على اختلافها (٧٨) ، والنظر في الأقوات والأطعمة التي تعرض للبيع للكشف عما يحدث فيها من غش (٧٩) . ومن المخالفات أن أعجيباً كان يصنع « السنبوسك » فذبح كلباً سميناً وعمل منه هذا اللون من الطعام وباعه ، على حين تنص قوانين الحسبة على أنواع الذبائح ، بل تحدد كيفية الذبح وشروطه ، غير أن هذا البائع انتهز فرصة الاختلال والاضطرابات التي حلت بالبلاد خلال استعداد السلطان طومان باى لحرب سليم الأول ، وارتكب هذه المخالفة ، فكان جزاؤه القبض والضرب بين يدي الأمير مامى المحتسب وشهر في القاهرة وفي عنقه كلب معلق (٨٠) .

ويلاحظ أن بعض السلاطين قد عمل على أن تظل هذه الطبقة في الوضع الذي اصطلح المجتمع الإقطاعي على وضعهم فيه ، فلم يرق في عين الناصر أن يقتنى أثرياء العامة العبيد حتى لا يتشبهوا بالسادة فأمر حاجبه بأن ينادى في سنة ٥٧٢٨هـ - ١٣٢٧م ، « بالأياع مملوك تركى لكاتب ولاعamy ، ومن كان عنده مملوك فليبعه ومن عثر عليه بعد ذلك أنه عنده مملوك فلا يلوم إلا نفسه » . (٨١) كما لم يستغ ابنه السلطان صالح أن يركب الفلاحون الخيول أو يشتروها خشية التقوى بها أو مناظرة السادة في « مراكيهم » فرسم سنة ٧٥٤هـ - ١٣٥٣م « بأن فلاحاً لا يركب فرساً ولا يشتري فرساً » (٨٢) ، فلبث أغلبها أوفر حظاً

من غيرها بؤساً وشقاء وأكثرها تعرضاً للنكابة والظلم ، يصدر السلاطين الأمر بتسخير العامة والفلاحين سواء أكان ذلك في الأعمال الخاصة أم العامة ، كما فعل قلاوون وابنه الناصر وحفيده حسن ، حيث كان يقبض على الناس في المساجد والأسواق (٨٣) ، بل لعل الأمير أقبغا عبد الواحد كان يرى مكرمة في تحديد يوم واحد للسخرة من كل أسبوع في بناء مدرسة سنة ٧٤٠ هـ (٨٤) مما قربته مصادفة لما قاساه الأتقان في الإقطاع الغربي باسم «السخرة الأسبوعية» (٨٥) . كذلك تعرضت هذه الطبقة بفروعها للمغارم فافتحمت حواصل التجار في حضورهم وغيبتهم وقوسموا « في موجودهم » بأمر السلطان فرج استعداداً للقاء تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ - ١٤٠٠ م (٨٦) ، واضطرت امرأة لبيع شجرة نبق بمنزلها بالحسينية وفاء بما فرضه عليها قايتباي سنة ٨٩٦ هـ - ١٤٩٠ م ، لمواجهة الخطر العثماني وهكذا (٨٧) .

لهذا وغيره لم يقف الفلاحون أو العامة مكتوفي الأيدي حين حانت الفرصة ، بل تربصوا بالظالمين الدوائر ، ويستوى في ذلك أعمال العصيان أو الانتقام أو التمرد أو النهب مما يدل على بعض الوعي وبعض الشعور بالظلم تهيؤاً لثورات الشعبية ، فلما جار الأمير شمس الدين أحد أمراء الناصر محمد على الفلاحين في قسمة المحصول وتوعدهم ، أضمرُوا له الانتقام ولحقوا به وصحبه في الطريق . يقول الشريف بدر الدين حسن العباسي وكان في صحبة الأمير : « فلما ركبنا ، لحقونا (كذا) الفلاحون وجابوا لنا بسياسة أطعمونا ومن حيث أكلنا البسياسة طربنا جميعاً ، ووصلنا إلى دمشق . وكانوا ستة نفر مات أربعة وتعلل اثنان » (٨٨) . بل امتنع الفلاحون عن دفع الخراج لرسول طومان باي سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م ، والسلطان سليم في طريقه إلى مصر ، وقالوا : « ما نقرر نعطي خراجاً حتى يتبين لنا إن كانت البلاد لكم أولابن عثمان ، فنبقى نورد الخراج مرتين » (٨٩) ، كذلك كان شأن العامة بالمدن إذ وجدوا في إحداث الفتن والاضطراب خير متنفس لهم للانتقام من الممالك ، إذ أن الأمراء استأدوهم في هذه الفتن نكابة بمنافسيهم ، وما كان أسرع تلييتهم لهذا الاستثناء لما

يظفرون فيه من غنائم منهوبة ، استأداهم الأتابكى برقوق سنة ٧٨١هـ - ١٣٧٩ م
لنهب بيت غريمه بركة (٩٠) ، واستأداهم الأمير منطاش فى حربته ضد منافسه
الأمير يلبغا الناصرى سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨ م (٩١) ، ولم تسلم المساجد أو المدارس
من نهبهم وتخریبهم خلال تلك الفتن (٩٢) ، واستطاعوا فى كثير من المناسبات
أن يرفعوا أصواتهم إلى أولى الأمر وأن يقوموا بحركة احتجاج منظمة ضد
تصرفات بعض كبار الموظفين ، وليس المهم نجاحهم الدائم فى هذه
المحاولات ، بل المهم شعورهم الضمنى بما لهم من حق أو صوت فيمن يولى
عليهم (٩٣). طلبوا عزل والى القاهرة سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠ م فأجيبوا إلى طلبهم ،
وتجمهروا فى سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩ م ، أمام القلعة يرجعون الناس ويحولون
دون صعود الأمراء إلى السلطان شعبان ، فلما سألهم عن قصدهم أجابوا :
« تسلمنا علاء الدين كبك شاد الدواوين ووالى القاهرة (٩٤) » ، واجتمعوا مرة
أخرى فى سنة ٨٠٠هـ / ١٢٩٧ م على عهد السلطان برقوق ومعهم المصاحف
والأعلام طالبين الإفراج عن الأمير علاء الدين بن الطبلاوى والى القاهرة (٩٥) .
حقيقة لم يستجيب لهم ولى الأمر فى كلتا الحالتين ، ولكن العبرة بالباعث
أو الشعور الذى دفعهم فى وقت لم يكن للرأى العام أى قيمة أو وجود .

ولذا كانت العبارة العامة القائلة بأن المصريين عاشوا خلال النظام
الإقطاعى المملوكى حياة سعيدة هائلة وأن حكومة الأقلية الأتوقراطية هذه
لم يقم فى وجهها أى منغص أو عقاب غير منطبقة على الواقع (٩٦) .

ومن حيث الملابس التى ميزت طبقات هذا المجتمع الإقطاعى ، اختص
رجال السيف بزي معين عليه مسحة الفخامة والروعة والترف البالغ ، فضلا
عن التعقيد والتنوع فى مفرداته وألوانه ، فغطاء الرأس هو « السكلاوات »
وتسمى كذلك « كلفة وكلفتاه » (٩٧) وتتخذ من الصوف الملطى الأحمر والأصفر .
وهناك ما يعرف باسم « الشربوش » وهو غطاء للرأس كذلك مثلث الشكل
يشبه التاج ، ويرخى الشعر مضافاً فى كيس من الحرير الأحمر أو الأصفر (٩٨)
وعلى الجسم قباءان أعلاهما ملون ضيق الأكمام (٩٩) ، وتشد أوساطهم بينود

أو مناطق من قطن بعلبكي يعلق بها السيف ، وربما حيطت « بالحوائن » الذهب (١٠٠) أو الفضة ، وفي أرجلهم خفان يعرف العلوى باسم « سقمان » من جلد بلغاري أسود وعليها تلبس المهاميز المكفتة بالذهب أحياناً ، ومن الملاحظ أنه لا يلبس المطرز من القماش الحرير ولا يكفت مهمازه بالذهب إلا أصحاب الإقطاعات (١٠١). ولما جاء قلاوون أبطل لبس الكم الضيق ، وعمل ابنه خليل على أن يلبس خاصكيتة الملابس المزركشة ، وأمر الناصر بلبس العمام الصغار فوق الكلوتات فعرفت بالناصرية ، واستجد الأمير سلار (١٠٢) قباء عرف « بالسلارى » ، وتميز الأمير يلبغا العمرى بكلوتات أكبر من العادية نسبت إليه وعرفت باسم « اليلبغاوية » ، كما عرفت باسم « الكلوتات الطرخانية » ربما لأنها أشبهت ما تعود أن يلبسه الطرخان ، وزاد برقوق في حجمها ، وهذه هي « الكلوتات الحركسية » وشاركت الطبقة الحربية بنسائها طبقة العامة بنسائها وصبيتها في لبس « الطاقية » ، وانتشر هذا التقليد في دولة الجراكسة ، إلا أنه حدث في عهد فرج نوع من الطوائف كبير الحجم عرف باسم « الطوائف الحركسية » (١٠٣) .

أما خلعة السلطنة أو الزى الرسمى الذى يرتديه السلطان يوم توليته فهو الحبة السوداء والعمامة المدورة (١٠٤) ، وبرغم هذه الروعة والفخامة والتنوع فإنهم لم يعجبوا المقريزى إذ يقول « ومع ذلك أشكاهم بشعة وملابسهم غير خائلة » (١٠٥) .

وأكبر ما يميز رجال القلم هو « العمام » ويفرد لهم العمرى باباً سماه « زى ذوى العمام المدورة » (١٠٦) ، ومنهم من يرسل ذؤابة بين كتفيه تلحق قربوس فرسه إذا ركب ، ومنهم من يلبس فرجية لها أزرار تشبه الحبة الحالية ، إلا أن السلطان شعبان ميز الأشراف سنة ٧٧٢هـ / ١٣٧١م بلبس الطراز الأخضر والعصائب الخضراء فوق العمام ، ليمتازوا عن الناس جميعاً ، وهذا أول حدث من نوعه في هذا التمييز ، وقد حاز هذا الشعار رضا البعض ، لكنه كان محلاً لنقد البعض الآخر .

وعبر عن الرضا، الشاعر شمس الدين محمد بن بركة الدمشقي بقوله (١٠٧):
أطراف تيجان أنت من سندس خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصم بها شرفاً ليفرقهم عن الأشراف
أما الشاعر عبد الله بن جابر الأندلسي، فقد انتقد هذا التقليد بقوله (١٠٨):
جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم تغنى الشريف عن الطراز الأخضر
والزى الرسمي للخليفة فرجية أو جبة سوداء وعمامة سوداء، والسواد
شارة بني العباس (١٠٩).

ولبس الفلاحون الزنوط والبرد السود والقمصان الكبيرة الأكمام،
وفي هذا الزى تنكر كثير من الجراكسة خلال عمليات الفتح العثماني لمصر (١١٠)
أما أهل الذمة من اليهود والنصارى، فقد قيدوا في ملابسهم وركوبهم،
وصدرت عدة أوامر وفتاوى (١١١) في عهود مختلفة بضرورة التزام هذه
الحدود، وهي أن يلبس اليهودي العمامة الصفراء والنصراني العمامة الزرقاء
وطول العمامة عشرة أذرع، ومن وجد بعمامة بيضاء حل دمه، وعليهم
أن يشدوا أوساطهم بالزنارات، والزنار خيط غليظ من الإبريسم، وهناك
خيط الكستيج من الصوف أو الشعر الغليظ بقدر الإصبع، وأن تكون شراك
نعالهم متينة، ولا يدخلون الحمام إلا بصليب في أعناقهم، وفي عنق اليهودي
خلخال، وربما تغالى بعض السلاطين في هذه العلامات المميزة، فيأمر بتعليق
أجراس في أعناقهم عند دخول الحمام. وحدثت محاولات لإرجاع أهل
الذمة، إلى لبس العمامة البيضاء، منها ما وقع زمن الناصر محمد بن قلاوون،
حين عاد إلى سلطته الثانية سنة ٥٧٠٩ / ١٣٠٩ م، حين تعهد أهل الذمة
بدفع ٧٠٠ ألف دينار في السنة، غير الحالية، ولكن الشيخ تقي الدين بن
تيمية انبرى للحيلولة دون ذلك ونجح، فظل أهل الذمة على لباسهم المميز
لهم (١١٢).

وتعرض النساء لتدخل أولى الأمر في أزيائهن ، فكان نساء الشام يلبسن العمامة الكبيرة ، لكن السلطان خليل بن قلاوون أمر بإبطالها سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م (١١٢) ، ولبس نساء مصر القمصان الكبيرة الأكمام والأزر الحرير والحف المزركش والعصابة « المقنزعة » ، أي القصيرة ، فمنع السلطان حسن كبير ، الأكمام والأزر الحرير والأخفاف المزركشة (١١٤) سنة ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م . وأمر السلطان برقوق في سنة ٧٩٢ هـ ١٣٩٠ م ، بقص أكمام من ترى بأكمام واسعة (١١٥) ، وكذلك أمر السلطان قايتباي ويشبك المحتسب في سنة ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م ، بمنع العصابات المقنزعة ، على أن يكون طول العصابة ثلث ذراع ومختومة الجانبين بخاتم السلطان ، وقد قلقت النساء من هذا التحجير ، فكن يلبسن العصابة الطويلة في خروجهن ، والمقنزعة في البيوت ، ثم أهملن هذا الأمر ، وعدن إلى ما كن عليه ، وتندر بعض الشعراء بهذا الحال بقوله :

أمر الإمام مليكنا بعصابات في لبسها عسر على النسوان
فقلقن ثم أطعنه ولبسها ودخلن تحت عصابات السلطان (١١٦)

ومنع نساء أهل الذمة ، من مشابهة المسلمات ، فإذا خرجن في الطريق العام ، يشترط أن يكون خف الواحدة منهن مختلف الألوان (١١٧) .

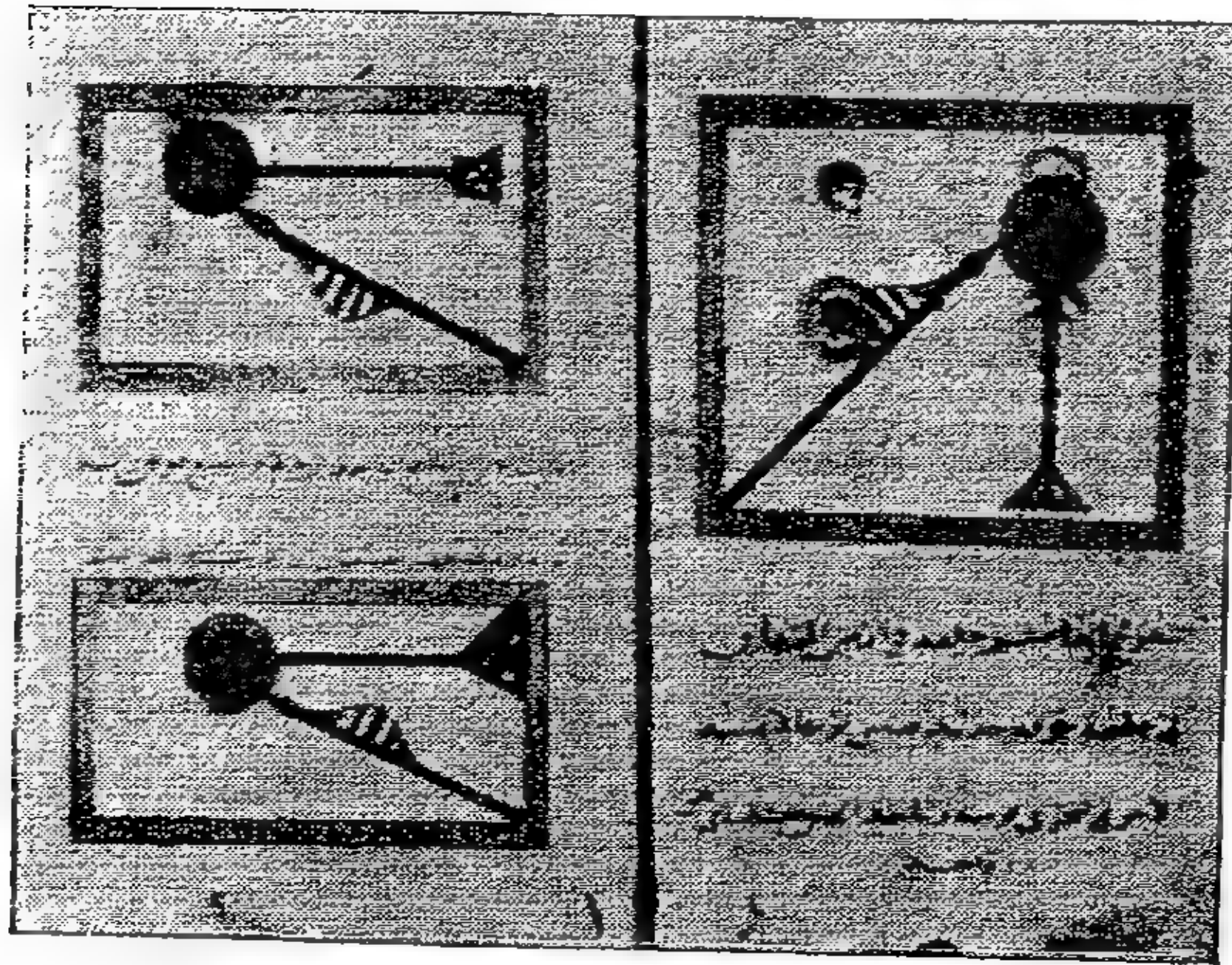
أما وسائل التسلية فأهم ما تسلت به الطبقة العليا : ألعاب الفروسية ، كالمبارزة بالرمح أو اللعب بالكرة والصوبلحان والصيد ولعبة القبق ، وهذه فضلا عن أساسها الأول وهو التدريب الحربي ، فإنها لم تخل من تسلية حقيقية . كذلك كان من وسائل التسلية الشطرنج ولعب الحمام وخيال الظل ، والاستماع إلى بعض أنواع الأدب الفكاهي ، وهو البلايق .

وتعتبر ألعاب الفروسية أهم مميزات المجتمع المماليك شأن المجتمعات الإقطاعية في الشرق والغرب ، كما أن هذه الألعاب هي سماء الأرستقراطية الحربية ، ولهذا فصلت جميع دقائق الفروسية على اختلافها في كتب كثيرة رفع بعضها للسلطين وبعضها للأمراء ، وتحتوى في جملتها وتفصيلها على دستور الفروسية أوقوانين الفروسية ، والتدريب عليها ، وكيفية ملاقات الفارس لخصمه ، وكيفية

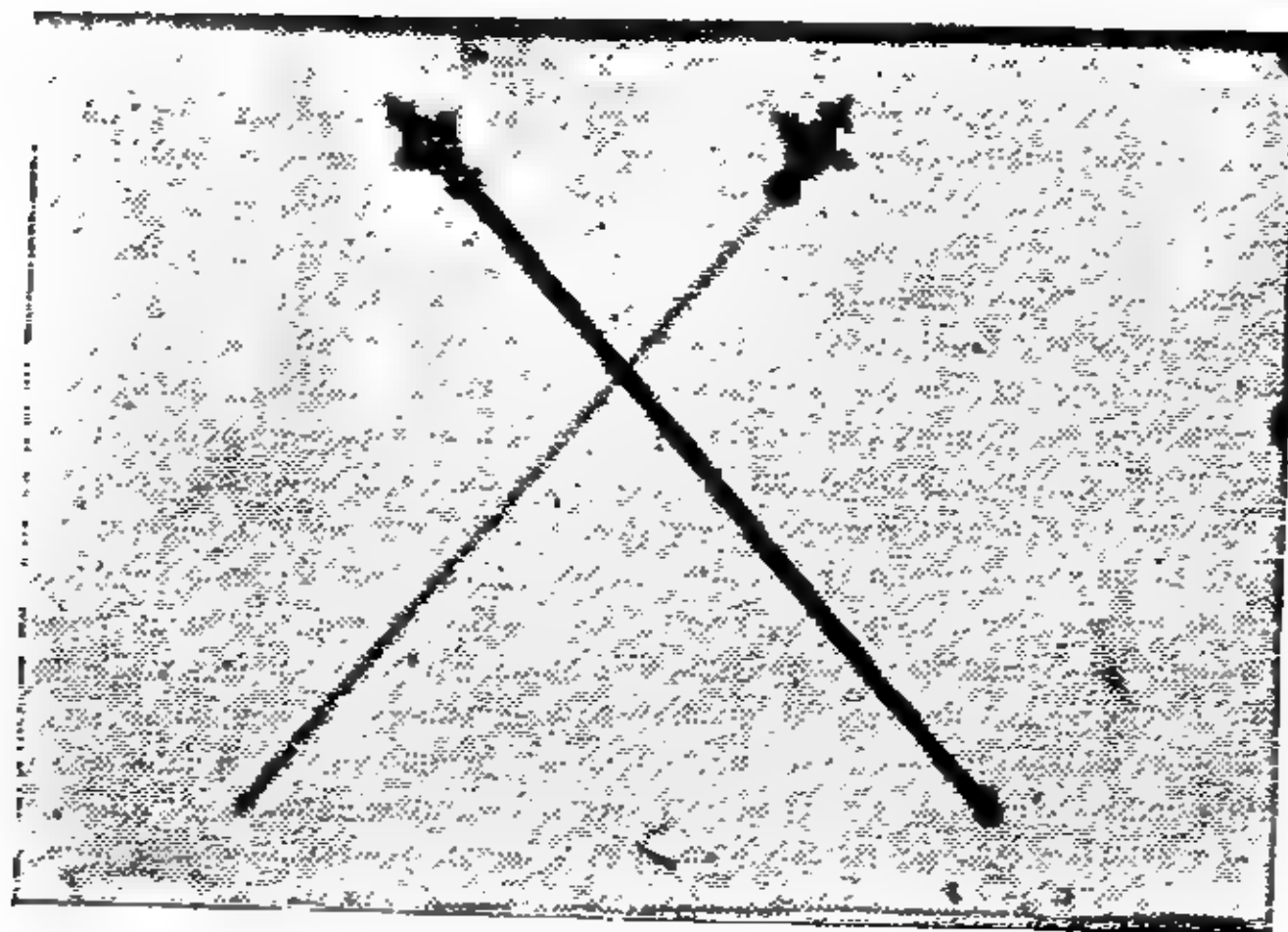
الركوب على الفرس والتزول عنه ، وحمل الرمح ، واستعمال السيف والقوس والنشاب وأنواع القسي ، والمادة التي تصنع منها ، ومراعاة مناخ البلد في طول أوتر وقصره ، وأكثر من ذلك في كيفية علاج الفرس ونحو ذلك (١١٨) .

اهتم السلاطين المماليك وأمراؤهم بالفروسية على اختلافها ، واحتفلوا في خروجهم لممارسة هذه الرياضة الحربية فيما عرف باسم « موكب ركوب الميادين » (١١٩) ، ينزلون بالملابس الفاخرة والأسلحة المزركشة والخيول المزدانة بفاخر الثياب ، ومن دلائل النضج في فقه أهمية التدريب الحربي أنهم استعملوا في كثير من الأحيان رماحاً من خشب ، وأول سلطان أولى لعبة المبارزة بالرمح كبير اهتمامه السلطان برقوق ، فكان يلعب ويأمر مماليكه بالحرص على مزاولتها دائماً (١٢٠) ، وإذا لعب السلطان الكرة والصولجان مع أمرائه ، انقسم اللاعبون إلى فريقين على رأس كل فريق « باش » أحدهما السلطان والآخر أتاك العسكر ، ويكون اللعب بالكرة عادة مرتين في الأسبوع « وهذا هو « موكب لعب الكرة » (١٢١) ، وتقرن هذه الرياضة بنوع من المداعبات كأن يقوم المغلوب بإعداد وليمة فاخرة : فثلاً لعب السلطان برقوق الكرة مع الأتابكي ايتمش البجاسي ٨٠٠ هـ - ١٣٩٧ م ، بالحوش السلطاني وغلبه ، فأظهر الأتابكي استعداداه لعمل الوليمة لكن السلطان تحملها عنه ، وجاءت غاية في السعة والترف إذ جمع فيها المغنين ، كما سمح للناس بدخول الميدان (١٢٢) ، واشتهرت هذه الرياضة حتى لعبها الأمراء في منازلهم ، بل نبغ فيها الكثير من الأمراء . وهواية الصيد والسرحات مارسها السلاطين خلال فصل الربيع من كل سنة ، وجرت العادة أن يتكرر موكبه للصيد سبع مرات ، يخرج السلطان بخزائنه ومعه « مارستان » كامل إلى مواضع الصيد ، مثل منطقة الطرانة بالبحيرة ، وهي مشهورة بالطيور والغزلان ، أو بركة الحبش (١٢٣) قرب القاهرة لكثرة ما بها من طيور ، على أن ما يصاد يوزع منه على أتباع السلطان (١٢٤) .

أما لعبة « القبق » ، وهي من ألعاب الفروسية للتدريب على إحكام



١ - القبقي



٢ - ربحان من وراح المبارزة

عن مخطوطة الفروسية والمناصب الخربية للارماح
(مكتبة الحرم المكي الشريف)

الرمي (١٢٥) فارسها السلاطين والأمراء كذلك بميدان اتبقت خارج باب النصر ، وشجعوا عليها بمنح مكافآت لمن يصيب الهدف من رجاله كما فعل بيبرس سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م ، إذ جعل مكافأة من الثياب للمفارقة ، وهم رجال الحلقة ، ومن الخيول للأمراء ، واهتم بها قلاوون و خليل (١٢٦) . ومن السلاطين من له هواية معينة « كلعب الحمام » ، مثل السلطان حاجي الذي بالغ في النفقة على حمامه والاشتغال به ، فيقال إنه أنفق ٥٠ ألف دينار عليه (١٢٧) بأن عمل له خلاخيل ذهب ووضع في أعنقه ألواحاً من ذهب كما جعل له مقاصر من خشب الأبنوس المطعم بالعاج وأقام الغلمان لخدمته ، وعلق بعض النقاد « اشتغل بلعب الطيور عن تدبير الأمور ، والنهي عن الأحكام بالنظر إلى الحمام ، فجعل السطح داره والشمس سراجيه والبرج مناره ، وأطاع السلطان هواه ، وخالف من نهاه ، وخرج في ذلك عن الحد ، وصار لا يعرف الهزل من الحد (١٢٨) » .

واشترك جميع الطبقات في التسلية بلعبة خيال الظل ، فتقام الحفلات لعرضها إلا أن من السلاطين من كرهها وحرّمها ، مثل السلطان جقمق ، إذ أمر في سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م « بحرق شيوخ خيال الظل جميعها وإبطالها » (١٢٩) ، ومنهم من شغف بها مثل السلطان محمد بن قايتباي (١٣٠) . ومن بين الحفلات التي أقامها هذا السلطان ، حفلة أقيمت بالحيزة سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م ، عقب الاحتفال بالمولد النبوي ، واستمرت ثلاثة أيام ، لعب فيها أمامه « الرئيس أبو الخير » صاحب خيال الظل ، كما غنى فيها « جوق مغاني العرب » وحضرها « برابوه » رئيس المحظيين .

وطريقة عرض هذه اللعبة : ينشد الرئيس بعض الأناشيد المسجوعة الفكاهية مثل :

خيالنا هذا لأهل الرتب والفضل والبذل وأهل الأدب . . . ، ثم ينادي :
يا طيف الخيال ، يا كامل الاعتدال ، فيخرج شخص أحذب . . . يناديه

الرئيس : قسماً بحسن قوامك الفتان ، يا أوحده الأمراء في الحدبان ، ثم يغنى
خيال الظل أزجالاً... (١٣١) .

أما البلايق ، فهي نوع من الأدب الفكاهي ، ينشده الشاعر أمام
السلطان ، ويقرن عادة بالغناء والرقص ، كما يقرن بالفخر والتعريض ببعض
الشخصيات دعابة وتندراً . ومن ولعوا بهذا النوع من وسائل التسلية ،
السلطان حسن ، وبرز في عهده رجل يجيد صياغتها وإنشادها ، هو سراج
الدين عمر بن مولا هم ، ألف عمر بلقية للسلطان حسن ، وعرض فيها بالأمير
يلبغا ، مما « غير خاطره من أستاذه » .

ومطلع هذه البلقية :

من قال أنا جندي خلق ، لقد صدق .

عندي قباء من عهد نوح ، على الفتوح ، لو صادفوا شمس السطوح ،
كان احترق .

كلوتى طار شحمها عن لحمها ، ولا بقى من رسمها ، غير الورق .
وكانت الإشارة بالجندي الخلق إلى الأمير يلبغا ، وهو واقف بين يدي
السلطان ، على حين كان السلطان حسن يضحك ويستعيدها (١٣٢) .

ولللخمر والموسيقى والغناء هواة كثيرون من السلاطين والأمراء ، فضلاً
عن أفراد الشعب ، ويذكر عن السلطان الملك المنصور محمد ، لما خلعه
الأتابكي يلبغا العمري سنة ٥٧٢٣هـ - ١٣٢١م ، وأدخله دور الحرم بالقلعة ،
استبهر هذا المخلوع « مقيماً في غبوق وصبوح لا يفיק من السكر ساعة » ،
وعنده جوارى مغنيات ، يدقون بالطارات عند الصباح والمساء (١٣٣) وكان
السلطان فرج بن برقوق يسكر حتى نصف الليل ، ويخرج إلى الحوش
ويستعرض الممالك الذين في السجن بأبراج القلعة ، ويأمر بيطح الواحد منهم
ويذبحه بيده ويركله في وجهه ، وربما بال عليه ، أو صب عليه التبيذ (١٣٤) .
ويعتبر السلطان المؤيد شيخ الحمودى ، من هواة اللهو والطرب بل إنه
تعاطى المخدرات من « المصطلات » وقرب أرباب الفنون ، هذا بجانب كونه

شاعراً غزلاً (١٣٥) . واشتهر من أرباب الغناء في عصر المماليك ناصر الدين محمد المازوني القاهري ، ويصفه ابن إياس بقوله إنه « فريد عصره ووحيد دهره » ، وكان بارعاً في فن الغناء ويضرب به المثل في حسن النغم ومعرفة الفن ، ولم ينجى بعده من هو في طبقة إلى يومنا هذا (أيام ابن إياس القرن ١٦ م) وقد توفي عام ٨٦٢هـ - ١٤٧٦م زمن السلطان إينال . ومن المشهورين كذلك ابن رحاب المغني الذي طار صيته زمن خشقدم وقايتباي (١٣٦) .

والأعياد والحفلات على نوعين . خاص وعام . ومن أمثلة الخاص : الزواج وأعياد الميلاد والختان ، وليس في هذه الحفلات ما يلفت النظر سوى السرف الزائد والبدخ الذي أمسى سمة الطبقة العليا في المجتمع المملوكي ، وربما كان زواج الأمير شعبان بن الناصر محمد من ابنة الأمير بكتمر الساقى سنة ٧٣٢هـ - ١٣٣١م ، مثلاً في هذا الإسراف ، إذ بلغ صداقها مليون دينار وذبح أكثر من ٦٠ ألف رأس من الخيل والبقر والغنم ، وحمل له ألف قنطار من الشمع ، كما عقد ١٨ ألف قنطار حلوى سكرية (١٣٧) . ومن بين جهاز بعض بنات السلطان حسن دكة من بللور عليها زير من بللور نقش بظاهره صور وحوش وطيور . وفي زفاف (١٣٨) « ستية » بنت السلطان شعبان سنة ٧٩١هـ - ١٣٨٨م للأمير منطاش ، حمل جهازها على ٥٠٠ حمل وعلق ديناران زنة أحدهما ٢٠٠ مثقال وزنة الآخر ٢٠٠ مثقال (١٣٩) .

وفي حفلات عيد الميلاد يستعد السلطان قبيل الوضع بإعداد ما تتطلبه الولائم ، وإذا حدث وجاء المولود أنثى تقاعدت همته وقل عطاؤه ، أعلن السلطان خليل في سنة ٦٩٣هـ - ١٣٩٣م ، أن زوجته « خوند أردوتكين » قد دنا ولادها وقرب مخاضها فلما وضعت أنثى ، علق بيبرس الدوادار المؤرخ « أنه لما بشر السلطان بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » (١٤٠) ، وحول الحفل لختان أخيه محمد (١٤١) .

أما حفلات الختان ففيها البذل وفيها العطاء ويعم هذا السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة عامة ، ويختن الطفل إذا بلغ سبع سنوات (١٤٢) ، وربما

أمر السلطان بختن بعض أبناء المقربين إليه مع ابنه ، وأنعم عليهم بكسوة على قدر مراتب آبائهم كما كانت تقدم الهدايا وتزين القلعة والقاهرة لمدة سبعة أيام. ويعتبر حفل ختان محمد بن قايتباي سنة ٨٩٥هـ - ١٤٨٩م مضرب الأمثال في الإسراف ، فقد أمر السلطان بجمع المغنين بالقاهرة وخروج الناس « في القصف والفرجة » ودخل عليه جملة هدايا ، ومشى القضاة والأمراء والأعيان في الموكب ، وابن السلطان يركب فرساً فرشت شقائق الحرير تحت حافره ، وعلى رأس الأمير خفاف الذهب والفضة ، واختن معه أكثر من أربعين ولداً من أبناء الأمراء والأعيان ، من بينهم ابن الخليفة ، ويبلغ ما حصله « المزين » خمسة آلاف دينار ، قسمه السلطان عليه وعلى بقية « الرؤساء المزينين » وأمر بكسوة لمن اختن مع الأمير وأن يتوجهوا إلى بيوتهم في موكب (١٤٢) .

ومن أمثلة حفلات كبار رجال الدولة ما قام به كاتب السر القاضي ابن مزهر حين ختن أولاده ببركة الرطلي (١٤٤) سنة ٨٨٦هـ - ١٤٨١م ، فقد أمر جميع سكان هذه المنطقة بإضاءة منازلهم وأرسل إلى كل بيت عشرة أرطال من الزيت ، « وطبلية » حافلة بألوان الطعام ، فاستجاب السكان واستمر الحفل ثلاثة أيام (١٤٥) .

أما الأعياد العامة فهذه يحفل بها السلطان وأمرأؤه ورجال الدولة ، كما يشترك فيها الشعب ويقرن غالبها بمواكب رسمية حافلة ، كما تقرن بالعطايا والصدقات وأعمال البر والهدايا للأمراء ورجال القلم ومشايخ الفقهاء وأهل الزوايا ونحوهم ، ومن أمثلتها الأعياد الدينية ، كالاحتفال بالمولد النبوي بالقلعة أو التربة (١٤٦) ، ومولد الأونياء في أضرحهم . يذكر المقرئى وابن لياس أن قايتباي أول من أحدث الاحتفال بمولد السيدة نفيسة (١٤٧) ، ويحفل بليلة النصف من شعبان وشهر رمضان بالقراءة والصدقات ، وكان السلطان برقوق يذبح في كل يوم من شهر رمضان عشرين بقرة ويوزعها على الفقراء مع ألف رغيف (١٤٨) ، كما يعطى الفقهاء والعلماء « توسعة لهم » في ذلك الشهر ، وتمنح التشاريف والأضحية في العيدين ، وقراءة البخارى أمر سار

عليه الممالك إذ كان يجتمع بالقلعة طائفة من القراء والفقهاء لقراءته يحتم
بحفل كل ثلاثة شهور، وفي هذا الحفل يخلع السلطان على القضاة ومشايخ العلم (١٤٩)
كما تفرق « الصور » على الفقهاء . وكانت العادة القديمة أن يقرأ البخارى
بالقصر بالقلعة ويحتم بالقصر الكبير ، ولكن الغورى أبطل ذلك وصار البخارى
يقرأ بجامع القلعة ويحتم بالحوش، (١٥٠). وفي أول كل شهر عربى يتوجه الفقهاء
وأهل الزوايا ورجال العلم لتهنئة السلطان بالقلعة ومباركة الشهر عليه ، فيخلع
عليهم ، وهناك موكب دوران المحمل حيث يلعب الرماحة وتشهر الكسوة ،
والممالك هم الذين أحدثوا تقليد سفر المحمل منذ شجرة الدر واعتبر هذا بدعة
لا عهد للسلف بها ، وبهذه المناسبة ينادى فى القاهرة بالزينة ويرتدى الرماحة
الزى الأحمر على العادة ، ويتكون فريق الرماحة الذين يتولون اللعب بالرمح
من رئيس يلقب بالمعلم ورتبته أمير مائة مقدم ألف ، ومعه أربعة معاونين
يلقب الواحد منهم « بالباش » ، من رتبة أمير طبلخاناه ، ومعهم أربعون
فارساً . وبعد أن ينتهى اللعب أمام السلطان فى موكبه ، ينزل هذا الفريق عن
خيوله ، ويقبل الأرض للسلطان . وأول من أحدث تقليد تقبيل الأرض ،
السلطان قايتباى عندما كان أميراً زمن السلطان خشقدم . والعادة أن يعقد
السلطان هذا الحفل فى شهر رجب من كل سنة ، ويعتبر من المناسبات التى
ينتهزها السلطان لعرض « فروسية عسكر مصر » أمام القضاة والأجانب كما فعل
الغورى سنة ٩٢٠ هـ أمام القاصد العثمانى (١٥١) .

وبعد يوم « كسر النيل » أو « فتح السد » من الأعياد العامة التى يشترك
فيها جميع الطبقات فينزل السلطان وجنوده فى موكب زمن الفيضان ويكسر
السد لتجرى المياه فى الخلجان والترع ، وأحياناً ينيب السلطان عنه الأتابك
أو أميراً من مقدمى الألوف ، لفتح السد (١٥٢) .

ومن أعياد الأقباط فى مصر « عيد النوروز والشهيد » ، وبرغم أنهما
من الأعياد القبطية إلا أن أغلب الناس يشتركون فيهما ، ويقع فى هذين
العبدن كثير من العبث واللهو . فأما عيد الشهيد فهو نسبة إلى بعض القديسين

السابقين ، ويعتقد الأقباط أن الإصبع الموجود بصندوق مقفل في كنيسة شبرا ، هو إصبع الشهيد وله أثر كبير في زيادة النيل فيخرجونه في ثامن شهر بشنس من كل عام ويفسلونه في النيل ، ويجتمع في هذا العيد شتى الأقباط من أقاليم مصر فضلا عن عامة أهل مصر من غنى وصعلوك ، وينصبون الخيام على شاطئ النيل بشبرا ، ويجتمع أرباب الملاعب وغيرهم ، وربما مات بعض الناس لشدة الزحام ، على حين يستفيد الباعة ، حتى أن فلاحى شبرا كانوا لا يغلقون خراج أطيانهم إلا بما يبيعونه على الناس في يوم عيد الشهيد ، وقيل كان يباع بشبرا في مدة ثلاثة أيام بألف دينار خمرأ . ولكثرة ما يقع في هذا العيد من المعاصى والفسوق ، قرر الأمير صرغتمش رأس نوبة وأتابك العساكر إلغاء هذا العيد ، وأحرق الصندوق بما فيه وألقاه في النيل ، بحضرة السلطان حسن والأمراء ، وذلك سنة ٥٧٥٩ / ١٣٥٨ م (١٥٣) .

وفي عيد النوروز وهو أول السنة القبطية يعمل موكب يسمى موكب « أمير النوروز » وأعضاء هذا الموكب « من سافل الناس والعياق » ، ويفرض هذا الأمير الإتاوات على الأكابر ويقف العياق في الطرقات يتراشون بالماء المتنجس ويتراجمون بالبيض النىء في وجوههم ويتصافعون بالأنطاع (١٥٤) والأخفاف ، مما يؤدي إلى قفل الحوانيت ، وهذا ما حدا بالسلطان برقوق إلى إبطاله سنة ٥٧٨٧ - ١٣٨٥ م (١٥٥) .

أما التعليم ومؤسساته ونظمه ، فهناك حقائق كبرى عامة تبدو من دراسة هذا الجانب في المجتمع الإقطاعى المملوكى .

كانت نظرة الممالك إلى التعليم أنه من أعمال البر والخير التى يتقربون بها إلى الله أكثر من كونه ضرورة للمجتمع ، فكانت المؤسسة عبارة عن دار للعلم وموئل للعبادة ومباعدة للمعوزين ، حيث يجد المعلم والمتعلم والعابد والمرتاد والمنقطع المأوى والغذاء المادى والروحى ، فضلا عن راتب معلوم سواء أخذت هذه المؤسسة اسم كتاب أو مدرسة أو زاوية أو خانقاه أو قبة أو تربة ، بل لم ينحل المارستان من مكان « يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس الطب »

كما كان الشأن في مارستان قلاوون ، وهناك نسخة توقيع بتدريس الطب بهذا
البيمارستان (١٥٦) .

إن أغلب المماليك الذين تربوا في مصر صغاراً (١٥٧) ، قد نالوا حظاً
من التعليم اللغوي والديني ، وإن لم يتوسعوا فيه ، وهم من أجل ذلك يدركون
قيمة التعليم ، كما يدركه غيرهم ممن جاءوا كباراً ولم ينل الكثير منهم أى حظ
من التعليم ، على أن تصرفات المسؤولين منهم جميعاً كانت في كثير من الأحيان
لا تصدر إلا عن فتوى رجال العلم .
ثم إن مؤسسات التعليم على اختلافها لم تكن من إنشاء السلاطين فحسب ،
وإنما ساهم فيها كذلك الأمراء وذوو اليسار من طبقات الشعب المختلفة ، ومن
بعض النساء .

وفيما يتعلق برجال التعليم ، لهم نصائح وإرشادات تشبه ما نعرفه اليوم
باسم أصول التربية والتعليم ، كالتدرج في التعليم من السهل إلى الصعب ومن
البسيط إلى المعقد وهكذا (١٥٨) ، على أن مهنة التعليم في ذلك العصر قد اتسمت
بطابع الأرستقراطية ، وليس ذلك بغريب في مجتمع طبقى نخباً غالباً نحو الحمود
إذ حرص المدرسون على ألا يتطرق إلى زمرة من رجل من العوام ، يقول السبكي :
« ومن أقبح المنكرات مدرس يحفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب ويجلس يلقها
ثم ينهض ، فإن كان غير قادر إلا على هذا القدر فهو غير صالح للتدريس
ولا يحل له تناول معلومه . . لأن هذا يطرق العوام إلى روم هذه المناصب ،
فقل أن يوجد عامي لا يقدر على حفظ سطرين ، ولو أن أهل العلم صانوه
أعطى المدرس منهم التدريس حقه ، وسأل وسئل واعترض وأجاب ،
وأطال وأصاب ، بحيث إذا حضره أحد من العوام أو المبتدئين أو المتوسطين ،
فهم من نفسه القصور عن الإتيان بمثل ما أتى به ، وعرف أن العادة أنه
لا يكون مدرس إلا هكذا والشرع كذلك ، لم تطمع نفسه في هذه الرتبة
ولم تطمع العوام في أخذ مناصب العلماء (١٥٩) » .

ولا تعدو لائحة التنظيم الداخلي للمدرسة مراعاة شرط الواقف في الغرض

الذى بنيت من أجله المدرسة ، إن كانت لمذهب معين ، كالشافعى أو الحنفى أو للمذاهب عامة ، أو لقراءة القرآن أو الحديث (١٦٠) . فمن المدارس المتخصصة المدرسة الحسامية للشافعية أنشأها الأمير حسام الدين لاجين ، فى عهد السلطان قلاوون (١٦١) ومدرسة منكوترالى أنشأها سنة ٦٩٨هـ - ١٢٩٨م للمالكية والحنفية ومدرسة الأمير مغلطاي للحنفية بناها سنة ٧٣٠هـ - ١٣٢٩م ومدرسة الست بركة أم السلطان شعبان للشافعية والحنفية أنشأها سنة ٧٧١هـ - ١٣٦٩م ، ومن مدارس القرآن مدرسة الأمير إينال التى بناها على قبره سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٢م وهكذا (١٦٢) . ومن المدارس العامة لجميع المذاهب : (١٦٣) المدرسة الظاهرية افتتحها بيبرس سنة ٦٦٢هـ - ١٢٦٣م ، وجعلها أربعة أواوين لكل مذهب إيوان خاص ومدرس خاص كما جعل للحديث إيواناً وللقراءات السبع إيواناً ، ومدرسة الأمير طبرس الخازندار صهر بيبرس الجاشنكير تقيب الحيوش فى عهد لاجين أنشأها سنة ٧٠٩هـ - ١٣٠٩م ، ويقال إنه لما فرغت عمارتها وجيء بأوراق الحساب استدعى بطشت وغسل الأوراق به من غير أن ينظر فى الحساب وقال : (شىء خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه) والمدرسة الأقبغاوية للأمير أقبغا عبد الواحد أستاذ الناصر محمد . وكذلك كانت مدرسة السلطان حسن التى أنشأها سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م تجاه القلعة وبالع فى النفقة عليها (١٦٤) .

وربما رتب الواقف جدول العمل بالمدرسة من حيث توالى الدروس ، كما فعل الأمير جمال الدين محمود الأستاذار بمدرسته التى افتتحت سنة ٨١١هـ - ١٤٠٨م ، فقد اشترط أن تكون الدروس الستة على هذا النحو : دروس الفقه الشافعى ثم الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلى ثم الحديث ثم التفسير (١٦٥) . أما نظام التدريس فهو أقرب ما يكون إلى النظام الجامعى من حيث أن هيئة التدريس بالمدرسة تتكون من : المدرس وهو أعلى عضو فى هيئة التدريس ويليه المعيد ثم المفيد ثم المنتهى ، على أن يبدأ الدرس وينتهى بتلاوة بعض آيات قرآنية مناسبة من قارىء يسمى « قارىء العشر » (١٦٦) ، وإذا انتهى

المدرس من إلقاء درسه تولى « المعيد » إعادة ما ألقاه المدرس ، ومهمة المفيد التوسع في الدرس المشروح بحثاً وإفادة ، أما المنتهى فهو من الطلبة ومهمته المناقشة باستمرار خلال الدرس لأنه أكثر إماماً من زملائه الذين لم ينتهوا بعد (١٦٧) .

والطلبة هم « الفقهاء » وينصحون بما ينصح به أقرانهم في العصر الحاضر كالمواظبة وعدم الحديث خلال الدرس « خشية النيمة واكتساب الإثم » ، أو التشاغل بكتاب خلال الشرح أو الجلوس بعيداً عن المدرس وإلا « لا يستحق شيئاً من المعلوم » ، ولا يفيد أنه يطالع في كتاب وهو في الدرس ، ولا بد من احترام شرط الواقف « فلو اكتفى الواقف منه - أى من الطالب - بذلك لما اشترط عليه الحضور » ، واختلف عددهم من مدرسة إلى أخرى ، وربما حدد الواقف عددهم كما هو الشأن في المدرسة الطبرسية (١٦٨) ، إذ حدد الأمير طبرس لكل مذهب مدرساً ومعيداً ، ومعهما خمسة عشر طالباً ، وحدد برسبای في حجة وقفه عددهم بخمسة وعشرين ، ومن المدارس التي لم تحدد عدد الطلبة مدرسة الظاهر بپرس ومدرسة السلطان حسن (١٦٩) ، ولحسن الضبط هناك موظف يسمى « كاتب الغيبة » لمن يتخلف من الطلبة « وإن سامح لمجرد حطام يأخذه من الفقيه فهو على شفير جهنم » (١٧٠) .

ويتبع المدرسة خزانة كتب ، غالى بعض مؤسسى المدارس في ملتها بأنواع الكتب المختلفة ، فثلاثون مدرسة الأمير محمود الأستادار المصاحف النادرة المخطوطة (١٧١) ، منها عشرة مصاحف حجم الواحد منها ٥١٠ أشبار ، ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال ، ولهذه الخزانة عامل يسمى « خازن الكتب » مهمته إعارة الكتب وتفضيل فقراء الفقهاء ، ومراعاة شرط الواقف إذا كان قد نص على أن تكون العارية نظير رهن أم لا ، ومن مهامه فوق ذلك ترميم الكتب « وحبكها عند احتياجها للحبك » (١٧٢) .

وبجانب المدرسة ، وربما ألحق بها ، الكتاب ، ويكون للتعليم عامة أو لتعليم الأيتام ، ويعرف القائم بالتعليم فيه باسم « معلم الكتاب » أو معلم

الصبية أو الفقيه ، والكتاب لتعليم القرآن والخط ، والملاحظ أن معلم الصبية خاضع لرقابة المحتسب فتتضي عليه قوانين الحسبة ألا يعلم الخط في المساجد حتى لا يعيث الصبيان بالكتابة على جدرانها ، وألا يستخدم الصبية في قضاء حاجاته (١٧٢) . ومن المدارس التي ألحقت بها كتاتيب : مدرسة الظاهر بيبرس ومدرسة الأمير مغلطاي ومدرسة الأمير طبرس .

هناك مؤسسات أخرى كان من بين أهدافها التعليم بجانب التفرغ لشئون العبادة ، كالمساجد والخوانق والزوايا والربط والترب ، فرتبت فيها دروس في الفقه على المذاهب الأربعة والحديث وقراءة القرآن ، كما كان الشأن في خانقاه بيبرس الجاشنكير التي بناها سنة ٥٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م ، وخانقاه شيخو التي تمت عمارتها سنة ٥٧٥٦ هـ - ١٣٥٥ م (١٧٤) ، ورواد الخوانق من الصوفية (١٧٥) بلغ عددهم في خانقاه الجاشنكير ٤٠٠ صوفي ، وفي خانقاه الناصر بسرياقوس مائة ، وكان الناصر قد بنى هذه الخانقاه عام ٥٧٢٥ هـ - ١٣٢٤ م (١٧٦) ، وربما تطوع بعض رجال العلم من الصوفية لإلقاء دروس على العامة في الطرقات أو التنقل في هذه المؤسسات ، غير مقيد بمكان معين أو موضوع معين ، ويطلق عليه في الطرقات العامة اسم « القاص » وفي هذه المؤسسات « قارئ الكرسی » ، ويختلف القاص عن قارئ الكرسی ، في أن الأول يقرأ من محفوظاته على حين يقرأ الثاني من كتاب (١٧٧) ، غير أن بعض الواقفين قد يشترط على الصوفية ألا يكون منهم قاص ، كما فعل الأمير شيخو (١٧٨) . وتكاد أمور التعليم تنصب في الزاوية على الأحاديث وروايتها ، فضلا عن أداء واجب الضيافة ، وروادها من المستحقين (١٧٩) ، ومن الزوايا المعروفة زاوية الأمير جيرك السلاحدار أحد أمراء قلاوون وهي التي بناها خارج باب زويلة عام ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م (١٨٠) ، وأدت الربط ما يؤديه الملجأ للمحتاجين من الرجال والنساء ، مثل رباط الأمير أيلك الأفرم أمير جاندار بيبرس ، بناه عام ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م ، ورباط البغدادية الذي أقامته السيدة « تذكاري باي خاتون » ابنة السلطان بيبرس سنة ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م ، ونسبته

إلى الشيخة الصالحة زينب البغدادية ، وجعلته للنساء الصالحات والمطلقات حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن (١٨١) ، كما أن بالرباط دروساً في الفقه وحفظ الأوراد ، بجانب العبادة ، مثال رباط الآثار لصاحبه الوزير تاج الدين محمد بن محمد بن محمد بن السيد محمد المتوفى عام ٥٧١٧هـ - ١٣١٧م . فقد كان بهذا الرباط دروس للفقهاء الشافعية وبه مدرس وعنده بعض الطلبة . ولم تخل بعض الترب من أماكن للتعليم ، مثل تربة السلطان قايتباي ، فقد قرر سنة ٨٧٩هـ - ١٤٧٤م ، أن يكون بها « التدريس والعبادة » (١٨٢) . ويتصل بالتعليم بعض الحرف كالوراقة والنسخ والتجليد والتذهيب ، ولكل صاحب حرفة من هذه وصايا تنظم عمله وتوضح له حدود الدقة والأمانة (١٨٣) .

أما موارد النفقة على هذه المؤسسات فهي الأوقاف من ضياع وحوانيت ودور وفنادق وحمامات ورباع ومطابخ سكر وطواحين وبساتين (١٨٤) ، فضلاً عن المنح والمخصصات والطعام ، وربما أضيف المسكن للمدرسين في بعض المدارس . ولذلك اختلفت رواتب المدرسين تبعاً لمقدار الأوقاف المرصود وشروط الواقفين ، فبلغ راتب المدرس في مدرسة الأمير جمال الدين محمود الأستاذار ، كما قرره هو ٣٠٠ درهم في الشهر ، على حين كان راتب المدرس في المدرسة الطبرسية ٦٠ درهماً ، وراتب المعيد ٤٠ درهماً ، وربما روعي نقص المرتب في المدرسة الأخيرة لامتنياز آخر توفر لمدرسيها دون غيرهم ، وهو توفير سكن لهم فوق المدرسة (١٨٥) ، ونصت حجة وقف برسباي فيما نصت ، على أن يكون راتب رجل العلم ١٠٠ درهم في الشهر (١٨٦) . وقد يمنح المدرسون بعض هبات ، كما فعل السلطان المؤيد حين وزع على كل منهم عشرة دنائير بالإضافة إلى إردب من القمح (١٨٧) ، وربما حرموا من بعض المخصصات ، كما فعل قايتباي سنة ٨٧٣هـ - ١٤٦٨م حين قطع عنهم راتب اللحم (١٨٨) . وبلغ راتب الطالب في مدرسة الأستاذار ٣٠ درهماً

في الشهر ، بجانب ثلاثة أرطال من الخبز في اليوم (١٨٩) ، وخصص مبلغ ٧٠٠ درهم في حجة برسبای خمسة وعشرين طالباً (١٩٠) .

وكما كانت نظرة الممالك إلى التعليم والنفقة عليه ، على أنه من أعمال البر والخير ، كذلك لم تخل وسائلهم في مقابلة النوازل التي كثر وقوعها ، من هذه النظرة ، إذ أن الطبقات الدنيا كانت أكثر الطبقات تأثراً بهذه المحن ، وهذا لا يعني عدم تأثر الطبقات العليا أحياناً ، وأمثال هذه النوازل ، خطر المجاعات والأغلية التي كانت تعقب انخفاض النيل ، وخطر الأوبئة الحاصدة التي تلاحقت في تلك الحقبة ، على أن هذه الأحداث لم تقتصر على العوامل الطبيعية فحسب ، بل كان لسياسة بعض أولى الأمر أثرها في حوادث الغلاء بصفة خاصة ، كأن يفرض السلطان على « السوق » مبالغ من المال يحصلها له المحتسب باسم « المشاهرة والجامعة » ، وقد بلغت هذه المشاهرة في عهد قايتباي ألف دينار وأبطلها سنة ٨٧٢هـ - ١٤٦٧م ، لكنها عادت على عهد الغوري ووصلت إلى ٢٧٠٠ دينار ، ثم ألغيت وأعيدت أكثر من مرة من الغوري (١٩١) .

وفي نظير ذلك يترك البيع حراً فيتغالي « السوق » في السعر لتوفية ما عليهم ويقولون : « علينا مال نورده كل شهر » وليس غريباً في ذلك المجتمع أن يكون على هذا البند من الإيراد جماعة من الأمراء المقطعين الذين لا إقطاعات لهم من أبواب الإيرادات الأخرى ، فكانوا محالين على المحتسب بما يتحصل له من المشاهرة والجامعة ، وبمعنى آخر لعب الإقطاع دوره في حوادث الغلاء ، وكما كان الظلم من عوامل الغلاء كذلك كان العدل والعطاء من وسائل الرخاء (١٩٢) .

ويلاحظ أن متوسط أغلب الأسعار حتى أواسط القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) لإردب القمح مثلاً ١٥ درهماً ، وإردب الشعير ٩٠ درهماً ، وبقية الحبوب حول هذه الأسعار ، وتراوح سعر الرطل من اللحم من نصف درهم إلى ما فوق ذلك بقليل ، وجيد الدجاج من ٢ - ٣ دراهم للطائر « والدون » منه بدرهم واحد ، ثم ارتفعت بعد ذلك إلى نحو أربعة

أمثالها (١٩٣) ، فإذا كان متوسط السعر لإردب القمح ١٥ درهماً ثم علا إلى أربعة أمثاله (٦٠ درهماً) في تلك الفترة ، ثم عد من الرخاء في أواخر عصر المماليك أن يكون هذا السعر ٨٠٠ درهم (١٩٤) وللشعير ٤٠٠ درهم (١٩٥) ، وفي الغلاء تراوح إردب القمح بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ و ١٥٠٠ درهم (١٩٦) ، فلا شك أن هذا يدلنا على ارتفاع مستوى الحياة عامة في أواخر العصر المملوكي وهذه حقيقة كبرى يرجح أنها نتيجة لكثرة ما تعرضت له البلاد من الطواعين وما ينتج عنها من قلة الأيدي العاملة ونقصها باطراد ، ولا سيما في الفلاحين والصناع ونحوهم ، ويترتب على ذلك قلة الإنتاج وقلة المعروض ، حتى إنه جاء وقت خلال سنة ٨٨٥٤هـ - ١٤٥٠م عدت فيه الحضرات نهائياً (١٩٧) .

وكان الجانب السلبي أغلب ما استطاعته حكومة المماليك لمقابلة هذه المحن ، كالاستسقاء (١٩٨) وتلاوة القرآن وقراءة الأحاديث ، وكذلك الاستعانة ببركات بنى العباس (١٩٩) ، أو اللجوء إلى رجال القلم من القضاة وأهل العلم للدعاء ونحو ذلك ، ثم الصدقات على الفقراء والمعوزين في تلك الظروف بمنحهم القوت الضروري ، أو جمعهم وتوزيعهم على الأثرياء ، والتحكم في الأسعار بتحديداتها ، وإن أغضب التسعير فريقاً من المجتمع وعرض المحتسب إلى خطر لا يحسد عليه . وقد يفتح بعض السلاطين مخازنه للبيع بسعر معتدل ، تخفيفاً لوطأة الغلاء ، وفي حالة الوباء وكثرة الموتى يتصدق البعض بالغسل والتكفين والدفن ، وهكذا من أعمال البر .

فلما انخفض النيل مثلاً في سنة ٨٨٥٣هـ - ١٤٤٩م ، وشرقت البلاد وارتفعت الأسعار (٢٠٠) ، رسم السلطان جقمق للناس بالخروج للاستسقاء ، فخرج القضاة الأربعة والخليفة المستكني ومشايخ العلم ، كما خرج أطفال المكاتب وعلى رؤوسهم المصاحف ، واليهود وعلى رؤوسهم التوراة ، والنصارى وهم يحملون الإنجيل (٢٠١) ، واستمرت موجة الغلاء حتى سنة ٨٨٥٥هـ - ١٤٥١م ، ثم انحط السعر قليلاً في سنة ٨٨٥٦هـ - ١٤٥٢م ، فعد ذلك رخاء (٢٠٢) ، وفي سنة ٨٨٦٦هـ - ١٤٦١م ، توقف النيل عن الزيادة فأمر السلطان جقمق القضاة

والمشايخ والعلماء بالتوجه إلى المقياس للمبيت عنده وتلاوة القرآن والحديث الشريف ورفع الأكف تضرعاً إلى الله تعالى لزيادة النيل ، ولما لم يزد النيل بعد عدة أيام وليال على هذا النحو ، استفتى السلطان بعض المشايخ فأفتوه بجمع بنى العباس رجالاً ونساء وأطفالاً ، على أن يضعوا في أفواههم شيئاً من الماء ثم يمجونه في إناء ويصبونه في « فسقية المقياس » ، ويقول ابن إياس : ففعلوا ذلك فكان فيه البركة ، إذ توجه القاضي علم الدين صالح البلقيني وأقام ثلاثة أيام فزاد النيل وكان لعودته شاقاً القاهرة رنة فرح انطلقت النساء بالزغاريد له من الطيقان (٢٠٣) .

ومن أحداث الطواعين ، نلاحظ أنها مقترنة دائماً بالغلاء ، وربما صادفت هبوط النيل في بعض الأحيان وشح بعض الأغنياء مما يضاعف في أثر المحنة .

في وباء ٥٧٧٥هـ - ١٣٧٣م الذي أعقب الغلاء الناتج عن قصور النيل عز وجود القوات الضرورية ، ولم يقدر الأثرياء الظرف الراهن ، فلم يزدوا أجره العمال من البناء والفعلة والحمالين ونحوهم ، مما أدى إلى موت الكثير منهم ومن الفلاحين والفقراء ، ولكن السلطان الأشرف شعبان لم يقف مكتوف اليدين أمام هذه المحنة وهذا التصرف ، فانتدب نائبه منجك ليقوم بجمع « الحرافيش » ، وهم الفقراء ، وتوزيعهم على الأثرياء من الأمراء وغيرهم من مياسير التجار ، فبعث إلى كل شخص عدداً يتناسب مع مرتبته وطاقته ، فأخذ أمير المائة مائة فقير وهكذا ، كما فرق على الدواوين والتجار وأرباب الأملاك والأموال عدداً يناسب طاقتهم ، ونودى في مصر والقاهرة ألا يتصدق أحد على حرفوش وأى حرفوش شحت صلب ، فآوى كل واحد فقراءه (٢٠٤) ، ولما اشتدت وطأة الوباء في رمضان من تلك السنة ، مات الكثير حتى بلغ عدد الطرحاء في كل يوم ٥٠٠ فقير ، فأنبرى بعض الأمراء أمثال الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير أتبغا آص ، والأمير سودون الشيخوني وغيرهم ، ونادوا بأن من أتاهم بميت طريح ، أعطوه درهماً ، فأتاهم الناس بالأموات ،

فقاموا بتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم (٢٠٥) ، وفشا الموت في الأغنياء (٢٠٦) بل إن السلطان برسباي لم ينج من المرض والإصابة في طاعون ٨٨٤١هـ - ١٤٣٧م ، فاختلط عقله أو على حد تعبير ابن إياس « حصل له مالىخوليا » مما جعله يصدر أوامر غريبة كتنفى الكلاب إلى الحيزة وقتل بعض الأطباء ومنع النساء من الخروج (٢٠٧) .

وفي طاعون وغلاء سنة ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢١هـ / ١٤١٥ و ١٤١٨م ، استسقى الملك المؤيد « كما جرت العادة » اودبح الأغنام وبر الفقراء (٢٠٨) ، وكان قايتباي يفتح شونه ويبيع بأقل من السعر الكائن وفقاً للناس (٢٠٩) . وبجانب هذه الوسائل للمكافحة ، نجد التسعير الجبرى الذى لجأ إليه ولاية الأمور وتشددوا في تنفيذه ضاربين المثل بالبيع من مخازنهم بالسعر المحدد ، كما فعل بيبرس سنة ٦٦٢هـ - ١٢٦٣م ، إذ أمر بأن يباع من « أمراهه » ٥٠٠ إردب كل يوم بما قدر من السعر (٢١٠) ، وكذلك فعل قايتباي في سنة ٨٩٢هـ - ١٤٨٦م / ١٤٨٧م ، وزاد بأن « صار المحتسب يضرب الكثير من السوق على عدم بيع الخبز وإظهاره على الدكاكين » (٢١١) . ومن المتناقضات أن يتعرض المحتسب أحياناً إلى الإيذاء سواء أدى واجبه على الوجه الأكمل أم قصر فيه .

فالتسعير الجبرى يأمر به السلطان ولا يرضى عنه فريق من الناس ، والضحية في هذه الحالة هو المحتسب ، ثار الممالك الجلبان في سنة ٨٩١هـ - ١٤٨٦م ، وتوجهوا إلى منزل بدر الدين بن مزهر المحتسب لحرقه بسبب تسعير اللحم والبضائع والخبز والحب ، ولكنه اختفى فقصدهوا إلى السوق وكسروا أبوابها ونهبوا القمح والشعير من شون السلطان والأمراء (٢١٢) . وهذا السلطان قايتباي يأمر في سنة ٨٩٤هـ - ١٤٨٨م ، بإحضار المحتسب كسباي ويؤنبه ثم يأمر بيطحه على الأرض وضربه نحو ٢٠ عصا ، وذلك لأنه قصر في واجبه وأنه « لم ينظر في أحوال المسلمين ، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار » (٢١٣) .

وجرائم المجتمع الإقطاعي المملوكي كثيرة ، أخطرها وأكثرها وقوعاً
الفتن وحوادث المؤامرات والخيانات ، وما تتضمنه من نهب وتخريب ،
وهذا أخطر جانب أودى بالإمبراطورية المملوكية في نهاية الأمر ، ولذلك
نجد أن أقسى عوامل الانتقام وأشد ألوان التعذيب كانت تطبق على مشري
الفتن ، على أن وراء هذه الحوادث مجتمعة ومتفرقة يكمن الإقطاع صاحب
الدور الخطير ، فقد كان غاية ووسيلة ، غاية للحصول عليه مهما كان اثمن ،
والغدر أو الخيانة ثمن مألوف يسير يومئذ ، ووسيلة حين يستأديه الطامع
أو الثائر لجلب الأنصار ، فتسمع في غمار الثورات والفتن عبارات : إن كل
من جاب له رأس أمير كان له إقطاعه (٢١٤) ، أو من أراد الإقطاع والنفقة
فليحضر (٢١٥) ، أو أن أميراً معيناً أغرى ممالك منافسه بالمال والإقطاعات ،
وهكذا .

ورأس الفتنة جميعها النزاع على السلطنة ، إذا علمنا أن مبدأ الوراثة
لم يكن معترفاً به ، بل إن قيام دولة المماليك في أول أمرها كان اغتصاباً ،
وهذه سابقة خطيرة لحوادث الولاية والسلطنة ، وكانت السلطة لمن غلب (٢١٦)
غير أن هذا لا ينفي ما وقع من أحداث الوراثة وإقامة الأوصياء للوارث
الصغير ، ولكن وصول هذا الوارث إلى العرش ، اعتمد إلى حد كبير على
مدى ما كان لسلفه من مكانة وقوة في نظر المماليك فضلاً عن رغبة المماليك
أنفسهم في إقامة هذا الوارث ، نظراً للمنافسة وعدم الاتفاق فيما بينهم على
من يلي السلطنة ، ولحل المشكلة مؤقتاً يقام الوارث حتى ولو كان صغيراً ،
ربما يتمكن الطامع في الوقت المناسب من إقامة نفسه (٢١٧) ، ثم إن استمرار
هذا الوارث في الحكم أو عودته إليه إنما يرجع إلى ما يتمتع به من صفات
شخصية وما له من عصبية وقوة ودهاء تمكنه من العودة ، فضلاً عما يراه
الأمراء المتنافسون أنفسهم (٢١٨) .

ولذلك نجد معظم نشاط السلاطين في الأمور الداخلية ، موجهاً نحو
تأمين عروشهم بإجراء حركة تطهير عند ولايتهم وبين آونة وأخرى (٢١٩) ،

ثم بقمع الفتن وتجريد التجاريد للقضاء على المنافسين والخارجين عليه ، ويدلنا هذا من جانب آخر على أن رباط الولاء لم يكن ثابتاً وإنما تذبذب بين الأفقية والرأسية ، أو بين الولاء المستعرض المتبادل بين (الحشداشية) من الممالك أو الأمراء ، وبين الولاء القائم الرأسى نحو الأستاذ : أميراً كان أم سلطاناً .

فلانقول : إن رباط التبعية وحقوق الأستاذية أو السيادة ، قد أحيطت بهالة من التقديس والاحترام ودلت فيما دلت على معاني « التهذيب والركة والدمائة » كما تصوره الملاحم الإقطاعية في الغرب (٢٢٠) ، ولكنها أشبهت في كثير من تفاصيلها ما كان يقع في الإقطاع الغربي من فتن وخيانات وخروج ، وما حوادث خلع السلاطين وسجنهم وقتلهم وحوادث الفتن والخيانات بين الأمراء إلا التعبير العملي عن مدى هذا الولاء ، ومن أمثلة الولاء المستعرض بين الحشداشية خروج ممالك الأمير يلغا في عهد شعبان سنة ٥٧٦٨ - ١٣٦٦م عليه تعصباً لأحد خشداشيتهم إذ ضربه يلغا بالمقارع وقطع أنفه ، فتعصبوا له ضد أستاذهم ووثبوا عليه وهو يتصيد مع السلطان في بر الحيزة ، فلاذ الأمير يلغا بالفرار في زى فلاح (٢٢١) ، ودرجة الولاء الرأسى بارزة في معظم الفتن والثورات بين الأمراء أنفسهم حيث يعضد كل أمير ممالكه ، أو بين الأمراء والسلطان .

ولما كانت للأرقام دلالة تغنى عن كثير من التفاصيل ، فحسبنا هذه الإحصائية أو هذا البيان الرقمي دلالة على مدى ما ازدحم به هذا العصر من أحداث الفتن : بلغ مجموع من تولى عرش السلطنة المملوكية : ٤٩ سلطاناً منهم (٢٢٢) ٢٤ للدولة المملوكية الأولى و ٢٥ للدولة المملوكية الثانية : —

مات منهم على عرشه	:	١١	سلطاناً
خلع أو خلع وسجن	:	٢٤	سلطاناً
قتل	:	١٣	سلطاناً
من تولى بالوراثة	:	٢٦	سلطاناً
من تولى اغتصاباً	:	٢٢	سلطاناً



ولعل في الجداول المراقبة وما فيها من مدد الحكم المتفاوتة ما بين أيام إلى شهور إلى سنوات ومصير كل سلطان ، ما يلقي كثيراً من الضوء على ما عينته من تعميم الفتنة والفوضى خلال عصر المماليك .

على أن الخارجين ومشرى الفتنة والمغتصبين لقوا أشد أنواع التنكيل والتعذيب ، متى تمكن منهم ولي الأمر (٢٢٢-٢٢٧) .

فعلى أثر مقتل خليل في سنة ٦٩٣هـ - ١٢٩٣م ، وتولية الناصر ، ضربت رقاب بعض القتلة وأحرقت جثثهم ، كما قبض على فريق آخر وقطعت أيديهم وأرجلهم ثم صلبوا على الجمال وطيف بهم وأيديهم معلقة في أعناقهم (٢٢٨) ، ولما ولي الناصر سلطته الثانية في سنة ٧٠٩هـ - ١٣٠٩ ، قبض على بيبرس الجاشنكير الذي كان قد اغتصب الملك منه ، وأمر بخنقه بوتر حتى كادت روحه تزهق ، لكنه تركه قليلاً إمعاناً في التعذيب ، وأخذ يسبه ويعنفه ثم خنقه ثانياً حتى مات (٢٢٩) . وحدث أن خرج « بهادر » أحد مماليك المؤيد داود صاحب اليمن الخاضع لسلطين المماليك ، وانتزع السلطنة من المجاهد بن المؤيد ، فأرسل الناصر محمد جيشاً في سنة ٧٢٥هـ - ١٣٢٤م ، انتهى بالقبض عليه « وتوسيطه » بالسيف ، أي قطعه نصفين (٢٣٠) ، وقبض السلطان شعبان في سنة ٨٦٧هـ - ١٣٦٥م على اثنين من الخارجين عليه وأمر بقطع لسانيهما ونفيهما إلى الشام (٢٣١) ، ولما خرج الأمير على باي على السلطان برقوق في سنة ٨٠٠هـ = ١٣٩٧م ، قرر السلطان « ضربه » ووضع السعوط في أنفه وعصر رجله إلى أن كسرها ثم ضربه على ركبتيه حتى تفتحتا ثم ضربه بدبوس في صدره حتى مات ، وفي السنة نفسها عوقب ابن الطبلاوى والى القاهرة بالعصر في أكعابه والضرب بالكسارات وإسقاؤه الجير بالملح (٢٣٢) ، وفي خلال مرض السلطان قايتباي في سنة ٨٨٢هـ - ١٤٧٧م ، كثرت الأراجيف وتحركت المطامع وأشيع موته ، وكل حدثه نفسه بتأييد شخصية في السلطنة ، ولما كان برد بك أحد الأمراء الآخورية بارزاً في هذا الصدد ، استجوبه الأمير يشبك

الدبّادار وأدانه ، ثم أمر بضربه وأحضر له « عمامة يهودية صفراء » وألبسه إياها ، وشهره بالقاهرة على حمار بعد أن « جرسه بين يديه في الدوار » ، ثم « شكه في الحديد » ونفاه إلى الواحات . وفي زمن قايتباي كذلك عوقب شخص بالتسمير على لعبة من الخشب والتشهير بالقاهرة عام ٨٩١هـ - ١٤٨٦م ثم في وسط جزيرة القيل ، كما عوقب شخص آخر بقلع عينيه وقطع لسانه ، وهكذا (٢٣٣) .

وند يعاقب الخارج بأكثر من عقوبة نظراً لقدر الحرم الذي ارتكبه ، ولدينا شاه سواره التركماني ، أعظم أولاد دلغادر ، فقد خرج أكثر من مرة وجرد الممالك ضده أكثر من حملة فلما قبض عليه في سنة ٨٧٧هـ - ١٤٧٢م ، وضع في عنقه « الجنزير » وجيء به إلى القاهرة (٢٣٤) حيث استشار قايتباي العلماء في أمره ، فأفتوه بأنه خارجي ولا ينبغي أن يبقى على قيد الحياة (٢٣٥) .

وحينئذ أمر السلطان بتشهيره في القاهرة مع إخوته ، بأن ألبسوه ملوطة بيضاء وجعل في عنقه طوق من حديد ، وفيه عامود من الحديد ينتهي بجرس ، « وسمّر » إخوته وطيف بهم على الجمال وهم عرايا ورءوسهم مكشوفة وأمامهم المشاعلية تنادي عليهم « هذا جزاء من يخامر على السلطان » ، فلما وصلوا إلى باب النصر أمر السلطان « بتوسيطهم » فوسطوا واستمروا معلقين يوماً وليلة والناس ينظرون إليهم ثم أنزلوهم وغسلوهم ودفنوهم (٢٣٦) ، ويقال إنهم « شنكلوا » أي شنقوا بباب زويلة (٢٣٧) .

كذلك دلت مظاهر الكراهية العنصرية بين الرعايا العرب وسلاطين الممالك ، على أنها من أكبر أسباب الفتنة ، برغم أن طائفة الأعراب حازت كثيراً من امتيازات رجال السيف ، بل تمتعت باستقلال محلي محدود في مشيخاتها ووراثه هذه المشيخات (٢٣٨) ، مما لم يصل إليه أمراء الممالك أنفسهم فلم ينس العرب الكراهية ولم يتخلوا قط عن الحق الدفين فنفضوا عنه في ثوراتهم وإفسادهم وتخريبهم المستمر ونهب إقطاعات الأمراء وقتل الفلاحين والاعتداء

على الحجاج والامتناع عن دفع الحراج (٢٣٩) ، بل التآمر عليهم مع منافسيهم ، وقد بدا ذلك واضحاً منذ قيام المماليك في السلطنة فقد « أنف » الأمير نجم الدين على زعيم عرب الجعافرة « من سلطنة المماليك الأتراك » وجمع وهطه بمصر ، وثار في سلطنة أيلك وكاتبه الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب دمشق (من الأيوبيين) . ولكن المماليك قبضوا عليه وقتلوه شنقاً في عهد بيبرس (٢٤٠) .

وكما تفنن العرب في أنواع الإيذاء والتخريب ، تفنن المماليك في ألوان القمع والضرب على أيديهم ، من تعذيب وتجريس وقتل شر قتلة ، وبذر التفرقة والانقسام بينهم وهكذا .. ، فمثلاً سمر السلطان إينال سنة ٨٥٨هـ - ١٤٥٤م شخصاً من العرب يقال له « الفضل » وأشهره في القاهرة مع أولاد عمه ثم أمر بسلخهم وإرسالهم إلى بلاد الشرقية ليكونوا عبرة لغيرهم من المفسدين (٢٤١) . وأنزل الأمير يشبك الدوادر عقوبة الشوى بالنار والسلخ والدفن أحياء والخوزقة بالمفسدين من عربان الصعيد بصدد جمعه المحصول سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٨ م ، ثم إن طومان باي اكتسح عرب غزاة بالصعيد سنة ٩٠٤هـ - ١٤٩٨م ، وكلبهم على أبواب المدينة ورجمهم بالحجارة وهكذا (٢٤٢) .

لذلك تربص العرب الدوائر بالمماليك ، وترقبوا كل نازلة تحيق بهم ، فكانت أخطر ثوراتهم على دولة المماليك ، ما وقع خلال اشتباك السلطنة في حرب خارجية ، فقد أقبل العرب بعضهم على بعض ، خلال انشغال قايتباي بحرب العثمانيين سنة ٨٩٣هـ - ١٤٨٧م ، وقالوا : « إن مصر ما بقي بها من العسكر إلا قليل » وعلق ابن إياس على هذا بقوله « وزاد طمعهم في الترك » ، مما جعل السلطان يشدد الرقابة عليهم (٢٤٣) . وأشد نكايه من هذا ، ما حدث عند خروج السلطان الغوري لقتال السلطان سليم العثماني إذ انتهز عبد الدائم بن بقر شيخ عربان الشرقية هذا الظرف السانح ، وقطع الطريق على القوافل الواردة من الشام ، وقتل جماعة من المماليك السلطانية ، واستولى على خيولهم وسلاحهم ، وعلى أثر وقعة الريدانية تشتت أمراء المماليك

الجراكسة في بلاد الشرقية ، فاستولى عبد الدائم على خيولهم وسلاحهم ، بل أخذ ما عليهم من الثياب ، يقول ابن لياس : جُمع أموالاً لم تجمع لآبائه ولا لأجداده ، بل نهب أموال العساكر وغيرهم من أموال المقطعين وعمل من المفاسد بالشرقية ما لم يسمع بمثله (٢٤٤) .

وبعد أن نفذت الجهود الجبارة التي بذلها السلطان طومان باي للاحتفاظ بسلطنة الممالك ، وبعد أن تشتت أنصاره ، لجأ إلى حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة فأمنه وأقسم له هو وإخوته على المصحف ألا يوحوا بسرّه ، وبرغم هذا تولى بعض مشايخ العرب مهمة القبض على أعوان طومان باي البارزين ، أمثال الأتابكي سودون الدوادر ، وأسرع ابن مرعى حائثاً في قسمه ، وكافراً بأيادي طومان باي عليه ، يوم دفع ما تراكم عليه من ديون أيام الغوري ، وأرسل إلى السلطان سليم للقبض على من أوى إليه وائتمنه فأمنه ثم خانه (٢٤٥) .

ومن الجرائم الأخرى ، كثرة السرقات وتنظيم هذه الجريمة في جماعات أو عصابات ، تعرف باسم « مناسر الحرامية » وقد يصل عدد المنسر الواحد إلى مائة شخص وفيهم مشاة وركاب ، وشأن هذا الفريق كشأن غيرهم من أعداء المجتمع ، لا ينشطون إلا عند اختلال الأمن واشتغال أولى الأمر في حرب أو فتنة . حقيقة اقترنت الفتن السابقة بالسرقة والنهب ، ولكن ذلك كان أشبه ما يكون باستباحة كل ما يقع أمام التأثيرين جهراً وعنفاً ، على خلاف هذه المناسر فإنها قد امتهنت السرقة ، فتسرق وتختفي .

والموظف المختص بتعقب هذه الطائفة والضرب على أيديها ، حفظاً للأمن والأموال ، هو والى القاهرة (٢٤٦) في العاصمة ، والولاة والكشاف بالأقاليم ، وخارج مصر النواب ومعاونوهم . والأمثلة على هجوم مناسر الحرامية ، أكثر من أن تحصى .

فمثلاً عندما خرج السلطان فرج في سنة ٨٠٢هـ - ١٣٩٩م ، لقمع فتنة بالشام ، كثرت المناسر في القاهرة حتى صار في كل حارة مركز يغفرونها

فى الليل من الحرامية وصاروا يخطفون العائم فى الحارات الظهر « (٢٤٧) ،
وهجم « المنسر » فى عهد قايتباى على سوق باب الشعرية سنة ٨٩١هـ - ١٤٨٦م
وقتلوا البواب وفتحوا عدة دكاكين (٢٤٨) ، وازدادت سطوتهم فى عهد محمد
ابن قايتباى وكثر هجومهم ونهبهم للأسواق كسوق تحت الربع وسوق الحاجب
فى سنة ٨٩٣هـ / ١٤٩٧م ، يقول ابن إياس : « وكانت المناسر قد كثرت جداً فى
تلك الأيام ، وصاروا يهجمون على الأسواق ، والحارات ويعططون فيها » (٢٤٩)
مما اضطر والى القاهرة إلى محاربتهم فضلاً عن اتخاذ تدابير وقائية كإنشاء أسوار
على بعض الأسواق (٢٥٠) أو تركيز جماعة من أعوانه بالأماكن المهجورة
كحكر أقبغا بجانب الخليج بين مصر والقاهرة لكثرة « الزعار » الذين يقطعون
الطريق على المارة (٢٥١) .

ومن وسائل التعذيب والعقوبة التى طبقت على اللصوص قطع الأيدي
والأرجل ، بل ربما أمر السارق بقطع يده ورجله بنفسه ، كما حدث فى عهد
محمد بن قايتباى فى سنة ٨٩٣هـ - ١٤٩٧م ، حين قبض والى القاهرة على
شخص من « السراق » ، فأمر السلطان بإلزام السارق بقطع يده ورجله
بنفسه ، ففعل بحضرة السلطان (٢٥٢) ، وقد يعاقب السارق بقطع اللسان وكحل
العينين بالنار كما فعل باللص المعروف بابن الوارث فى سنة ٩٠٤هـ = ١٤٩٨م
فى سلطنة قانصوه بن قانصوه الأشرفى (٢٥٣) .

وهناك جرائم أخرى كجريمة القتل ، والجرائم الخلقية ، وجريمة التجسس
وهى من الجرائم الخلقية والسياسية ، وكذلك الغش فى المعاملة ، وتزييف النقود
وقوبلت هذه الجرائم بما تستحق من حزم وعقوبة صارمة بجانب « التشهير
والتجريس » ، فهذه جارية بيضاء قتلت سيدها بالاتفاق مع غلام فى
سنة ٨٧٦هـ - ١٤٧١م ، فأمر السلطان قايتباى بشنقها وتشهيرها فى القاهرة على
جملين (٢٥٤) ، كذلك صلبت جارية سوداء قتلت سيدها فى سنة ٨٧٧هـ /
١٤٧٢م (٢٥٥) .

ولما أبطل بيرس الخمور والحانات والحواطىء وضمان الحشيشة وأعمال

الفساد الخلقى والشذوذ الجنسى فى سنة ١٦٦٤هـ - ١٦٦٥هـ ، أمر بصلب شخص مكبر يقال له ابن الكازرونى بعد أن أقام الحد عليه ، وعلق فى عنقه الحجره والقدح ، وكان لهذا الحادث أكبر الأثر ، وتغنى به الشعراء (٢٥٦) .

كذلك من الجرائم الخلقية ما لاحظته بيارس سنة ١٦٦٣هـ - ١٣٦٤م ، حين سار متنكراً ليرى أحوال الناس بالقاهرة ، فأمر بقطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين والخفراء وأصحاب الرباع (٢٥٧) ، وأمر قايتباى فى سنة ٨٧٩هـ - ١٤٧٤م ، بقطع خصيتي شخص من الأتراك يقال له شاهين وهو خازندار الأمير إينال الأشقر لارتكابه جريمة خلقية ، وصادت هذه العقوبة وجود شخص يهودى خبير « بالإخصاء » ، بمصر العتيقة (٢٥٨) ، ولما علم قايتباى فى سنة ٨٩٤هـ - ١٤٨٨م بتجسس رجل من حلب يدعى أحمد بن الديوان إذ كان يكتب العثمانيين ، أمر بسلخه هو ووالده وتشبههما بالقاهرة على جمال (٢٥٩) .

أما جريمة الغش فى المعاملات بتزييف النقود ، فقد كثرت فى أواخر عصر المماليك ، وربما كان بعض السلاطين مسئولاً عن هذه الحالة ، وتعرف النقود المزيفة باسم « الزغل » ويطلق على صانعيها ومروجيها اسم « الزغلية » ، ومن الأمراء من مارس هذه الجريمة فبينما نجد السلطان إينال فى سنة ٨٦٠هـ - ١٤٥٥م ، يقبض على عشرة أشخاص من الزغلية ويعاقبهم بالتوسيط ، إذ به فى السنة التالية يعقد مجلساً من القضاة ورجال العلم للبحث فى مسألة الغش ، واتفقوا على جمع نقود الدولة منذ عهد المؤيد شيخ ، إلى عهد جقمق وسبكها من جديد ، وأبطلوا ما عداها من النقود المنتشرة فى مصر ، كالدمشقية والحلبية ، ولكن اتضح أنه لم يوجد « أكثر غشاً وفساداً من ضرب فضة دولة الأشرف إينال » ، فوقف حال الناس ، مما دعاهم إلى رجم ناظر الخاص الحاج يوسف بسبب ذلك ، لذلك رجع السلطان عما أمر وأعاد كل شيء على حاله فى المعاملة الحلبية والدمشقية وغيرها (٢٦٠) ، وكان الأمير مثقال الطواشى رأس نوبة النواب ، يمتلك آلة لضرب الدراهم الزغل فى داره ويعاونه تمرغاً أحد

ممالك الأمير أزيك ، فلما علم قايتباي بذلك في سنة ٨٨٩ هـ = ١٤٨٤ م ، قبض عليهما ونفى الأول إلى مكة وسجن الثاني (٢٦١) ، كذلك كان لسياسة الغوري في فرض الأموال على دار الضرب أثرها في أن أخرجت هذه الدار عملة مغشوشة لتوفية ما عليها (٢٦٢) .

أما نظام القضاء فينقسم إلى نوعين : قضاء شرعي وقضاء مدني أو « حكم السياسة » ، ونظم القضاء الشرعي برئاسة قاضي الشافعية ونوابه من الشافعية وبقية المذاهب ، ورأى السلطان بيبرس في سنة ٦٦٣ هـ - ٦٦٤ هـ (١٢٦٤ م / ١٢٦٥ م) أن ينظم هذه الهيئة على أساس استقلال كل مذهب عن الآخر (٢٦٣) فعين ثلاثة قضاة آخرين من المذاهب الأخرى مستقلين عن القاضي الشافعي ، وظل هؤلاء جميعاً حتى تعيينهم لنوابهم بالبلاد المختلفة ، ويعرف هؤلاء الكبار الأربعة باسم « قضاة القضاة » أو « الحكام » ، ولكنه لم يحرم قاضي القضاة الشافعية من بعض الميزات ، فأبقى له المنزلة الأولى بحيث صار ترتيبهم على هذا النحو : قاضي الشافعية يليه الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي ، كما خصه بالنظر في أمر الأيتام والأوقاف وما يتعلق ببيت المال ، وظل هو خطيب « الجامع الأعظم » بالقلعة ، وعلى هذا الترتيب سار تنظيم القضاء بالنيابات الخارجية كدمشق وغيرها (٢٦٤) ، وحاول الخليفة المتوكل في عهد محمد بن قايتباي إعادة ما كان للقاضي الشافعي من سلطات سابقة ، فعين في سنة ٩٠٢ هـ - ١٤٩٦ م ، الشيخ جمال الدين السيوطي الشافعي (قاضياً كبيراً) على جميع القضاة ، يعين ويعزل من شاء مطلقاً في سائر الممالك ، ولكن القضاة احتجوا « واستخفوا عقل الخليفة » وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ، ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيراً فرجع المتوكل عن هذا التعيين (٢٦٥) .

ويعتبر رؤساء المذاهب الأربعة أهل « الحل والعقد » ، ويتمتعون بمنزلة أدبية كبرى ، ولهم نصائح لمراعاة العدل والنزاهة ونحوها (٢٦٦) ، أما النواب في الأقاليم فزاد عددهم في مصر عن مائتي نائب قاض أو « نائب حكم » (٢٦٧)

وهؤلاء غير « وكلاء » دار القاضى الذين يقومون مقام الدفاع فى العصر الحاضر ، ومهمتهم كما يصفها السبكي « التفهيم عن الموكل ومعرفة الواقعة والحق فى أى الطرفين ، وتعرضوا للمدح والذم تبعاً لمدى مراعاتهم لواجبهم (٢٦٨) وللقاضى كاتب وأمين ونقيب وحاجب ، ويتبع هذه الهيئة طائفة الشهود أو العدول .

ومهمة الكاتب فحص حجج الأوقاف والوصايا وتفسير مدلولات ألفاظها ، ويشترط فيه حسن الفهم ، حتى لا يضيع كثير من الوقف ، كما حدث نتيجة القصور عن فهم مدلولات ألفاظ الواقفين وشروطهم (٢٦٩) ، أما الأمين فهو الذى يستحفظ على أموال الأيتام والغائبين من المستحقين (٢٧٠) وينبه « النقيب القاضى على الشهود كما يرشد الشهود (٢٧١) » ، ويتولى الحاجب الاستئذان لذوى الحاجات ورفع الأمور إلى القاضى (٢٧٢) ، وعلى الشهود أو العدول مدار الحكم العادل فهم « قوام غالب المعاش والمبادلات » وشأنهم شأن وكلاء دار القاضى فى تعرضهم للسخط أو الرضا فى حالة الإساءة أو الإحسان (٢٧٣) ، ومن هؤلاء الشهود من يرقى إلى منصب قاضى الأقاليم كأن يكون قاضياً للفلاحين ، مثل خليل بن حسن بن حزب الله قاضى الفلاحين فى عهد السلطان برقوق ، إذ كان شاهداً فى بعض المراكز (٢٧٤) ، ومهمة هذا القاضى فنية أكثر منها شرعية أو تأديبية ، فهى تختص بأمور الفلاحة (٢٧٥) ، كما يختص المحتسب بقضايا التجار الخاصة بالمعاملات (٢٧٦) ، وهناك « قضاة العسكر » وعدتهم أربعة من كل مذهب قاض ، ويسافرون مع السلطان للنظر فيما يجد من أمور بين الجند ، كما أنهم يجلسون بدار العدل (٢٧٧) .

ورواتب القضاة من السلطان باعتبارهم من رجال القلم ، ومتوسط راتب القاضى ٥٠ ديناراً فى الشهر ، وهم بجانب ذلك استحقاقاتهم فى بعض الأوقاف ، كما أن هناك أوقافاً مرصودة للقضاة بصفة خاصة ، كما فى دمشق مثلاً (٢٧٨) .

ومن حيث القضاء المدنى وهو مالا علاقة له بالأحوال الشخصية ،

كالاعتداء أو الظلم والضرب والشئون المتعلقة بالدواوين ، وهذا ما عرف باسم (حكم السياسة) ، كما أطلق عليه كذلك « النظر في المظالم » ، عالج السلاطين والأمراء هذه السلطة ، وعالجها كذلك القضاة بالاشتراك مع السلاطين في مجالس أو حين يفشل السلطان في أمر من الأمور .

اتخذ السلاطين « المدارس الصالحية » (٢٧٩) مركزاً لجلوسهم للنظر في المظالم ، ثم انتقلوا إلى « دار العدل » التي بناها بيبرس سنة ٦٦١هـ - ١٢٦٢ م ، بالقلعة (٢٨٠) ، ومنذ عهد برقوق صار مجلس السلاطين بالإصطبل السلطاني بالقلعة حتى نهاية عصر المماليك (٢٨١) ، ويعقدون هذا المجلس يومين من كل أسبوع : الإثنين والخميس في أوائل عصر المماليك ، وحدد برقوق يوم الأحد والأربعاء ، وزاد ابنه فرج يوم الجمعة من بعد العصر (٢٨٢) ، وخصص المؤيد يوم السبت والثلاثاء أول النهار ويوم الجمعة بعد الصلاة (٢٨٣) ، وتبعه في ذلك برسباي (٢٨٤) وقايتباي (٢٨٥) .

وامتاز مجلس السلاطين للنظر في المظالم بإيوان دار العدل بالروعة والأبهة وحوله كبار رجال الدولة والحراس ، وعن يمينه القضاة الأربعة وعن يساره كاتب السر وحوله أمراء المشورة من أكابر الأمراء ذوي السن (٢٨٦) ، فتقرأ القصص على السلطان وإذا احتاج أمر فيها إلى مراجعة القضاة راجعهم ، وما يتعلق منها بشئون العسكر تحدث مع الحاجب وناظر الجيش ، ويحكم بما يراه فيما عدا ذلك . أما جلوس السلطان في الإصطبل للنظر في المظالم ، فجرت العادة أن يتوجه إليه في موكب يعرف « بموكب الإصطبل » ، ويجلس بين يدي السلطان كاتب السر لقراءة الشكاوى (٢٨٧) .

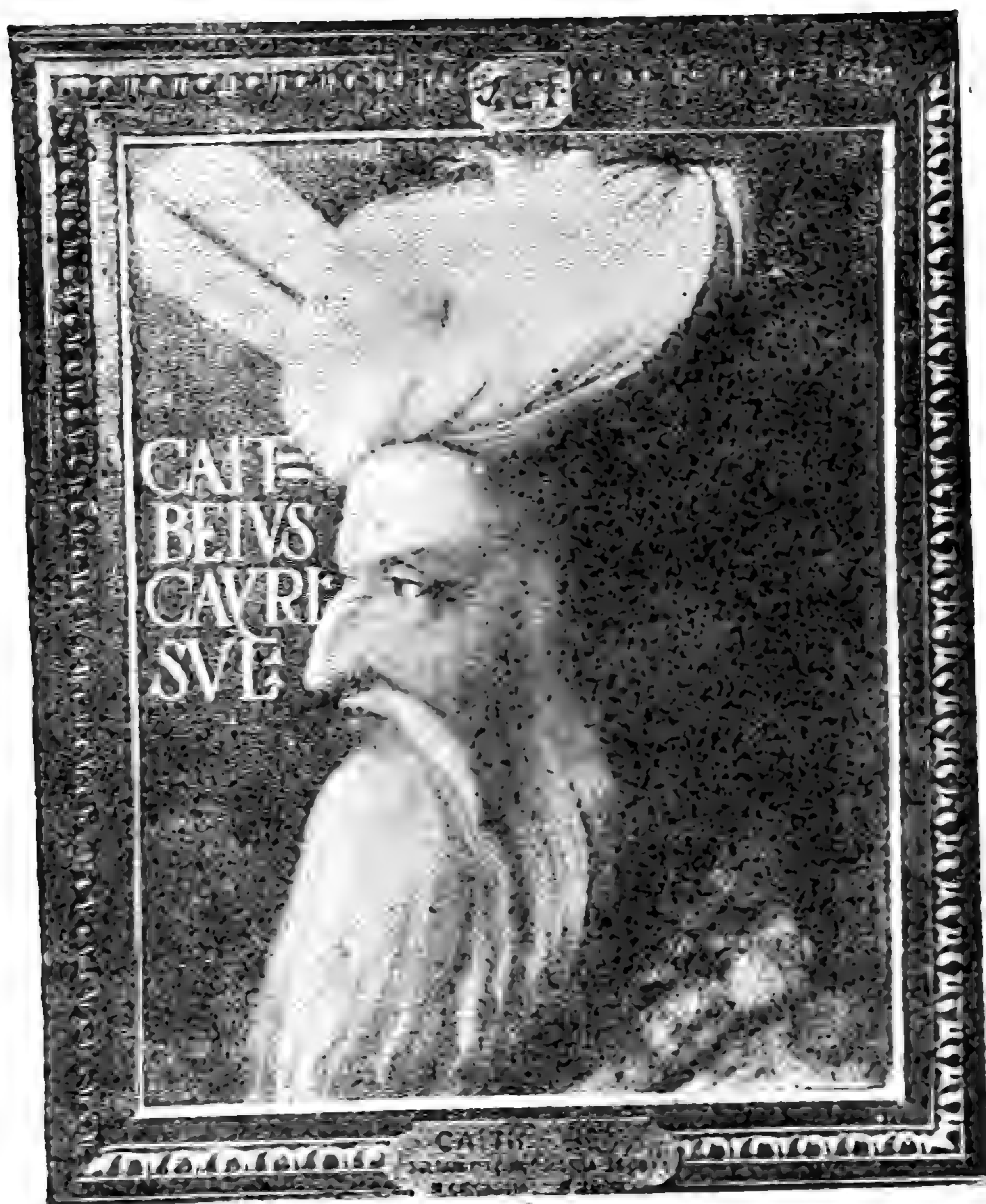
وللأمراء سلطة قضائية سواء أكانوا في نياباتهم أو ولاياتهم أو في إقطاعاتهم ، ومجلس الأمير للحكم في النيابة صورة مصغرة لمجلس السلطان بالإيوان بالقلعة (٢٨٨) ، ولأتايبك العسكر سلطة قضائية بحكم منصبه ، وعنده أحد كتاب الدست لتسلم القصص المرفوعة إليه ، وجرت العادة أن يتصرف

كاتب الدست في الأمور البسيطة من تلقاء نفسه ، وأما المسائل الكبيرة فلا بد من عرضها عليه وامتنال أمره فيما يرى ، ويوقع كاتب الدست عن الأتابك على الحكم الصادر بالحرف المشهور من اسم الأتابك ، فكان يكتب عن برقوق مثلاً قبل سلطته حرف « ق » . (٢٨٩)

ويلاحظ أن للقضاة الشرعيين سلطة على تصرفات الأمراء القضائية تشبه إلى حد ما الاستئناف ، فمثلاً بلغ قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة في سنة ٧٧٨هـ - ١٣٧٦م ، أن نائب السلطنة الأمير اقتصر الحنبلي جار في حكمه ، بأن أحضر صاحب دين وضربه بحضرة المدين ، فاستدعى برهان الدين دوادار الأمير ونهره وحط من شأن أستاذه ، فلم يستطع الدوادار أن يفعل أكثر من مدارة القاضي حتى خلص من مجلسه « وقد ملئ قلبه منه خوفاً » (٢٩٠) .

ولما كانت أحكام الأمراء محل رقابة ضمنية وفعلية من القضاة ، كذلك كانت أحكام القضاة والأمراء محل رقابة فعلية من السلطان ، تستأنف استئنافاً صريحاً أمام السلطان ، وربما عوقب القاضي أو الأمير ، فمثلاً قرر قايتباي في سنة ٨٧٦هـ - ١٤٧١م ، بعد أن كثرت شكاوى الناس (٢٩١) إليه ، ألا يشكو أحد للسلطان إلا بعد أن يرفع أمره لأحد الحكام ، فإذا لم ينصفه يقف بعد ذلك للسلطان (٢٩٢) ، وحدث أن رفعت امرأة قصة للسلطان قايتباي في سنة ٨٩٥هـ - ١٤٨٩م ، تشكو فيها بدر الدين بن القرافي أحد نواب المالكية فأحضره السلطان وضربه وغرمه (٢٩٣) ، ومن حق سكان الأقاليم من الفلاحين أن يرفعوا ظلامتهم للسلطان إذا استشعروا ظلماً من الوالي أو الكاشف أو الأمير المقطع فإن أجمعت الآراء على إدانته استحق العقوبة أو العزل (٢٩٤) ، على أنه إذا فشل السلطان في التوفيق بين أمرائه ، قد يتوسط القضاة في الصلح بينهم ، كما حدث في سلطنة علي بن شعبان في سنة ٧٧١هـ - ١٣٧٩م ، حين دب النزاع بين الأمراء فتوسط القضاة في الصلح (٢٩٥) ، وكذلك في عهد فرج في سنة ٨٠٤هـ - ١٤٠١م (٢٩٦) .

وأما رسوم القضايا ، فهذه يحصلها القضاة من « الأخصام » : الشاكي
والمشكو منه ، وللقاضي ومن يتبعه من الموظفين نصيب منها ، كما أن للسلطان
نصيباً آخر . ويحدد السلطان عادة المبالغ المطلوبة من القضاة ، كما حدث مثلاً
في سنة ٨٠٦هـ - ١٤٠٣م ، حين ورد مرسوم السلطان فرج إلى نائب دمشق
ليقبض من كبير القضاة بها ، وهو أبو البقاء مائتي ألف درهم وهي التي جرت
عادة القضاة بدمشق بينها للسلطان (٢٩٧) ، وحدد السلطان محمد بن قايتباي
في سنة ٩٠١هـ - ١٤٩٥م ، الرسوم التي يحصلها القضاة من « الأخصام »
بالأثر من عن نصفي قضاة (٢٩٨) .



السلطان قایتبای

(۸۷۲ - ۸۹۰ / ۱۴۶۸ - ۱۴۹۶ م)



السلطان قانصوة الغوري
(٩٠٦ - ٩٢٢ هـ / ١٥٥١ - ١٥١٦ م)



السلطان داودمان باي

(٩٢٢ - ٩٢٣ هـ - ١٥١٦ - ١٥١٧ م)

معلق على باب زويلة بالقاهرة

(١١ ربيع أول ٩٢٣ - ٢٣ أبريل ١٥١٧ م)

عن مخطوطة تركية في الملكية الأهلية ببافيس .

جدول رقم (١) من توفوا على عروشهم

الرقم	اسم السلطان	مدة الحكم	ملاحظات
١	بيبرس	٦٥٨ - ٦٧٦ هـ - ١٢٥٩ - ١٢٧٧ م	اغتنب السلطنة بقتل قطز .
٢	قلاوون	٦٧٨ - ٦٨٩ هـ - ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م	اغتنب السلطنة من سلاش بن بيبرس وكان مدبر دولته .
٣	الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٣ هـ وتوفي (١٣٤١ م)	خلع مرتين وتولى السلطنة ثلاث مرات (١) .
٤	الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون	٧٤٣ - ٧٤٦ هـ - ١٣٤٢ - ١٣٤٥ م	ولى السلطنة بعد خلع أخيه أحمد وأمر بقتله .
٥	هلى بن شعبان	٧٧٨ - ٧٨٣ هـ - ١٣٧٦ - ١٣٨١ م	تولى وعمره ٧٥ سنوات .
٦	برقوق	٧٨٤ هـ وتوفي ٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م	اغتنب السلطنة من أمير حاج بن شعبان وخلع مرة (٢)
٧	المؤيد شيخ	٨١٥ هـ - ٨٢٤ هـ - ١٤١٢ - ١٤٢١ م	اغتنب السلطنة من الخليفة المستعين .
٨	طاهر	٨٢٥ هـ - ٨٤١ هـ - ١٤٢١ - ١٤٣٧ م	اغتنب السلطنة من أحمد بن شيخ وكان مدبر دولته (٣)
٩	برسباي	٨٦٥ هـ - ٨٧٢ هـ - ١٤٦٠ - ١٤٦٧ م	اغتنب السلطنة من محمد بن طاهر .
١٠	خشمقدم	٨٧٢ هـ - ٨٩٠١ هـ - ١٤٦٧ - ١٤٩٥ م	تولى بعد خلع أحمد بن إينال .
١١	قايتباي		تولى بعد خلع محمد بن إينال .

(١) ولى محمد بن قلاوون السلطنة لأول مرة في سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٣ م) ثم خلع بعد سنة وحكم بعده كتيبا ولاجين لمدة أربع سنوات من ٦٩٤ إلى ٦٩٨ هـ - ١٢٩٤ م حكم كل منهما سنتين ، ثم عاد إلى الحكم للمرة الثانية لمدة عشر سنوات من ٦٩٨ إلى ٨٠٧ هـ - ١٣٠٨ م ، خرج في نهاية المدة باسم الطبع واعتكف بالكره لاستبداد سلاز الجاشنكير - حكم بعده بيبرس الجاشنكير لمدة سنة واحدة ، وعاد الناصر محمد إلى سلطته للمرة الثالثة والأخيرة ، وظل بها من ٨٠٩ هـ إلى وفاته ٨٤١ هـ - ١٣٤١ م وقد حكم من أولاده وأحفاده اثنا عشر سلطانا .

(٢) خلف بقوق في ٨٩١ هـ (١٣٨٨ م) وحكم بعده الملك الصالح أمير حاج بن شعبان مدة سنة ، وكان الصالح يحكم قبل بقوق وخلع على يد بقوق مدبر دولته ثم عاد بقوق .

(٣) يقال إن معلقته وهي أم السلطان أحمد بن شيخ قد دست له السم .

جدول رقم (٢) من خلموا ، أو خلموا وسجنوا ، أو استمفوا

الرقم	اسم السلطان	مدة الحكم	ملاحظات — ات
١	علي بن أبيك	٦٥٥ - ١٢٥٦هـ - ١٢٥٨م	خلمه قطن
٢	بركة بن بيارس	٧٦٧ - ١٢٧٨هـ - ١٢٧٩م	خلمه قوصون
٣	سلاش بن بيارس	ربيع أول - رجب ١٢٧٨هـ (١٢٧٩م)	طرده ثانيه لاجين .
٤	كنيسا	٦٩٤ - ١٢٩٦هـ - ١٢٩٦م	خلمه قوصون بعد حكم ٥٩ يوما .
٥	أبو بكر بن محمد بن قلاوون	٧٤١ - ١٢٤٠هـ - ١٢٤١م	تولي وعمره ٨ سنوات وخلمه الأمراء .
٦	كجك بن محمد بن قلاوون	صفر - شوال ١٢٤٢هـ (١٢٤١م)	اعتكف في الكرك فخلمه الأمراء وولوا أخاه
٧	أحمد بن محمد بن قلاوون	شوال - ذو الحجة ١٢٤٢هـ (١٢٤٣م)	إسماعيل .
٨	شيمان بن محمد بن قلاوون	٧٤٧ - ١٢٤٦هـ - ١٢٤٨م	خلمه الأمراء
٩	صالح بن محمد بن قلاوون	٧٥٢ - ١٣٥١هـ - ١٣٥٤م	خلمه شيخون وسجنه بالقلمة .
١٠	محمد بن حاجي بن محمد بن قلاوون	٧٦٢ - ١٢٦٠هـ - ١٢٦٢م	تولي وعمره ١٤ سنة وخلمه يلينا مدبر الدولة .
١١	حاجي أو أمير حاج بن شيمان	٧٨٣ - ١٢٨٤هـ - ١٢٩١م	خلمه برقوق وعاد حاجي ثم خلع حاجي وعاد برقوق .
١٢	عبد العزيز بن برقوق	١٣٨١ - ١٣٨٣م - ١٣٨٨هـ - ١٣٨٩م	تولي وعمره ١٠ سنوات بمهد من أبيه بعد خلع أخيه
١٣	الحليفة المستعين	ربيع أول - جاد آخر ١٤٠٨هـ - ١٤٠٥م	فرج ثم خلمه الأمراء وعاد فرج .
١٤	أحمد بن شيخ	محرم - شيمان سنة ١٤١٥هـ (١٤١٢م)	خلمه المريد شيخ وسجنه بالقلمة .
		محرم - شيمان ١٤٢٤هـ (١٤٢١م)	تولي وعمره سنة ونصف وخلمه ططر مدبر دولته .

تابع جدول (٢)

الرقم	اسم السلطان	مدة الحكم	ملاحظات
١٥	محمد بن طغرل	ذو الحجة ٥٨٢٤ ربيع أول ٥٨٢٥ (١٤٢١ - ١٤٢٢ م)	تولى وعمره ٢٠ سنة و خلمه بر سبای مدبر دولته .
١٦	يوسف بن بر سبای	ذو الحجة ٨٤١ - ربيع أول ١ سنة ٨٤٢ (١٤٣٧ - ١٤٣٨ م)	تولى وعمره ١٥ سنة و خلمه جقيق وصيه ومدبر دولته .
١٧	جقيق	(٨٤٢ - ٨٥٧ م) ١٤٣٨ - ١٤٥٣ م	خلع نفسه لمرضه أو استغنى
١٨	عثمان بن جقيق	محرم - ربيع أول ٨٥٧ م (١٤٥٣ - ١٤٥٣ م)	خلعه الأمراء .
١٩	إينال	٨٥٧ - ٨٦٥ م (١٤٥٣ - ١٤٦٠ م)	خلع نفسه لمرضه أو استغنى
٢٠	أحمد بن إينال	محرم - رمضان سنة ٨٦٥ م (١٤٦٠ - ١٤٦٧ م)	خلعه الأمراء بعد ٥٦ يوماً .
٢١	بلبای المريدی	ربيع أول - جاد أول ٨٧٢ م (١٤٦٧ - ١٤٦٧ م)	خلعه الأمراء بعد ٥٩ يوماً وهرب في زى النساء .
٢٢	عربغا الظاهري	جاد أول - رجب ٨٧٢ م (١٤٦٧ - ١٤٦٧ م)	خلعه الأمراء فهرب في زى النساء بعد حكم ثلاثة أيام .
٢٣	قانعوه خسمائة	٢٨ جاد أول إلى أول جاد آخر ٩٠٢ - ٩٠٢ م	خلعه الأمراء وهرب في زى النساء .
٢٤	قانعوه الاشرقي	٩٤٠ - ٩٥٥ م (١٤٩٨ - ١٤٩٩ م)	

جدول رقم (٣) من قتل من السلاطين

ملاحظات		مدة الحكم		اسم السلطان		الرقم
قتله شجرة الدر .	١٢٥٦ - ١٢٥٠ - ٥٦٥٤ - ٦٤٨	إيبك	١
قتله بيبرس في عودته من وقعة عين جالوت	١٢٥٩ - ١٢٥٨ - ٥٦٥٨ - ٦٥٧	قطز	٢
قتله بيدرا .	١٢٩٣ - ١٢٩٠ - ٥٦٩٣ - ٦٨٩	خليل بن قلاوون	٣
قتله الأمراء .	١٢٩٨ - ١٢٩٦ - ٥٦٩٨ - ٦٩٦	لاجين	٤
قتل بامر الناصر محمد بن يدييه .	١٣٠٩ - ١٣٠٨ - ٥٧٠٩ - ٧٠٨	بيبرس الجاشنكير	٥
ذبحه الأمراء .	١٣٤٧ - ١٣٤٦ - ٥٧٤٨ - ٧٤٧	حاجي بن محمد بن قلاوون	٦
خلع فترة حكم فيها أخوه صالح ثم عاد فقتله عاتوره	١٣٦٠ - ١٣٥٤ - ١٢٥١ - ١٣٤٧	الناصر حسن بن محمد بن قلاوون	٧
يلبغا .	٥٧٦٢ - ٧٥٥ - ٥٧٥٢ - ٧٤٨	شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون				٨
قتله الأمراء .	١٣٧٦ - ١٣٦٢ - ٥٧٧٨ - ٧٦٤					٩
تولى وعمره ١٠ سنوات بهمد من أبيه وعزل فترة من ربيع أول إلى جمادى الآخر ٥٨٠٨ حكم فيها أخوه عبد العزيز وعاد فترة قتل بعدها .	٥٨١٥ - ٥٨٠٨ - ٨٠١					٩
قتله الأمراء .	١٤١٢ - ١٤٠٥ - ١٤٠٥ - ١٣٩٨	فرج بن برقوق				٨
قتله خنيقا بسجنه في الإسكندرية .	١٤٩٨ - ١٤٩٥ - ٥٩٠٤ - ٩٠١					١٠
قتل .	٥٩٠٦ (١٥٠٠ م)					١١
قتل في وقعة مرج دابق .	١٥١٦ - ١٥٠٠ - ٥٩٢٢ - ٩٠٦	محمد بن قايتباي				١٢
قتل بامر سليم الأول في القاهرة بعد القبض عليه .	١٥١٦ - ١٥١٦ - ٥٩٢٣ - ٩٢٢					١٣
						١٤

(١) ، (٢) النورى وطومان باي : رغم أنهما قتلا خلال جهادهما ضد المماليك قتل شريفة ، إلا أن الخيانة قد لعبت دورها في نهاية حياة كل منهما ، فقد خامر خاير بك والنزالي ضد الأول خلال مرج دابق ، وبعدها ، وأفشى ابن مرعى سر الشائنة .

الدولة المملوكية الأولى

(٦٤٨ - ٧٨٤ هـ — ١٢٥٠ م - ١٣٨٢ م)

اسم السلطان	مدة الحكم
المعز أيبك التركماني	٦٤٨ - ٦٥٤ هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٦ م
المنصور علي بن أيبك	٦٥٥ - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٧ - ١٢٥٨ م
المظفر سيف الدين قنص	٦٥٧ - ٦٥٨ هـ / ١٢٥٨ - ١٢٥٩ م
الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري	٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٧٧ م
السعيد أبو المعالي محمد بركة بن بيبرس	٦٧٦ - ٦٧٧ هـ / ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م
العادل سيف الدين سلامش بن بيبرس	ربيع أول - رجب ٦٧٨ هـ - ١٢٧٩ م
المنصور سيف الدين قلاوون	٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م
الأشرف صلاح الدين خليل	٦٨٩ - ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م
(الملك الأوحديدرا)	تسلفن لمدة يوم واحد بعد مقتل خليل
الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٣ - ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م
العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري	٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م
المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦ - ٦٩٨ هـ / ١٢٩٦ - ١٢٩٨ م
(عودة الناصر محمد)	٦٩٨ - ٧٠٨ هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م
المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	٧٠٨ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م
(عودة الناصر محمد)	٧٠٩ - ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م
المنصور سيف الدين أيوب بكر بن الناصر محمد	٧٤١ - ٧٤٢ هـ / ١٣٤٠ - ١٣٤١ م
الأشرف علاء الدين كجك الناصر محمد	صفر - شوال سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م
الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد	شوال ٧٤٢ - محرم ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م
الصالح علاء الدين إسماعيل بن الناصر محمد	٧٤٣ - ٧٤٦ هـ / ١٣٤٢ - ١٣٤٥ م
الكامل شعبان بن الناصر محمد	٧٤٦ - ٧٤٧ هـ / ١٣٤٥ - ١٣٤٦ م
المظفر حاجي بن الناصر محمد	٧٤٧ - ٧٤٨ هـ / ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م
الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد	٧٤٨ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٧ - ١٣٥١ م
الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد	٧٥٢ - ٧٥٥ هـ / ١٣٥١ - ١٣٥٤ م
(عودة الناصر حسن)	٧٥٥ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٦٠ م
المنصور محمد بن حاجي بن الناصر محمد	٧٦٢ - ٧٦٤ هـ / ١٣٦٠ - ١٣٦٢ م
الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان بن حسين	٧٦٤ - ٧٦٨ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦ م
ابن الناصر محمد	٧٦٨ - ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ - ١٣٨١ م
المنصور علي بن شعبان	٧٧٨ - ٧٨٢ هـ / ١٣٨١ - ١٣٨٢ م
الصالح أمير حاج بن شعبان	٧٨٢ - ٧٨٤ هـ / ١٣٨١ - ١٣٨٢ م

الدولة المملوكية الثانية

اسم السلطان	مدة الحكم
الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنس	
العثماني	٧٨٤-٧٩١هـ / ١٣٨٢-١٣٨٨م
(عودة الصالح أمير حاج)	٧٩١-٧٩٣هـ / ١٣٨٨-١٣٨٩م
(عودة برقوق)	٧٩٢-٨٠١هـ / ١٣٨٩-١٣٩٨م
الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن برقوق	٨٠١-٨٠٨هـ / ١٣٩٨-١٤٠٥م
المنصور عز الدين أبو العز عبد العزيز بن برقوق	ربيع أول - جماد آخر ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م
(عودة فرج)	٨٠٨-٨١٥هـ / ١٤٠٥-١٤١٢م
الخليفة المستعين	محرم شعبان ٨١٥هـ / ١٤١٢م
المؤيد أبو النصر شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري	٨١٥-٨٢٤هـ / ١٤١٢-١٤٢١م
المظفر أبو السعادات أحمد بن شيخ	محرم شعبان ٨٢٤هـ / ١٤٢١م
الظاهر سيف الدين أبو سعيد ططر الظاهري	شعبان - ذوالحجة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م
الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	٨٢٤-٨٢٥هـ / ١٤٢١-١٤٢٢م
الأشرف أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري	٨٢٥-٨٤١هـ / ١٤٢٢-١٤٣٧م
العزيز أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن برسباي	٨٤١-٨٤٢هـ / ١٤٣٧-١٤٣٨م
الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق العلائي	
الظاهري	٨٤٢-٨٥٧هـ / ١٤٣٨-١٤٥٣م
المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان بن جقمق	محرم - ربيع أول ٨٥٨هـ / ١٤٥٣م
الأشرف أبو النصر سيف الدين إينال العلائي الظاهري	٨٥٧-٨٦٥هـ / ١٤٥٣-١٤٦٠م
الملك المؤيد أبو الفتح شهاب الدين أحمد بن إينال	محرم - رمضان ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م
الظاهر أبو سعيد سيف الدين خثقدم الناصري	
المؤيدي	٨٦٥-٨٧٢هـ / ١٤٦٠-١٤٦٧م
الظاهر أبو النصر سيف الدين بلباي المؤيدي	
(المجنون)	ربيع الأول - جماد أول ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م
الظاهر أبو سعيد تمربغا الظاهري	جماد أول - رجب ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م
(الظاهر خير بك)	تسلطن ليلة واحدة

(تابع) الدولة المملوكية الثانية

اسم السلطان	مدة الحكم
الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباي المحمدي	
الظاهرى	٨٧٢-٨٩٠١ / ١٤٦٧-١٤٩٦ م
الناصر أبو السعادات ناصر الدين محمد بن قايتباي	٩٠١-٨٩٠٢ / ١٤٩٦-١٤٩٧ م
الظاهرى	٨٧٢-٨٩٠١ / ١٤٦٧-١٤٩٦ م
قانسوة خسمائة	٢٨ جاد أول إلى أول جاد آخر ٨٩٠٢ / ١٤٩٧ م
عودة محمد بن قايتباي	٩٠٢-٨٩٠٤ / ١٤٩٧-١٤٩٨ م
الظاهر أبو سعيد قانسوة الأشرفى	٩٠٤-٨٩٠٥ / ١٤٩٨-١٤٩٩ م
الأشرف أبو النصر جان بلاط بن يشبك الأشرفى	٩٠٥-٨٩٠٦ / ١٤٩٩-١٥٠٠ م
العادل طومانباي بن قانسوة (طومانباي الأول)	٦ من جادى الآخرة إلى شوال ٨٩٠٦ / ١٥٠١ م
الأشرف قانسوة الغورى	٩٠٢-٨٩٢٢ / ١٥٠١-١٥١٦ م
الملك الأشرف أبو النصر طومانباي الثانى ...	٩٢٢-٨٩٢٣ / ١٥١٦-١٥١٧ م

خلفاء بني العباس لمصر المملوكية
٦٥٩ - ٥٩٢٣هـ / ١٢٦٠ - ١٥١٧م

رقم	اسم الخليفة	سنوات الخلافة	السلطين المعاصرون
١	المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الفاهر . الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن الحسن ابن أبي بكر بن الحسن بن علي بن المسترشد	رجب ٦٥٩ - محرم ٥٩٦م / ١٢٦٠ - ١٣٠١م	بيبرس - السعيد - سلاش (ولدا بيبرس) - قلاوون ، خليل ، الناصر محمد (سلطنته الأولى) كتيبا ، لاجين ، الناصر محمد (سلطنته الثانية) الناصر محمد (سلطنته الثانية) - الجانشين الناصر محمد (سلطنته الثالثة) .
٢	المستكن بالله أبو الربيع سليمان ابن الحاكم	٧٠١ - ٧٣٧هـ / ١٣٠١ - ١٣٣٦م	الناصر محمد (سلطنته الثالثة)
٤	الوارث بالله إبراهيم ابن ولي العهد المستملك بن الحاكم أبو العباس أحمد الحاكم بأمر الله بن المستكن	٧٣٧ - ٧٤١هـ / ١٣٣٦ - ١٣٤١م	أبو بكر ، كجك ، أحمد ، إسماعيل ، شيمان ، حاجي ، حسن (سلطنته الأولى) ، صالح (أولاد الناصر محمد) .
٥	المستفيد بالله أبو بكر بن المستكن ...	٧٥٣ - ٧٦٣هـ / ١٣٥٢ - ١٣٦١م	صالح ، حسن (سلطنته الثانية) ، المنصور ابن حاجي .
٦	المستفيد بالله أبو عبد الله محمد بن المتفهد المستفيد	٧٦٣ - ٧٦٤هـ / ١٣٦١ - ١٣٨٢م	المنصور بن حاجي ، شيمان بن حسين ، علي بن شيمان (أواخر الدولة المملوكية الأولى ومطلع الدولة المملوكية الثانية وهي دولة الجراكسة)

(تابع ما قبله)

رقم	اسم الخليفة	سنوات الخلافة	السلاطين المعاصرون
٨	المتنعم بالله زكريا بن إبراهيم (عودة المتوكل) ... الرائق بالله عمر بن إبراهيم (عودة المتنعم) ... (عودة المتوكل) ...	٥٧٨٤-١٣٨٢م (لمدة ١٥ يوما) ٧٨٤-١٣٨٣-٥٧٨٥/١٣٨٢م ٧٨٥-١٣٨٦-٥٧٨٨/١٣٨٣م ٧٨٨-١٣٨٩-٥٧٩١/١٣٨٦م ٧٩١-٨٠٨-٥٨٠٩/١٣٨٩م	علي بن شميان علي بن شميان - برقوق (أول سلاطين الجراكسة) برقوق برقوق برقوق - حاجي بن شميان (سلطنته الثانية) - برقوق (سلطنته الثانية) فرج بن برقوق (سلطنته الأولى)
٩	المستعين بالله المبراهيم	٨٠٨-٨١٦/٥٨١٦-١٤٠٦م (ولي السلطنة مع الخلافة لمدة ثمانية شهور من محرم إلى شميان ١٤١٢-٥٨١٥)	فرج - شيخ
١٠	المستعين بالله المبراهيم	٨١٦-٨٤٤١/٥٨٤٤-١٤١٢م	شيخ - أحمد بن شيخ - ططر - محمد بن ططر - برسباي - يوسف بن برسباي - جقيق .
١١	المستعين بالله بن المتوكل	٨٤٥-١٤٤١/٥٨٥٥-١٤٤١م	جقيق
١٢	المستعين بالله بن المتوكل	٨٥٥-١٤٥٥/٥٨٥٩-١٤٥١م	جقيق - عثمان بن جقيق - إينال
١٣	القائم بأمر الله بن المتوكل	٨٥٩-٨٨٨٤/٥٨٨٤-١٤٧٩م	إينال ، أحمد بن إينال ، خشمقدم ، بلباي الجنون ، عربغا ، خير بك (سلطان ليلة) قائيباي
١٤	المستعين بالله بن المتوكل	٨٥٩-٨٨٨٤/٥٨٨٤-١٤٧٩م	

(تابع ما قبله)

رقم	اسم التايمة	سنوات الخلافة	السلطين الماصرون
١٥	المتركل على بن يعقوب بن المتركل ...	٨٨٤-٨٩٠٣ / ١٤٧٩-١٤٩٧م	قايتباي ، محمد بن قايتباي (سلطنته الأولى) قانسوه خسانة .
١٦	المستسك بالله بن عبد الميز بن ية قرب ابن المتركل	٩٠٣-٩١٤ / ١٤٩٧-١٥٠٩م	محمد بن قايتباي (سلطنته الثانية) ، قانسوه الأشرف (حال محمد) ، جانبلاط ، طومان باي الأول ، قانسوه النوري
١٧	المتركل على الله بن المستسك	٥٩١٤-٥٩٤ / ١٥٠٩-١٥٣٨م	قانسوه النوري ، طومان باي الثاني ، سليم الشافى - سايدان القانوفى بن سليم الشافى

مراجع :

- ١ - ابن إياس : بدائع الزهور .
- ٢ - ابن حجر : إخوان الصفا .
- ٣ - السيوطى : تاريخ خلفاء و الترجمة الإنجليزية ، حسن الحاضرة .
- ٤ - المقرئزى : الخطط والسلوك .
- ٥ - زامباور : معجم الأنساب (ترجمة الدكتور زكى محمد حسن وآخرين) .

هوامش الفصل التاسع

- (١) معيد النعم ص ١٤٣ ، ٧٢ وما يليها .
- (٢) إنثاء الأمة ص ٧٢ - ٧٣ .
- (٣) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٠٨ - ٢١٠ ، خطط ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .
- (٤) راجع الفصل التاسع .
- (٥) خطط ج ٢ ص ٢٠٤ .
- (٦) تولى ييبرس النوادر نيابة السلطنة للناصر محمد سنة ٨٧١١ - ١٣١١ م ، وتوفى سنة ٨٧٢٤ - ١٣٢٤ م . (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٦٣ ، ٢٩٤ والأعلام) .
- (٧) كان الطنبغا مملوكا عند الأمير علم الدين الجاولى بغزة . برز في الفروسية والشطرنج والورد ونظم الشعر الرقيق كما كان عارفاً بالفقه ، توفى بدمشق سنة ٨٧٤٤ - ١٣٤٣ م ، (الأعلام) .
- (٨) صارم الدين إبراهيم بن دقماق مؤرخ فقيه كان جده دقماق من أمراء الناصر محمد ، ومن مؤلفاته في الفقه، كتاب طبقات الحنفية ، ويمتاز بالإنصاف في كتابة التاريخ ، غير أنه لم يجد اللغة العربية إجادة تامة ، ولى إمرة دمياط وتوفى سنة ٨٨٠٩ - ١٤٠٦ م (أنباء الغمر ج ١ ص ٧٢٩ - ٧٣٠ (الأعلام) .
- (٩) لابن تغرى بردى مؤلفات في التاريخ ، بعضها مخطوط والبعض مطبوع ، وكان أبوه من ممالك الظاهر برقوق ، توفى سنة ٨٨٧٤ - ١٤٦٩ م (المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر) ص ٢٦ - ٢٧ (الأعلام) .
- (١٠) جان تمر من أركاس من ممالك الطباقي في عهد السلطان الغورى وقدم كتابه « تذكرة الملوك إلى أحسن الملوك » ، للسلطان .
- (١١) كتب البدرى تاريخنا ، أشار إليه ابن إياس ، وتوفى سنة الفتح العثمانية لمصر ٨٩٢٣ - ١٥١٧ م . (بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٠ و ج ٣ ص ١٠٧) .
- (١٢) من قصور السلاطين بالقلعة : قصر الأشرفية للأشرف خليل بناء سنة ٨٦٩٢ - ١٢٩٢ م ، وقصر الدهيشة للصالح إسماعيل بن الناصر بناء سنة ٨٧٤٥ - ١٣٤٤ م (وقصر اليسرية للسلطان حسن بناء سنة ٨٧٦١ - ١٣٥٩ م . (خطط ج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٣) .

- (١٣) من هؤلاء السقامون والزنان دارية وهم البوابون عند عرف الحريم السلطاني ، والجمدارية لإلباس السلطان ، والبشمقدارية لحمل نعل السلطان .
- (زبدة كشف الممالك ص ١٢٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٩) .
- (١٤) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ .
- (١٥) مسالك الأبصار ج ٢ رقم ٣٩٠ .
- (١٦) زبدة كشف الممالك ص ١٢١ .
- (١٧) المصدر السابق .
- (١٨) المصدر السابق .
- (١٩) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٧٤ - ٧٥ .
- (٢٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦ .
- (٢١) آثار الأول ص ١١٦ - ١٤٠ وبهامش الخلفاء للسيوطي ص ١٢٩ ، زبدة كشف الممالك ص ١٢١ - ١٢٢ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢١٠ ، خطط ج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٣ .
- (٢٢) لعل البلاغات هن المشرقات على الحمامات السلطانية من لفظ بلان بمعنى حمام (انقاموس المحيط - زبدة كشف الممالك ص ١٢٢) .
- (٢٣) خطط ج ٢ ص ١١٦ ، الدر المشور ص ١٦٣ - ٥١٢ .
- (٢٤) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٠٩ وحاشية - ١ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٣٥ ، التحفة السنية ص ١٤ ، ٣١ ، ٧٠ ، ٧٦ .
- (٢٥) زبدة كشف الممالك ١٢٥ .
- (٢٦) الخوان سار كبير رجال المطبخ والمرقدارية من صبيته .
- (٢٧) زبدة كشف الممالك ص ١٢٥ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٠ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٢٤ .
- (٢٨) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٠ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٠ ، الألفاظ الخفية ص ١٧ - ١٨ ، زبدة كشف الممالك ص ٨٧ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٧٧ .
- (٢٩) خطط ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
- (٣٠) خطط ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
- (٣١) تنصرف كلمة المطبخ في عصر الماليك إلى مصانع السكر كذلك ، ومنها ما يتبع السلطان نفسه ومنها ما يتبع الحكومة فيقال للأولى المطابخ السلطانية وللثانية مطابخ الدولة ، ومنها ما يتبع الأمراء ، واصطلاح على تسمية إدارة المطابخ بالمعنى الثاني بكلمة « الدولبه » (الانتصار ج ٤ ص ٤١ - ٤٥) .

(٣٢) يلقب رئيس كل من هذه البيوتات باسم « المهتار » ما عدا الشكارخانة وهي حظيرة طيور الصيد فالمشرف عليها « أمير شكار » ، ويرأس الاصطبلات الشريفة « أمير أخور » ، ويسمى عمال الشرايخانة « بالشرابدارية » وعمال الطشت خانة بالطشندارية ، والرختوانية المشرفون على القماش ، وربما شملهم جميعا لفظ الباباوات ، وعمال الفراش خانة هم الفراشون والعتلة أو « الكناسون » ، وفي الشكارخانة يخدم الخوفاذارية والمعلمون والطعمندارية والبازدارية ، والاصطبلات أنواع ، منها ما يضم خيول الخاص الشريف المعدة لركوب السلطان ، وفي المصطلح « المراكيب الشريفة » ومنها ما يخص الخيول الضعيفة ، وخيول اللعب بالكرة ، واصطبلات البريد والنياق والفيل والسباع ، وعمالها الأوجاقية أو الوشاقية ، ونحزن آلات الخيل « الركاب خانة » وعماله الركاب دارية والسنجق دارية ، والمهمزدارية والفلمان (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٩ - ٤٧١ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ زبدة كشف الممالك ص ١٢٤ و ١٢٦ - ١٢٧ انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية) .

(٣٣) بنى الأمير تنكز داره وأوقفها على أولاده ، ثم سكنها قاضي القضاة بهان الدين ابن جماعة ، وأنفق في زخرفتها ١٧ ألف درهم ، ثم بيعت سنة ٨٨٠١ - ١٣٩٨ م أما الأمير سيف الدين طاز نائب حلب سنة ٨٧٥٥ - ١٣٥٤ م ، للسلطان صالح بن محمد بن قلاوون فقد بنى داره سنة ٨٧٥٣ - ١٣٥٢ م ، وأقام وليمة عند افتتاحها حضرها السلطان ، وهذه أول مرة يزور فيها سلطان أميراً في منزله ، أما الأميران يلبغا والطنبغا فهما من أمراء الناصر محمد المقربين ، وقد بنى السلطان لهما هذين القصرين ، وكان الأمير يلبغا العمري أتابك العساكر في عهد المنصور حاجي ، وانتهت حياته بالقتل في عهد شعبان سنة ٨٧٦٨ - ١٣٦٦ م (خطط ج ١ ص ٥٤ و ٧٣ و ج ٢ ص ٧١ - ٧٢ ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣١١ - ٣١٣) .

(٣٤) الأمير طغتمش بن عبد الله النجمي ، كان داوداراً للسلطان إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وظل كذلك في سلطنة أخويه شعبان وحاجي ، ويعتبر أول دوادار أخذ إمرة مائة ومقدم ألف ، وقتل بأمر حاجي سنة ٨٧٤٨ - ١٣٤٧ م ، وهو صاحب الخانقاه النجمية خارج القاهرة (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٨٣ - ١٨٤) ، انظر رنكه على مشكاته .

(٣٥) الأمير سيف الدين شيخون بن عبد الله أتابك العسكر ومدير الدولة للسلطان حسن ، وقد قتله أحد عماليك السلطان سنة ٨٧٥٩ - ١٣٥٦ م ، لأنه رفض أن يمنحه إقطاعاً (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٥٠) .

(٣٦) بدائع الزهور ج ٣ .

(٣٧) انظر لوحة الرنوك ، وراجع في موضوع الرنوك : الدكتور محمد مصطفى : الرنوك في عصر المماليك (مجلة الرسالة عدد ٣٠٠ ص ٢٦٨ - ٢٧١) ، مصر في عصر دولة

- الممالك الجراكسة ، المؤلف ص ٣٢٤ - ٣٣٠ ، السلوك ج ١ ص ٦٧٢ حاشية ٤ ، ج ٢ ص ٢١٥ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٦١ - ٦٢ ،
- (٣٨) عرف الأمير بشتك بثرانه الواسع ، ومات قتيلا سنة ٥٧٤٢ - ١٣٤١ م (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٧٤ - ٧٥) .
- (٣٩) ينسب إلى يلبغا ، كثير من آلات الحرب والملابس مثل الطرز العراض الياغاوية ، توفي سنة ٨٧٦٨ - ١٣٦٦ م . (بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٩) .
- (٤٠) خطط ج ١ ص ١٤٠ .
- (٤١) صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٠ - ٦١ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٧ - ٢١٨ .
- (٤٢) الجناوب هي الخيول الممرجة غير المركوبة ، والأوشاقية من عمال الإصطبلات (الألفاظ) .
- (٤٣) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٦ - ٣٨٧ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٩ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٦١ .
- (٤٤) صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٨ - ٣٣ .
- (٤٥) بدائع الزهور ج ٢ ص ٤ ، ج ٣ ص ٨١ .
- (٤٦) كان الخلفاء العباسيون في مصر ، يقيمون بقلعة الكباش ، فلما جاء الناصر محمد أفرد للخليفة داراً بقلعة الجبل ، وظلوا يقيمون بها ، ليكونوا تحت مراقبة السلطان (السيوطي : الخلفاء ص ١٩٤ - ٢٠٥ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٧) .
- (٤٧) عبر الشيخ ابن حجر عن هذه الفرحة بقصيدة طويلة ، منها :
الملك فينا ثابت الأساس بالمستعين العادل العباس
رجعت مكانة آل عم المصطفي محلها من بعد طول تناسي
(راجع السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٨١ - ٨٣ ، تاريخ الخلفاء ص ٣٣٨) .
- (٤٨) السيوطي : الخلفاء ص ١٩٥ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٣٣٨ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٨٠ - ٨٣ ، طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٣١ ، ٦٤ - ٦٥ .
- (٤٩) أطلق لقب شريف على كل من كان من أهل البيت النبوي سواء أكان من سلالة الحسن أو الحسين أم كان علوياً بصفة عامة ، فيقال الشريف العباسي والشريف العقيلي والشريف الجعفري والشريف الزيدى . ولما جاء الفاطميون إلى مصر ، قصروه على ذرية الحسن والحسين ، يقول ابن حجر : الشريف ببغداد لقب كل عباسي وبمصر لقب كل علوي . ويعرف أتباع العلويين باسم الشيعة ، منهم المعتدل ومنهم المتطرف ، وفي عصر المماليك أطلق على المتطرفين من الشيعة اسم « أهل البدع » مثل النصيرية والإسماعيلية ، والزيدية أقربهم إلى القصد . ويلقب رئيس طائفة الإسماعيلية في دولة المماليك بلقب « أتابك المجاهدين » وله وصية في الدواوين المملوكية ، لتأليف قلوب هذه الطائفة وحثها على الجهاد . (الحزاي : مشارق الأنوار ص ١٠٨ ، رسالة الصبان ص ١٦٢ - ١٦٣ ، التعريف ص ١٥٦) .

(٥٠) أنباء الغمر ج١ ص ٥ ، مشارق الأنوار ص ١٠ ، إخوان الصفا ورقة ١٣٠ ،
انظر ما يلي .

(٥١) دحلان : خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام ص ٤٩ (مكتبة الحرم المكي الشريف
رقم ٤٩ تاريخ) .

(٥٢) خطط ج١ ص ١٤٧ .

(٥٣) أعيان العصر ج٤ غير مرقم ، صبح الأعشى ج٤ ص ٣٧ .

(٥٤) التعريف ص ١٣٠ - ١٣١ ، أعيان العصر ج٤ غير مرقم .

(٥٥) صبح الأعشى ج٦ ص ٢٢٨ و ٢٢٤ .

(٥٦) توفي هذا الشريف في سنة ٨٧٣٧ - ١٣٣٦ م (تاريخ جليل مجلد ٦ ورقة ٥٤٥ -

٥٤٦ .

(٥٧) توفي هذا الشريف سنة ٨٧٥٧ - ١٣٥٦ م (الصفدى ج٤ غير مرقم) .

(٥٨) تولى هذا الشريف كتابة عدة منشور بإقطاعات - (صبح الأعشى ج١٣ ص ١٧٦ -

١٧٩ انظر الملاحق) .

(٥٩) سلاطين الممالك ص ٢٩ - ٣١ - عيون التواريخ ص ١٢٠ - بدائع الزهور

ج١ ص ١٧٩ - ١٨٠ - أعيان العصر ج٤ غير مرقم .

(٦٠) كان هذا الاجتماع في سنة ٨٦٥٨ - ١٢٥٩ م واعترض شيخ الإسلام عز الدين بن

عبد السلام ابن بنت الأعز بقوله : إذا أحضرت أنت وجميع العسكر وكل باقى بيوتكم ما على

نساءكم من الحل الحرام وضربته على السكة ونفقتة فى الجيش وقصر عن القيام بكلفتكم أنا أسأل

الله تعالى فى إظهار كنز يكفىكم ويفضل عنكم . . (معيد النعم ص ٦٤ - ٦٥ ، بدائع الزهور

ج١ ص ٩٦ ، الجواهر الثمين ج٢ ورقة ١٠٦ السلوك ج١ ص ٤٢٧ ص ٤٢٩ ، النجوم الزاهرة

ج٧ ص ٧٢ - ٧٣) .

(٦١) بدائع الزهور ج١ ص ٣١٩ .

(٦٢) بدائع الزهور ج٢ ص ٩٦ - ٩٧ .

(٦٣) المصدر السابق ص ١٣٧ ، انظر الجرائم وعقوبتها وما يتعلق بهذا الخارجى بصفة

خاصة فيما يلى .

(٦٤) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٦٥) انظر ما يلى .

(٦٦) بدائع الزهور ج٢ ص ١٧١ ، ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٦٧) معيد النعم ص ٦٠ و ١٣٢ - ١٣٣ .

(٦٨) بدائع الزهور ج٢ ص ١٥٤ .

(٦٩) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٤٢ .

- (٧٠) صبح الأعشى ج ٦ ص ٥١ .
- (٧١) كانت خيول هذه الطبقة غير مزدانة في سروجها ، بل كانت عادية أو « ساذجة » في المصطلح (خطط ج ٢ ص ٩٨) .
- (٧٢) مسالك الأبصار ج ٢ رقم ٣٩٤ ، صبح الأعشى ج ٦ ص ٥١ .
- (٧٣) راجع الفصل التاسع .
- (٧٤) معيد النعم ص ٦١ - ٦٢ .
- (٧٥) الناطور هو العامل المنوط به حراسة الثياب في الحمامات (معيد النعم ص ١٧٤ - ١٧٥) .
- (٧٦) خطط ج ٢ ص ٧٢ .
- (٧٧) لعل المقصود بالعنبر نوع من الحرير أو خيوط من الحرير أو الغزل الفاخر ، فقد ذكر المقرئ بصدده حديثه عن سوق العنبريين أنه كان يتخذ من العنبر الخناد والكلل والسنور وغيرها ، . . والكلل جمع كلة وهو غشاء رقيق يخاط ليتوق به البعوض (الناموسية) (خطط ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣ ، أقرب الموارد) .
- (٧٨) تنوعت الأسواق في محتوياتها وأسمائها ، واختص كل سوق بنوع معين من السلعة فهذا سوق باب الفتوح به حوانيت اللحامين - وهم تجار اللحم - والخضرين ، وذلك سوق المهاميز قرب مارستان قلاوون لبيع آلات الخيل من مهاميز وسلاسل ومخاطم وغيره سوق اللجميين به آلات اللجم وغيرها مما يصنع من الجلد ، وهناك سوق الحلعيين لبيع الملابس القديمة وهكذا .
- وفي معنى الأسواق القيساريات والفنادق والوكالات والخانات وهي عبارة عن ساحات ومؤسسات تؤدي بجانب مهمة البيع والشراء مهمة « النزول » ومحال الإقامة والمخازن للواردين من التجار وحفظ أموالهم ، وقد تبنى فوقها « رباع » تؤجر لسكنى العامة بصفة خاصة ، وأغلب هذه المؤسسات تابع للأمرأ وأثرياء الدولة والولاطين .
- فتلا قيسارية العنبر عمرها قلاوون سنة ٥٦٨٠ - ١٢٨١ م ، بعد أن كانت قبله سجنًا وجعلها سوقًا للعنبر ، وقيسارية العصفرة أنشأها الأمير علم الدين سنجر المسروري المعروف بالحياط أيام خليل بن قلاوون في سنة ٥٦٩٢ - ١٢٩٢ م ، وقيسارية بيبرس الجاشنكير يباع بها جهاز العرائس والدجاج ، ومن الفنادق فندق الأمير طرنتاي وينزله تجار الزيت الواردون من الشام ويعملوه ربع كبير ، وفندق الحصر للأمير تنكز يباع فيه بجانب الحصر الرطب والامهات والزيتون الأخضر وفندق القصب ملك الأمير منجك اليوسنى وهكذا « أما الوكالات فمنها وكالة قوصون حيث ينزل تجار الشام عامة ، ومن الخانات الخان الخليل نسبة إلى الأمير جهاركس الخليلي أمير اخور السلطان برقوق » .
- والعادة أن يستغل الفندق أو القيسارية أو الخان لحساب صاحبه ، وقد يوقفه على أولاده كفندق الحصر الموقوف على أولاد تنكز وقيسارية العصفرة الموقوفة على ورثة علم الدين سنجر ،

وتؤجر الفنادق أو الحوانيت التي بالقياساريات فكان إيجار فندق الملك السعيد بن بيري من نحو ١٠ إلى ١٢٠ درهم في الشهر ، وقد يستغل منشؤها منصبه فيجبر التجار على استئجارها بالقدر الذي يحدده . كما فعل الجاشنكير حين أجبر التجار على تعمير قيساريته وجعل أجرة الخانات تتراوح ما بين ٨ و ١٠ و ١٢٠ درهماً بحسب موقع الخانات ونوع السلعة التي تباع فيه ، فمثلاً استأجر صناع الأخفاف الحوانيت الخارجية بسعر ٨ - ١٠ دراهم في الشهر وتجار جهاز العرائس الحوانيت الداخلية بمبلغ ١٢٠ درهماً نقرة للخانات ، وقد أوقف هذه القيسارية على خانقاه .

ومن وسائل العناية بهذه المحال ، ما درج عليه تجار الأسواق الكبرى ، كسوق القصبة ، وهو سوق العاصمة من وضع أزيار أمام حوانيتهم لما عساه يقع من حرائق لإطفائها كما عليهم أن يعلقوا قناديل تضاء في الليل (خطط ج ٢ ص ٦ - ٩٤ ، ٩٧ - ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ و ١٠٧ ، الانتصار ج ٤ - ٤٤) .

(٧٩) معالم القربة الباب ٥٢ ، ٥٣ ، معيد النعم ص ٨٣ .

(٨٠) بدائع الزهور ج ٣ ص ٨١ .

(٨١) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٩٢ .

(٨٢) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٩٢ .

(٨٣) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١١٩ - ١٢٠ و ١٢٤ و ١٢٧ ، السلوك ج ٢ ص ٤٣٣

، ٣٤٤ و ٤٥٠ ، عيون التواريخ ص ٢٢ - ٢٣ ، بدائع الزهور ج ١ ص ١٩٠ .

(٨٤) السلوك ج ٢ ص ٤٨٨ .

(٨٥) عرفت هذه السخرة باسم « week work » وهناك سخرة فصلية أو خدمة موسمية

Boon work كانت مفروضة على الفلاحين في زمن الحصاد (كوبلاند و فينو جرادوف

ترجمة زيادة - ص ١١١ - ١١٢) .

(٨٦) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٣٠ ، أنباء الغمر ج ١ ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

(٨٧) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٨ ، ٢٩٥ .

(٨٨) تاريخ جليل مجلد ٦ ورقة ٥٤٥ - ٥٤٦ .

(٨٩) بدائع الزهور ج ٣ ص ٨٨ .

(٩٠) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٩١) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

(٩٢) المصدر السابق ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٩٣) خطط ج ٢ ص ٩١ .

(٩٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٩٥) بدائع الزهور ص ٣٠٨ .

(٩٦) انظر الفتن المختلفة والثورات فيما يلي ، وانظر : Précis, T. II P. 248 ،

وانظر مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٢٥٠ - ٢٧١ .

(٩٧) السلوك ج ١ ص ٤٥٣ حاشية - ١ .

(٩٨) بطلت عاد إرخاء الشعر منذ ٨٧١٥ - ١٣١٥ م ، حين توقعك السلطان الناصر

فاضطر لخلق شعره ، فتبعه الأمراء وظل الأمر على ذلك من بعده (السلوك ج ٢ ص ١٤٨) .

(٩٩) يذكر المقرئ أن هذه الأقبية الضيقة الأكمام تشبه ملابس الفرنج في عصره (خطط

ج ٢ ص ٩٨) .

(١٠٠) لهذه الخوائص سوق يعرف باسم « سوق الخوائصين » ومفردها حيصة وهي

المنطقة التي يشد بها الوسط (خطط ج ٢ ص ٩٧ - ٩٩) .

(١٠١) صبح الأعشى ج ٤ ص ٧٩ - ٤١ .

(١٠٢) الأمير سيف الدين سار من ممالك قلاوون ونائب للناصر محمد في سلطته الثانية،

فاستبد بالأمور دونه ، لكن الناصر عفا عنه عند سلطته الثالثة وتوفي ٨٧١٠ - ١٣١٠ م .

(١٠٣) طول الطاقة العادية ذراع وأعلىها مسطح مدور ، أما الطاقة الجركسية فطولها

ثلاثا ذراع وأعلىها كما يصفها المقرئ مقبب مدور ولونها ما بين أحمر وأخضر وأزرق وأسفل

عصابة الطاقة زيت من الفرو عرضه ثمن ذراع (خطط ج ٢ ص ١٠٤) .

(١٠٤) آثار الأول (بهامش الخلفاء للسيوطي ص ١٩٥) .

(١٠٥) خطط ج ٢ ص ٩٩ (طبعة بولاق) ، ج ٢ ص ٣٥٣ (طبعة النيل) ، مسالك،

الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٧ ، Mayers : Mamluke Costume O. p. 15-36 .

(١٠٦) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٥ .

(١٠٧) صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢ - ٤٣ .

(١٠٨) أنباء الغمر ج ٢ ص ٢٥ ، شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٢٦ ، مشارق الأنوار

ص ١٠٨ ، تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢ .

(١٠٩) خطط ج ١ ص ٢٢٨ ، السيف المهند ورقة ٥٣ .

(١١٠) بدائع الزهور ج ٣ ص ١٣٤ .

(١١١) من هذه الأوامر ، ما أصدره الناصر محمد سنة ٨٧٠٠ / ١٣٠٠ م ، ٨٧٢١

١٣٢١ م والهاشني سنة ٨٧٠١ - ١٣٠١ م ، والملك الناصر سنة ٨٧٥٤ - ١٣٥٣ م) .

(١١٢) خطط ج ٢ ص ٤٤٨ - ٤٤٩ ، سلاطين المماليك ص ٨٤ - ٨٩ ، السلوك ج ٢

ص ٢٢٧ ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٠١ ج ٢ ص ١٧٧ ،

الجوهر الثمين ورقة ١٥٤ ، الخراج ص ٧٢ - ٧٣ ، الدرر في شرح الغرر ج ٢ ص ٣٧٢، آثار الأول (بهامش الخلفاء للسيوطي) ص ١٩٥ ، Mamluke Costume O. P. 65 - 69

(١١٣) عيون التواريخ ص ٤٧ .

(١١٤) بدائع الزهور ج ١ ص ١٩٣ .

(١١٥) أنباء الغمر ج ١ ص ٣٢٣ .

(١١٦) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٢ .

(١١٧) الجوهر الثمين ورقة ١٥٤ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٠١ ، الخراج ص ٧٣ ،

(١١٨) الاجتهاد في طلب الجهاد ص ٦ - ٨ و ١٢ - ١٣ ، التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية ورقة ١٤ و ٢٠ و ٣٢ ، علم الفروسية وعلاج اللواحي ورقة ٢٦٥ و ٢٦٨ و ٢٧٥ ،

الفروسية والمناصب الحربية مخطوط غير مرقم الصفحات ، للفروسية الشرعية ص ١٨ و ١٠٨ الخ

Evans p. p. 38 - 41

(١١٩) من الميادين المعروفة : الميدان الظاهري بيبرس ، وميدان سير قاقوس الذي أنشأه

الناصر محمد . وميدان القبق (زبدة كشف الممالك ص ٨٦ ، خطط ج ٢ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٦) .

(١٢٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٦ ، انظر صورة الرمح فيما يلي . .

(١٢١) يتولى حمل الصوبلجان للسلطان موظف يعرف باسم (الجوكاندار) وهي كلمة فارسية

بمعنى حامل الصوبلجان (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨ ، زبدة كشف الممالك ص ٧٨) .

(١٢٢) مما احتوت عليه هذه الوليمة : ٢٠ ألف رطل ضاني و ٢٠٠ زوج أوز و ١٠٠ طير

دجاج و ٢٠ فرسا للذبح و ٣٠ قنطار من السكر ، ٢٠٠ علبة فاكهة و ٢٠٠ مجمع حلوى و ٣٠ قنطارا من الزبيب برسم الأقسمة و ٦٠ إردب دقيق برسم البوزة (بدائع الزهور ج ١ ص ٣٠٩ و ج ٢ ص ١٧ - ١١٨ و ١٤٥ و ٣٤٧ ، أعيان العصر ج ٤ المخطوط غير مرقم) .

(١٢٣) كانت تقع جنوبي القسطنطينية نسبة لطائفة من الرهبان الحبش (النجوم الزاهرة ج ٦ ص

٣٨١ - ٣٨٢) .

(١٢٤) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٩ - ٣٩٠ ، زبدة كشف الممالك ص ٨٦ ، بدائع

الزهور ج ٢ ص ١٤٨ ، الألفاظ الخفية ص ٢٣ - ٢٤ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٢٦ .

(١٢٥) خطط ج ٢ ص ١١١ ، الفروسية والمناصب الحربية غير مرقم ، انظر صورة القبق

والألفاظ الاصطلاحية .

- (١٢٦) خطط ج ٢ ص ١١٢ - ١١٣ ، سلاطين المماليك ص ٢٣ .
- (١٢٧) هذا المبلغ هو ثروة الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام التى صادرها السلطان لخروجه عليه سنة ٨٧٤٧ - ١٣٣٦ م ، وأنفقها على الحمام (بدائع الزهور ج ١ ص ١٨٨) .
- (١٢٨) بدائع الزهور ج ١ ص ١٨٨ .
- (١٢٩) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣ .
- (١٣٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .
- (١٣١) ابن دانيال الموصلى : طيف الخيال ص ٨٠٥ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .
- (١٣٢) المهمل الصاق ج ١ ورقة ٣٠٤ - ٣٠٥ ، النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣١٧ .
- (١٣٣) بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٢ .
- (١٣٤) ذبح السلطان فرج نحو ألفين من هؤلاء المماليك وهم ممالك أبيه برقوق ، وسبب ذلك ، كثرة خروجهم عليه ، يقول المؤيد شيخ « ماصبر أحد من الملوك كصبر الملك الناصر فرج على ممالك أبيه فإنه كان يقتل الواحد منهم ، حتى يكون سامحه مراراً عديدة وهم يندرون » (بدائع الزهور ج ١ ص ٢ ، ٣) .
- (١٣٥) من شعر المؤيد :

فقتننا سوائف وخذود	وعيون نواعس وخذود
أسرتنا الظباء وهن نعام	وخضعنا لها ونحن الأسود
وأنا الخاصكى شيخ المؤيد	نظم شعري جواهر وعقود . . الخ

(انظر بدائع الزهور ج ٢ ص ٨ - ٩) .

- (١٣٦) بدائع الزهور ج ٢ ص ٦٢ ، ٧٦ - ١٢٤ .
- (١٣٧) أنشأ كتاب الصداق محبى الدين عبد الله بن عبد الظاهر كاتب الإنشاء بمصر ، وقرئ بالحفل (درة الأسلاك ورقة ٥٠ ، تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ١٠٩ ، النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١١٩ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٤٦) .
- (١٣٨) خطط ج ٢ ص ١٠٥ .
- (١٣٩) أنباء الغمر ج ١ ص ١٨٨ .
- (١٤٠) بعض آية ٥٨ من سورة النحل .
- (١٤١) أبو الفضائل ص ٥٦٥ - ٥٦٦ ، خطط ج ٢ ص ١١٢ - ١١٣ .
- (١٤٢) أنباء الغمر ج ١ ص ٥٢ .
- (١٤٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .
- (١٤٤) تنسب هذه البركة لشخص يصنع الأبطال الحديد ، وعمرت بالمساكن حول البركة وتدخل المراكب إليها من الخليج فإذا نصب الماء زرعت بالبرسيم وكانت من أماكن اللهو والترويح عن النفس (خطط ج ٢ ص ١٦٢) .

- (١٤٥) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٠٨ .
- (١٤٦) الألفاظ الخفية ص ٦٢ وما بعدها ، بدائع الزهور ج ١ ص ٣١٥ وج ٢ ص ١٣٣ .
- (١٤٧) السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب توفيت سنة ٨٢٠٨ - ٨٢٣ م ويعتبر مشهدها من المشاهد التي يتبرك الناس بزيارتها (خطط ج ٢ ص ٤٠ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢١) .
- (١٤٨) تاريخ يشبك ورقة ١٠٥ و ١٠٦ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٣١٥ ، ج ٢ ص ١٣٣ .
- (١٤٩) زبدة كشف الممالك ص ٢٦ - ٢٧ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٦ .
- (١٥٠) زبدة كشف الممالك ص ٩٠ - ٩٢ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٩٥ ، ٣٠ ، ١٤٢ ، ١٦٧ ، ح ٤ ص ٨٨ .
- (١٥١) زبدة كشف الممالك ص ٨٧ ، ٩٠ - ٩١ ، الإبداع في مضار الابتداع ص ٣٢٣ ، بدائع الزهور ج ٤ ص ٦٠ ، ٧٢ ، ٣٩١ .
- (١٥٢) زبدة كشف الممالك ص ٨٧ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١١٣ .
- (١٥٣) روض المناظر - مخطوط غير مرقم - ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
- (١٥٤) النطع والنطع (بالكسر والفتح والتحريك) بساط من الأديم والجمع أنطاع ونطوع (التاموس المحيط ، رقا ج العروس) .
- (١٥٥) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٣ .
- (١٥٦) نهاية الأرب (مخطوط) ج ٢ ورقة ٢٨ ، ٣٢ خطط ج ٢ ص ٤٠٥ - ٠٨ .
- صبح الأعشى مخطوط ج ٦ ورقة ٧٠ - ٧١ .
- (١٥٧) انظر الخطط ج ٢ ص ٢١٣ - ٢١٤ ، وراجع ما سبق .
- (١٥٨) معيد النعم ص ١٤٠ - ١٤١ .
- (١٥٩) معيد النعم ص ١٤٣ .
- (١٦٠) معيد النعم ص ١٤٤ .
- (١٦١) خطط ج ٢ ص ٣٨٦ .
- (١٦٢) خطط ج ٢ ص ٣٨٧ ، ٣٩٩ - ٤٠١ ، تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ١٠٤ .
- (١٦٣) أول من أقام مدرسة عامة في مصر للمذاهب الأربعة الصالح نجم الدين أيوب ، في عام ٨٦٤١ - ١٢٤٣ م أنشأها بجوار الأزهر ، وعرفت باسم المدارس الصالحية (خطط ج ٢ ص ٣٧٤ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٠) .
- (١٦٤) خطط ج ٢ ص ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٢ - ٣٨٤ ، الانتصار ج ٤ ص ٤٢ ، ٩٦ - ٩٩ .
- عيون التواريخ ص ٣٦ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٢ .
- (١٦٥) خطط ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٣ .
- (١٦٦) معيد النعم ص ١٤٥ ، خطط ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٣ .

- (١٦٧) معيد النعم ص ١٤٤ .
- (١٦٨) معيد النعم ص ١٤٤ - ١٤٥ .
- (١٦٩) الانتصار ج ٤ ص ٩٦ - ٩٨ ، حجة وقف الأشرف برسبای مخطوطة غير مرقمة .
- (١٧٠) معيد النعم ص ١٤٦ .
- (١٧١) لم يزل معظم المصاحف الخاصة بسلاطين وأمراء الممالك باقية إلى اليوم وهي من أحجام مختلفة وبخطوط رائنة والكثير منها مذهب (معرض دار الكتب المصرية) .
- (١٧٢) معيد النعم ص ١٤٦ - ١٤٧ .
- (١٧٣) معيد النعم ص ١٧٠ ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، الباب ٤٦ .
- (١٧٤) خطط ج ٢ ص ٤١٧ ، ٤٢٢ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٠ - ١٦١ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٠٣ .
- (١٧٥) خطط ج ٢ ص ٤١٥ ، ٤٢٢ ، انظر الألفاظ الاصطلاحية .
- (١٧٦) خطط ج ٢ ص ٤١٥ ، ٤٢٢ .
- (١٧٧) معيد النعم ص ١٤٩ .
- (١٧٨) معيد النعم ص ١٦١ - ١٦٢ و ١٦٤ - ١٦٥ بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٠٣ خطط ج ٢ ص ٤١٤ و ٤١٦ - ٤١٧ السلوك مخطوط ج ٣ ص ٢٦٨ .
- (١٧٩) معيد النعم ص ١٤٦ - ١٤٧ و ١٦٦ .
- (١٨٠) خطط ج ٢ ص ٤٣٠ .
- (١٨١) خطط ج ٢ ص ٤٢٧ - ٤٣٠ .
- (١٨٢) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٥٣ .
- (١٨٣) معيد النعم ص ١٧١ - ١٧٢ .
- (١٨٤) خطط ج ٢ ص ٣٨٣ ، ٤١٧ ، الانتصار ج ٤ ص ٤٠ - ٤٤ ، ٩٢ - ٩٣ ، ١٠٢ - ١٠٤ ، أعيان العصر - مخطوط - غير مرقم .
- (١٨٥) الانتصار ج ٤ ص ٤٢ و ٩٦ و ٩٨ عيون التواريخ ص ٣٦ .
- (١٨٦) حجة وقف الأشرف برسبای (غير مرقمة) .
- (١٨٧) السيف المهند ورقة ٤٨ .
- (١٨٨) خطط ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٢ .
- (١٨٩) حجة وقف برسبای .
- (١٩٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

- (١٩١) بدائع الزهور ج ٣ ص ١٢ - ١٣ ، ٥٩ ، ٩٣ ، ج ٤ ص ٧٧ ، ٢٠٤ .
- (١٩٢) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٢٤ .
- (١٩٣) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٧٨ ، صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .
- (١٩٤) - (١٩٥) حوادث الدهور ج ١ ورقة ٩٥ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٤١ و ١٥١ - ١٥٢ و ١٥٨ - ١٥٩ و ١٦٢ - ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ و ١٨٦ و ج ٢ ورقة ٢٠٤ - ٢٠٥ و ٢٢١ .
- (١٩٦) إغاثة الأمة ص ٧٤ - ٧٥ .
- (١٩٧) حوادث الدهور ج ١ ورقة ٩٥ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٤١ و ١٥١ - ١٥٢ و ١٥٨ - ١٥٩ و ١٦٢ - ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ و ١٨٦ و ج ٢ ورقة ٢٠٤ - ٢٠٥ و ٢٢١ .
- (١٩٨) الاستسقاء لغويا طلب السقيا ، واصطلاحا الصلاة عند الحاجة كأنقطاع الغيث أو قلة الماء بحيث لا يكفي ، على أن يخرج جميع الناس بأطفالهم ونسائهم ومواشيهم خارج المساكن إشارة إلى أن الجذب أو البلاء قد أصاب الجميع ، وشروطه التوبة والصدقة وكثرة الاستغفار وقد أخبر القرآن الكريم عن استسقاء بعض الأنبياء ، ففي سورة البقرة يقول الله تعالى « وإن استسقى موسى لقومه » ، « وجاءت الأخبار باستسقاء سليمان وعيسى وداود عليهم السلام والرسول (ص) وما جاء في استسقاء الرسول (ص) » اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ولا محق ولا بلاء ولا هدم ، اللهم على الظراب والآكام ، (الجبال الصغيرة والتلال) ومنابت الشجر وبطون الأودية ، اللهم حوالينا ولا علينا اللهم سقيا غيثا مغيثا هنيئاً مريئاً ، اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الفروع .
- (الإحياء للغزالي ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، شرح الخطيب ج ١ ص ١٦٥ ، حاشية الشيخ الشرقاوي ج ١ ص ٣١٦ ، ٣١٧) .
- (١٩٩) الأصل التاريخي للاستعانة ببركات بني العباس ، ما وقع في عهد عمر بن الخطاب حين أصاب المدينة قحط ، فاستسقى عمر بالعباس عم النبي (ص) ، ودعا « اللهم إنا كنا إذا قحطنا نتوسل إليك بنينا فقسقنا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » وحينئذ توجه العباس للدعاء بقوله « اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بي القوم إليك المكانة من نبيك (ص) ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، وأنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضیعة ، فقد خرج الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فأغثهم بغياثك ، قبل أن يقنطوا ، فيهلكوا فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . فاتم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال (الإحياء ج ١ ص ٢٧٨ ، شرح الخطيب ج ١ ص ١٦٦) .
- (٢٠٠) صارت الأسعار على هذا النحو : إردب القمح من ٤٠٠ - ١٢٠٠ - ١٥٠٠ درهم الشعير ٤٠٠ درهم والفل ٧٠٠ درهم ، البطة اللقيق ١٣٥ درهم ، والدقيق العلامة ٤٠٠

درهم ، واللحم الضاني في عظمه ١١ درهم للرطل ، والمقل ١٨ درهما ، والخضراوات لاجود لها ، وحمل التبن من ٥٠٠ - ١٠٠٠ درهم ، وفدان البرسيم الأخضر من ٢٠ - ٣٠ أشرفيا وحملة الخطب ١٠٠ درهم (حوادث الدهور ج١ ورقة ٩٥ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣) .

(٢٠١) بدائع الزهور ج٢ ص ٣١ .

(٢٠٢) لما انحط السعر هبط إردب القمح إلى ٨٠٠ درهم والشعير إلى ٥٠٠ درهم والقول إلى ٥٠٠ درهم وبطة الدقيق العلامة ٤٨ درهما (حوادث الدهور ج٢ ورقة ٢٠٤ - ٢٠٥ و٢٠٧-٢٢١) .

(٢٠٣) بدائع الزهور ج٢ ص ٧٤ .

(٢٠٤) هناك أمثلة كثيرة لهذه الحوادث وتكرر توزيع الفقراء وأعمال البر المتنوعة (إغاثة الأمة ص ٣٥ ، ٤٠ ، أبو الفداء ج٤ ص ١٥٥ ، درة الاسلاك (مصور) ج١ ورقة ٣٣ ، السلوك (مخطوط) ج٣ ص ٢٥٨ ، بدائع الزهور ج١ ص ٢٢٩) .

(٢٠٥) اشتهر بعض الأثرياء من ذوى القلوب الرحيمة بهذا العمل الخيري ، كسعد الدين ابن غراب كاتب السر ، إذ أقام مغسلا عند داره بجوار جامع بشناك الناصري ، وذلك بصدد طاعون سنة ٨٨٠٧ - ١٤٠٤ م ، فغسل وكفن من أمواله عددا كبيرا من الغرباء ، وعرف هذا الحادث باسم فصل ابن غراب ، كما اشتهر الأمير يشبك اللوادار في عهد قايتباي بصدد طاعون ٨٨٧٣ - ٨٨٧٤ (١٤٦٨ م - ١٤٦٩ م) الذي اقترن بهبوط النيل ، فأقام مغسلا بقرب مدرسة السلطان حسن من ماله ، فحصل للناس بذلك غاية الرفق « (بدائع الزهور ج١ ص ٤٨ و ج٢ ص ١٠٠ و ١٠٧ - ١٠٨) .

(٢٠٦) أنباء الغمر ج١ ص ٤٤ السلوك مخطوط ج٣ ص ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٤٥

(٢٠٧) بدائع الزهور ج٢ ص ٢١ .

(٢٠٨) أنباء الغمر ج٢ ص ١٣٢ - ١٣٣ ، بدائع الزهور ج٢ ص ٥ .

(٢٠٩) بدائع الزهور ج٢ ص ١١٦ و ١١٨ .

(٢١٠) فتوح النصر ج١ ورقة ١٠٦ ، بيمرس اللوادار مصور ورقة ٧٤ ، بدائع الزهور ج٣ ص ٥٤ .

(٢١١) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٤٢ .

(٢١٢) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٣٩ .

(٢١٣) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٥٨ .

(٢١٤) النجوم الزاهرة ج٨ ص ٤٢ - ٤٣ عيون التواريخ ص ٢٢٠ - سلاطين المماليك

ص ٢٩ - ٣١ .

(٢١٥) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٥ .

(٢١٦) برزت هذه الحقيقة طوال عصر المماليك فالسلطان بيبرس تسلطن بعد مقتل قطز ، وكتبغا خلع الناصر وتسلطن مكانه ، وهذا طرده لاجين بعد سنتين وتسلطن ، والأخير قتله الأمراء بعد فترة ، وهذا بلبلأى المؤيدى اغتصب السلطنة من أحمد بن إينال بعد أربعة شهور من سلطته ، لكنه لم يدم فى السلطة أكثر من ٥٦ يوما حتى طرده تمر بغا الظاهرى وهكذا .

(٢١٧) كان أكثر الأوصياء أو مدبرى الدول « على حد تعبير المصطلح » ، هم الذين خلعوا السلاطين الأتفال وتولوا مكانهم أو ولوا من يرونه غيرهم : فهذا قطز دبر الأمور لعل بن أيبك لكنه خلعه بعد سنتين وثمانية شهور ، ثم إن قلاوون كان وصيا على سلامش بن بيبرس لكنه خلعه بعد ١٠٠ يوم وتسلطن مكانه ، وكذلك فعل ططر حين خلع أحمد بن المؤيد شيخ بعد ٨ شهور ، وبرسباى يوم خلع أحمد بن ططر بعد أربعة شهور وهكذا .

(٢١٨) ممن خلعوا من الوارثين وعادوا : الناصر محمد ، خلع مرتين وعاد إلى العرش حتى توفى ، وخلع الناصر حسن مرة وعاد ثم قتل ، وخلع فرج بن برقوق مرة وعاد حتى قتل وهكذا .. (٢١٩) راجع الفصل السابق .

(٢٢٠) ملحمة رولاند : Song of roland التى وقعت حوادثها التاريخية فى عهد شارلمان من أروع ما سجله تاريخ العصور الوسطى للدلالة على صدق الولاء والتبعية غير أنها ليست دقيقة من الناحية التاريخية Steph. pp. 273-78, Evans. pp. 38-50 المسلمون فى فرنسا وإيطاليا (بحث للمؤلف نشر بمجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة سنة ١٩٦٦) .

(٢٢١) بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٧ .

(٢٢٢) يشمل هذا العدد الخليفة المستعين ، وأسقط منه الملك الأوحى بيد / ١ الذى تسلطن لمدة يوم واحد بعد مقتل خليل بن قلاوون ٥٦٩٣ هـ ، وكذلك أسقط خير بك الذى تسلطن لمدة ليلة واحدة فى جنح الظلام وتلقب بالملك الظاهر ، على أثر القبض على تمر بغا وقبيل وصول قايتباى فى رجب ٥٨٧٢ هـ .

(٢٢٣) كان من بين من ماتوا : الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وترجع وفاته فى سنة ٥٧٤٦ - ١٣٤٥ م ، إلى شدة الفزع حين رأى رأس أخيه شهاب الدين أحمد الذى خلعه الأمراء بعد ٣ شهور و١٣ يوما ثم قتلوه ، ومنهم من سبق له الخلع كالناصر محمد وبرقوق .

(٢٢٤) من هذا الفريق من خلع نفسه لمرضه مثل جقمق وإينال ، ومنهم من خلع وسجن ، مثل عبد العزيز بن برقوق والخليفة المستعين ، ومن خلع وعاد ثم قتل ، مثل السلطان حسن .

(٢٢٥) من هذا الفريق من خلع قبل القتل مثل فرج بن برقوق ومن قتل فى الحرب كالغورى وطومان باى .

(٢٢٦) ضم فى هذا الفريق الإخوة الذين ولوا العرش واحدا بعد آخر ، بعد خلع أو قتل إخوتهم السابقين ، فهذه وإن لم تكن وراثة صريحة بعهد ، إلا أنها على أية حال تضمنت معنى الوراثة ، لكونهم أبناء سلطان سالف .

(٢٢٧) ضم الخليفة لمن تولوا العرش اغتصاباً وإن أرغم على ذلك (انظر الجداول الملحقه)

(٢٢٨) أبو الفداء ج ٤ ص ٣٠ .

- (٢٢٩) النجوم الزاهرة ج٢ ص ٢٧٥ .
- (٢٣٠) الدرر الكامنة ج١ ص ٤٩٩ .
- (٢٣١) السلوك مخطوط ج٣ ص ١٤٦ .
- (٢٣٢) أنباء الغمر ج١ ص ٤٣٧ ، بدائع الزهور ج١ ص ٣٠٩ .
- (٢٣٣) بدائع الزهور ج٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٦ .
- (٢٣٤) أخبار الدول في آثار الأول ص ٣٣٩ - ٣٤٠ بدائع الزهور ج٢ ص ١٣٦ - ١٣٩ .
- (٢٣٥) بدائع الزهور ج٢ ص ١٣٧ .
- (٢٣٦) بدائع الزهور ج٢ ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- (٢٣٧) تاريخ يشبك ورقة ١٣٧ .
- (٢٣٨) انظر الفصل التاسع .
- (٢٣٩) من أمثلة ثورات العربان خلال عصر المماليك :
- عربان الصعيد : ٥٧٠١ (١٣٠١ م) و ٥٧١٣ (١٣١٣ م) و ٥٧٥٤ - (١٣٥٣ م)
- و ٥٨٨٢ (١٤٧٧ م) .
- عربان البحيرة : ٥٧٨٢ (١٣٨٠ م) و ٥٧٨٣ (١٣٨١ م) و ٥٨٧٥ - (١٤٧٠ م)
- و ٥٩٨١ (١٤٨٦ م)
- عربان الشرقية والغربية : ٥٨٠٦ (١٤٠٣ م) .
- عربان الشام : ٥٧٦٧ (١٣٦٥ م) و ٥٨٨٠ (١٤٧٥ م) .
- (بدائع الزهور ج١ ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٣٤٠ - ٣٤١ و ٣٤٨ ، ج٢ ص ٩٥ و ١٢٢ و ١٦٣ و ١٨٠ و ٢١٦ و ٢٣٨ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص ٣٦ و ٦٠ و ٦١ ، سلاطين المماليك ص ١٠٧ السلوك مخطوط ج٢٣ ص ١٣) .
- (٢٤٠) الأعراب ورقة ٩٣ .
- (٢٤١) بدائع الزهور ج٢ ص ٤٧ .
- (٢٤٢) بدائع الزهور ج٢ ص ١١٢ - ١١٦ .
- (٢٤٣) المصدر السابق ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .
- (٢٤٤) بدائع الزهور ج٣ ص ٤٣ .
- (٢٤٥) امتد حقد العرب على من بقى من المماليك حتى نهاية العصر العثماني ودخل نابليون مصر يوم أودع إبراهيم بك المملوكى أمواله وحريمه وأمن عليها بعض العربان جهة الصالحية ، وكن للعدو بحملة ، لكنهم أفضوا سره للفرنسيين ، فجاءته حملة كاد إبراهيم بك ينتصر لولا أنه سمع بنهب العرب أمتعتهم وذخائرهم ، فترك القتال ومال عليهم مما شئت جهوده ، ومكن للفرنسيين (بدائع الزهور الجبرتي ج٣ ص ١٤ - ١٥) .
- (٢٤٦) كان إسم « الوالى » يطلق فى أول الأمر على نائب السلطان ، لكنه صار يطلق على من إليه « أمر أهل الجرائم من القصوص والحمارين وغيرهم ، وربما عرف باسم والى الحرب »

ومن واجبه كما يقول السبكي : « الفحص من المنكرات من الخمر والحشيش وليس له أن يتجسس على الناس ويبحث عما هم فيه ولا كبس بيوتهم بمجرد القول والقليل ، بل عليه أن يبحث سرّاً رجلاً ، مأموناً ، ينهى عن المنكر بقدر ما نهى الله ، وينتقد السبكي سياسة الولاية في عصره : « وما يفعله الولاية من إخراج العوام من بيوتهم وإزعاجهم وإزعاجهم وهتكهم ، كل ذلك من تعدى حدود الله أو ظلم وينصح الوالى إذ أوقع عقوبة بمذنب كالجلد مثلاً ، أن يكون السوط معتدلاً بين القضيب والعصار ، وألا يكون السوط رطباً ولا يابساً ، على أن يفرق السياط على الأعضاء ويتق الوجه ، ويرى ابن تيمية أن الجلد الذى جاءت به الشريعة هو الجلد المعتدل - بالسوط الوسط ، فإن خيار الأمور أوسطها ، قال على رضى الله عنه « ضرب بين ضريين وسوط بين سوطين ولا يكون الجلد بالعصا ولا بالمقارع » ، كما عليه ألا يقيم حد الخمر في السكر بل يؤخره حتى يفيق ، ومن الولاية من يأمر بالجلد ويشرع في الصلاة ويطيل فيها فيظل المضروب تحت العصار مادام الوالى في الصلاة ، ومنهم من يهجم بخيله ورجله على من يأتون منكراً ويهتك سترهم ويفرض عليهم غرامات يسميها الولاية « التأديب والجنایات » ، وكل هذا مالا يحمد من الولاية . (معيد النعم ص ٥٤ - ٥٧ ، ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعى والرعية ص ٥٦ ، انظر وصية الوالى بالملاحق) .

(٢٤٧) بدائع الزهور ج١ ص ٣٢٤ .

(٢٤٨) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٣٦ .

(٢٤٩) العطفة : تتابع الأصوات واختلافها في الحرب أو حكاية صوت الحجان إذا قالوا عيط عيط ، ولعل المقصود بها العبث والاستهتار بأمن الناس وأموالهم (القاموس المحيط) .

(٢٥٠) بدائع الزهور ج٢ ص ٣٣٦ .

(٢٥١) خطط ج٢ ص ١١٦ .

(٢٥٢) زاد خاير بك فيما بعد على عقوبة قطع اليد والرجل ، بأن كان يأمر بتعليق يد السارق المقطوعة في عنقه ويشهره في القاهرة ، وقد طبق هذه العقوبة في أحد من العوام ضبط يسرق من جيب أحد العثمانيين (بدائع الزهور ج٢ ص ٣٤٢ ، ج ٣ ص ١٧٧) .

(٢٥٣) بدائع الزهور ج٢ ص ٣٥٣ .

(٢٥٤) بدائع الزهور ج٢ ص ١٣٤ .

(٢٥٥) بدائع الزهور ج٢ ص ١٤٢ .

(٢٥٦) بدائع الزهور ج١ ص ١٠٤ - ١٠٥ ، فتوح النصر ج١ ورقة ١٠٩ .

(٢٥٧) فتوح النصر ج١ ورقة ١٠٨ .

(٢٥٨) بدائع الزهور ج٢ ص ١٥٠ .

(٢٥٩) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٦٠ .

(٢٦٠) بدائع الزهور ج٣ ص ٥٩ .

(٢٦١) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٢٥ .

(٢٦٢) بدائع الزهور ج٣ ص ٥٩ .

(٢٦٣) يرجع هذا التعديل إلى غضب بعض الأمراء على كبير القضاة يومئذ الشيخ عبدالرحمن بن عبد الوهاب بن بنت الأعز (المتوفى سنة ١٢٦٥هـ - ١٢٦٦م) ، سبب عدم وافقته في حكم يريده ، فحسن للسلطان هذا التعديل بحجة أن في هذا مصلحته وتوسعة للجماهير (النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٢٢ - ١٢٣ ، فتوح النصر ج١ ورقة ١٠٨ ، الأعلام) .

(٢٦٤) دول الإسلام ص ٢٨ ، زبدة كشف الممالك ص ٩٠ - ٩١ ، معيد النعم ص ١ ، درة الإسلام ج٢ ورقة ٢٥ ، النجوم الزاهرة ج٧ ص ٢٢ ١٢٣ ، فتوح النصر ج١ ورقة ١٠٨ ، ورقة ١٠٨ ، نهاية الأرب (مخطوط) ج ٢٨ ورقة ٣٤ .

(٢٦٥) بدائع الزهور ج٢ ص ٣٠٧ .

(٢٦٦) زبدة كشف الممالك ٩٠ - ٩١ و ١٠٠ ، التعريف ص ١١٦ - ١١٨ ، معيد النعم ص ٧٠ - ٧١ .

(٢٦٧) أنقص هذا العدد في سنة ١٢٧٩هـ (١٥٢٠م) زمن العثمانيين في نيابة خير بك في مصر ، إذ اتفق قضاة القضاة بأن يقتصر الواحد منهم على سبعة نواب بعدد أيام الأسبوع نظراً لفساد نوابهم وأن يكون لكل نائب من السبعة شاهدان (بدائع الزهور ج٣ ص ٢٧٢ ، زبدة كشف الممالك ص ٩٠ - ٩١ .

(٢٦٨) مدحهم البعض بقوله : هم أناس نصبوا أنفسهم لخلاص حقوق الخلق . وذمهم البعض بقوله : هم أناس فضل عليهم الفضول فباعوه لغيرهم (معيد النعم ص ٨٠) .

(٢٦٩) معيد النعم ص ٧٨ .

(٢٧٠) معيد النعم ص ٧٩ .

(٢٧١) المصدر السابق .

(٢٧٢) المصدر السابق .

(٢٧٣) ذمهم البعض بقوله :

قوم إذا غضبوا كانت رماحهم بث الشهادة بين الناس بالزور
هم السلاطين إلا أن حكمهم على السجلات والأملاك والدور
(معيد النعم ص ٨٠ - ٨١)

(٢٧٤) توفي هذا القاضي سنة ١٨٠١هـ (١٣٩٨م) .

(٢٧٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ .

(٢٧٦) معالم القربة الباب ٥٢ و ٥٣ (غير مرقم) .

(٢٧٧) صبح الأعشى ج٢ ص ٢٠٤ .

- (٢٧٨) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٤ .
- (٢٧٩) خطط ج٢ ص ٧٧٤ ، ٣٣٤ .
- (٢٨٠) خطط ج٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .
- (٢٨١) خطط ج٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .
- (٢٨٢) خطط ج٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٨ ، السلوك ج١ ص ٨٣٠ .
- (٢٨٣) أنباء الغمر ج٢ ص ١٠٤ .
- (٢٨٤) السلوك مخطوط ج٢ ورقة ٣٢١ .
- (٢٨٥) بدائع الزهور ج٢ ص ١٢٩ و ١٣١ و ١٥٤ .
- (٢٨٦) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٧ ص ١٢٩ و ١٣١ و ١٥٤ .
- (٢٨٧) زبدة كشف الممالك ص ٨٦ .
- (٢٨٨) الدر المنتخب ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .
- (٢٨٩) صبح الأعشى ج٦ ص ٢٠٨ .
- (٢٩٠) السلوك مخطوط ج٣ ص ٢٦٨ .
- (٢٩١) بدائع الزهور ج٢ ص ١٢٩ .
- (٢٩٢) بدائع الزهور ج٢ ص ١٢٩ .
- (٢٩٣) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٦٥ .
- (٢٩٤) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ .
- (٢٩٥) بدائع الزهور ج١ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ و ٢٤٥ .
- (٢٩٦) بدائع الزهور ج١ ص ٣٤٤ .
- (٢٩٧) أنباء الغمر ج١ ص ٦٣٧ .
- (٢٩٨) بدائع الزهور ج٢ ص ٣٠٥ أنظر النقود في اللواة الثمانية .

الملاحق

القسم الأول

بعض ما كان يكتب في أوراق التوزيع الإقطاعي

أولا - الدولة النورية

- ١ -

« منشور نور الدين محمود (الملك العادل) لكرامة بن بختر »

٥٥٥٦ هـ - ١٦٦٠ م^(١) وإمرة ٤٠ فارساً - « الحمد لله » (وهذه علامته)

لما لاذ بالخدمة وتقرب إليها وقصد الدولة العادلة والتمس الخدمة بين يديها ، تقبل سعيه وأجيب إلى ملتمسه ، ورسم له بإنشاء هذا المنشور ، مودعاً ذكر ما تأثل له عن الإرعاء والاحترام والإعزاز والإكرام . . والعلة أربعون فارساً وما أمكنه وقت المهمات الشريفة . .

وجهاته : غالب قرى العزب ، ومن غير العزب : القنيطرة^(٢) من البقاع ، ظهر حمار من وادي التيم ، ثعلبايا^(٣) من البقاع أيضاً ، برجة من صيداء ، المعاصير^(٤) ، ومنها : المعاصر الفوقاء ، الدامور ، شارون^(٥) ، مجد لبغا وكفر عمية^(٦) . التاريخ سابع شهر رجب سنة ٥٥٦ هـ^(٧) .

ثانياً - الدولة الأيوبية

— ٢ —

« منشور صلاح الدين لجمال الدين بن حجي بن كرامة بن بحر »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الحمد لله على نعمائه »

(ومن مضمونه بعد الترجمة) :

« بإجراء الأمير جمال الدين حجي بن كرامة على ما بيده من جبل بيروت ، من أعمال الدامور ، لما وصل إلى الخدمة السلطانية وتحقيقنا ما جرى عليه من جانب الكفار ، نخلهم الله ، وهو ملكه ورثه عن أبيه وجده ، وهي : سر حمور وعين كسور ورمطون والدوير وطرديلا وعين درافيل وكفر عمية وذلك حبساً منا عليه واحتساباً إليه بمناصحته ، وخدمته ونهضته في العدو المشاغل له . »

« وكتب بأرض بيروت في العشر الأخير من جمادى الأولى سنة ٥٨٣ هـ »

(١١٨٧ م)^(٨) .

— ٣ —

نسخة توقيع بإقطاع العادل أبي بكر كتبها له صلاح الدين الأيوبي

سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) :

الحمد لله الذي جعل أيماننا حسانا ، وأعلى لنا يداً ولسانا ، وأطاب محتدنا أوراقاً ، وأغصانا ، ورفع لمجدنا لواء ولحدنا برهاناً ، وحقق فينا قوله : « منشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً » .

نحمده على سبوغ نعمته ونسأله أن يجعلنا من الداخلين في رحمته ،
ونصلي على رسوله محمد الذي أيدته بحكمته وعصمه من الناس بعصمته ، وأخرج
به كل قلب من ظلمته وعلى آله وأصحابه الذين خلفوه فأحسنوا الخلافة في أمته .

أما بعد ، فإن فروع الشجرة يأوى بعضها إلى بعض لمكان قربه ،
ويؤثر بعضها بعضاً من فضل شربه ، ونحن أهل بيت عرف منا وفاق القلوب
وداً ، وإيثار الأيدي رفداً ، وذلك وإن كان من الحسنات التي يكثر فيها إثبات
الأقلام ، فإنه من مصالح الملك التي دلت عليها تجارب الأيام ، وكلا هذين
الأمرين مشكورة مذاهبه ، محمودة عواقبه ، مرفوعة على رعوس الأشهاد
مناقبه ، وما من أحد من أدائنا إلا وقد وسمناه بعوارف يختال في ملابسها
ويسر في كل حين بزفاف عرائسها ، ولم نرض في بل أرحامهم بمواصلة
سلامها دون مواصلة برها وإدناء مجالها ، وإلخوتنا من ذلك أوفر الأقسام ،
كما أن هم منا رحماً هو أقرب الأرحام ، وقد أمرنا بتجديد العارفة لأخينا
العادل الأجل السيد الكبير ، سيف الدين ناصر الإسلام « أبي بكر » أبقاه الله ،
لو لم نفعل ذلك قضاء لحق إخوانه الذي ترف عليه حوائى الأضالع ففعلناه
جزاء لذائع خدمه التي هي نعم الذرائع فهو في لزوم آداب الخدمة بعيد وقف
منها على قدم الاجتهاد ، وفي لحمة شوابك النسب قريب وصل حرمة الوداد ،
وعنده من الغناء ما يحكم لآماله ببسطة الخيار ، ويرفع مكانته عن مكانة الأشباه
والأنظار ، ويجعله شريكاً في الملك ، والشريك مساو في النقض والإمرار ،
فكم من موقف وقفه في خدمتنا ، فجعل وعره سهلاً ، وفاز فيه برضاتنا
وبفضيلة التقدم فانقلب بالمحبذين : إرضاء وفضلاً ، ويكفي من ذلك ما أبلاه
في لقاء العدو الكافر الذي استشرى في هياجه ، وتمادى في لحاجه ، ونزل
على ساحل البحر ، فأطل عليه بمثل أمواجه ، وقال : لا براح دون استفتاح ،
الأمر الذي عسرت معالجة رتاجه ، وتلك وقائع استضأنا فيها برأيه الذي
ينوب مناب الكمين في مضمرة وسيفه الذي ينسب من الاسم إلى أبيضه ،
ومن اللون إلى أخضره ، ولقد استغنينا عنهما بنصرة لقبه الذي تولت يد الله

طبع فضله وعنيت يد السيادة برونق صقله ، فهو يغرى قلوب الأعداء قبل
الأجساد ويسرى إليهم من غير حامل لمناط النجاد ، ويستقصى في استلابهم
حتى ينتزع من عيونهم لذة الرقاد ، وليس للحديد جوهر معدنه المستخرج
من زكاء الحسب ، وإذا استنجد قيل له : يا ذا المعالي ، كما يقال لسميه :
يا ذا الشطب ، ولو أخذنا في شرح مناقبه لظل القلم واقفاً على أعواد منبره
وامتد شأو القول فيه فلم ينته مورده إلى مصدره ، فهما خولناه من العطايا
فإنه يسير في جنب غنائه ، ومهما أثبتنا عليه فإنه سطر في كتاب ثنائه .

وقد جعلنا له من البلاد ما هو مقسم من الديار المصرية والشامية وبلاد
الحزيرة وديار بكر ليكون له من كل منها حظ تفيض يده في أمواله ، ويركب
في حشد من رجاله ، ويصبح وهو في كل جانب من جوانب ملكنا كالطليلة
في تقدم مكانها وكالريثة في إسهار أجفانها .

فليتسلم ذلك بيد معظم قعدا ، ولا يستكثر كثيراً ، ويحمل منها رफدها
غيثاً أو بحرأ ، وكذلك فليعدل في الرعية الذين هم عنده ودائع وليجاوز بهم
درجة العدل إلى إحسان الصنائع ، فإذا أسند هذا الأمر إلى ولاته ، فليكونوا
تقاه لا يجد الهوى عليهم سبيلا ولا يحمد الشيطان عندهم مقيلا ، وإذا حملوا
ثقلًا لا يجدون حمله ثقيلا .

وقد فشا في هذا الزمن الرشوة ، وهي سمحت أمر رسول الله (ص)
بنبذه ونهى عن أخذه وعن الرغبة في تداوله ، وهو كأخذ الربا قرنت اللعنة بمؤكله
وآكله .

وأما القضاة الذين هم للشريعة أوتاد ، ولإمضاء أحكامها أجناد ، ولحفظ
علومها كنوز لا يتطرق إليها النفاذ ، فينبغي أن يعول فيهم على الواحد دون
الاثنين . وأن يستعان منهم في الفضل بذى الأيدى وفي اليقظة بذى اليدين ،
ومن رام المنصب سائلا فليلمه ، وليغلظ القول في تجريح ملامه ، وليعرف
أنه ممن رام أمراً فأخطأ الطريق في استجلاب مرامه ، وأمر الحكام لا يتولاه
من سألته ، وإنما يتولاه من غفل عنه وأغفله .

وإذا قضينا حق الله في هذه الوصايا ، فلنعطفها على ما يكون لها تابعا
ولقواعد الملك رافعا ، وذلك أن البلاد التي أضفناها إليك : فيها مدن ذات
أعمال واسعة ومعقل ذات حصانة مانعة ، وكلها يفتقر إلى استخدام الفكر
في تدبيره ، وتصريف الزمان في تعميره ، فول وجهك إليها غير وان في
تكثير قليلها وترويض مخيلها ، وبث الأمانة على أوساطها ، وإهداء الغبطة
إلى أفئدة أهلها حتى تسمع باغتيابها وعند ذلك يتحدث كل منهم بلسان
الشكور ، ويتمثل بقوله تعالى : « بلدة طيبة ورب غفور » .

واعلم أنه يجاورك في بعضها جيران ذوو بلاء وعساكر وأسرة ومنابر
وأوائل للمجد وأواخر ، وما منهم إلا من يتمسك منا بود سليم وعهد قديم ،
وله مساعدة نعرف له حفيها ، (والحق يعرفه الكريم) .

فكن لهؤلاء جارا يودون جواره ويحمدون آثاره ، وإن سألك عهداً
قابضه لم يذل وفي واقف على السنن ، مساو بين السر والعلن ، ولا يكن
وفاؤك تخوف تنق مراصده ، ولا لرجاء ترقب فوائده ، فالله قد أغناك
أن تكون إلى المعاهدة لاجياً ، وجعلك بنا مخوفاً ومرجواً لا خائفاً ولا راجياً ،
وقد زدناك فضلة في مملك تكون بها على غيرك مفضلاً ، وقد كنت من قبلها
أغر فأوفت بك أغر محجلاً وذاك أنا جعلناك على آية الحبل تقودها إلى خوض
الغمار ، وتصرفها في منازل الأسفار ، وترتب قلوبها وأجنحتها على اختلاف
مراتب الأطوار ، فنحن لا نلقى عدواً ولا نهدي إلى بلد إلا وأنت كوكبنا الذي
نهتدي بمطلعه ومفتاحنا الذي نستفتح المغلق بيمن موقعه ، ونوقن بالنصر
في ذهابه وبالغنيمة في مرجعه والله يشرح لك صدرأ وييسر لك منا أمراً ،
ويشد أزرنا بك كما شد لموسى بأخيه أزرأ ، والسلام . . . (٩) .



نسخة توقيع بإقطاع كتب بها لأمير طراً على الدولة الأيوبية
ودخل في خدمتها

أما بعد ، فإن لكل وسيلة جزاء على نسبة مكانها ، وهي تتفاوت
في أوقات وجوبها ومناقل ميزانها ، ومن أوجبها حقاً وسيلة الهجرة ، التي
طوى لها الأمل من شقته ما طوى ، وبعث بها على صدق النية (ولكل امرئ
ما نوى) ، فالأوطان إليها مودعة ، والخطوات موسعة ، والوجوه من برد
الليل وحر النهار ملفعة ، وقد توخاها قوم في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فحفظوا في الدنيا باعتلاء المنار وفي الآخرة بعقبى الدار ، وقدموا على
من آوى ونصر فقال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ،
ثم صارت هذه سنة فيمن هاجر من أقوام إلى أقوام ، واستبدل بأنام عن أنام ،
وكذلك فعلت أيها الأمير (فلان) ، وفقك الله ، وقد تلقيت هجرتك هذه
بالكرامة ، وزخرفت لها دار الإقامة فما ابتغيت بها بغية إلا سهلت لك فجاجها
أو عاج معاجها وحمد إليك تأويلها وإدلاجها ، وأصبحت وقد وجدت
خفضاً غب السرى ، وخيطة منك الجفون على أمن الكرى ، وتبوءت كنف
الدولة التي هي أم الدول إذ صرت إلى القرية التي هي أم القرى ، ونحن
قد أدنيناك منا إدناء الخليط والعشير ، ورفعناك إلى محل الاختصاص الذي
هو المحل الأثير ، وآخينا بينك وبين عطايانا ، كما ووخى بين الصحابة النبوية
يوم الغدير .

هذا ولك وسيلة أخرى تعد من حسان المناقب ، وتوصف بالصفات
الأطائب وما يقال إلا أنها من الأطواد الرواسي ، وأنها تبرز في اللباس الأحمر
وغيرها لا يبرز في ذلك اللباس ، وهي التي تجعلك بوحدتها في كثرة وتتأمر بها
من غير إمرة ، وطالما أطالت يدك بمناط البيض الحداد ، وفرجت لك ضيق
الكر وقد غص بهوادي الجياد ، وحسنتك العيون وقد رميت منك بشرق

القذا ونبوة الشهاد ، ومن شرف الإقدام أن العدو يحب العدو من أجله
ويضطره إلى أن يقر بفضلته ، ومذ وصلت إلينا وصلناك بأمرائنا الذين سلفت
أيامهم وثبتت في مقامات الغناء أقدامهم ، أوتوسمنا بك الرجل الذي يزكو
لديك الصنيع وأنتك ستشفعه بحقوق خدمتك التي هي نعم الشفيح .

وقد عجلنا لك من الإقطاع مالا نرضى أن تكون عليه شاكرآ ، وجعلناه
لك أولاً وإن كان لغيرك آخرآ ، وهو مثبت في هذا التوقيع بقلم الديوان الذي
أقيم لغرض الحند كتابآ ، ولمعرفة أرزاقهم حسابآ ، وهو كذا وكذا .

فتناول هذا التحويل الذي خولته باليمين ، واستمسك به استمساك
الضنين ، واعلم أنه قد كثرت الحواسد لما مددناه من صنعك وبسطناه من ذرعك
فاشج حلوقهم بالسعى لاستحقاق المزيد ، وارق في درجات الصعود والزممام
صفحة الصعيد .

والذي نأمرك به أن تعد نفسك للخدمة التي جعلت لها قرناً وأنت بها
وأن تنتهي فيها إلى الأمد الأقصى دون الأدنى ، فلا تضم جناحك إلا على
قوادم من الرجال لا على خواف وإذا استنفرت فانقر بثقال من الخيل وخفاف
وكن مذخورآ لواحدة يقال فيها : يا عزائم اغضبي ويا خيل النصر اركبي ،
وتلك هي التي تتظلم بها الجماجم من الضراب ، وتلاقى فيها عصب الغربان
والذباب ، ولا تحتاج مع هذه إلى منقبة تتجمل بتفويقهها ، وتتكرر بتعريفها ،
وتنتهي إلى تليدها باستحداث طريفها .

والله تعالى يشد بك أزراً ، ويملا بك عيناً وصدرآ ، ويجعل الفلج
مقروناً برأيك ورايتك حتى يقال : « ومكروا مكرآ » وجردنا بيضاً وسمراً ،
والسلام إن شاء الله تعالى . . . (١٠) .



نسخة توقيع بإقطاع في العهد الأيوبي لأحد الأمراء الصغار

وهي أقل مرتبة من النوعين السابقين

القلم والرمح قلما نكلاهما أسمر ، وكما تشابهها في المنظر فكذلك تشابهها

في الخبر ، غير أن هذا يركب في عسكر من القول ، وهذا يحمل في عسكر ،
وقد نطق أحدهما بالثناء على أخيه فأحسن في نطقه ، وأقر له بالفضيلة ومن
الإنصاف أن يقر لدى الحق بحقه غير أن هذه الفضيلة تعزى إلى من يقيم أود
الساعي بتقويم أوده ولا يرى لها سيلاً قصداً إلا بالوطء على قصده ، وهو أنت
أيها الأمير فلان أيديك الله .

وقد اخترناك لخدمتنا على بصيرة وأجريناك من اعتنائنا على أكرم
وتيرة ، ورفعنا درجتك فوق درجة المعلى لمن سبقك وإنها لكبيرة .
ولم يكن هذا الاختيار إلا بعد اختبار لا يحتاج معه إلى شهادة ، ولو
كشف الغطاء لم يجد اليقين من زيادة فطالما عجمت نبعتك ، وتيمنت طلعتك
ولم تعرض سلعة الغناء إلا نفقت سلعتك ، ومثلك من تباهى الرجال بمكانه ،
وتحلى له فضله عنانه ويتسع ميدان القول في وصفه إذا ضاق بغيره سعة ميدانه ،
وما يقال إلا أنك الرجل الذي تقذف الجانب المهم بعزمك ، وترمى برأيتك
قبل رماء سهمك ، وبك يحسر دجى الحرب الذي أعوزه الصباح ، ويحمى
عقابها أن يحصى له جناح ، فأسباب الاعتضاد بك إذن كثيرة الأعداد ، وأنت
الواحد المشار إليه ، ولا تكثر إلا مناقب الآحاد .

وقد بدأناك من العطاء بما يكون بيسم الله في صدر الكتاب ، وجعلناه
كالغمامة التي تأتي أولاً بالقطار ثم تأخذ في الانسكاب ، وخير العطاء ما رب
بعد ميلاده وأينع ثمره بعد جداده ، وإن صادف ذلك وسائل خدم مستأنفة
كان لها قراناً وصادف الإحسان منه إحساناً ، وقد ضمن الله تعالى للشاكرين
من عباده مزيداً ، ولم يرض له بأن يكون مبدئاً حتى يكون معيداً ، وكذلك
دأبه فيمن عرف مواقع نعمه ، وعلم أن صحتها لا تفارقه ما لم يعدها بسقمه .
ونحن أولى من أخذ بهذا الأدب الكريم ، وألزم نفسه أن تتحلى بخلق
ولأنه للخلق العظيم ، وعطاؤنا المنعم به عليك لم يذكر في هذا التوقيع على حكم
الامتنان بل إثباتاً لحساب الجند الذين هم أعوان الدولة ولا بد من إحصاء
الأعوان ، وهو كذا وكذا .

فامدد له يداً تجملا من الشكر مواظبه ، ومن الطاعة مراقبه ، وكن في التأهب للخدمة كالسهم الموضوع في وتره ، وأصخ بسمعك وبصرك إلى ما تؤمر به فلا ائثار لمن لم يصخ بسمعه وبصره .

وملاك ذلك كله أن تتكثر من فرسان الغوار وحماة الدمار والذين هم زينة سلم ومفزع حذار ، ومثل هؤلاء لا يضمهم جيش إلا تقدمه جيش من الرعب ، ودارت منه الحرب على قطبها ولا تدور رحي إلا على قطب ، وإذا صاروا خلف رايتك نشرت ذوائبها على غابة من الآساد ، ونخفت على بحر من الحديد يسير به طود من الجياد .

ومن أهم الوصايا إليك أن تضيف إلى غنائهم غنى يبرزهم في زهرة من اللباس ، ويعينهم على إعداد القوة ليوم البأس ، ويقصر لديهم شقة الأسفار التي تذهب بنزقات الشماس ، وينقطع دون قطعها قطع الأنفاس ، وأي فائدة في عسكر يأخذ بعد المسرى في حوره ، ولا يزيد صبره بزيادة سفره ، ويكون حافزه وخفه سواء في انتساب كل منهما إلى شدة حجره .

فانظر إلى هذه الوصية نظر من طال على صحبه بالكف الأوسع ، وعلم ما يضر فيهم وما يتفع ، والله يمنحك من لدنه توفيقاً ، ويسلك بك الحسنى طريقاً ، ويجعلك خليقاً بما يصلحك وليس كل أحد بصلاحه خليقاً والسلام» (١١) .

— ٥ —

« منشور من الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز سلطان دمشق (١٢) لجمال الدين حجي بن نجم الدين محمد بن حجي أحد أمراء الغرب ٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م »

« الحمد لله على نعمائه »

جهاته : عرامون — عين درافيل — طردلا — عين كسور —
رمطون — قدرون — مرتغون — الصباحية — سرحمون — عيناب
عين عنوب — الدوير — تاريخه ٦٥٠ هـ (١٣)

ثالثاً - المـفـوـل

- ١ -

منشور هولاكو إلى جمال الدين حجي المذكور سابقاً في ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م
« مالك بسيطة الأرض هولاكو خان زيدت عظمته »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« توكلت على الله »

رسم بالأمر العالي المولوى السلطاني الملكى السعيدى المجيدى زاد الله
فى علائه وضاعف مواد نفاذه ومضائه ، أن يجرى فى إقطاع الأمير الأجل
الأوحد الأعز المختار جمال الدين عمدة الملوك والسلاطين حجي بن محمد بن
أمير الغرب أدام الله تأييده وتمكينه وتمهيدته ما رسم له به من الإقطاع ما تضمنه
المنشور الناصرى الذى بيده ، وتاريخه ٧ رجب سنة ٦٥٨ هـ (١٤) .

(جهاته المذكورة فى المنشور السابق) .

رابعاً - عصر المالِك

أ - الأيمان

« يمين شريف يستحلف بها للمبايعة العامة وتتضمن الولاء للسلطان والطاعة وأداء الالتزامات الواجبة » :



« أقول وأنا فلان : والله والله والله ، وتالله وتالله وتالله ، وبالله وبالله وبالله ، والله العظيم الذى لا إله إلا هو البارى الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، والسر والعلانية وما تخفى الصدور ، القائم على كل نفس بما كسبت والحازى لها بما عملت وحق جلال الله وقدره الله وعظمة الله وكبرياء الله وسائر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، إني من وقى هذا وما مده الله في عمري قد أخلصت نيتي ولا أزال مجتهداً في إخلاصها وأصفيت طوبى ولا أزال مجتهداً في إصفاها في طاعة مولانا السلطان (ويذكر لقبه ونسبه) خلد الله ملكه ، وخدمته ومحبته وامثال مراسمه والعمل بأوامره ، وإني والله العظيم حرب لمن حاربه ، سلم لمن سالمه ، عدو لمن عاداه ، ونى لمن والاه من سائر الناس أجمعين وإني والله العظيم لا أضمر لمولانا السلطان بنسبه سوءاً ولا غدرأ ولا مكرأ ولا خديعة ولا خيانة في نفس ولا مال ولا سلطنة ولا قلاع ولا حصون ولا بلاد ولا غير ذلك ، ولا أسعى في تفريق كلمة أحد من أمرائه ولا مماليكه ولا عساكره ولا أجناده ولا عربانه ولا أكراده ولا استمالة طائفة منهم لغيره ولا أوافق على ذلك بقول ولا فعل ولا نية ولا مكاتبة ولا مراسلة ولا إشارة ولا رمز ولا كتابة ولا تصريح . فإن جاء في كتاب من أحد من خلق الله بما فيه مضرة على مولانا السلطان وعلى دوله لا أعمل به ولا أصغى إليه ، وأجمل الكتاب إلى بين يديه الشريفة هو ومن أحضره إن قدرت على

إمساكه ، وإئني والله العظيم أئني لمولانا السلطان بهذه اليمين من أولها إلى آخرها لا أنقصها ولا شيئاً منها ولا أستثنى فيها ولا في شيء منها ، ولا أخالف شرطاً من شروطها ، ومتى خالفها أو شيئاً منها أو استفتيت فيها أو في شيء منها طلباً لنقضها ، فكل ما أملكه من صامت وناطق صدقة على الفقراء والمساكين وكل زوجة في عقد نكاحه أو يتزوجها في المستقبل طالق ثلاثاً بتاتاً على سائر المذاهب ، وكل مملوك أو أمة في ملكه أو يملكهم في المستقبل أحرار لوجه الله تعالى ، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ، بمكة المعظمة والوقوف بعرفة ثلاثين حجة متواليات متابعات كوامل حافياً حاسراً ، وعليه صوم الدهر كله إلا الأيام المنهى عنها ، وعليه أن يفك ألف رقبة مؤمنة من أسر الكفار ويكون بريئاً من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ومن دين الإسلام إن خالفت هذه اليمين أو شرطاً من شروطها .

وهذه اليمين يميني وأنا فلان والنية فيها بأسرها نية مولانا السلطان فلان ، ونية مستحلي له بها لا نية لي في باطني وظاهري سواها ، أشهد الله على بذلك وكفى بالله شهيداً ، والله على ما أقول وكيل . .

(ويكتب الخالف اسمه في الموضعين بخطه أو بخط من يكتب عنه إن كان ممن لا يكتب (١٥) .



— ٢ —

الزيادات التي تضاف إلى هذه اليمين العامة إلى أرباب الوظائف المختلفة
حسب نوع كل وظيفة



يزاد في تحليف :

— نواب القلاع :

« وإئني أجمع رجال هذه القلعة (يسمى القلعة التي هو فيها) على طاعة مولانا السلطان فلان وخدمته في حفظ هذه القلعة وحمايتها : وتحصينها والذب

عنها ، والجهاد دونها والمدافعة عنها بكل طريق وإننى أحفظ حواصلها
وذخائرها وسلاح خاناتها على اختلاف أنواع ما فيها من الأقوات والأسلحة
وإننى لا أخرج شيئاً إلا فى أوقات الحاجة والضرورة الداعية المتعين فيها
تفريق الأقوات والسلاح على قدر ما تدعو الحاجة إليه وإننى أكون كواحد
من رجال هذه القلعة وكل واحد ممن يتبعنى كواحد ممن يتبع أتباع رجال
هذه القلعة لا أتخصص ولا أتمكن من التخصيص وإننى والله والله والله لا أفتح
أبواب هذه القلعة إلا فى الأوقات الجارى بها عادة فتح أبواب الحصون وأغلقها
فى الوقت الجارى بها العادة ، ولا أفتحها إلا بشمس ولا أغلقها إلا بشمس ،
وإننى أطالب الحراس والدراجة وأرباب النوب فى هذه القلعة بما جرت به
العوائد اللازمة لكل منهم ، مما فى ذلك جميعه مصلحة مولانا السلطان فلان ،
ولا أسلم هذه القلعة إلا لمولانا السلطان فلان أو بمرسومه الشريف وإمارته
الصحيحة وأوامره الصريحة وإننى لا أستخدم فى هذه القلعة إلا من فيه نفع
هذه القلعة وأهلية الخدمة ، لا أعمل فى ذلك بغرض نفسى ، ولا أرخص
فيه لمن يعمل بغرض نفس له ، وإننى أبذل فى ذلك كل الجهد وأشمر فيه عن
ساعد الجد (١٦) .



الدوادرية وكتاب السر

يزاد تحليفهم : « وإننى مهما اطلعت عليه من مصالح مولانا السلطان
فلان — خلد الله ملكه — ونصائحه وأمر داني ملكه ونازحه ، أوصله إليه
وأعرضه عليه ولا أخفيه شيئاً منه ولو كان على ، ولا أكتمه ولو خفت وصول
ضرره إلى » (١٧) .



الدوادر

يفرد الدوادر : « وإننى لا أؤدى عن مولانا السلطان رسالة فى إطلاق
مال ، ولا استخدام مستخدم ، ولا إقطاع إقطاع ولا ترتيب مرتب ،

ولا تجديد مستجد ، ولا شاد شاغر ، ولا فصل منازعة ولا كتابة توقيع
ولا مرسوم ولا كتاب ، صغيراً كان أو كبيراً إلا بعد عرضه على مولانا
السلطان فلان ومشاورته ومعاودة أمره الشريف ومراجعته» (١٨) .

كاتب السر

يفرد كاتب السر : إنه مهما تأخرت قراءته من الكتب الواردة على
مولانا السلطان فلان من البعيد والقريب ، يعاوده فيه في وقت آخر فإن لم
يعاوده فيه بمجموع لفظه ، لطوله الطول الممل ، عاوده فيه بمعناه في الملخصات ،
وإنه لا يجاوبه بشيء لم ينص المرسوم الشريف فيه بنص خاص ، وما لم تجر
العادة بالنص فيه لا يجاوب فيه إلا بأكمل ما يرى أن فيه مصلحة لمولانا السلطان
فلان ومصلحة دولته بأسد جواب يقدر عليه ويصل اجتهاده إليه ، وإنه مهما
أمكنه المراجعة فيه لمولانا السلطان فلان راجعه فيه وعمل بنص ما يرسم له
به فيه» (١٩) .

النواب

يزاد في تحليفهم : « ولا أسعى في تفريق كلمة أحد منهم عن طاعته
الشريفة وعلى أن أبذل جهدي وطاقتي في ذلك كله وفي حفظ المملكة التي
استنابني فيها ، وصيانتها وحمايتها وما بها من القلاع والثغور والسواحل » .
ثم يأتي بعده : « وإن كاتبني أحد . . . الخ . . . » (٢٠) .

ب - الوصايا

نائب السلطنة

« يوصى » بتقوى الله وتنفيذ الأحكام الشرعية ومعاودة حكامها واستخدام السيوف لمساعدة أعلامها ، وأفقد العساكر المنصورة وعرضها وإنهاضهم لنوافل الخدمة وفرضها ، والتخير للوظائف وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف والملاحظة الحسنى للبلاد وعمارة أوطانها وإطابة قلوب سكانها ومعاودة مباشرة الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عدل هذه الأيام الشريفة وإحسانها وتحسين ما لديه وتحسين كل ما أمره إليه واستطلاع الأخبار والمطالعة بها والعمل بما يرد عليه من المراسيم المطاعة واثمك بسببها وأنه مهما أشكل عليه يستضيء فيه بنور آرائنا العالية فهو يكفيه ومن قتل من الجند أو مات وخلف ولداً يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بمخلفيه ويقال من هذا ما يقوم بهام الغرض ويوفيه » (٢١) .



وصية أستاذ الدار أو الأستاذار

« وليتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها وأنواع وظائفها وليرتبها في الخدمة على ما يجب وينظر في أمورهم نظراً لا يتخفى معه شيء مما هم عليه ولا يحتجب ، وليبدأ بهم السباط المقدم الذي يندم وما يتنوع فيه من كل مطعم وما يمد فيه في كل يوم بكرة والعصر ، وما يستدعى معه من الطوارئ التي لا يحدها الحد ، ولا يحصرها الحصر ، وأحوال المطبخ الكريم الذي منه ظهور تلك الخافى ووفاء ذلك الكرم الموافى ، والتقدم إلى الأمناء والمشرفين فيه بأمانة الإتفاق وصيانة الماء كل مما يعاب على الإطلاق ، ثم أمر المشروب وما تغلق عليه أبواب الشرب بخاناه السعيدة من نطائف مأكول

ومشروب وشيء عزيز لا يوجد إلا فيها إذا عز المطلوب ومراجعة الأطباء
فيا تجرى عليه قوانينها وتشب لطبخه من جمر اليواقيت كوانينها ، وإفراز
ما هو للخاص الشريف منها وما هو للتفرقة وما لا يصرف إلا بخط الطبيب
ولا يسلم إلا إلى ثقة ، ثم الطشت خاناة السعيدة التي هي خزانة اللباس وموضع
ما تبرز به من الزينة للناس وما يحتاج إليه من آلات التطيب وما يعين لها
من الصابون وماء الورد والطيب وغير ذلك من بقية ما هي مستقرة ويؤخذ
منها مستدرة ، ومن يستخدم بها ممن برىء من الريب وعرف بالعفاف والأدب
وعلم أنه من أهل الصيانة وعلى ما سلم إليه ومن خالطته الأمانة ثم الفراش
خاناة وما ينصب فيها من الخيام وما يكون فيها من فرش تنفر وتقام وشمع
يفضض كافور كافورية أبنوس الظلام ، ثم غلمان الإصطبل السعيد والنجابة ،
وإن كان إلى سواء استخدامهم ولدى غيره مستقرهم ومقامهم لكنهم ما خرجوا
من عديده ولا يروقهم ويروعهم إلا حسن وعده وخشن وعيده ، ثم المناخات
السلطانية وما بها من جمال وما يسرح فيها من مال وجمال ومن يستخدم
فيها من سيروان ومهمرد وما فيها من قطار مزوج وفرد ، فيوفر لهذه الجهة
نصيياً من النظر يشاهد أمورها وقد غابت في الأقطار وتفرقت كالسحب
يلزمها القطار القطار ، وليكونوا على باله فإنهم يسرقون الذرة الكحل من
العين ومهم الذهب العين محملاً بالقطار فليحسن منهم الارتياح وليتخير أرقهم
أفئدة ، فإنهم بكثرة ملازماتهم للإبل مثلها حتى في غلظ الأكباد وطوائف
المعاملين والأبقار ومن عليها من العاملين ، وزرائب الغنم وخولتها ورعاتها ،
وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه في استدعائها ونفقات الأمراء الممالك
السلطانية في إهلال كل هلال وما يصرف في كساويهم على جاری عاداتهم
أو إذا دعت إليه ضرورة الحال وما يأخذ عليه حظه من وصولات تكتب
واستدعاءات تحسب من لوازمه وهي للكثرة لا تحسب فليكن لهذا كله مراعيأ
ولأموره راعياً ، ولما يجب فيه دون مالا يجب مستدعيأ أو إليه داعياً ،

وهو كبير البيت وإليه يرجع أمر كل مملوك ومستخدم وبأمره يؤخر من يؤخر ويقدم من يقدم ، ومثله يتعلم منه ولا يعلم وعصاه على الكل محمولة ، على الرقاب مبسوطة في العفو والعقاب ومكانه بين أيدينا حيث نراه ويراه ولدينا قاب قوسين أو أدنى من قاب ، وعليه بتقوى الله فيها تمام الوصايا وكمال الشروط والأمر بها فعصاه محكمة وأمره مبسوط ، وكلما يناط بها من خاصة أمورنا في بيتنا عمره الله ببقائنا وزاد تعميره بتدبيره منوط « (٢٢) .



« وصية مقدم الممالك السلطانية »

« وليحسن إليهم وليعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدم عليهم وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يخيل إليهم بها أنه معهم وخلفها وبين يديهم ، وليلزم مقدم كل طبقة بما يلزمه عند هشيم صدقاتنا الجارية عليهم من ترتيب الطباق وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ، ولا ينسى السواق وليكن لأحوالهم متعهداً ولأموارهم متفقداً ، وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيرة ، وليعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم إن لم يكونوا له أهلاً فإنهم جيرة ، وليأمر كلا منهم ومن مقدميهم والسواقين بما يلزمهم من الخدمة وليرتبهم على حكم مكانتهم منا ، فإن تساوا فليقدم من له قدمه ، وليعدل في كل تفرقة وليحسن في كل عرض ونفقة وليفرق ما لهم من التساوى ويسبل عليهم رداء الشفقة ، وليعد منهم لغابنا المحمي سباعاً تفرس العادية ، وليحمل النظر في أمر الصغار منهم والكبار أصحاب الطبقات العالية ، وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتادة ، والدخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العادة ، وليدرهم في أوقات البياكر والأسفار نطاقاً دائر الدهلين المنصورة . . ، وليأمرهم أمراً عاماً بالألا يركب أحد منهم إلا بدستور ولا ينزل إلا بدستور ، وليحرز عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستخدم منهم إلا معروفاً بالخير ويقيم عليه الغلمان ، وليحرز على من دخل عليهم وخرج ولا يفسح لأحد منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج ولا يدع للريبة مجالاً للاضطراب ، وليوص

مقدمهم بتفقد ما يدخل إليهم ، فإن الغش أكثره من الطعام والشراب ، ولیدم مراجعتنا فی أمرهم فإن بها يعرف الصواب ولیعمل بما تأمره به ولا یجد جوی فی جواب « (۲۳) .

« وصية أمير آخور »

« ولیکن علی أکمل ما یكون من إزاحة الأعذار ، والتأهب لحركاتنا الشریفة فی لیل کان أو نهار ، مقدماً الأهم فالأهم من الأمور والأبداء فالأبداء من تقديم مراكبنا السعيدة وتهيئة موكبنا المنصور وترتيب ذلك كله علی ما جرت به العوائد وتحصيل ما تدعو إليه الحاجة علی قدر الكفاية والزوائد والنظر فی جميع اصطبلاتنا الشریفة والجشارات السعيدة وخيل البريد والركائب المعدة لقطع كل مدى بعيد وما یجتمع فی ذلك وينقسم وما یركب منها ویجنب مما یسم الأرض بالبدور الأهلة من كل حافر ومنسم ، وما هو برسم الإطلاق وما یعد لممالك الطباق وخيل البلاد ، وما یجلب من قود كل قبيلة من القبائل ویجیء من كل بلد من البلاد والمشتري مما یباع من الموارث ویستعرض من الأسواق وما یعد للمواكب والسباق . ولیجل رأیه فی ترتيب ذلك كله فی مراتبه علی ما تقتضيه المهمات أو الاحتراز فی البلاد مما لعله یبدل ویقال : — هو هذا — أو یؤخذ بحجة أنه مات ولیجتهد فی تحقیق ما نفق ولیحرره علی حکم ما یتحقق عنده لا علی ما اتفق ، وكذلك لیکن فحصه عن استخدام عنده من الغلمان ولا یهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان ، ولا یستخدم إلا من تشکر سیرته فی أحواله وتعرف خبرته فیما یراد من أمثاله ، وكذلك الركابة الذین تملك أيديهم أعنة هذه الکرائم ، و التحرز فی أمرهم ممن لعله یاوی إليهم من أرباب الجرائم ، والأوشاقية الذین هم مثل ممالیکه وهم فی الحقيقة إخوانه ، وجماعة المباشرين الذین هم فی مباشرة الإصطبلات السعيدة دیوانه ، وكل هؤلاء یلزمهم بما یلزم أمثالهم من السلوك ویعلمهم ما یجب علیهم أن یتعلموه من خدمة الملوك ولا یسمح لأحد منهم فی أمر یفضی إلى إخلال

ولا يقتضى فرط إدلال وليقم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إذلال ، وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطتهم لما طار في أيام من تقدم على أمثالهم من سوء السمعة ويتخوف منهم السرعة فليكن لهم منك أعظم زاجر ، ومن شكا إليك منهم سارع إلى التنكيل به وبادر وأشهر من فعلك بهم ما يوجب منهم الطمأنينة ولا يعود أحد بعده يكذب يقينه ، وأمرأه آخورية الذين هم أتباعك وبهم يمتد باعك بحسب ما تجعلهم بصددده وما منهم إلا من يقدر يتعدى حده في مقام قدمه وبسط يده فاجعل لكل منهم مقاماً معلوماً وشيئاً تجعل له فيه تحكماً وتضمن الخيول المشتري والتقادم . قومها بأهل الخبرة تقويم عدل وقل الحق ولا يأخذك فيه لوم ولا عدل وما يصرف من العليق برسم الخيول السلطانية ومن له من صدقاتنا الشريفة عليق مر بصرفه عند الاستحقاق واضبطه بالتعليق، وتصرف في ذلك كله ولا تنصرف إلى تصرف شفيق، وصنه بأقلام جماعة الديوان ولا تقنع في غير أوقات الضرورة برفيق عن رفيق وكذلك البراسيم السنوية أصلاً وزيادة ولا تصرف إلا ما تأمر به وإلا فلا تخرج فيه عن العادة ونزولا من إكرام العربان ، عاملهم بالحميل وزد في أخذ خواطرهم ولو ببسط بساط الأنس لهم فما هو قليل لتضاعف رغبتهم في كل عام ويستدلوا ببشاشة وجهك لهم على مابعدده من الإنعام ، وبغال الكوسات السعيدة والأعلام المنصورة وأبغال الخزانة العالية المعمورة اجعلها من المهمات المقدمة والمقدمات لنتائج أيام النصر المعملة ورتبها في مواقعها وأتمها أتم ما يكون من وظائفها ، فيها تثبت مواقف العسكر المنصورة وإليها يأوى كل مستظل ورحى الحرب تدور ، وغير ذلك من قماش الإصطبلات السعيدة من الذهب والفضة والحرير وكل قليل وكثير باشره مباشرة من لا يتخلى وأحصه خرجاً ودخلا وإياك والأخذ بالرخص أو إهمال الفرص أو طلب فابت جرم أهملته حتى نكص « (٢٤) .



« وصية أمير عرب »

« والتقوى درعك الحصين والشرع الشريف سيملك المين والحدود
والقصاص بهما تمنع المحارم ، والجهاد فإن فيه شفاء لصدور الصوارم ، فاقتد
بالإنصاف زمام زمانك واثن إلى الحق عنانك ، وفرغ فكرك لمصالح الإسلام
وامنع كل طارق حتى الطيف في الأحلام ، ومزق بعزمك جلايب الديجور ،
ومزق بقوتك والصبح بالكوكب الدرى منحور ، واستعلم أخبار العدا في
طليعة كل صباح وتأهب لهم غرب يوم يحىء بوجه وقاح ، واثبت في اللقاء
ثبات مجرب وتطلع إلى جموعهم التي كم ناظر إليها مع الصبح نجم مغرب ،
ولا تفارق من وجه البلاد وسيا ولا تشم من غير الطيبة نسيماً ، إذا نزلت
على الباب فلا تطلب سوى البراعة له قسيماً ولا تستبدل بالفرات وارداً ،
ولا تتبعك المناظر إذا أرسلت طرفاً إلى سواها رائداً ، واضرب قارعة
الطريق خيامك وانشر للمعتفين غمامك وطنب دخانك إلى السماء وابسط
حزامك واقبل على الذكر الجميل فكل شيء غاد ورائح ، وأنزل بساحتك
الضيوف وانحر لهم كوم الهجان وكل طرف سانح ، واحفظ أطراف البلاد ممن
يتولع بيناتها أو يترصد لمرايع أسودها أو مراتع غزلانها ، وخص الرعايا
برعاية تنبت لهم الزروع وتلد من سوائهم الضروع ، ولا تدخل إلى البرية
إلا إذا لم يبق لك بالبلاد مقام ولا منزل بين شبح وهزام ، وأما العرب فهو
أميرهم المطاع وآمرهم وهم له أتباع ، وهو يعرف مقاديرهم وكيف يعامل
كبيرهم وصغيرهم ، فليجمعهم على طاعتنا الشريفة ما استطاع ولينمعهم من طبع
الطباع وليصدقهم بالحق على حكم استحقاقهم في كل إقطاع واقتطاع ،
وهو بما يصلح لركابنا العالی من الخيل جد خير وبما يناسب مرجنا الشريف ،
من كل سابق وسابقة ما لها نظير ، فلو أخذ نفسه وإخوته وبني عمه وأهله
وعشيرته والأقربين بأن يكونوا بالحياد إلينا متقربين ومتى وردت عليه
مراسيمنا الشريفة بأمر سارع إلى العمل بحكمة أو اتصال متجدد .
وهذا تقليدنا الشريف حجة على من سمعه أو قصه ، في خلافه تفريق

كل كلمة مجتمعة. ومرسومنا أن ينقل مضمونه إلى الآفاق ويعلم به كل مصعد إلى الآفاق. ونحذر إلى العراق ليحذو به كل حاد والركاب تساق ويسمر به في كل حي سامر ، يتجاذب حواشي حديثه الرفاق ، ويتناجي كل راكب مطية وفارس مطهمة عناق ، فمن باغنا أنه حاد عن أمره أو تأول في نقصه لرفعة قلبه . فالسف أسبق شيء إلى نحره والموت أعجل إليه لأنه فتح من فمه ما كان مسدودا من باب غيره ... (٢٥) .



« وصية مقدم الأكراد »

« فليجمع شت هذه الفرق وليجمع من شملهم ما افترق وليؤلف قلوب أكابرهم ممن ينفذ بذهب بأس بينهم ليكون بأسهم فيمن كفر وليخلص أظفار بعضهم من بعض !خلص الظفر ، وليقرر عندهم أن إحساننا إليهم غير مزور وأن أقل شر أقطعناهم من الأرض خير لهم عند الله وعند أنفسهم مما لهم من أقصى العجم إلى شهرزور ، وأن أكتافنا الموطأة لهم خير من تلك الحبال الموعرة ، وأن بلادنا الآمنة أقر لهم من تلك البلاد التي لا تزال محاصرة أو محصرة ، وليعرف حق قبائلهم على اختلاف الشعوب وأنواع الطوائف التي لو اتفقت كلمتها لما وجدت خلا تكفيها في الركوب . منهم ذوو البيوت الكريمة والإمرة القديمة والأصول التي بلغت السماء فروعها ، وحلت لمعان الشمس سيوفها المبرمة ودروعها ، وليعلم أن صداقاتنا العقيمة غير قليلة وأن رعايتنا الشريفة ستعمهم وتوقد نار كل قبيلة ، وإننا لا ينقص عندنا نحت بحتي ولا تنسى خدمة ديني ولا يحل أزرار زرزارى إلا لتلبسه الملبس السني ولا نسهر طرف مهري إلا لنام قرير العين ، ولا نتعب رائد وادي ما فيهم ذوى الخويرة ولا فيهم إلا من هو ذو البدن ، وكذلك يقبل أنفارهم الذين ألفهم الإحسان وعرفهم الجود بما أوجب لبلادهم ومن خلفوا فيها من أولادهم للنسيان وأنت عليهم الأمير والجامع لهم بمشيئة الله على الطاعة » وهو على

جمعهم إذا يشاء قدير» (٢٦)، فاعرف منهم ساكن كل عمود وجدار ومن قربت به أو بعدت الدار وضمهم إلى كتف الأكتاف وألفهم بكلمة الائتلاف وكن بهم على انتظار ما صرفنا إليه الوجه من الجهاد والتأهب بلبس الجلد للجلاد واتخاذ أكابر فيهم لتصل منهم بذلك بالبنان، ويشته بهم كما يشته بكعوب الرماح المثقفة السنان ، واسبرهم بخوض الساريت وارمهم في البر والبحر ولا تخف فإنهم عفاريث، والزم بالخدمة الدائمة المخبزة ولا تلزم غير المخبزة وميز بعضهم من بعض إلا في الأوقات التي يحتضن فيها الذكور بأيدي الرجال ولا يعرف الممبزة من غير الممبزة ، ومن مات من ذوى الإقطاع أنه خبزه يعين لغيره خبزه ، وكذا العاجز وتأن حتى يتحقق عجزه وما يجب على أصحاب الماشية من حق هو حق أقوام ورزق طوائف أخرى من العساكر المنصورة مضت عليه السنون ولهم في أعدائه أيام عمل بما جرت العادة به في استخراجهم بالرفق من غير ترك شيء منه ينسى في الأجل وينسب إلى التقصير إذا أخره وقت استحقاقه في العاجل ، كذلك مبرات من مات منهم ولا وارث به إلا بيت المال ، والعمل في ذلك بتقوى الله فهي العدة للمال» (٢٧).

« وصية مقدم التركمان »

« فليجمع لنا طوائف التركمان وليأمرهم بالاستعداد للجهاد فإنهم تركوا الإيمان، ولا يدع منهم إذا رسمنا له من يلقم سهمه الوتر ومن إذا جر قوسه رأى منه طالعا في العقرب العمر ، وليجمع طوائفهم على كثرة أفرانهم وبعد ما بين بيوتهم وأرزاقهم وليؤلفهم التي بها التقدم وبسلبها صدد سمهرته وتقوم، وسهامهم هي التي تبقى وسيوفهم هي الأرقام التي لا تلين للرقى ، وما برحت ترفع لهم القباب وتشفع لهم إلينا وصائل الأنساب ووسائل الأسباب وليأمر أمراؤهم بإقامة وظائف الإمرة ودق الطبلخانات كل عشية وما يظهر فيه التفاوت بين كل ذي همة وصبغة وهمة عليّة، ومن مات من المخبزة أنهى إلينا أو إلى أقرب إليه من نوابنا خبزه ، والزم من طلب إقطاعه من مخلفه بما عليه

من التقدمة المقررة ، ومن لم يترك وارثاً إلا ييت المال ، حفظ له حقه الموروث فإنه مال الله المقسوم ولكل مسلم فيه حق معلوم ، وما هو على السائمة من الزكاة يساعد على استخراجها وإيصال الحق إلى مستحقه ، وإلى كل مقطع على حكم منشوره الشريف أو إمرأته ، وتقوى الله سبب مزيدة فلا يزال متمسكاً بذلك السبب وليقم منها بما وجب ، (٢٨) .

« وصية والى حرب »

« وهو يعلم ما علق بذمته من أمر الجمهور وقبل فيه قوله من ستر المهتوك وهتك المستور وما يجمعه سواد البلد من عناء السبل وما يعطى عليه دجى الليل من الويل ، فليجعل هذا منه يبال وترفع أوراق الصباح حتى لا يتخفى عليه ما يستره سواد الليالى ، وليخمد ثوائر العامة فإنها أطير شراراً من النيران وليرعههم بهيبة السلطان فإن « الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ونحن نوصيه أنه لا يغلق باباً مفتوحاً ولا يفتح باباً مغلقاً ولا يقتل عقرباً يمكن كف شرها بالرقى وليتبع المفسدين لإقامة ما أمر الله به من الحدود ، وليراجع الشرع الشريف إذا بهم عليه المقصود ، وليتغافل عن تسربداره فى جنح الليل إلا تأثق ، وليعقم نسل الخمر فإنها أم الحبائث ، ويرق ما ظفربه من أجلاها وليؤدب تجارها وبئس التجار ، ويبالغ فى آدابها ولينصب الأرصاد على من دخل بها أبواب المدينة أو أتى البيوت من غير أبوابها ، وكذلك أختها فى مخامرة العقل وشقيقتها فى التأديب إن لم يكن الحد لعدم النقل وهى الحشيش التى يعرف أكلها دون الناس بعينه وتقتضيه من سكر المدام ما فاته من دينه وتبدو صفراء فى وجهه وسوداء فى جسمه خضراء فى فم حمراء فى عينه مثلما تجريه الضرب المبرح من دمه ، فإنها هى وأختها إبليس واستدعاها وأخرج بها لسوائمه الضالة ماءها ومرعاها ، وليخلص من الحقوق ما رفع إليه ويطالب به من مطل به وقد أوجبه الحق عليه ، ولينتقد أرباب الزغل نقد الصيارف لزيغهم المردود وليقم عليهم السياسة إذا لم تمض عليهم الحدود ، ولتفقد الحبوس فى كل حين

ويتعرف أحوالها ليعرف ما يفعله عن يقين ، وليستعد لطوارئ المهمات
 وعودى الملمات ، ولا يبيت كل ليلة إلا وهو متأهب لإطفاء كل نار وإخماد
 كل لهب ، وأولها نار الفتن وما يطير فيها من شرار ، وإن وقع ، والعياذ بالله ،
 حرق في قطر من أقطار المدينة ، يعجل إليه انبذار ويعجل بهدم أبنيته وهدم
 ما حوله حتى لا يؤخذ الجار بالجار ، وليكن عنده من طوائف السقاين
 والقصارين من لا يجد في خوض الماء مشقة ولا تطول عليه شقة ولا يرى
 جداراً دبت في أجزائه النار إلا ويطنى بما عنده من الماء ما عنده من الحرقه ،
 الحذر ممن في بابه فإنه لا دواء لدأثم العضال ولا استقامة لمن حاد منهم
 وحاد إلا بأخذ الروح والمال ونحن منه بمرأى ومسمع ، فليثق الله وليحذرنا
 في هذا وهذا الخير أجمع ، (٢٩) .



« وصية أتاك المجاهدين وهو رئيس طائفة الإسماعيلية »

وأنت ابن ذلك الأب حقيقة وولد ذلك الوالد الذي لم يعمل له إلا من
 دماء الأعداء حقيقة ، وقد عرفت مثله بثبات الجنان ، وصلت يديك ووصلت
 إلى ما لم يصل إليه رمح ولا قدر عليه سنان ، ولم يزاحمك عدو إلا قال له :
 « أيها البادى والمقاتل - كيف تزاحم الحديد ولا سمي اسمك الجبار إلا قال :
 « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » وأنت أولى من قام
 بهذه الوظيفة وألف قلوب هذه الطائفة التي ما حلم بها الحالم إلا وبات يرعد
 خيفة ، فليأخذ هذا الأمر بزمامه وليعمل لله ولإمامه وليرم في حب البقاء الدائم
 بنفسه على المنية ، ولينادم على معاقرة الدماء زهور سكاكينه الخنية ، واطبع منهم
 زيراً تطاول السيوف بسكاكينها ويأخذها الأسود في عرينها وتمتد كأنها آمال
 لما تريد وترسل كأنها آجال ، ولهذا هي إلى كل عدو أقرب من حبل الوريد
 وأذك منهم شعلاً إذا دعيت لأحسابها لا تجد إلا متحامياً ، وارم منهم سهاماً
 إذا دعيت بأنسابها الإسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان رامياً ، وفرج بهم عن
 الإسلام كل مضيق وأقلع عن المسلمين من العوانية كل حجر في الطريق ،

وصرف رجالك الميامين وتصيد بهم فلأنهم صقور ومناشرهم السكاكين، واخطف بهم الأبصار، فبأيمانهم كل سكينه كأنها البرق الخاطف، واقطف الرؤوس فلأنها ثمرات أينعت لقاطف، واعرف لهم حقهم وضاعف لهم تكريماً وآدم لهم بنا برعياً وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، واعلم أنهم مثل الوحوش فرد في أناسهم واشكر إقدامهم فطالما اقتحموا على الملوك وما هابوا يقظة حراسهم، وارفع بعضهم على بعض درجات في نفقات تسافيرهم وقعود مجلسهم ولا تسو بينهم فما هم سواء، «ولا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم» وأصل هذه الدعوة ما زالت تنتقل بالمواريث حتى انتهت إلينا حقوقها وأومضت بنا حيث خلعت هياكلها بجرعاء الحمى بروقها، والله تعالى يوفقه ويرشده ويطول بآعه لما قصرت عنه سواعد الرماح ووصلت إليه يده . . . (٣٠) .

ج - القصص

ملخص قصة تظلم بسبب الإقطاع

رفعها الأمير ناصر الدين الحسين أحد أمراء الغرب إلى تنكز نائب السلطنة بالشام عقب روك الشام في سنة ٧١٣هـ في عهد الناصر محمد .



« بسم الله الرحمن الرحيم »

« المملوك (٣١) الحسين بن أمير العرب يقبل الأرض وينهى أن المملوك وأقاربه ملتزمون بحفظ ثغر بيروت المحروسة وهم مجتهدون في خدمة مولانا السلطان - خلد الله ملكه - وغالب إقطاعاتهم يخدمون عليها أملاكهم الثابتة بالشرع الشريف وهي معهم الآن بعدة ٣٠ فارساً وكانت لآبائهم بثلاثة أرماع (٣٢) إلى حين أقطعت أملاك الجبلية ، ، وإنه متى دخلت هذه الملكيات الروك يهلك الممالك ولا ينتفعون بغيرها لأنها مساكنهم وبها رجالهم وعشيرتهم ، وسؤلهم من صدقات مولانا ملك الأمراء (٣٣) التصديق عليهم بمطالعة على يد المملوك إلى الأبواب الشريفة ، ومهما اقتضاه رأى مولانا ملك الأمراء من إلزامهم بزيادة عدة تحملها طاقهم التزمه الممالك وما لهم إلا الله تعالى ومراحم مولانا ملك الأمراء عز نصره - أنهى الحال والرأى أعلى وأسمى والحمد لله (٣٤) .



د - المناشير الإقطاعية

« النوع الأول من المناشير »

أ - مناشير أولاد الملوك

نسخة منشور كتب بها عن الملك المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩ هـ - ١٢٧٩-١٢٩٠ م) لابنه الناصر محمد - من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر :

الحمد لله الذي زين سماء الملك بأنور كوكب بزغ ، وأعز ملك نبغ ، وأشرف سلطان بلغ إلى ما بلغ ذوو الاكتهال من اختيار شرف الخلال وما بلغ .
نحمده حمداً تزيد به النعماء وتنمي ، وتهمل به الآلاء وتهمي ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة من كل ريب واقصة كل عيب ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله تعالى بمكارم الأخلاق ومعاداة ذوى النفاق وساوى بين الصغير والكبير من أولى الاستحقاق ، فى الإرفاد والإرفاق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما رقى نسيم وراق ، وما خصفت أوراق .

وبعد ، فإن الهوائف أبين ما تشدو إذا حفت الرياض بها من كل جانب والسماء أحسن ما تبدو إذا تزينت بالكواكب السيارة والشهب الثواقب ، والسعادة أحمد ما تحدو إذا خصصت بمن إليه ، وإلا ما تشد الركائب ، وعليه وإلا ما تشي الحقائق والحقائب ، ومن هو للملك فلذة كبده ونور مقلته وساعد يده ومن تيمن السلطنة بملاحظة جبينه الوضى وتستنير بالأنور المضى ، ومن تغضب الدنيا لغضبه وترهى إذا رضى ، ومن نشأ فى روض الملك من خير أصل زكى ، وفاحت أزاهره بأعطر أرج وأطيب نشر ذكى ، وطلع فى سماء السلطنة نجماً ما للنيرين ما له من الإضاءة ، ويزيد عليهما بحسن الوضاء ، ومن تشوف

النصر له من مهدده ، وتشوق الظفر إلى أن يكون من جنده ، واستبشرت السلطنة بأن صار لها منه فرع باسق وعقد متناسق وزند وار وجناح وارف وفخار تليد وعز طارف ، وطرفان معلمان تنشر فيهما المطارف .

ولهذه المحاسن التي تشرئب إلى قصدها آمال الخلائق المتتعة ، اقتضى حسن البر الوصول وشرف الإقبال والقبول إن خرج الأمر العالي - لا برحت مراسمه مزينة زينة السماء بكواكبها . ومزاحمة سمك السماء بمناكبها أن يجري في ديوان الجنب العالي المولوى الملكى الناصرى (٣٥) .

ب - مناشير الأمراء مقدمى الألو

- ١ -

نسخة منشور للأمير بدر الدين بيدرا أستاذار الملك المنصور قلاوون

من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

الحمد لله الذى جعل بدر الدين تماماً على الذى أحسن وإيماناً نقندى النجوم منه بالضياء الأبين والنور الأزين ، ونظاماً يجمع من شمل النرى ما يغدو به حماه الأحسى وجنابه الأصون .

نحمده حمد من أعلى صوته وصيته أعلن ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تغدو وتبدو عند الذب وفي القلب مكانها الأمكن ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ونبيه الذى أوهى الله به بناء الشرك وأوهن . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ورضى عن آمن به وعن آمن .

وبعد : فإن خير النعماء ما أتى به على التدريج ، وأتى كما يأتى الغيث بالقطر والقطر لإنبات كل زوج بهيج وأقبل كما تقل الزيادة بعد الزيادة فينا يقال : هذا خليج يمدده البحر إذ يقال : - هذا بحر يستمد منه كل خليج - يقال : هذا الأمير ، إذ يقال : هذا المميز ، وبيننا يقال : هذا الهلال إذ يقال : هذا هو البدر المنير .

ولما كان - فلان - من هذه الدولة بموضع الغرة من الجبل . وكان الراحة من اليمن ، وله سوابق خدمة لا يزاحمه أحد في طرق صرعتها ،

ولا تستكثر له زيادة بالنسبة إلى موجبات حقوقها ، وهو من التقوى بالمحل
الأسمى على غيره من الطراق والمكان الأسمى الذى مكانه منه وإن كان أمير مجلس -
صدر الرواق ، وله الكرامات التى ترى الحدود لها صعر : وكم سقت من سم العداة
دافعة الذعر وكم قابل ثورة نار أفصارت برداً وسلاماً ، وكم تكلم على خاطر فشاها الناس
منه شيخاً من حيث الشبية أجل الله قدره غلاماً ، فهو المجاهد للكفار ، وهو المتجهد
فى الأمصار ، وهو حاكم الفقراء وإن كان سلطانه جعله أستاذ الدار ، وهو صاحب
العصا التى أصبح يحملها مضافة إلى السيف يتشرف ومعجزها لا يستكثر له
أنها لكل حية تتلقف ، وهو الذى تحمد الكشوف والسيوف فتوحه وفتحه . والذى
يشكر يده عنان كل سابح وزمام كل سبحة وكم أسال يديه من دماء الأعداء
ماء جرى ، وعمل بين يديه للفقراء ماجرى وكم ولى لله خفى شخصه فأظهر محضه ،
فقال الولى : وما أدرى درا لولا بيدرا اقتضى حسن الرأى الشريف أن
يحمل إحسان الدولة القاهرة له عملاً وأن يحسن له علا ونهلاً وأن يختار له إذ هو
صاحب العصا كما اختار موسى قومه سبعين رجلاً .

وخرج الأمر العالى - لا زال ظله ظليلاً بامتداد النور بعد النور ، وعطاؤه
جزيلاً بتحويل الشئ بعد الشئ - وهو ذو الكرم والكرامات وصاحب العصا
بالأستادارية : ولا يستكثر لصاحبها سحر الحيات (٣٦) .



- ٢ -

نسخة منشور كتب بها للأمير سعد الدين مسعود بن الخطيرى
من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء - أيام الناصر محمد بن قلاوون
الحمد لله على نعمه التى زادت سعوداً وضاعفت سعوداً ، وكرمت
فى أيامنا من لا حاجب له عن أن تمنحه من إنعامنا مزيداً ، وقدمت بين أيدينا
الشريفة من أولياتنا من غدا قدره خطيراً وحظه لدينا مسعوداً .

نحمده على أن أنجز لأصفيائنا من وفائنا وعوداً ، ونشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له شهادة محمد لمخلصها صدوراً ووروداً ، وتلقى مؤمنها بالبشر
إذا جمع الموقف وفوداً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شرف بإنجاده
مطروداً وأردف بالملائكة جنوداً وأوصل به حقوقاً وأقام حدوداً ، وحجب
ببركاته وفتكاته الأسواء ، ففدا العدل موجوداً وأضحى الحكم مقصوداً .
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من كان بالموثمين رحيماً وعلى
المشركين شديداً .

أما بعد، فنعمنا إذا أولت ولياً منحها وآلت ، وإذا قدمت صفياً وهبته
مزيدها وأنالت، وإذا أقبلت بوجه إقبالها على مخلص تتابعت إليه المسرات
وانثالت ، لا سيما من أطابت الألسنة الثناء عليه وأطالت ، وجبلت سجاياه
على العدل والمعرفة فما حافت ولا مالت ، وأوصلت رأفته منا المستضعفين
وعلى المجرمين سطوته صالت ، فيمين مقاصده هانت الخطوب وإن كانت
فتكاته في الحروب كم هالت ، وهمه في السلم قد جلت، ويوم الروع كم
جالت، وعزائمه كم غارت فأغارت وللمعتدين كم غالت ، وكم سبق إلى خدمتنا
صاحب الشمس وكيف لا وهو البدر ولكنه لم يزل وإن هي زالت .

وكان فلان هو الذي نقلناه في درجات التقديم حتى كمل بדרه ، ووقلناه
في مراتب التكريم حتى أصبح وهو المسعود حظه المحمود ذكره، وخولناه
مواهب جودنا العميمة فاشتد باعه واشتد أزره .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برح إنعامه بجل عن الحصر ودولته
يخدمها العز والنصر ، وإكرامه يقضى بمسرات الأولياء بالجمع ويقضى إلى
أعمار الأعداء بالقصر . . (٣٧) .

— ٣ —

نسخة منشور كتب بها لعلاء الدين أيدغمش أمير آخور الناصري (٣٨)
من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشا في الدولة الناصرية - محمد بن
قلاوون .

الحمد لله الذي زاد علاء دولتنا الشريفة ، وأفاد النعماء التامة من قام

بين أيدينا أتم قيام في أتم وظيفة، وأجاد الآلاء المتوالية بمن أعنة الجياد بإشارته مصرفة ، ومنة الجواد بسفارته مصروقة وأراد الاصطفاء لأعز همام :
في قلوب الأولياء له محبة وفي قلوب الأعداء منه خيفة ، وأباد أولى العناد بفتكاته التي بها الغوائل مكفية والطوائل مكفوفة ، وشاد الملك الأعز بإرغاد ولى له الشجاعة المشكورة والطاعة المعروفة .

نحمده على أن جعل اختياراتنا بالتسديد محفوظة وبالتأييد محفوفة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة السرائر لإخلاصها ألوفة، والضمان على اختصاصها معطوفة ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نسله من النبعة المنيفة ، وأرسله بالشرعة الحنيفة وفضله بالرفعة على ظهر البراق إلى السبع الطباق وجنود الأفلاك به مطيفة صلى الله عليه وعلى آله ذوى الهمم العلية والشمم العفيفة، ورضى الله عن أصحابه الذين لو أنفق أحد مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفة ، صلاة تبيض بالأجور الصحيفة وتعوض بالوفور من ميزاتنا الجلييلة بفكرتنا الجميلة اللطيفة ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فكرمنا يسبغ المواهب والمنايح ونعمنا تبلغ المآرب والمناجح ، فلا نبرح ننقل في درجات الصعود من هو في خدمتنا يبارح ، ويتكفل صالح نظرنا الشريف صلاح حال من أجمل النصائح وأثل المصالح، فكم راض لنا من جامع وخاض بحر الوغى على ظهر سابح، وحمى رواق الإسلام من رغبة يذب ورمى أعناق الكفار من غضبه بذابح ، وأصمى المائل بكل نابل يستجن في الجوانح ، وانتمى إلى سعادة سلطاننا الناصر الفاتح وسما عزم إعلائه بتقريبه وإدناؤه إلى السماك الرامح ، طالما مس الكفار الضر إذ بالعاديات الضوايح ، وأحس كل منهم بالدمار لما ظن أنه لحربه يكابد ولحزبه يكافح ، وصبحهم بإغاراته على الموريات قدحاً فأغرى بهم الخطوب الفوادح ، وطرحهم بالفتكات إلى الهلكات فصافحت رقابهم رقاب الصفائح ، وأخلى من أهل الشرك المشارب والمسارح وأجلى أهل الإفك عن المطارد والمطارح .
ولما كان (فلان) هو الذى استثار إليه شأن هذه المدائح وسار بذكره وشكره كل غاد ورائح :

خرج الأمر الشريف : لأبرح سبيل هداه الواضح، وجزيل نداه يغلو
كالغواذى بالعائد والبادى من فصله وهو الناصح (٢٩) . . .

— ٤ —

نسخة منشور كتب بها للأمير شمس الدين منقر البكتونى الشهير بالمساح

الحمد لله الذى أجزل المواهب وجدد من النعم ما تزال به الألسنة تتحدث
عن بحرها بالعجائب ، وأطلع فى أفق الدولة الشريفة شمساً تستمد من أنوارها
الكواكب .

نحمده على نعم يتوالى درها توالى السحائب ، ويغالى درها عن أن تطوق (٤٠)
به الأذنان والتراتيب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تختص قائلها من درجات القبول والإقبال بأسمى الدرجات وأسمى المراتب ،
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى اصطفاه من لؤى بن غالب ، وصان بيعته
الشريفة رداء النسك عن كل جاذب ، وخصه بأشرف المواهب وصير الإيمان
بنور هدايته واضح السبل والمذاهب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة
لا يمضى جزء من الدهر إلا ووجودها فيه وجود الفرض الراتب ، وسلم تسليماً
كثيراً .

وبعد، فإن أحق من حلى من النعماء بأفضل العقود، وخص بأضنى ملابس
الإقبال وأضنى مناهل الأفضال : فاستعذب من هذه الورود ، واختال من
هذه فى أجمل البرود، ومنع من الإقبال بكل غادية تخجل السحاب إذ يجود ،
وإن رقمت بها الأقلام سطوراً فى طروس أزرت بالزهر اليانع والروض
المجود ، ونقل قدره من منزل عز إلى منزل أعز فكان كالشمس تنتقل فى منازل
الشرف والسعود — من ظهرت مكارم سماته واشتهرت محاسن صفاته وطلعت
فى سماء العجاج نجوم خرصاته ولمعت فى دجى النقع بروق ظباته ، وقدم على
الجيش والحافل فظهرت نتائج التأيد والتسديد من تقدمه وتقدماته ، وهرم

جيوش الأعداء في مواقف الهيجاء بثبات أقدامه في إقدامه ووثباته ، وتجرد في المهمات والمهمات تجرد الماضيين من سيوفه وعزماته .

ولما كان (فلان) هو الموصوف بهذه الأوصاف الحليمة ، والمنعوت بهذه المحاسن الحميلة ، والمشار إليه بهذه المحامد والممادح التي تزهو على زهرالكواكب وتسمو بما له من جميل المآثر والمناقب — أوجب له الاختيار المزيد، وقضى له الامتنان بتخويله نعماً وتويله متناً: وتضحى هذه عقداً في كل جيد، وتسمى هذه مقربة له من الآمال كل بعيد — واقتضى حسن الرأي الشريف أن يمنح بهذا المنشور : ليخص من الأولياء بالسعد الجديد والحد السعيد .
فلذلك خرج الأمر الشريف . . . (٤١) .

— ٥ —

نسخة منشور كتب بها للأمير خاص ترك في الروك الناصري (٤٢)

الحمد لله على نعمه التي سرت إلى الأولياء ركائبها ، وهمت على رياض الأصفياء سحائبها ، وتوالت إلى من أخلص في الطاعة بغرائب الإحسان رغائبها ، وتكفلت لمن خص بأسنى رتب البر الحسان مكارمها العقيمة ومواهبها ، وغمرت بحار كرمها الزاهرة من يحدث عن شجاعة ولا حرج كما يحدث عن البحور التي لا تقنى عجائبها .

نحمده على نعمه التي إذا أغبتنا سحاب الندى أعقبت سحاب ، وخصت الخواص من درج الامتنان بمراتب تراحمها الكواكب على نهر الهجرة بالمناكب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة لا يزال الجهاد يرفع ألويتها ، والجلاد يعمر بوفود الإخلاص أنديتها، والإيمان يشيد في الآفاق أركانها الموطدة وأبنيتها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أيده الله بنصره وخصه بمزية التقدم على الأنبياء مع تأخر عصره ، وآتاه من المعجزات ما تكل السنة الأقلام عن إحصائه وحصره . صلى الله عليه وعلى وصحبه الذين حاطوا دينه بالمحافظة على جهاد أعدائه ، وأبدوا ملته بإعادة حكم

الجلاد في سبيل الله وإبدائه ، صلاة لا يزال الإيمان يقيم فرضها ، والإيقان يملأ بها طول البسيطة وعرضها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من ضوعفت له النعم ووطدت له الرتب التي لا تدرك غاياتها إلا بسوابق الخدم ، وأشرقت به مطالع السعود ، وحقت له مطالب الاعتلاء والصعود ، ورفعت مواقع الإحسان إلى أسنى المراتب التي هو ملي بارتقاؤها ، وتولت له هوامع البر والامتنان انتقاء فرائد النعم التي هو حقيق باختيارها وانتقاؤها ، وبلغته العناية بأجل ماضي قدراً واستقبلته الرعاية من أفق الإقبال بما إذا حقق التأمل وجد هلاله بدرأ - من ربّي في ظل خدمتنا التي هي منشأ الآساد ومرتب فرسان الجهاد ، وعرين ليوث الوغى التي آجامها عوالى الصعاد ، وبرائتها مواضى السيوف الحداد ، وفرائسها كماء أهل الكفر وحماة أرباب العناد ، فكم له في الجهاد من مواقف أعزت الدين ، وأذلت المعتدين ، وزلزلت أقدام الأبطال وزحزحت ذوى الأقدام عن مواقف المحال ، وحكمت صفاته في القمم وأثبتت صفاحه في منابت الهمم ، وفرقت ما لأهل الكفر من صفوف ، وأرتهم كيف تعد ألوف الرجال بالآحاد وآحادها بالألوف . ولما كان (فلان) هو الذى أشير إلى مناقبه ، ونبه على شهرة إقدامه في كل موقف بمن عواقبه ، وأومىء إلى خصائص أوصافه التي مازال النصر يلحظها في مشاهد الجهاد بعين ملاحظة ومراقبة - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نجدد اعتلاء مجده ونزيد في أفق الارتقاء إضاءة إقباله وإنارة سعده ...

فلذلك خرج الأمر الشريف لا زال .. (٤٣) .

- ٦ -

نسخة منشور كتب به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون لجمال الدين آقوش الأشرقي المعروف بنائب الكرك عند خروجه من الحب (٤٤) .

الحمد لله مفرج القلوب ومفرج الكروب ومبهبج النفوس بذهاب غياهب الخطوب ، ومبلغ من تقادم عهده في حفظ ولائنا نهاية المرغوب ، وغاية

المطلوب، الذى أعاد إلى المخلصين فى طاعتنا النعمة بعد شرودها، وعوضهم عن تقطيب الأيام بابتسامتها وعن خولها بسعودها، وألقى على الأول منهم جمالا لا يسع الأذهان أن تتصف بإنكار حقوقه وجحودها .

نحمده على ما وهبنا من الأناة والحلم . وخص به دولتنا من المهابة التى تخشى يوم الحرب والمواهب التى ترجى يوم السلم ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكفلت بالنجاة لقائلها ، وأغنت من حافظ عليها عن ضراعات النفوس ووسائلها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث برعاية الذم ، والمنعوت بحسن الرأفة التى هى شعار أهل الوفاء والكرم . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تلافت الأقدار نفوساً من العدم ، وتوافت الأمانى والمناجح فأظفرت من أخلص نيته الحميلة برد ضالة النعم ، صلاة تضى على الأولياء حلل القبول والرضا، وتضى من الأكدار مناهل سرورهم، فكان الخطب أبرق وأومض فضى ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من انتظمت بعد الشتات عقود مساره ، وابتسمت بعد القطوب ثغور مباره ، واستملت عواطفنا عليه فجلبت أسباب منافعه وسلبت جلباب مضاره ، واحتفلت عوارفنا بالملاحظة لعهد الوثيق العرا ، والمحافظة على سالف خدمته التى ما كان صدق ولائها حديثاً يفترى ، وسبق له من الاختصاص فى الإخلاص ما يرفعه من خاطرنا مكانة عالية الذرا - من أضحى من السابقين الأولين فى الطاعة، والباذلين فى أداء الخدمة والنصيحة لدولتنا جهد الاستطاعة، والمالكين للممالك بحسن الخلة وجميل الاعتزام، والمحافظين على تشييد قواعد الملك بآرائه وراياته التى لا تسامى ولا تسام، وأمسى هو الوالى الذى لا يشاركه أحد فى إخلاص الضمير فى موالاتنا وصفاء النية، ولا يساهمه ولى فيما اشتمل عليه من صدق التعبد وجميل الطوية، والمخلص الذى انفرد بخصائص الحقوق السابقة والآفة، وامتاز بموجبات خدم لا تجحد محافظتها الثالدة والطارفة وطلعت شمس سعاده فى سماء مملكتنا فلم يشها الغروب، وأضاء بدره فى أفق عزه فكان سراره مذهباً لأعين الخطوب .

ولما كان (فلان) . . (٤٥) .

نماذج مناشير اصحاب الألقاب المختلفة

(من مقدمي الألف)

— ٧ —

نسخة منشور لمن لقبه « سيف الدين »

من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله العمري

الحمد لله الذي جرد في دولتنا القاهرة سيفاً ماضياً ، ووفق من جعل فعله
لمزيد النعم متقاضياً ، وأسعد بإقبالنا الشريف من أصبح به سلطاناً مرضياً وعيشه
راضياً .

نحمده على نعمه التي تسر موالياً وتسوء معادياً ، وتقدم من أوليائنا من
يقوم مقامنا إذا سمع منادياً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة كم أروت في موارد الوريد من الرماح صادياً ، وأورت هادياً ، ورفعت
من أعلام الأعيان هادياً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل القرآن
بصفاته حالياً ، وأحلنا بركة المشاركة في اسمه المحمدي مكاناً علياً ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه صلاة لا يبرح كل إنسان لها تالياً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن صدقاتنا الشريفة لم تزل تجدد إنعاماً وتزيد إكراماً ، وتضاعف
لكل من أضحي ناصرياً بحقيقة ولائه إجلالاً وإعظاماً ، ليترقى إلى أعلى
الدرج ، ويعلم أنه قد ورد البحر فيحدث عن كرمه ولا حرج ، ومن رأى التقرب
إلى الله تعالى بمراضينا الشريفة فتقرب إليها ، وأقبل بقلب مخلص عليها ، وأشبه
البدر فوافقه توسماً ، وحكى السيف بارق ثغره لما أومض في حومة الحرب
منقسماً وأقدم حين لم يجد بداً أن يكون مقدماً ، ووصفت الطعنات التي أطلعت
أسننها الكواكب بها درية ، والحملات التي تقرأ العدا لفعلاتها أنها بها درية ، كم
له من محاسن وكم عرفت له من مكامن وكم له من صفات كالعقود يصدق
بها من قال « الرجال معادن » . كم له من همة تترقى به إلى المعالي ، كم له من عزيمة
يروى حديثها المسند عن العوالي ، كم به أمور تناط وكم جمهور يحاط ، كم له

من احتفاء واحتفال ، وكم له من قبول وإقبال وكم له من وثبات ووثبات ، وكم له من صفات وصفات ، وكم له إماتة كمأة ، كم له من مناقب تصبح وتمسى ، وكم له من معارف لما علم بها ملكه — خلد الله ملكه — قال الملك : « اثبتوني به استخدمه لنفسى » .

فلذلك لا تزال آراؤنا العالية تعقد له فى كل وقت رأيه ، وتسعى به إلى أبعد غاية ، وتتبع له عناية ، بعد عناية حتى لا تخلو دولتنا الشريفة من سيف مشهور ، وعلم منشور ، وبطل لا يرد عن الصميم نصيباً ولا تعد أكابر الأمراء إلا ويكون على العساكر مقدماً وعلى الجيوش زعيماً ، ليعلم كل مأمور وأمير ، وكل مماثل ونظير ، أن حسن نظرنا الشريف يضاعف لمن تقرب إلينا بالطاعة إحساناً ، ويوجب على من وجد الميسور بهذا المنشور امتناناً « ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً » (٤٦) .

ولما كان (فلان) هو المعنى بهذه المقاصد ، والمخصص بهذه الممادح والمحامد ، والواحد الذى ما قدم على الألف إلا وكالألف ذلك الواحد .
فلذلك خرج الأمر الشريف — لا زالت أيامه موصولة الخلود مرسومة بمزايا الجود أن يجرى فى إقطاعه . . . (٤٧) .

— ٨ —

نسخة منشور لمن لقبه « شمس الدين »

« كتب به فى الدولة الناصرية — محمد بن قلاوون »

لحمد لله الذى جعل دولتنا القاهرة مطلع كل قمر منير ومجمع كل مأمور وأمير ، وموقع كل صحاب يظهر به البرق فى وجه السحاب المطير الذى شرف بنا الأقدار وزاد الاقتدار ، وجعل نالكنا الشريفة سماء تشرق فيها الشمس والأقمار .

نحمده على نعمه التى تختال أولياؤنا بها فى ملابسها ، وتختص بنفائسها ،

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجرد سيف الدين لإقامتها ونحافظ بوقائعه في الحرب على إدامتها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي خصه بمزية التقريب وشرفه على الأنبياء بالمكان القريب . صلى الله عليه وسلم وعلى آله الذين عظمهم بقربه وكرمهم بحبه ، وقدمهم في السلف الصالح إذا جاء كل ملك بأتباعه وكل ملك بصحبه ، وسلم .

وبعد فإن أولى الأولياء أن تشملهم صدقاتنا الشريفة بحسن نظرنا الشريف ، وبرفعة قدره المنيف ، ليم له إحسانها ويزيد إمكانها ، حتى ينتقل هلاله إلى أكمل مراتب البدور ، ويمتد بحصنه المستظل به كثير من الجمهور ، ويتقدم في أيامنا الشريفة إلى الغاية التي يرجوها ، ويقدم قدمه إلى مكانة أمثاله التي حلوها ، وتكمل بنا نعمة الله « وإن تعلوا نعمة الله لا تحصوها » (٤٨) .

الناصرى بحقيقة ولائه ، البهادرى شجاعة في لقائه ، من تكفلت صدقاتنا العميمة له بما لم يكن في أمله ، وجعلت حمايتنا الشريفة بأهلى مما ينسجه الربيع من حلله ، وتوسعنا فيه من معرفة تقرب إلى مراضينا الشريفة بهادريا ، وهمة جردنا بها منه سيفاً بهادرياً ، وطلعة أطلعت منه بالبهاء كوكباً درياً مع تحول فيه من نعمنا الشريفة وقام به في أبوابنا العالية من أحسن القيام في كل وظيفة . ولما كان (فلان) هو الذى أشرنا إليه ونهنا مقل النجوم عليه ، فاقترضت آراؤنا الشريفة أن نبلغه أقصى رتب السعادة ونعجل له بحظ الذين أحسنوا الحسنى وزيادة ليعد في أكابر أمراء دولتنا الشريفة إذا ذكروا ، والمقدمين على جيوشنا المنصورة إذا بادروا إلى مهم شريف أو ابتدروا ، ليعلم كل أحد كيف يجازى شكور ، وكيف يتحلى بنعمنا الشريفة كل سيف مشهور ، وكيف نذكر واحداً منهم فيغدو في زعماء العساكر المؤيدة وهو مذكور لبيدوا في خدمة أبوابنا الشريفة جهدهم ، ويتوكلوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العميمة التي تحقق قصدهم .

فلذلك خرج الأمر الشريف . . (٤٩) .

نسخة منشور كتب به في الدولة الناصرية - محمد بن قلاوون -

لمن لقبه « صلاح الدين »

الحمد لله الذي أتحف الممالك الشريفة من سعيد تدبيرنا بصلاحها وصرف حميد تأثيرنا بإنجاب الأولياء وإنجاحها ، وأسعف طوامح أمانهم : من اقترابهم من خواطرننا الشريفة في بعدهم وتدانيمهم بإجابة سؤالها وإصابة اقترابها .

نحمده على أن جعل نصر دولتنا الشريفة قريباً من نصاحها ، ونشكره على أن وصل أراجيمهم بأرباحها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تحسن المال والعاقبة لذوى الإخلاص كما أحسنت في ابتدائها وافتتاحها ، ويؤذن حسن اعتنائها لأحوال أولى الاختصاص بصلاحها ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي عمت مواهبه بإبراق سمائها وإغداق سماحها ، وسمت مناقبه بابتلاق غررها وإشراق أوضاعها ، وأمت مواكبه ديار العدا فشدت عليهم مشهور قراعها ومنصور كفاحها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصابت أكفهم في السلم بمسغفات أقلامها وصالت أيديهم في الحرب بمرهفات رماحها ، ماجرت الأقدار بمتاحها وسرت المبار لمناحها وظهرت آثار الإقبال التام على من له بخدمةنا اهتمام واحتفال فلاح على مقاصده معهود فلاحها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من لمح نظرنا الشريف حيث كان ، وحنة فكرنا الحسن الجميل فنحنه الإجمال والإحسان ، من لم يزل شكره أرجأ بكل مكان وذكره بهجاً تسرى به الركائب وتسير به الركبان ، وصدره الرحيب مستودع الأسرار فلا تصاب إذا كانت فيه تصان وقدره عندنا المحفوظ المكنة ، فإن بعد فهو قريب دان ، وأمره منا الملحوظ بالإعانة ، فلا تزال نوليه البر ونعلى له الشأن .

ولما كان (فلان) . . (٥٠) .

نسخة منشور كتب بها لبعض الأمراء

الحمد لله رافع الأقدار ومجزل المبار وجاعل يمين كرمنا مبسوطه باليسار ،
نحمده على غيث فضله الدار ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة سرت الأسرار ، وأذهب نورها ما كان للشرك من سرار ، ونشهد أن
محمداً عبده ورسوله الذي أنجد له في نصر الحق وأغار ، وأرهف من سيف
النصر الغرار صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم ، من كان ثانياً اثنين في الغار ،
ومنهم من سبقت له دعوة سيد المرسلين من سالف الأقدار ومنهم من كرم الله
وجهه فكان له من أعظم الأنصار .

وبعد ، فإن العطايا أيسر ما تكون تنويلها ، وأسر ما يلقى تحويلها إذا وجدت
من هو لرايتها متلقياً وفي ذرا الطاعة مترقياً ، ومن إذا صدحت حمائم التأيد
كانت رماحه الأغصان ، وألويته الأفنان ، ومن تردى ثياب الموت حمراً فما يأتي
لها الليل إلا وهي بالشهادة مخضرة من سندس الجنان ، وإذا شهر غضبه أَرْضَى
ربه ، وإذا هز رمح حمى سرحه وإذا أطلق سهماً قتل شهماً ، وإذا جرد
حساماً كان حساماً ، وإذا سافرت عزائمها لتطلب نصراً حلت سيوفه فجاءت
بالأوجال جمعاً وبالأجال قصراً .

ولما كان (فلان) هو الذي جمع هذه المناقب الجمة وامتاز بالصرامة
وعلو الهمة . استحق أن ينظر إليه بعين العناية . وأن يجعل ابتداءه في الإمرة دالاً
على أسعد نهاية .

فلذلك خرج الأمر الشريف — لا زال يرفع الأقدار . ويجزل المبار ،
أن يجري في إقطاع . . . (٥١) .

نسخة منشور لمن لقبه « زين الدين »

الحمد لله وهب هذه الدولة من أوليائها أحسن زين من أمراء الطبلخاناه ومنحها منهم من يشكر السيف والعنان منه اليدين . ومن يملأ ولاؤه القلب وثناؤه السمع وبهاؤه العين .

نحمده على نعمه التي نقت عن نور الملك كل شيء من شين . وأبقت له من كماته وحماته من لا في إخلاصه ريب ولا في محافظته مين . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة متبرئ من اتخاذ إلهين اثنين ونشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة متمسك من هذه وهذه بعروتين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة ما جمع المسافر من الصلوات بين الأختين . وما جلس خطيب بين خطبتين وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن خير من رقى خطيبه إلى أرفع رتبة وأنجح في تحويل النعم على كل طلبه ورغبة ، لا بل أهديت إليه عرائس النعماء وقد ابتدأت هي بالخطبة ، وكثر له في معروف أصبح يبذله معروفاً وأعين على جود أمس به موصوفاً ، وذلت له قطوف إحسان كم ذلل الأولياء من أجله في مراضى الدولة ومحابها قطوفاً فقطوفاً - من الخلف الملك أحسن الخلف ومن له يفعل الخير أعظم كلف ، ومن يشهد له بالشجاعة الخيل والليل واليداء والسيف والرمح والأعداء فلا غزوة إلا وله فيها تأثير وأثره ولا ندوة إلا وبها من وصفه بالذكر الحميل ، سمر . تتشوف إلى ملاحظة غرته كل عين ويتبين لحياطته في الوجود كل أثر ما أثار وجهه في نهار سلم إلا وقيل الشمس ولا بدا في ليل حطب إلا وقيل القمر . ولما كان (فلان) هو بدر هذه الحالة وجل هذه الحلالة ونور هذه المقلة ولا بس هذه الحلة - اقتضى حسن الرأي الشريف أن تكثر لديه النعم وأن يجرى بتنمية الإحسان هذا القلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برح يجود وبالحيرات يعود - أن يجرى في إقطاعه . . (٥٢) .

نسخة منشور تصلح لمن مات أبوه
وتتضمن معنى الوراثة في الإقطاعات

الحمد لله الذى يجعل سماء كرمنا على الأولياء هامية السحاب وعوارف
نعمنا جميلة العقبي للأعقاب وعواطف أيا من الشريفة تجزل العطاء وتجبر
المصاب .

نحمده على نعمه التى ما سحت العيون إلا أقرتها ، ولا اكتأبت النفوس
بعلمة إلا سرتها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال ربيع
الأنس بها معموراً وصدع النفس بها مجوراً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله
الذى أصبح شعث الإيمان به ملموماً وحزب الطغيان به مهزوماً وداء البهتان
بحسامه محسوماً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كان هو بدر السيادة
وكانوا نجوماً صلاة لا يبرح ذكرها فى صحائف القبول مرقوماً وسلم تسليماً
كثيراً .

وبعد فإن أولى من درت أخلاف جودنا خلفه ، ورعى كرمنا خدام سلفه ،
ونقلنا هلاله من قربنا إلى منازل شرفه ، وأجراه أحلتنا على جميل عوائده ،
وسوغه ، نوالنا أعذب موارد وجمع لنا إنعامنا بين طارقه وتالده من
استمسك من سبب إخلاصنا بآ كده ، وحذا فى ولائنا أحسن حذو ولاغرو أن
يحنو الفتى حذو والده ، واشتهرت بالشهامة التى أغنت بمفردها عن الألوف .
وعرف بالإقدام الذى طالما فرق الجموع واخترق الصفوف ، ما دنا من الأعداء
إلا دنت منهم الختوف ، ولا أظلم ليل النقع إلا جلته أنجم الصغاد وأهله السيوف .
ولما كان (فلان) هو المملوح بجميل هذه الشيم والممنوح جزيل هذه
النعم ، والشبيه فى موالينا بأبيه ومن أشبه أباه فما ظلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف لا برحت سحب كرمه هاطلة الأنواء شاملة
الآباء والأبناء - أى يجرى فى إقطاعه . . (٥٢) .

النوع الثاني من المناشير

(أ) مناشير أمراء العشرات

— ١ —

نسخة منشور لأمير عشرة

أما بعد حمد الله على نعمه التي يبديها ويعيدها ويفيها ويقبدها، ويدعمها على من شكر ويزيدها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نزلت لنصره ملائكة السماء وجنودها وأخذت على الإقرار بنبوته موثيق الأملاك وعهودها، وعلى آله وصحبه الذين هم أمناء هذه الأمة وشهودها .

فإن أحق من تقلب في إنعامنا، وتقدم في أيماننا، وتوالت إليه آلاؤنا تترى ، وتكررت عليه نعمنا مرة بعد أخرى، من ظهرت آثار خدمته ، وصحت أخبار نجاته، وشكرت مساعيه الحليّة، وحمدت دواعيه الحميلة وكان له من صفاته الحسنى ما ينيله من الدرجات الأعلى، ومن المطالب الأسنى .

ولما كان (فلان) ممن زانته طاعته، وقدمه إقدامه وشجاعته، وشهدت له مواقف الحروب أنه محلي الكروب وأقر له يوم الوغى بإبادة من بقى وكان له مع الشهامة الرأي الثاقب والسهم الصائب يصيب ولا يصاب . جذع القرية رابط الحاش عند تغير الأذهان الصحيحة — اقتضى حسن الرأي الشريف أن ترفع درجته، وتعلو رتبته، وينظم في عقود الأمراء به، ويسلك به جادة الكبراء لترقيه في درج السعادة وتبلغ رتبة السيادة .

فلذلك خرج الأمر الشريف — لا برحت هامية غواذى آلائه سابعة ملابس نعمائه أن يجري في إقطاعه . (٥٤) .

— ٢ —

نسخة أخرى :

أما بعد حمد الله على جيوش كثرها وجيوب للعدا بالأسنة زررها ، وجنوب بالنوم على فرش الأمن الوثيرة أثرها، والصلاة والسلام على سيدنا

محمد الذى أيد الله به الأمة وظفرها، وثبت مواقعها ونصرها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تستمد الأيام والأنام من رقيها آصالها وبكرها ، فإن من ورد البحر أغناه بمدته، ومن تعرض لسقيا السحاب جاد له برفده، ومن جاور كوكب السعد فاض عليه من سعده، ومن تيمم ناد الندى كان أدنى إلى نيل قصده ومن يمت بخدمه كان من حقه رعاية عهده ٥

ولما كان (فلان) هو الذى قدم خدماً شهدت بها غرر الأيام ، ولسان كل ذابل وحسام وكل كى لوت إلى فؤاده من يده طيور سهام ، وجربناه فحمدنا بالتجريب. ودربناه حتى تأهل للتأمر بالتدريب واستحق المكافأة على مآثره وكانت له خدمة عندنا كالحسنة له عنها عشرة .

فلذلك خرج الأمر الشريف – لا زال يمد أوليائه ويسعدهم ويقرب أخصاءه ولا يبعدهم ، أن يجرى فى إقطاعه . . (٥٥) .

(ب) مناشير أبناء الأمراء

الذين أمروا فى حياة آبائهم

— ١ —

أما بعد حمد الله الذى جعل سيف دولتنا للدين المحمدى ناصراً وجمع شمل أعز الأولياء والأبناء فى خدمتنا على إنعامنا الذى أضحي بن الأنام مثلاً سائراً ، وأقر الأعين من ذرارى أصفیائنا بما يفوق الدرارى التى غدا نورها فى أفقها زاهياً زاهراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أيدته الله من أوليائه بعشيرته الأقربين وشد أزره من أصحابه بالأبناء والبنين، وعلى آله وصحبه صلاة لا تزال بها فى درج النصر مرتقين ، ولا يبرح لنا بها حسن العاقبة بالظفر على الأعداء والعاقبة للمتقين – فإن أنمى الغروس من كان أصله فى درج الولاء ثابتاً، وأزهى الثمر ما كان فى أغصان الوفاء ثابتاً ، وأبهى الأهله ما بزغ فى سماء الإخلاص ، وطلع آمناً من السرار والانتقاص. وأعز الأولياء من نشأ

فى ظل القرب والاختصاص وتلقى ولاعنا عن أبوة كريمة جمعت له من العلياء شمل طارفه وتالده وحذا فى عبوديتنا حنو والده ولا غرو أن يحنو الفتى حنو والده وتحلى بطريقته المثلى فى الموالاة التى عدم فيها المضامى والمماثل ولاحت على أعطافه مخايل الإخلاص فيعرف فيه من تلك المخايل .

ولما كان (فلان) هو جوهر ذلك السيف المشكور بالمضاء عند الانتضاء ونور ذلك البدر المشهور فى أفق العلياء بالغناء والثناء كم لأبيه فى خدمتنا عند تزلزل الأقدام من مواقف وكم أسلف فى طاعتنا من مخالصة عند الاختلاف وهو عليها عاكف ما تقدم فى كتيبة الإقدام إلا والنصر له معاضد ولا جرد فى مهم إلا أغنى واستحق أن ينشد . ولكن سيف الدولة اليوم واحد .

اقتضى حسن رأى الشريف أن ننضد لسعادتهما عقداً منضداً ، وأن نخص كلا منهما بإمرة حتى يغدو لنا من هذا والدأ من أعز الأنصار ومن هذا ولدأ .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برح يفر لأوليائه من الإحسان المدد ، ويكثر لأصفيائه ، من الأعوان على الطاعة العدد ، ويشمل بره ومعروفه الوالد والولد (٥٦) .

— ٢ —

أما بعد حمد الله الذى زين سماء دولتنا من ذرارى أوليائنا بمن يفوق الدرارى إشراقاً ، وأنار مطالع مواكبنا المنصورة من كواكب أصفيائنا بمن يهر العيون اثلاقاً واتساقاً ، وجمع شمل السعادة لأهل بيت اتسقت عقود ولأهم فى طاعتنا فحسنت فى جيد الدهر انتظاماً وانتساقاً ، جاعل سيوف دولتنا فى مراضينا مرهفة الغرار مرتقة الأعداء ، فما جردت عليهم إلا أرتهم مصارع الاغترار ، والشهادة له بالوحدانية التى نطق بها لسان التوحيد والإقرار ، وجعلت

وسيلة إلى الخلود بدار القرار ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنجده الله من خاصته بالأعوان والأنصار ، ورفع لواء نبوته حتى صار منشور الأعلام في الأمصار، وعلى آله وصحبه الذين ميزهم الله بشرف قربه ، وجعل للآباء منهم فضل المزية من قلبه ، ورفع أقدارهم بأن جعل منهم حبه وابن حبه - فإن أولى من جمع شمل السعادة في إزاره ، ورفعت راية الإمارة لفخاره من نشأ على إخلاص الولاء الذي أشبه فيه أباه ولمعت بروق أسنته التي كم أعندها في رقاب عداه كم جرد النصر لنا من أيه سيفاً في مواقف التأيد وأمضاه ، كم زكا فرعه السامي في رياض الإخلاص وأبدر هلاله المشرق في مطالع الاختصاص .

ولما كان (فلان) هو الذي نشأ في خدمتنا وليداً وغذى بلبان طاعتنا فأمسى حظه سعيداً ، وأضحى رأيه حميداً ، ولم يزل لأبيه أعزه الله حقوق ولاء تأكدت أسبابها ومدت في ساحة الاعتداد أطناًها ، وحسن في وصف محافظتها إسهاب الألسنة وإطنابها .

اقتضى حسن الرأي الشريف أن نرقى هلاله إلى منازل البدور وأن نطلعه في سماء عز بادية الإثارة واضحة السفور وأن يعلى من ذلك قدره إلى محل الإمارة وأن نتوجه منها بما يكون أعظم دليل على إقبالنا وأظهر أماره .
فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زال .. (٥٧) .



- ٣ -

أما بعد حمد الله منور الأهلة في آفاقها ، ومنول عوارفه بإرفاقها ، ومكمل عطاياه بإطلاقها ، ومنشئ فرارى الأولياء كالدرارى في إشراقها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جمع القلوب بعد افتراقها وشفع في الخليفة إلى خلافتها ، وعلى آله وصحبه البحور في اندفاقها والبدور في اثتلاقها ،

فإن أبناء الأولياء أشبال الأسود . وعليهم عاطفتنا تجود . قد أنشأت نعمنا
آباءهم فأصبحوا للدولة أنصاراً، وألحقناهم بهم في التقديم فأمروا أبصاراً ، وكان
من ترعرع ناشئاً وغدا فرعاً زاكياً، وتلدرب على الصهوات يمتطيها وتأهل
لحازل النعم برضا مفضيها، ودلت حركاته على أن الشجاعة بحبة طباعه، وأنه
تروى بلبان الطاعة من وقت رضاعه ، وأن أباه أجله الله أحسن مرياه .
فأشبهه بجميل اتباعه ، وهو فلان المنتخب في الدولة الناضرة ، المشبه في الإضاءة
النجوم السافرة .

فلذلك خرج الأمر الشريف . . (٥٨) .

النوع الثالث من المنشير

منشير العربان

- ١ -

« منشور لأمر عرب »

الحمد لله الذى أرسل ديم كرمنا دائمة الإمداد وشمل بجدونا كل حاضر وباد ، وجعل أيا من الشريفة تخص بطولها كل طيب التجار طويل النجاد ، نحمده حمداً بحلاه يزدان ومن جداه يزداد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمهد لقائلها خير مهاد ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الكريم الأجداد ، الرحيب الناد ، أرسله لإصلاح الفساد ، وإرباح الكساد وكشف العناء وإزالة العناد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أرفهوا فى جهاد أعداء الله البيض الحداد وأرفعوا السمر الصعاد ، وعلى أصحابه الذين كانوا يوم الفخار السادات ويوم النزال الآساد ، وسلم تسليماً كثيراً . . .

وبعد ، فإن أولى من عمرنا بكرنا مربعه وناديه وأمطرنا ثرى أمله بغادية مغاديه ، وسفر له وجه إحساننا عن واضح أسرته ، وقابلة إقباله فقدمه على قبيلته وميزه على أسرته ، من أخلص فى طاعتنا ضميراً واتبع جادة مولاتنا فأصبح بتجديد نعمنا جديراً وحذا فى خدمتنا أحسن حذو وعرف بجميل المخالصة فى الحضر والبدو ، واشتهر بالشجاعة التى طالما فرقت جموعاً وأقفرت من الأعداء ربوعاً ، واتصف بالإقدام الذى ما ألف عن محارب رجوعاً كم أنهل مثقاته فى دماء النحور ، وأشرع صعاذه فأوردها الأوردة وأصدرها فى الصدور ، ورفع من أسنتها فى ليل النقع ناراً قرارها لحوم العدا وأضيافها الآساد والنسور .

ولما كان (فلان) هو الممنوح هذا الإنعام الغمر والممدوح في مواقف الحروب بإقدام عمرو .
فلذلك خرج الأمر الشريف — لا برحت شاملة مواهبه ، هاملة صحائبه —
أن يجرى في إقطاع . . (٥٩) .

٢ — مناشير أمراء آل تنوخ (أمراء الغرب)

أ — الأمير سعد الدين خضر .

— ١ —

نسخة منشور له من المعز أليك التركمانى (٦٠)
بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م)
العلامة : « حسبي الله »

جهاته : من الشوف : المعاصر للفوقانية — بعذران — عين ماطور (٦١) —
بثلون — عين أوزيه — كفر نبرج — أبريج (٦٢) — عريفه .
ومن وادى التيم (٦٣) : تنوره — ظهر حماره .
ومن إقليم الحروب : برجه — بعاصر الشحيم (٦٤) .
ب — الأمير جمال الدين حجي بن نجم الدين محمد بن حجي :

— ٢ —

نسخة منشور له من الملك الظاهر بيبرس
بتاريخ رجب ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م)

العلامة : « المستعان بالله »

جهاته : عالية — مجدليا — شارون — عرامون — عرافيل — طردلا —
دقون — عين كسور — قلرون — شمالان — مرتقون — سرجمور — بطلون
عيناب — الدوير — بتائر — بيصور — كفر عميه — عينات (٦٥) .

— ٣ —

الأمير شمس الدين كرامة بن بختر بن صالح

المتوفى سنة ٧٩٧ هـ (١٣٩٤ م)

« ويتضمن المشاركة في الإقطاع »

نسخة منشور له من الناصر محمد

جهاته : عرامون — ييصور — كيفون — ثلث عيناب — ثلث عين

عنوب — ثلث بناثر — ثلث كفر عميه — ثلث حصّة الملك — بخلده — حرف

شالا (٦٦) مرتفون — بركة شطرا (٦٧) من الفريديس فدان (٦٨) .

قائمة بالمناشير التي كتبت بعد روك الشام

في سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م)

في عهد الناصر محمد بن قلاوون لأمرأء العرب من آل تنوخ

— ١ —

الأمير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين أمير الغرب
(أمير عشرة)

« المجلس السامي الأمير ناصر الدين الحسين بن سعد أمير الغرب لخاصته
وعشرين طواشياً من بيروت » : —
« عرامون — حرف شالا — كيفون — بيصور — ثلث عين عنوب —
ثلث عيناب — شمشوم — ثلث كفر عمية — ثلث بتاثر — بركة — شطرا —
مرتقون — ثلث حصّة بخلدا — مقلدا — من القريديس فدان (٦٩) .

— ٢ —

« الأمير عز الدين حسين بن شرف الدين علي »
(أمير عشرة)

« مجلس الأمير عز الدين بن حسين بن شرف الدين علي : لخاصته
وعشرة طواشية :
نصف عيناث — نصف دقوق — نصف مجدليا — نصف شمالال —
نصف عين عنوب (٧٠) — نصف سرجمور — نصف عين دارفيل — ثلث
بناثر — ثلث عيناب — ثلث قطع أرض في العمروسية — ثلث حصّة الملك
في خلدا — ثلث كفر عمية — من القريديس فدان (٧١) .

— ٣ —

« الأمير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف »

(أمير عشرة)

« مجلس الأمير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين صالح لخاصته وعشرة طواشية : »

نصف عيناث — نصف دقوق — نصف مجدليا — نصف شمالال —
ثلث عين عنوب (٧٢) — نصف عين دارفيل — ثلث بتاثر — نصف سرجمور —
ثلث عيناب — ثلث قطع أرض في العمروسية — ثلث كفر عمية — ثلث حصّة
الملك في خلدا — من الفريديس فدان .



— ٤ —

« الأمير عز الدين الحسن بن سعد الدين »

(أمير خمسة)

« الأمير عز الدين الحسن بن سعد الدين أمير الغرب لخاصته وخمسة طواشية : — »

نصف عالية — نصف الخريبة (٧٣) — عنّا — نصف الدوير — نصف
السباحية — نصف درب المعينة — ربع قلدرون — نصف قطع أرض بقرشية —
ربع طردلا — ربع مرطون — ربع عين كسور (٧٤) .



— ٥ —

(الأمير علم الدين سليمان بن علاب)

(أمير خمسة)

« الأمير علم الدين سليمان بن علاب لخاصته وخمسة طواشية : — »
نصف الخريبة — نصف الدوير — نصف السباحية — من درب المغيثة

النصف - ربع قدرون - نصف قطع أرض بقرنية - ربع طردلا - ربع
مرطون - ربع عين كسور (٧٥) .

— ٦ —

« الأمير سيف الدين إبراهيم بن نجم الدين محمد »
(أمير خمسة)

« الأمير سيف الدين إبراهيم بن نجم الدين محمد بن حجي لخاصته
وخمسة طواشية : —

ربع بطلون - ربع الظفرانية - نصف القبي (٧٦) - نصف بجواره -
نصف مسنون - ربع الدوير - نصف مزرعة أفطو . . . » (٧٧) .

— ٧ —

« الأمير شمس الدين عبد الله بن جمال الدين حجي »
(أمير أربعة)

« الأمير شمس الدين عبد الله بن جمال الدين حجي لخاصته وأربعة
طواشية : —

نصف قدرون - نصف رمطون - نصف طردلا - نصف عين
كسور (٧٨) .

— ٨ —

« الأمير عماد الدين موسى بن مسعود »
(أمير ثلاثة)

« الأمير عماد الدين موسى بن مسعود بن أبي الجيش ، لخاصته وثلاثة
طواشية : —

نصف أدفول - نصف القسيقين (٧٩) - نصف شطر - نصف دير
قوبل - نصف عين حجية (٨٠) .

هـ - من كتب إقطاعات التملك

١ - مكتوب جامع بالتمليك

« لبلاد قيسارية التي فتحها بيبرس ٦٦٣ هـ (١٢٦٤ م) (استولى عليها من الصليبيين » (حين وزعها على الأمراء المجاهدين من نوع إقطاع التملك) .
« أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة العقود ، وتمكينه الذي رفلت به الملة الإسلامية في أصنى البرود ، وفتحته الذي إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت لأمر ما يسود من يسود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاهد الكفار بالسيف البتار ، وأعلمهم لمن عقبى الدار ، وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشى والإبكار . فإن خير النعمة نعمة وردت بعد اليأس ، وأقبلت على فترة من تحاذل الملوك ، وتهاون الناس فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المحمدية أسباباً ، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبواباً ، وهزمت التتار والفرنج العدوين ، ورابطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين ، وجعلت عساكر الإسلام تذلل الفرنج بغزوهم في عقر الدار ، وتجنوس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار ، وتقود من فضل عن شيع السيف الساغب إلى حلقات الإسار . ففرقة منها تقتلع للفرنج قلاعاً وتهدم حصوناً ، وفرقة تبنى ما هدم التتار بالمشرق وتعليه تحصيناً وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعاً شاهقة وتتسلم هضاباً سامقة . فهي بحمد الله البانية الهادمة والقاسمة الراحمة . كل ذلك بمن أقامه الله وجرده سيفاً ففري ، وحملت رياح النصره ركابه تسخيراً فسار إلى مواطن الظفر وسرى ، وكونته السعادة ملكاً إذا رآته في دستها قالت تعظيماً له ما هذا بشراً . وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس . جعل الله سيوفه مفاتيح البلاد ، وأعلامه أعلاماً من الأسنة على رأسها نار بهداية العباد ، فإنه آخذ البلاد ومعطيها وواهبها بما فيها .

وإذا عامله الله بلطفه شكر وإذا قدر عني وأصلح فوافقه القدر ، وإذا أهلت
إليه النصره فتوحات قسمها في حاضريها لديه متكرماً ، وقال الهدية لمن حضر ،
وإذا خوله الله تحويلاً وفتح على يديه قلاعاً جعل الهدم للأسوار ، والدمار للبتار
والرقاب للإسار والبلاد المزروعة للأولياء والأنصار . ولم يجعل لنفسه
إلا ما تسطره الملائكة في الصحائف لصفاحه من الأجور ، وما تطوى عليه طويات
السير التي غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه الثغور .

ففي جعل البلاد من العطايا فأعطى المدن واحتقر الضياعا
سمعنا بالكرام وقد أرانا عياناً ضعف ما فعلوا سمعنا
إذا فعل الكرام على قياس جميلاً كان ما فعل ابتداء
« ولما كان بهذه المثابة وقد فتح الفتوحات التي أجزل الله بها أجره
وضاعف ثوابه ، وله أولياء كالنجوم ضياء ، وكالأقمار مضاء ، وكالعقود تناسقاً
وكالوابل تلاحقاً إلى الطاعة وتسابقاً ، رأى ألا ينفرد عنهم بنعمة ولا يتخصص
ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنقذ . وبغزائهم تستخلص . وأن يؤثرهم
على نفسه . ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمسهم ويبقى للولد منهم وولد
الولد ، ما يدوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد ، ويعيش الأبناء في نعمته كما عاش
الآباء وخير الإحسان ما شمل ، وأحسنه ما خلد فخرج الأمر العالي — لا زال
يشمل الأعقاب والذراري وينير إنارة الأنجم الدراري — أن يملك أمراؤه
وخواصه الذين يذكرون ، وفي هذا المكتوب يسطرون ما يعين من البلاد
والضياع ، على ما يشرح ويبين في الأوضاع :—

وهو الأتابك فارس الدين أقطاي الصالحى عتيل بكماها ، الأمير
جمال الدين أيدغدى الغريزي النصف من زيتا ، الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى
الصالحى نصف طور كرم ، الأمير بدر الدين يليك الخازندار نصف طور
كرم ، الأمير شمس الدين الذكر الكركى ربع زيتا ، الأمير سيف الدين بن
قلج البغدادى ربع زيتا ، الأمير ركن الدين بيمرس خاص ترك الكبير
الصالحى أفراسين بكماها ، الأمير علاء الدين ايدكين البندقدار الصالحى باقة
الشرقية بكماها ، الأمير عز الدين أيدمر الحلبي الصالحى نصف قلنسوة ،

الأمير شمس الدين سنقر الرومي نصف قلنسوة ، الأمير سيف الدين قلاوون
الألني الصالحى نصف طيبة الاسم ، الأمير عز الدين ايغان سم الموت نصف
طيبة الاسم ، الأمير جمال الدين أقوش النجيبى نائب سلطنة الشام أم الفحم
بكمالها من قيسارية ، الأمير علم الدين سنجر الحلبي الصالحى بتان بكمالها ،
الأمير جمال الدين أقوش المحمدى الصالحى نصف بورين ، الأمير جمال الدين
أيدغدى الحاجبى الناصرى نصف بيزين ، الأمير بدر الدين بيليك
الأيدمرى الصالحى نصف بيزين ، الأمير فخر الدين عثمان بن الملك المغيث
ثلث حلبة ، الأمير شمس الدين سلار البغدادى ثلث حلبة ، الأمير صارم الدين
صراغان ثلث حلبة ، الأمير ناثر الدين القيمرى نصف البرج الأحمر ، الأمير
سيف الدين بلبان الزينى الصالحى نصف البرج الأحمر ، الأمير سيف الدين
إيتامش السعدى نصف بما ، الأمير شمس الدين أقسنقر السلاح دار
نصف بما ، الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة نصف دنابة ،
الملك المظفر صاحب سنجار نصف دنابة ، الأمير بدر الدين محمد بن ولد
الأمير حسان الدين بن بركة خان دير القصون بكمالها ، الأمير عز الدين أيبك
الأقرم أمير جاندار نصف الشويكة ، الأمير سيف الدين كرمون أغا الترى
نصف الشويكة ، الأمير بدر الدين الوزيرى نصف طبرس ، الأمير زكى الدين
منكورس الدويدارى نصف طبرس ، الأمير سيف الدين قشتمر
العجمى علار بكمالها ، الأمير علاء الدين أخوا الدويدار نصف عرعا ،
الأمير سيف الدين قفجق البغدادى نصف عرعا ، الأمير سيف الدين دكجل
البغدادى نصف فرعون ، الأمير علم الدين سنجر الأزكشى نصف فرعون ،
الأمير علم الدين طرطج الأسدى أقتابة بكمالها ، الأمير حسام الدين إيتمش
ابن أطلس خان سيدا بكمالها ، الأمير علاء الدين كندغدى الظاهرى أمير
مجلس الصفر بكمالها ، الأمير عز الدين أيبك الحموى الظاهرى نصف أرتاح ،
الأمير شمس الدين سنقر الألني نصف أرتاح ، الأمير علم الدين طبرس
الظاهرى نصف باقة الغربية ، الأمير علاء الدين التنكرى نصف باقة الغربية ،

الأمير عز الدين الأتابك الفخرى القصير بكماها ، الأمير علم الدين سنجر
 الصيرفي الظاهري أخصاص بكماها ، الأمير ركن الدين البيبرس المغربي نصف
 قفين ، الأمير شجاع الدين طغريل الشبلي أمير مهندار نصف كفر راعي ،
 الأمير علاء الدين كنتغدي الحيشي مقدم الأمراء البحرية نصف كفر راعي ،
 الأمير شرف الدين بن أبي القاسم نصف كستا ، الأمير بهاء الدين يعقوب
 الشهرزوري نصف كستا ، الأمير جمال الدين موسى بن يغمور استادار
 العالية نصف برنيكية ، الأمير علم الدين سنجر الحلبي الغزاوي نصف برنيكية ،
 الأمير علي الدين سنجر نائب أمير جانداد نصف حانوتا من أرسرف ، الأمير
 سيف الدين بيدغان الركني فرديسيا بكماها من قيسارية ، الأمير عز الدين
 أيدير الظاهري نائب الكرك ثلث حبله من أرسيف ، الأمير جمال الدين
 أقوش السلاح دار الرومي ثلث حبله ، الأمير شمس الدين سنقر جاه الظاهري
 ثلث حبله ، الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ثلث جلجولية ،
 الأمير علاء الدين كشتغدي الشمسي ثلث جلجولية الأمير بدر الدين يكتوت بجكا
 الرومي ثلث جلجولية .

ملحوظة : - (وكتب من كتاب التملك الشرعي الجامع نسخ وفرقت
 على كل أمير نسخة وخلع على قاضي دمشق وعاد إلى بلده (٨١)) .

٢ - ملخص تقليد بتمليك قلعة الصبية وما هو مضاف إليها

للأمير بدر الدين بيلرا (٨٢) الأشرفي نائب السلطنة الشريفة

أيام خليل

صورة التقليد

« الحمد لله ذي النعم التي ،

أجملت للحظوظ الارتفاع وأحسن في التخصيص بالأجناس والأنواع ،
 وخولت كلما يرفع القلم المخول به والمحول له عن مجازاة قلم الجود بالإقطاع
 نحمده حمداً . ونشهد . . .

ولما كان الجنا ب العالى الأميرى المولوى الولدى البدرى بدر الدين بيدرا الملكى
الأشرفى نائب السلطنة الشريفة ، أجله الله . له حقوق كرمت ، وخدمة عظمت ،
اقتضى شريف الاختصاص أن يكون الكرم على قدر الأكارم . ولذلك خرج
الأمر الشريف . . أن يجرى فى ملكه قلعة الصبيبة المحروسة وخاصها المضاف
إليها على ما كانت عليه بيد الأمير بدر الدين يليك الخازندار الظاهرى بما
جمعت عليه أسوارها وما حوته أقطارها . ليصبح هذا التملك فى الاستيلاء
والنفاذ . . فليصرف فيها تصرف الملاك فى أملاكهم ويسمو بتملكها إذا سما
الأولياء بالإقطاعات من سلاطينهم وأملاكهم ، فقد وجب تملكها له وملكه
لها وجوباً شرعياً مستوعباً بالمعرفة والإيجاب والقبول والتخلى والتسليم وصار
ذلك حقاً مرعياً . . . فليمرد صرحها . . . وليجعلها بالعمارة محسنة . . .
فهذا إنعام إذا نشرت صحف المناشير بالإقطاعات ، طوى بما لهذا الملك من
الانتفاعات . . والخط الشريف السلطانى . . حجة . . وبه قد أصبح حقاً
واجباً ، وما هو إلا معروف بأنه صدقة ومعروف ، وليثبت ذلك بالدواوين
المعمورة بمصر والشام . . . (٨٣) .

و - بعض أوراق التنظيم الإقطاعي

- ١ -

خلاصة مرسوم شريف بإخراج المعرة وضواحيها عن حماه وإضافتها إلى مملكة حلب لسبب عدم وجود إقطاعات محلولة بحلب تكفي الجنود المنقولين إليها من حماه

بتاريخ ١٩ محرم ٧١٣هـ (١٣١٣ م)

« فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوى السلطاني الملكى الناصرى أن يستقر بيده (بيد أبى القداء صاحب حماه) حماه وبارين بجميع حدودها وما هو منسوب إليها من بلاد وضياع وقرايا وجهات وأموال ومعاملات ، وغير ذلك من كل ما ينسب إلى هذين الإقليمين ويدخل فى حكمهما . يتصرف فى الجميع كيف شاء من تولية وإقطاع إقطاعات الأمراء والجند وغيرهم من المستجدين من أرباب الوظائف ، وترتيب القضاة والخطباء وغيرهم ، ويكتب بذلك مناشير وتواقع من جهته ويجرى ذلك على عادة الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماه ويقم على هاتين الجهتين ٥٠٠ فارس بالعدة الكاملة من غير نقص ، ويبطل حكم ما عليهما من المناشير والتواقع الشريفة والمسامحات والمحسوب ، وكل ما هو مرتب عليهما للأمراء والجند والعرب والتركمان وغيرهم بحكم الإنعام بهما على المشار إليه ، على قاعدة الملك المظفر صاحب حماه ، وتعويض الجميع عن ذلك بالمعرة ، وإفرادها عن حماه وبارين ، فليستقر جميع ما ذكر بيده العالية استقرار الدر فى أسلاكها والدرارى فى أفلاكها ، يتصرف فى أحوالها بين العالمين بنهيه وأمره ، ويجرى أموالها بين المتوجبين بإنعامه وبره ، ولا يمضى فيها أمر بغير منشوره الكريم ، ولا يجرى

معلوم ولا رسم إلا بمرسومه الجارى على سنن سلفه القديم ، وليفعل ذلك بجميع ما راد وكيف أراد ، ويتصرف على ما يختار فيما تحت حكمه الكريم ، وبحكمه من مصالح العباد والبلاد ، والله تعالى يعلى بمفاخر عبادته ويجعل التأيد والنصر قرين لإصداره وإيراده ، والخط الشريف حجة بمضمونه إن شاء الله تعالى .

كتب فى تاسع عشر المحرم سنة ٧١٣ هـ (٨٤) .

— ٢ —

تحويل للسنين

« ملخص نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية إلى العربية أو السنة الخراجية إلى الهلالية » كتب سنة ٧٥٠ هـ فى عهد السلطان حسن فى سلطته الأولى (٧٤٨ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٨ م - ١٣٥١ م)

وهى : —

« الحمد لله الذى جعل الليل والنهار آيتين ، وصور الشهور والأعوام لا ابتداء المدد وانتهاء غايتين . ليعلم خلقه عدد السنين والحساب ، وتعمل بريته على توفية الأوقات حقها من الأفعال التى يحصل بها الاعتداد ويحسن بها الاحتساب » نحمده على ما خص أيامنا الزاهرة من إنعام النظر فى مصالح خلقه وبعد فلما اختصنا الله تعالى به من التوفر على مصالح الإسلام نتبع كل أمر فنسدد خلله .

ولما كان الزمن مقسوماً بين سنين شمسية يتفق فيها ما أخرج الله تعالى من الرزق لعباده ، ويحصل به ميقات القوت الذى قال الله تعالى فيه « كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده » (٨٥) وقمرية لا يعول فى أحكام الدين إلا عليها ولا يرجع فى تواريخ الإسلام إلا إليها . . وكان قد حصل بينهما من تفاوت الأيام فى المدد ، واختلاف الشهور الهلالية فى العدد ما يلزم

منه تداخل مغل في مغل ونسبة شيء راح وانقضى إلى ما أدرك الآن وحصل،
ويؤدي ذلك إلى إبقاء سنة بغير خراج . . .

اقتضى حسن الرأي الشريف أن تحول هذه السنة التي يحصل بها الكبس..
نظراً بذلك في مصالح الأمة . . .

فلذلك رسم بالأمر الشريف . . . أن يحول مغل سنة ٧٤٩ هـ بالديار
المصرية المحروسة لمغل سنة ٧٥٠ هـ ويلغى اسم مغل السنة المذكورة (وهي
سنة ٧٤٩) من الدواوين المعمورة ، ولا ينسب إليها مغل بل يكون مغل
سنة ٧٥٠ تالياً لمغل سنة ٧٤٨. وتستقر السنة حينئذ هلالية خراجية بحكم دوران
السنين . واستحقاق هذا التحويل من مدة خمس عشرة سنة ، حيث اتفاق مبدأ
السنين الشمسية والقمرية ووقوع الإغفال عن هذا المهم في الدول الماضية
لتكون هذه الدولة الشريفة قائمة بما قعد عنه من مضي من الدول . . لما في
ذلك من المصلحة العامة . . .

فليعتمد حكم ما قررناه . . . وليثبت ذلك في الدواوين . . . وليسقط
ما تخلل بين هاتين السنتين من المغل الذي لاحقيقة له ، وليترك ما بينهما
من التفاوت الذي لا تعرف الحسابات معدله ، وليمح اسم هذه الأيام من
الدفاتر.. فليس المغل سوى للعام الذي وجد فيه سببه . وليبطل ذلك من الارتفاعات
بالكلية ويسقط من الجرائد . : ولا يذكر مغل السنة المدحوضة في سجل
ولا مشروح ، ولا مشهود يغدو حكم ويروح ، ولا مكلفات تودعها الأقلام
شيئاً على المحاز وهو في الحقيقة مطروح .

والاعتماد فيه على الخط الشريف — « أعلاه الله تعالى ... » (٨٦)

سنة ١٧٥٠ هـ.



ملخص نسخة تذكرة سلطانية تكتب لنائب السلطنة عند سفر السلطان
إلى خارج البلاد

« تذكرة نافعة ، للخيرات جامعة ، يعتمد عليها المجلس العالى الأميرى
الزنى كتبها المنصورى نائب السلطنة الشريفة — أدام الله عزه — فى مهمات
الديار المصرية وأحوالها ومصالحها وما يترتب بها وما يبت ويفصل فى القاهرة
ومصر المحروستين وسائر أعمال الديار المصرية . . وما تستخرج به المراسم
الشريفة المولوية السلطانية الملكية الصالحية القلانية . . فى أمورها وقضاياها
وولاياتها وولاياتها وحمولها وحفيها وحفظها ومتجدداتها على ماشرح فيه :—
فصل الشرع الشريف :

يشد من حكامه وقضاته فى تنفيذ قضاياها وتصريف أحكامه والشد منه
فى نقضه وإبرامه .

فصل العدل والإنصاف والحق :

يعتمد ذلك فى جميع المملكة الشريفة . . .

فصل الدماء :

يعتمد فيها حكم الشرع الشريف . ومن وجب عليه قصاص يسلم لغريمه
ليقتص منه بالشرع الشريف ، ومن وجب عليه القطع يقطع بالشرع الشريف .
فصل :

الأمور المختصة بالقاهرة ومصر المحروستين حرسهما الله تعالى : لا يتجوه
فيها أحد ولا يقوى قوى على ضعيف ، ولا يتعدى أحد على أحد جملة كافية .
فصل :

يتقدم بأن لا يمشى أحد فى المدينة ولا ضواحيها فى الحسينية والأحكار
فى الليل إلا لضرورة . . والنساء لا ينصرفن فى الليل . .
فصل الحبوس :

تحرص وتحفظ بالليل والنهار ، وتحلق لى الأسارى كلهم من فرنج

وأنطاكيين وغيرهم ويتعهد ذلك فيهم كلما تبت ، ويحترز في أمر الداخل إلى الحبوس . . وتقام الضمان الثقات على الجاندارية الذين معهم ولا يستخدم في ذلك غريب ولا من فيه ريبة . ويضاعف الحرس في الليل على خزانة البنود .

فصل :

يرتب جماعة من الجند مع الطواف في المدينة لكشف الأزقة وغلق الدروب وتفقد أصحاب الأرباع وتأديب من يخل بمركزه من أصحاب الأرباع .

فصل :

الأماكن التي يجتمع فيها الشباب وأولو الدعارة ومن يتعاطى العبث والزنطرة لا يفسح لأحد في الاجتماع بها في ليل ولا نهار . .

فصل :

يرتب المجردون حول المدينتين بالقاهرة ومصر المحروستين على العادة وكذلك القرافة وخلف القلعة وجهة البحر وخارج الحسينية . . ولا يفارق المجردون مراكزهم إلا عند السفور وتكامل الضوء .

فصل :

يتقدم بأن لا يجتمع الرجال والنساء في ليالي الجمع بالقرافتين . . .

فصل :

مهمات الغائبين في اليكار المنصور تلحظ ويشد من نوابهم في أمورهم ومصالحهم ، ويستخلص حقوقهم لنوابهم وغلمانهم ووكلائهم ، ومن كانت له جهة يستخلص حقه منها ، ولا يتعرض إلى جهاتهم المستقرة فيما يستحقونه ويقوى أيديهم وتؤخذ الحجج على وكلائهم بما يقبضونه ، حتى لا يقول موكلوهم في اليكار ، إن كتبت وكلائنا وردت بأنهم لم يقبضوا لنا شيئاً ، فيكون ذلك سبباً لرد شكواهم .

فصل :

خليج القاهرة ومصر المحروستين يرسم بهمله وحفره وإتقانه في وقته

بحيث يكون عملاً جيداً متقناً من غير حيف على أحد ، بل كل أحد يعمل ما يلزمه عملاً جيداً .

فصل :

جسور ضواحي القاهرة يسرع في إتقانها وتعريضها .. ويحمل الأمراء في جراريدها ومقلقاتها على ما تقدمت به المراسيم الشريفة في أمر الجسور القريبة والبعيدة .

فصل في الأعمال والولايات :

تتنجز الأمثلة الشريفة السلطانية المولوية الملكية الصالحية الفلانية .. بإتقان عمل الجسور وتجويدها وتعريضها وتفقد القناطر والترايع .. وإصلاح ما تشعث من أبوابها .. وتعتمد المراسيم الشريفة من أن أحداً لا يعمل بالجاه ومن وجب عليه فيها العمل يعمل على العادة في الأيام الصالحة . ويؤكد على الولاية في مباشرتها بنفوسهم وأن لا يتكلوا على المشدين وأى جهة حصل فيها قصص أو خلل كان قبالة ذلك روح وإلى ذلك العمل وماله .. وتؤخذ خطوط الولاية .. بأن الجسور قد أتمن عملها على الوضع المرسوم به .

فصل :

يتقدم إلى الولاية ويستخرج الأمثلة الشريفة السلطانية بترتيب الخفراء على ما كان الحال رتب عليه في الأيام الظاهرية أن يرتب من البلد إلى البلد خفراء ينزلون بيوت شعر على الطرقات على البلدين ، يخفرون الرائح والغادى .. ولا يسافر الناس إلا من طلوع الشمس إلى غروبها .

فصل - الثغور المحروسة :

يلاحظ أموراً ومهمات .. واستجلاب قلوب التجار .. ومعاملتهم بالرفق والعدل حتى تتواصل التجار وتعمر الثغور ، ويؤكد عليها في المستخرج وتحصيل الأموال .. وأصناف الذخائر .. ومهما وصل من الممالك والبحار والحرير والوبر والأطلس والفضة والحجر وأقصاب الذهب المغزول يعتمد في تحصيله العادة .

فصل :

يؤكد على ولاية الأعمال في استخلاص الحقوق الديوانية من جهاتها ومباشرة أحوال الأقباب ومعاصرها في أوقاتها .

فصل — أموال الخراج الديوانية :

يحتز عليها وتربى وتنمى ، ولا يطلق منها شيء إلا بمرسوم شريف منا . .

فصل — حقوق الأمراء والبحرية والحلقة المنصورة والجند وجهاتهم :

يستخلص أموالهم ووكلاءهم ، ويوجد الشهادات بما عليهم من غلة ودراهم ، وغير ذلك ، ولا يحوج الوكلاء إلى شكوى منهم تتصل بمن هو في البيكار . . .

فصل — يتقدم إلى الولاية والنظار والمستخدمين بعمل أوراق بما يتحصل للمقطعين الأصلية (؟) في كل بلد ولقطع الجهة ، ولمن أفرد له طين بجهة ولمن جهته على الرسوم :

ليعلم حال المقطعين في هذه السنة الجيشية والجهاتية وما تحصل لكل منهم ولا يحصل من أحد ، الولاية مكاشرة ولا إهمال ، ولا يطمع في الوكلاء لأجل غيبة الأمراء والمقطعين في البيكار ، ولا يحوج أحدهم المقطعين إلى شكوى لسبب متأخر ولا ظليمة ولا إجحاف .

فصل :

إذا خرج جاندار من مصر إلى الأعمال لا يعطى في العمل أكثر من درهين نقرة ويوصل الحق الذي جاء فيه لمستحقه ، فإن حصل منه قال وقيل أوحيف أو تعنت يرسم عليه ويسير الحق مع صاحبه معه ويطالع بأن فلاناً الجاندار حضر وجرى كذا وكذا . . .

فصل :

إذا سير أحد من الولاية رسولا بسبب خلاص حق من بعض قرى أعماله فيكون ما يعطى الجاندار عن مسافة سفر يوم نصف نقرة وعن يومين درهم واحد لا غير ، وأى جاندار تعدى وأخذ غير ذلك يؤدب ويصرف من تلك الولاية .

فصل :

تكتب الحجج على كل يوكل يقبض لمخدومه شيئاً من مغلّه أو جهته من الديوان أو الفلاحين ، ولا يسلم له شيء إلا بشهادة بحجج مكتبة عليه تخلد منها حجة الديوان المعمورة بما قبضه من جهته أو إقطاعه ، وتبقى الحجج حاصلة حتى إذا شكّا أحد إلينا وسيرنا عرفناهم بمن يشكو من تأخر حقه ، يطالعوننا بأمر وكيله وما قبض من حقه . وتسير الشهادة عليه طي مطالعته ويحترز من الشهادات بما وصل لكل مقطع حتى إنا نعلم من مضمون الحجج والشهادات متحصل المقطعين من البلاد والجهات مفصلاً ، وجملة ما حصل لكل منهم : من عين وغلة وما تأخر لكل منهم ويعمل بذلك صورة أمور البلاد والمقطعين وأحوالهم ، ويزيل شكوى من تجب إزالة شكواه ، وتعلم أحوالهم على الحلية .

فصل :

تقرأ هذه التذكرة على المنابر فصلاً فصلاً ، ليسمعا القريب والبعيد ، ويبلغها الحاضر والغائب ، بمضمونها كل أحد ومن خرج عنها أو عمل بخلافها فهو أخير بما يلقاه من سطواتنا وشدة بأسنا والسلام (٨٧) .

ز - « المسامحات »

- ١ -

« ملخص »

نسخة مرسوم شريف بالمساحة بالبواقي في ذم الجند والرعايا بالشام كتب به في الدولة الناصرية - محمد بن قلاوون في شهر سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) بخط العلامة كمال الدين محمد الزملكاني من إنشائه وقرئ على المنبر بالجامع الأموي بدمشق المحروسة وهي :-

« الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ، وسمع نداء كل حي رافة وحلماً ، وخص أيامنا الزاهرة بالإحسان فأنتجح فيها من عدل ، وخاب من حمل ظلماً ، وزان دولتنا بالعفو والتجاوز فهي تعتد المساحة بالأموال الحسيمة غنماً إذا اعتدتها الدول غرماً .

نحمده على نعمه التي غمرت رعايانا بإدامة الإحسان إليهم ، وغمرت ممالكنا بما نتعاهد به أهلها من نشر جناح الرافة عليهم .

وبعد فإن الله تعالى لما خص أيامنا الزاهرة بالفتوح التي أنامت الرعايا ، في مهاد أمها . . وعمت بالدعة السكون قاطنهم وراحلهم . . رأينا أن نفسح لهم مجال الدعة والسكون . . وأن نشفع العدل فيهم ، كما أمر الله تعالى بالإحسان إليهم ، وتساعهم بالأموال التي أهملوها وهي كالأعمال محسوبة عليهم ، ونعفيهم من الطلب بالبواقي التي نسوها كالأجال وهي مقدمة بين يديهم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف . . أن تسامح مدينة دمشق المحروسة وسائر الأعمال الشامية بما عليها من البواقي المساقة في الدواوين المعمورة إلى المدد المعينة في التذكرة الكريمة المتوجة بالخط الشريف ، وجملة ذلك (٨٨) من الدراهم (٨٩) ألف وسبعمائة ألف وستة وأربعون ألفاً ومائة ألف وخمسة

وأربعون درهما ، ومن الغلال المنوعة تسعة آلاف وأربعمائة واثنان وأربعون غرارة ومن الحبوب مائتان وثمان وعشرون غرارة ، ومن الغنم خمسمائة رأس ومن الفول اذسمائة وثمانية أرطال ، ومن الزيت ألفان وثلثمائة رطل ، ومن حب الرمان ألف وستمائة رطل .

فليتلقوا هذه النعمة بباع الشكر المديد . . وسبيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف اعتماد حكمه والوقوف عند حده ورسمه ، ويعنى آثار هذا الباقي المذكور بمحو رسمه واسمه . . والخط الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه حجة بمقتضاه « (٩٠) .

*

- ٢ -

« نسخة »

« مسموح » منحه السلطان الناصر محمد سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م) للأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح حين تنازل عن إقطاعه وطلب مساحته بما عليه من ديون .

« رسم بالأمر الشريف شرفه الله وعظمه أن يسامح المقر العالى المولى الأميرى البدرى بكتاش الفخرى الصالحى أمير سلاح بجميع ما عليه من تفاوت الإقطاعات المنتقل إليها والمنتقل عنها من غير طلب تفاوت ولا تقاو ، ولا ما يخص الديوان الشريف من هلالى وخراجى وغيره ، مساحه وإنعاماً عليه لما سلف له من الخدمة وتقادم الهجرة مساحه لا رد فيها ولا رجوع عنها بحيث لا يطالب بشيء قل ولا جل لما مضى من الزمان ، وإلى يوم تاريخه لنزوله عن إقطاعه حسب سؤاله » (٩١) .

*

- ٣ -

« ملخص »

« نسخة مسامحة بمكوس على جهات مستقبحة بالمملكة الطرابلسية

وإبطال المنكرات ، كتب بها في الدولة الناصرية - محمد بن قلاوون ، ٧١٧ هـ
(١٣١٧ م) .

« الحمد لله الذي جعل الدين المحمدي في أيامنا الشريفة على أثبت عماد :
نحمده على نعم بلغت من إقامة منار الحق المراد : .

وبعد فإن الله تعالى منذ ملكنا أمور خلقه : : : ألهنا إعلاء كلمة الإسلام
ولما اتصل بعلومنا الشريفة أن بالمملكة الطرابلية آثار سوء ليست في غيرها
ومواطن فسق لا يقدر غيرنا على دفع ضررها وضررها : : .

ومما أنهى إلينا أن بها حافة عبر عنها بالأفراح قد تطاير شرها ...

ومنها - أن المسجون إذا سجن بها أخذ بجميع ما عليه بين السجن وبين
الطلب ، وإذا أفرج عنه ولو في يوم انقلب إلى أهله في الحسارة بشر منقلب : :
ومنها - أن بالأطراف القاصية من هذه المملكة قرى سكانها يعرفون

بالنصيرية لم يلج الإسلام لهم قلباً .. يخلطون ذبائحهم بذبائح المسلمين ، ومقابرهم
بمقابر أهل الدين وكل ذلك مما يجب ردعهم عنه شرعاً .

فلذلك رسم بالأمر الشريف : : أن يبتل من المعاملات بالمملكة
الطرابلية ما يأتي ذكره : -

جهات الأفراح المحنورة بالفتوحات خارجاً عما لعله يستقر من ضمان
الفرح الخ : : : وتقديرها : : :

أقصاب للأمرء بحكم أن بعض الأمرء كان لهم جهات زرع أقصاب
وقرروا على بقية فلاحهم العمل بها والقيام بنظيره آخر العمل وتقدير ذلك : :
هبة الشاد بنواحي الكهف تشد فيما كان يستأدى من كل مدير ، وتقدير
متحصله . . .

السجون بالمملكة الطرابلية خارجاً عن سجن طرابلس بحكم أنه أبطل
بمرسوم شريف متقدم التاريخ وتقديرها : : :

عفاية الشام بكور طرابلس واقفة والسرون ومامعه بحكم أن المذكورين
كانوا ثبتوا على المراكز بالبحر ، فلما شكت المراكز بالعساكر المنصورة قرر
على ذلك في السنة :

ضمان المشعل بطرابلس مما كان أولاً بديوان الشام بالفتوحات ثم استقر
بالديوان المعمور في شهر سنة ٧١٦ هـ ، وتقديره
سجن الأقباب المحدث بأمر أقباب الديوان المعمور التي كان فلاحو
الكورة بطرابلس يعملون بها ثم أعفوا عن العمل ، وقرر عليه السنة
حق الديوان بصهيون بطرابلس وقصريون بطرابلس عن كان معا
في حصتها وتقدير متحصل ذلك
المستحدث إقطاعاً من بعض الأمراء على الفلاحين مما لم تجربه عادة .
من حشيش وملح وضيافة وتقديره
فليطل هذا على ممر الأزمنة والدهور
ويقرأ مرسومنا هذا على المنابر
وأما النصيرية فليعمروا في بلادهم بكل قرية مسجداً ، ويطلق له من أرض
القرية رقعة أرض تقوم به وبمن يكون فيه من القوام بمصالحه على حسب
الكفاية بحيث يستفز الجناح الفلاني نائب السلطنة بالمملكة الطرابلسية والحصون
المحروسة ضاعف الله تعالى نعمته من جهته من يثق إليه الأفراد الأراضي
وتحديدها وتسليمها لأئمة المساجد المذكورة ، وفصلها عن أراضي المقطعين
وأهل البلاد المذكورة ، ويعمل بذلك أوراقاً وتخلد بالديوان المعمور حتى
لا يبقى لأحد من المقطعين فيها كلام ، وينادي في المقطعين وأهل البلاد
المذكورة بصورة ما رשמنا به من ذلك .
فلنعتمد مراسمنا الشريفة . . . (٩٢) .

ح - من كتب المناقلات الإقطاعية

الطرخانيات

(أ)

« طرخانيات أرباب السيوف »

(المرتبة الأولى)

نسخة مرسوم شريف بطرخانية لأمر

« الحمد لله اللطيف بعباده الرؤوف بخلقه ، المان بفضل الغامر بجوده
الجائد برزقه ، المتفضل على العبد : في الصبا بصفحه ، وفي الكهولة بعفوه ،
وفي الشيخوخة بعفته .

نحمده على أن جبلنا على اصطناع الصنائع ، وخصنا برفع العوائق
وقطع القواطع ، وألهمنا عطف النسق وإن كثرت مما سواه التوابع ، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسكن الرحمة في قلب قائلها ، وترفع
سطوة الغضب عن متحلها في أواخر السطوة وأوائلها ، ونشهد أن سيدنا محمداً
عبده ورسوله أفضل نبي أوعد فعفاً ، وأكرم رسول وعد فوفى . صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا في المعروف سنته ، ونهجوا في الإحسان
إلى الخلق نهجه فكان لهم في رسول الله أسوة حسنة ، صلاة تقبل العثرات ، وتتلو
بلسان قبولها « إن الحسنات يذهبن السيئات » وسلم تسليماً كثيراً . . .

وبعد فإن أولى من رفعت المراحم الشريفة ، بعين عنايتها ، ولحظته العواطف
المنيفة بلحظ رعايتها (من أهله إخلاصه في الخدم لأن يقوم مقاماً) ما لا يفارقه
ولا يباين وأن لا يحط من قدره العالي بسبب ما اتفق ، إذ كل مقدر كائن ،
وأن يصرف اختياره من الإقامة حيث شاء من الممالك المحروسة والمدائن ؛
فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال من شيمه السماح ومن كرمه بلوغ النجا

والنجاح ، ومن نعمه الصفح عن الذنب المتاح ، حتى يحفظ على الأنفس النفيسة الأموال ويريح لها الأرواح (ولا برح يولى) من قسمة المكرمات ما ينسى به الذنب فكأنه كان برقاً أومض ولمح وراح - أن يكون المشار إليه طرخاناً يقيم حيث شاء وأين أراد من البلاد الإسلامية المحروسة معاملًا بمزيد الإكرام والاحترام ، وأوفر العناية والرعاية حسب ما اقتضته المراسيم الشريفة في ذلك عندما شملته الصدقات العقيمة والمراحم الشاملة بالعفو الشريف والحكم المنيف والإقبال والرضا والصفح عما مضى ، لما رأيناه من ترفيه خاطره وقرار قلبه برفع التكليف عنه وقره ناظره ، ولما تخلقت به أخلاقنا من التيمن الذى ألبسه أثواب الأمان وجبلت عليه طباعنا من الرأفة والرحمة ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، ولما مهده له عندنا اعترافه الذى هو له فى الحقيقة أقوى شفاعة ولما تحققناه من أنه لم يفعل ذلك إلا لوفور الطاعة التى أوجبت له الإرهاب إذ الهرب من الملوك طاعة ، وكيف لا وقد تيقن منحننا الشريف وعلم وخشى مهابتنا الشريفة ومن خاف سلم .

فليتقلد عقود هذه المنن التى طوقت جيده بالجوود ، وليشكر مواقع هذا الحلم الذى سر وسار كالمثل السائر فى الوجود ، وليقابل هذا الإقبال بالدعاء لأيامنا الزاهرة وليحظ بمواهبنا العقيمة وصدقاتنا الباهرة ، وليحط علماً بأن إحساننا العميم قد أعاد إليه ما لفه من الإسعاد والإصفاد ، وأن صفحننا الشريف قد أضرب عما مضى والماضى لا يعاد فليقم حيث شاء من البلاد المحروسة ، متفياً ظلال مواهبنا التى يغدو وسرائره بها مأنوسة ، وارداً بحار عطايانا الزاهرة ، متمتعاً بملابس رضانا الفاخرة ، طيب القلب منبسط الأمل منشرح الصدر بما عمه من الإنعام ، وشمل مرعى الجنباب فى كل مكان ، معظم القدر على توالى الأزمان مبهجاً بغمداً غرض من ذلك التقطيب مستبشراً بإقبالنا الذى يلذ له عيشه ويطيب ، والله تعالى يديم له عوارفنا المطلقة ، وغنائم كرمنا المغدقة ، ومواهبنا التى انتشرت له فى كل قطر فهى لأنواع العطايا مستغرقة ، ومنننا التى تسير معه حيثما سار وتقيم لديه أنى

أقام فلا تزال عنده مخيمة في الأماكن المنفردة والاعتماد على الخط الشريف
أعلاه الله تعالى أعلاه « (٩٣) .

المرتبة الثانية

— ٢ —

« نسخة مرسوم بطرخانية »

« أما بعد حمد الله على نعمه التي قد أوزعتنا بالإحسان إلى عباده أداء
شكرها ، وآلائه التي ألهمتنا بالتخفيف عن بريته اقتران محامده بذكرها ،
ومنته التي وفق بها دولتنا الشريفة ، لأن يكون العدل والإحسان أولى ما أجرته
بفكرها ، وأحق ما أمرته بذكرها ، والصلاة والسلام على رسوله الذي أوضح
سبل المعروف وشرع سنن العدل المألوف ووصفه الله تعالى بالرافة والرحمة
فيه يقتدى كل رحيم ، وبه ياتم كل رؤوف ، وعلى آله وصحبه الذين رفعوا
منار العدل لسالكه ، وقربوا منال الفضل لآخذه ، وبينوا الحيف والاشتطاط
لتاركة ، فإن الله تعالى خص أيامنا الزاهرة بتعاهد أهل خدمتنا بالعدل
والإحسان وتفقد رعايانا بإزالة ما يكدر عليهم موارد النعم الحسان ، فلا تزال
ننعم النظر في أمورهم ، ونفيض عام إحساننا على خاصهم وجمهورهم ،
ليناموا من عدلنا في مهاد الدعة ، ويبيت ضعيفهم من مراحمننا الشريفة في أتم
رأفة وفقيرهم في أوفر سعة .

ولما كان (فلان) هو ممن فر في الخدمة الشريفة قسمه ، وكبر في الطاعة
سنه ووهن عظمه وعجزت عن الركوب والنزول حركته ، وذهبت مواقف
حربه ولم يبق إلا أن نلتمس بركته — اقتضى حسن الرأي الشريف أن يضاعف
إليه الإحسان ، ويعامل بوافر البر وجزيل الامتنان .

فلذلك رسم بالأمر الشريف — لا زال يوالى المن ويولى الأولياء من
المعروف كل جميل حسن — أن يستقر المذكور طرخاناً لا يطلب لخدمة
في نهار وليل ، ولا يلزم بالقيام بنزك ولا خيل ، فليمض حكم هذه الطرخانية

لا تتأول ألسنة الأقلام في نصه ، ولا تتطرق أوهام الأفهام إلى اعتراض ما من إعفائه بنقضه ولا تفصه ، وسبيل كل واقف عليه اعتماد مضمونه والوقوف عند حكمه والانتهاى إلى حده واتباع رسمه إن شاء الله تعالى » (٩٤) .

— ٣ —

« طرخانيات أرباب الأقلام »

نسخة طرخانية كتب بها عن الملك الناصر محمد بن قلاوون للقاضى قطب الدين بن المكرم أحد كتاب الدرج الشريف بالأبواب الشريفة عند إقامته بالحجاز الشريف . بأن يستقر طرخانا بنصف معلومه الذى كان له على كتابة الدرج الشريف وأن يقيم حيث شاء .

« رسم بالأمر الشريف — لا زال يأمر فيقطاع ، ويصل فيعين على الانقطاع ، ويرى على اقتراح الأمل جوده المكرر المكرم ، فالآمل يقترح ما استطاع — أن يستقر للمجلس السامى القضائى (قطب الدين) بن المكرم — نفع الله به من معلومه على كتاب الدرج الشريف الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت النصف من كل شهر على الأدعية الصالحة لهذه الدولة القاهرة ويقيم حيث شاء ثم يستقر ذلك لأولاده من بعده ثم لأولاد أولاده بالسوية إعانة له على بلوغ قصده ورغائبه ، واستعانة بحاضر الجود ودون غائبه ، وإكراماً لحائبه وطالباً وجه الله تعالى يعان على الفور بكنوز مطالبه .

وما كنا لنسمح ببعده عن أبوابنا الشريفة ، ولا نجيبه لمفارقة ما بيده من وظيفة ، لأنه ما يترك أحد من أبناء عصره مده ولا نصيفه ، ولديوان إنشائنا جمال بعقود كتابته المنظمة ومعانى ألفاظه النظيفة ، وإنما لإقباله على الآجلة وإعراضه عن العاجلة ، واستيعاب أوقاته بأداء الفريضة والنافلة ، أسعفنا سؤله بالإجابة ، وأعناؤه على الإنابة ، وأجزلنا سهمه من الإحسان فبلغ سهمه الإصابة ، ومن أحسن سبيلا ممن أخذ لنفسه قبل الحين ، ونقض يديه من الدنيا

فراح بالخير مملوء اليدين ، فنظر إلى معاده فأقبل على الله قرير العين ، وها نحن قد كرمناه في وقت واحد بإنشاء ولدين .

فليشكر لصدقاتنا هذه النعم المتزايدة ، والصلات العائدة والإحسان إليه وإلى بنيه جملة واحدة ، وليدع لدولتنا القاهرة حين يقوم لله قانتاً ، وحين يقول ناطقاً وحيث يفكر صامتاً ، وعند فطره من صومه ، وفي أعقاب الصلوات في ليله ويومه ، وليوصل إليه هذا المرتب ميسراً لا يكدر مورده بتأخير ، وليصرف إليه مهنتاً لا يشان طوله بتقصير ولا يحوج إلى عناء وطلب ، ولا يلجأ في تناوله إلى كد وتعب ، بل يرفه خاطره عما فاز به من حسن القلب ، والله تعالى يمدّه بعونه وفضله وينجب فرعه ببركة أصله ، والخط الشريف أعلاه حجة فيه ، إن شاء الله تعالى ، (٩٥) .

ط - كتب مختلفة

« التكاليد »

- ١ -

ملخص

تقليد من الناصر محمد بن قلاوون بتولية الملك المؤيد إسماعيل أبي الفداء
الأيوبى نيابة السلطنة بحماه (كتب سنة ٧١٢ هـ - ١٣١٢ م) :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى عضد الملك الشريف بعماده وأورث الحد السعيد سعادة
أجداده وبلغ ولينا من تباهى بابه ملوك بنى الأيام غاية مراده . . . فأصبح
جامع شملها ورافع لواء فضلها . . . نحمد الله على أن صان بنا الملك وحماه
وكف بكف بأسنا المتناول على استباحة حماه . . . ونشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله . . .

أما بعد فإن أولى من عقد له لواء الولاء ، وتشرفت معه أسرة الملوك
وذوى المنابر ، وتفرقت أحكامه فيما يشاء من نواه وأوامر ، وتجلّى فى سماء
السلطنة شمس ، فقام فى دستها مقام من سلف ، وأخلف فى أيماننا الزاهرة من درج
من أسلافه إذ هو بيقائنا إن شاء الله خير خلف من ورث السلطنة لا عن كلاله
واستحقها بالأصالة والإنالة والجلالة ، وأشرقت الأيام بعزة وجهه المنير
وتشرفت به صدور المحافل ، ومن أصبح لسماء المملكة الحموية
وهو زين أملاكها ، ومطلع أفلاكها ، وهو المقام العالى العمادى
ابن الملك الأفضل نور الدين على بن السلطان الملك المظفر تقي الدين
ولد السلطان المنصور ولد السلطان الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن
أيوب وهو الذى ما برحت عيون مملكته إليه متشوقة ولسان حال يتلو ضمن
الغيب « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء » (٩٦) إلى أن أظهر الله ما فى

غيبه المكنون وأنجز له في أيامنا الوعود وصدق الظنون ، وشيد له من الملك بأرفع عماد ، ووصل ملكه بملك أسلافه وسيبقى في عقبه إن شاء الله إلى يوم التناد .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى الباهرى - لا زالت الممالك مغمورة من عطائه ، والملوك تسرى من ظل كنفه تحت مسيول عطائه ، أن يستقر في يد المقام العالى العمادى المشار إليه ، جميع المملكة الحموية وبلادها وأعمالها وما هو منسوب إليها ومباشرها التى يعرضها قلمه وقسمه ومنابرها التى يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه ، وكثيرها وقليلها وحقيرها وجليلها ، على عادة الشهيد الملك المظفر تقي الدين محمود إلى حين وفاته وقلدناه ذلك تقليداً يضمن للنعمة تخليداً وللسعادة تجديداً . والله تعالى يؤهل بالنصر مـناه ويكمل ببقائه صورة الدهر هو معناه ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه

وكتب في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٧١٢ هـ حسب المرسوم الشريف والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وصحبه وسلم ، (٩٧).

- ٢ -

ملخص مرسوم بعض الملوك الصلاحية في إلزام أهل الذمة بالشروط الشرعية التى حددها أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه في سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) أيام الصالح بن الناصر محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله »

أما بعد ، فأحكام الشرع الشريف أولى بوجوب الاتباع ، وذمام الدين الحنيفى بستر من عصي وجبر من أطاع ، وحرمان الملة المحمدية أحق بأن تحفظ ولا تضاع ، ومن المهمات التى تصرف إليها المهمة اعتبار أحوال أهل الملتين من أهل الذمة . . . وهم المعنيون بقوله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون

بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرين . . . » .

ولما فتح الله تعالى ببركة سيدنا رسول الله (ص) ما فتح من البلاد . . . حدد لهم (عمر) من الآداب حداً لا يجوز أن يتعدى .. ولما طال عليهم الأمد، تمادوا على الاغترار وتعادوا إلى الضر والإضرار . . . » .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الصلاحى الصالحى لا زال أمره الممثل المطاع . . أن يعتمد جميع طوائف النصارى واليهود والسامرة بالديار المصرية وجميع البلاد المحروسة الإسلامية وأعمالها من سائر الأقطار والآفاق ما أخذ على سالفهم فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . . . وهو ألا يحدثوا فى البلاد الإسلامية وأعمالها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا يجددوا فيها ما ضرب، ولا يمنعوا كنائسهم التى عاهدوا عليها . . أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعموهم . . ولا يكتموا غشاً للمسلمين ولا يعلموا أولادهم القرآن . . وإن أسلم أحد منهم لا يؤذوه ولا يساكنوه ، وأن يوقروا المسلمين وأن يقوموا فى مجالسهم إذا أرادوا الجلوس وألا يتشبهوا بشيء من المسلمين فى لباسهم . قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، بل يلبس النصراى منهم العمامة الزرقاء عشرة أذرع . . واليهودى العمامة الصفراء كذلك وتمنع نساؤهم من التشبه بنساء المسلمين . ولا يتسموا بأسماء المسلمين ولا يركبوا الخيل ولا البغال، ويركبون الحمير بالأكف عرضاً من غير تزين ولا يتخذوا شيئاً من السلاح ولا يبيعوا الخمر . . ولا يضعوا أيديهم على أراضى موات المسلمين ولا غير موات ولا مزروع ، ولا ينسبوه لصومعة ولا دير . . ولذلك رسمنا أن كل من مات من اليهود والنصارى والسامرة الذكور والإناث منهم ، يحاط عليهم من ديوان المواريث الحشرية بالديار المصرية وأعمالها ومسائر البلاد الإسلامية .. وإذا ثبتوا ذلك ما يستحقونه يعطوه بمقتضاه ويحمل ما فضل لبيت المال المعمور ومن مات منهم ولا وارث يستوعب حمل موجوده لبيت المال

ورسمنا ألا يخدم نصراني ولا سامري ولا يهودي في دولتنا . . . ولا عند أحد
من أمرائنا . . . (٩٨) .

— ٣ —

نسخة طغرى السلطان المملوكي

التي تصدر بها المكاتبات لملوك الكفار (٩٩)

« من السلطان الأعظم الملك الفلاني العالم العادل المجاهدي الم رابط المشاعر
المؤيد المظفر المنصور الشاهنشاه فلان الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين
محيي العدل في العالمين وارث الملك ، ملك العرب والعجم والترك ، ظل الله
في أرضه ، القائم بسننه وفرضه ، إسكندر الزمان ، مملك أصحاب المنابر والأسرة
والتخوت والتيجان ، واهب الأقاليم والأمصار ، مبيد الطغاة والبغاة والكفار ،
حامى الحرمين ، خادم القبلتين ، جامع كلمة الأيمان ، ناشر لواء العدل
والإحسان ، سيد ملوك الزمان ، إمام المتقين قسيم أمير المؤمنين ، أبي فلان ،
فلان ابن السلطان الشهيد الملك الناصر ، والد الملوك والسلاطين أبي المعالي
محمد نخلد الله سلطانه ونصر جيوشه وأعوانه » .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« »

« »

هوامش الملاحق

القسم الأول

- (١) كتب هذا المنشور بخط العماد الأصهباني (ت ٥٥٩٧ هـ) (انظر النجوم الزاهرة ج٦ ص ٧٣ - ٧٤ ، ١٧٨) .
- (٢) القنيطرة : ضيعة صغيرة من أرض البقاع أهلها من المتأولة .
- (٣) ثعلبايا : قرية صغيرة بقرب قنائل وأشتورة بالبقاع ، وأهلها من العرب المسيحيين .
- (٤) برجة : قرية مشهورة بزيتها ، المعاصر أو البعاصير بقرب الشحيم ، كانت كلتاها من مقاطعة الحروب على أن هذه الناحية صارت فيما بعد تابعة لقضاء الشوف .
- (٥) ، (٦) شارون ومجد لبنا وكفر عمية ثلاث قرى معروفة بمقاطعة الجرد (حواشي ص ٤٨ - ٤٩ من تاريخ بيروت) .
- (٧) تاريخ بيروت ص ٤٨ - ٤٩ .
- (٨) تاريخ بيروت ص ٥١ - ٥٢ .
- (٩) صبح الأعشى ج١٢ ص ١٤٢ - ١٤٨ .
- (١٠) يرجح أن نسخة التوقيع هذه قد صدرت في عهد صلاح الدين أو بعد وفاته بفترة قليلة لا تتجاوز عام ٥٥٩٧ هـ ، لأن أسلوبها يوضح أنها من إنشاء القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ) أو العماد الأصهباني (ت ٥٩٧ هـ) ، والراجح أنها من إنشاء القاضي الفاضل نظراً لأنه كان الوزير المحلى في عهد صلاح الدين وبعده (صبح الأعشى ج١٢ ص ١٤٨ - ١٥٠ ، النجوم ج٦ ص ٥٢ - ٥٣ ، ٧٣ - ٧٤ ، ١٢٤ - ١٧٨) .
- (١١) صبح الأعشى ج١٣ ص ١٥٠ - ١٥٢ .
- (١٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن غازي بن صلاح الدين ، كان ملكاً على حلب ، فدعاه أهل دمشق لولاية مدينتهم فدخل دمشق سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) ولما ظهر التتار أخذوا منه حلب ففر هارباً إلى غزة ثم شخص إلى هولاكو فأكرمه أولاً ثم أمر بقتله وقتل أخيه الملك الظاهر غازي ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) (تاريخ بيروت ص ٥٥) .
- (١٣) أغلب هذه القرى في مقاطعة الغرب الأسفل والشوف ، ومرتغون كما أفاد الأمير شكيب أرسلان مزروعة واقعة شرقي خلدا كانت قديماً مأهولة وكانت من أملاك الأمير مصطفى أرسلان . (تاريخ بيروت ص ٥٥ - ٥٦ حاشية - ١) .

(١٤) بعد غزوة هولاكو قائد جيش التتار لبلاد الشام ، توجه جمال الدين حجي إلى دمشق، وكانت قد وقعت في يد كتبغا نائب أستاذه قلاوون (هولاكو) فاجتمع به وكتب له المنشور المذكور عن هولاكو . وتوفي هولاكو سنة ٦٦٤هـ (١٢٦٦م) (تاريخ بيروت ص ٥٦ - ٥٧) .

(١٥) التعريف ص ١٤٦ - ١٤٨ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(١٦) التعريف ص ١٤٩ - ١٥٠ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣٠٩ .

(١٧) التعريف ص ١٥٠ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣١٠ .

(١٨) التعريف ص ١٥٠ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣١٠ .

(١٩) التعريف ص ١٥٠ - ١٥١ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣١٠ .

(٢٠) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣١٠ (نقلا عن الشقيف) .

(٢١) التعريف ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢٢) التعريف ص ٩٦ - ٩٨ .

(٢٣) التعريف ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢٤) التعريف ص ٩٩ - ١٠١ .

(٢٥) التعريف ص ١٠٩ - ١١١ .

(٢٦) سورة الشورى ، بعض آية - ٢٩ .

(٢٧) التعريف ص ١١١ - ١١٢ .

(٢٨) التعريف ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢٩) التعريف ص ١٠١ - ١٠٣ .

(٣٠) التعريف ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣١) المملوك : لفظة مستعملة في الرسائل القديمة إشارة إلى تذلل الكاتب كما يقال حديثا

العبد الفقير (تاريخ بيروت ص ٩١ حاشية - ٣) .

(٣٢) لعل المقصود بثلاثة أرباح التقدم بخدمة ثلاثة فرسان .

(٣٣) ملك الأمراء لفظ أطلق على نائب السلطنة بالشام (بدمشق) إذ يعتبر أكبر النواب

بالشام .

(٣٤) تاريخ بيروت ص ٩١ - ٩٢ .

(٣٥) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٦٧ - ١٦٩ .

(٣٦) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٣٧) صبح الأعشى ج ١٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ .

- (٣٨) الأمير علاء الدين أيدغمش بن عبد الله الناصري أمير أخور كبير الناصر محمد ،
توفي سنة ٥٧٤٣ هـ (النجوم ج ١٠ ص ٩٩ - ١٠٠) .
- (٣٩) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٧٨ - ١٧٩ .
- (٤٠) المراد بالتطويق هنا مطلق التحلية وكان الأولى « أن تقرط به الأذنان وتطوق به
الأعناق وتحلى به الترائب (الناشر) .
- (٤١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٧٩ - ١٨١ .
- (٤٢) سيف الدين خاص ترك بن عبد الله المنصور من ممالك الناصر الخاصكية ، وكان
مقدم ألف ، توفي ٥٧٣٤ هـ (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٣ ، ٣٠٤) .
- (٤٣) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٨١ - ١٨٢ .
- (٤٤) جمال الدين آقوس الأشرفي ، من ممالك قلاوون ، وأضافه إلى ولده الأشرف خليل
وجعله أستاذاره فنسب إليه ، ولأه نيابة الكرك لما تملطن ، وفي سلطنة الناصر الثانية ، سجنه
بالقلعة سنة ٥٧١٢ هـ عندما عرف ميله للأميرين الخارجين على الناصر وهما : قراسنقر والأفرم
الذين فرا إلى التار ، ثم أفرج عنه سنة ٥٧١٥ هـ ومنحه إقطاع الأمير حسام الدين لاجين الأستاذار
بعد وفاته وهو إقطاع ١٢٠ فارساً ، وكتب له هذا المنشور ، وتوفي ذلك بعد سجنه بالإسكندرية
سنة ٥٧٣٦ هـ . (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٣٣ - ٣٤ ، إلى ، ٢٣٢ - ٣١٠) .

(٤٥) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤٦) سورة المدثر : بعض آية - ٣١ .

(٤٧) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٤٨) سورة النحل آية ١٨ .

(٤٩) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٥٠) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٥١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٨٤ - ١٨٦ .

(٥٢) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٥٣) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٥٤) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٥٥) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٩٢ .

(٥٦) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٥٧) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٥٨) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٩٧ .

(٥٩) صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٩٩ .

(٦٠) يعلق صاحب تاريخ بيروت على هذا المنشور بقوله : إنه يشك فيه لأن أيك كان

سلطان مصر ، ولم يحكم الشام التي كانت خاضعة حينئذ للسلطان الناصر يوسف آخر ملوك
بني أيوب بالشام وكان بين أيبك والناصر حروب وعداوة (ص ٦١) .

(٦١) لعله يريد معاصر الفخار من قرى الشوف ومن هذه المقاطعة بطران وعين ماطور
(تاريخ بيروت ص ٦١ حاشية ٣) .

(٦٢) بثلون بلغة العامة بثلون ، ويقال لعين أوزية : وزية وأبريج عند العامة بريج
(نفس المصدر ص ٦١ حاشية ٤) .

(٦٣) وادي التيم مقاطعة لا تدخل في لبنان وتعد من جبل الشيخ وتقع غربي دمشق ومن
قراها عين تنور أما ظهر حمار فلم يستدل عليها ولعلها المعروفة بظهر الأحمر (نفس المصدر -
والصحيفة حاشية - ٥) .

(٦٤) الحروب : من مقاطعات لبنان شمالي شرقي صيداء ، وغربي الشوف ، والشحيم قاعدة
هذا الإقليم ، وبقرها بعاصير أو المعاصير . (نفس المصدر والصحيفة حاشية ٦ و ٧) .

(٦٥) عين عنوب وسرجور وعرامون وعين كسور من الغرب الأسفل ، أما عالية وبيصور
وشملان ، ويقال شلال عيناب : ومجدليا من الغرب الأعلى ودقون وعين درافيل بالشحار وقاعلتها
أعييه ، وكفرعية : الدوير - بطلون شارون : من الجرد الجنوبي والقاعدة وعينات فيها بتاثر ، أما قدرون
والصباحية فلم يستدل على موقعهما . (تاريخ بيروت ص ٥٦ وحاشية - ٢ ص ٦٧) .

(٦٦) حرف شالا : مزرعة في أراضي قرية كفر متى بجوار مزرعة رمطون (تاريخ
بيروت ص ٨٦ حاشية - ١ ينظر الخريطة) .

(٦٧) بركة شطرا : مزرعة غير مأهولة قريبة من بيسور ومجدليا (نفس المصدر -
والصحيفة حاشية - ٢) .

(٦٨) الفريديس : قرية إقليم العرقوب (نفس المصدر والصحيفة حاشية - ٣) .

(٦٩) تاريخ بيروت ص ٩٢ - ٩٣ .

(٧٠) في أخبار الأعيان ص ٢٣٣ ثلث عين عنوب .

(٧١) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .

(٧٢) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .

(٧٣) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .

(٧٤) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .

(٧٥) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .

(٧٦) الطفرانية بالجرد والقبى بالشحار (تاريخ بيروت ص ٩٤ وحاشية - ١) .

(٧٧) تاريخ بيروت ص ٩٤ .

(٧٨) تاريخ بيروت ص ٩٤ .

(٧٩) في أخبار الأعيان - دفون والفساقم والأخيرة من قرى الغرب الأسفل قرب عين كسور (أخبار الأعيان ص ٢٣٤) .

(٨٠) تاريخ بيروت ص ٩٤ ، أخبار الأعيان ص ٢٣٤ .

(٨١) السلوك ج ١ ص ٥٣٠ - ٥٣٤ .

(٨٢) كان بيدرا نائب السلطة أيام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وقد خرج على أستاذه وقتله سنة ٥٦٩٢ - ١٢٩٢ م ، وتسلطن بعده وتسمى « بالملك الأوحده » ، لمدة يوم واحد تقريباً حتى قتله خاصكية خليل وعلى رأسهم زين الدين كتبغا الذي تسلطن بعد سلطة الناصر الأولى (النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٩) .

(٨٣) ابن عبد الظاهر : الألفاظ الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية ج ٣ ص ٢٩ - ٣٩ .

(٨٤) أبو الفداء ج ٤ ص ٧٤ - ٧٥ .

(٨٥) سورة الأنعام : بعض آية ١٤١ .

(٨٦) نظراً لوقوع طاعون جازف في سنة ٨٧٤٩ ، التي حولت إلى سنة ٨٧٥٠ علق القلقشندي بقوله « مات كل شيء حتى السنة لإلغائها » « صبح الأعشى ج ١٢ ص ٧٥ - ٧٩ » .

(٨٧) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٩١ - ٩٨ .

(٨٨) لعله « من الدنانير » وحينئذ يستقيم الكلام (حاشية الناشر) .

(٨٩) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٨ - ٣٠ .

(٩٠) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٨ - ٣٠ .

(٩١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣٠ - ٣٥ .

(٩٢) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٤٨ - ٥١ .

(٩٣) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٤٨ - ٥٠ .

(٩٤) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٥٢ - ٥٣ .

(٩٥) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٥٢ - ٥٣ .

(٩٦) سورة آل عمران آية - ٢٦ .

(٩٧) أبو الفداء - تاريخه ج ٤ ص ٧٠ - ٧١ .

(٩٨) مرسوم بعض الملوك الصلاحية (مصور في مجلد رقم ٤٣١٤ تاريخ بدار الكتب ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣٧٨ - ٣٨٧) .

(٩٩) التعريف ص ٨٣ - ٨٤ ، صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٦٣ .

القسم الثاني

١ - قاموس الألفاظ الاصطلاحية

أبواب الغزاة :

لفظ اصطلاحى أطلق فى العهد الفاطمى على إقطاعات الأسطول (١) .

الارتفاع والعمل :

العمل نوع من القوائم يعملها الكتاب فى الدواوين، فيقال عمل بما تحصل من الغلال فى الناحية الفلانية لمثل سنة كذا وكذا الخراجية، عمل بما بيع من الغلال ، عمل بما وجب من مال الجوالى ، عمل بما تعين من أموال الخدم (٢) ، وجاء فى كتاب ابن عمر إلى شرف الدولة البويهى (بلغنى أن ابن طاهر عمل عملاً بضياعى بعشرين ألف ألف درهم (٣)) فالعمل هو قائمة بالارتفاع والارتفاع هو تقدير أو تخمين الحاصلات مقدماً. وقد بلغ ارتفاع الصوائى على عهد عمر بن الخطاب ٩ آلاف ألف درهم (٤) على أن اللفظ قد اندجج فى العهد المملوكى ، واشتهرت كلمة الارتفاع فى الشام وشملت فوق معنى المال أو المحصول المقدر، نفس القائمة ويقابلها فى مصر (التالى) إلا أن التالى كان لما دون السنة فى حين أن الارتفاع للسنة كلها ، أى لتقدير الحاصلات على طول السنة ، وكذلك استخدم المصريون لفظة (الملخص) لتقابل الارتفاع (٥) .

الأرصاء :

يقابله الوقف (٦) . عن المقرئى : والذى يتحرر كان ذلك (إقطاع تميم الدارى) إرصاء له وذريته إلى آخر الدهر .

الأرض العادية :

أى القديمة التى ترجع إلى عهد عاد، وأطلق هذا اللفظ على كل أرض قديمة بصفة عامة ولا يشترط أن تكون على عهد عاد بالذات. عن الرسول

(ص) عادى الأرض لله ولرسوله ثم هى لكم من بعد^(٧) وقد تجمع أرض على أرضين .

الأستاذ والأستادار :

لغويًا بالضم المعلم والمقرئ والمدير والعالم وأستاذ الصناعة ، واصطلاحاً الأستاذار بمعنى « السيد » المقابلة لكلمة « لورد Lord » فى الإقطاع الغربى إلا أنها أشمل من لورد فى اصطلاح الممالك لأنها تضمنت معنى السيد صاحب الحق المطلق فى ممالكه الذين اشتراهم ورباهم . ومن الأستاذ جاءت كلمة « أستاذار » أو « أستاذ الدار » بمعنى ناظر الدار وهى كلمة فارسية معربة من الأصل الفارسى (استذ بمعنى الأخذ ودار بمعنى ماسك) وهو المشرف على الشئون المالية لقصور السلطان أو الأمير والبيوتات الملحقة بها كالشرايخانة والطشت خاناه الخ . ويقال لأستاذار السلطان « أستاذار العالية » وله كامل التصرف فى جميع الإقطاعات التابعة للديوان المفرد ، وهى المخصصة لحوامك الممالك السلطانية ، وربما عظمت سلطة بعض الأستاذارية واتسع نفوذه فطغى على السلطان مثل الأستاذار جمال الدين محمود البجاس ، أيام السلطان فرج بن برقوق إذ أضاف إليه سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) الوزارة ونظر الخاوص والكشف بالوجه البحرى ، كما استقر مشيراً للدولة ، فصار السلطان لا يعقد أمراً بدونه بل لا يخرج إقطاعاً إلا بإذنه مهما كانت مساحة هذا الإقطاع ، وزادت سلطته حتى كان الأمير لا يستطيع التصرف مع فلاحيه حتى يشاوره . وأستاذار الأمير يشبه فى سلطته واختصاصه أستاذار السلطان لكن على مقياس أصغر ومهمته الأساسية بحث شئون إقطاع الأمير مع الفلاحين والدواوين الحكومية^(٨) .

الاعتداد :

لفظ أطلق على عهد الدولة الفاطمية ليدل على إقطاعات العربان فى أطراف البلاد وعبرتها دون عبدة إقطاعات الأجناد^(٩) .

الإقطاع :

ما يقطع له ولي الأمر لنفسه أو يمنحه لغيره من أرض أو أى نوع من المال الثابت أو المنقول ، وتسمى الأرض المقطعة بالقطعة والجمع قطائع أو إقطاعاً والجمع إقطاعات ، وتطلق القطيعة أحياناً على الضريبة كما حدث فى العهد الأيوبي . مثلاً كانت قطعة الفدان الإقطاعى من القمح ٣٥٠ إردباً ومن الشعير ٢٥٠ إردباً ومن الحمص ٣٥٠ إردباً وهكذا (١٠) ، وأطلق لفظ المقاطعة أحياناً على كتاب الإقطاع فى العصر العباسى ، وشملت أيضاً المال الذى دفعه المقاطع كما حدث أن قاطع الخليفة الراضى عماد الدولة البويهى على ما بيده من بلاد فارس بمبلغ ثمانمائة ألف ألف درهم فى السنة (١١) . ومن الإقطاعات ما هو مرتجع . الذى يسترجه ولي الأمر أو يقبضه ثانياً أو يرده المقطع نفسه ليعتاض غيره .

وتطلق كلمة (الإقطاعية) على الجنود المقطعين وذلك حين عمت الإقطاعات العسكرية (١٢) . وهناك الإقطاعات المحلولة وهى التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع بعد (١٣) .

الأكرة :

هم عمال الأرض من الفلاحين، ووردت أمثلة كثيرة فى القطائع تدل على أن المقطع تألف الأكرة والمزارعين ، وأنه يحسن بصاحب الضيعة أو الإقطاع أن يحسن معاملة الأكرة . يقول ابن الفرات : (أحسنت إلى بعض الأكرة والمزارعين فى ناحية كحلة من طسوج الأنبار) (١٤) وكثيراً ما ينوه بحسن معاملتهم فى كتب الإقطاع .

الإلحساء :

أن يلجئ الضعيف ضيعته أو أهل القرى قراهم لجار قوى ذى جاه أو سلطان أو لولى الأمر نظير حمايته لهم ثم يستردونها ثانياً إقطاعاً على أن يكونوا مزارعين له وأكثر ما يحدث هذا حين يختل الأمن أو ينتشر الظلم .

الأوشاقية :

عمال بالإصطبلات السلطانية أو إصطبلات الأمير ومهمتهم ركوب الخيل للتسيير والرياضة (١٥) .

الإيغار :

ومعناها أن يدفع صاحب الأرض عنها قدرأ من المال مرة واحدة .
فيعني من الخراج ، ويعبر عن ذلك بأنه قد أوغر الأرض ؛ والفعل أوغر ووغر
والعامل والخراج استوفاه أو هو أن يوغر الملك الرجل الأرض فيجعلها له من
غير خراج أو هو أن يؤدي الخراج إلى السلطان الأكبر فراراً من العمال ،
وقد يسمى ضمان الخراج إيغار - وهي لفظة مولدة (١٦) .

البابا :

لقب أطلق على جميع رجال الطشت خاناه من البيوت السلطانية ومهمتهم
غسل الملابس الخاصة بالسلطان ، وينصحون بالحرص على إزالة نجاسة الثياب
عند غسلها ، وأصله رومي ، ومعناه أبو الآباء يقول القلقشندی « وكأنه لقب بذلك
لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه مخدومه من تنظيف قماشه وتحسين هيئته أشبه
بالأب الشفوق فلقب بذلك (١٧) » .

البرك أو البرق :

أمتعة المسافرين ومهمات الجيوش حدث في سنة ٩٢٤هـ (١٥١٨م) أن أرسل
خايربك نائب العثمانيين بمصر إلى الأمير أرزمك الكاشف أحد الأمراء المقدمين
٤٠٠ دينار وقال : خذ هذه نفقة سفرك فاعمل بها برقك فاعتذر الأمير
أرزمك قائلاً : ايش يكفي هذا القدر لعمل برق السفر (١٨) .

البشمقدار :

حامل نعل السلطان أو الأمير . من لفظين (بشمق تركية بمعنى نعل ودار
فارسية بمعنى ماسك) (١٩) .

البطال :

من الأجناد والأمراء وهم العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها
نتيجة غضب السلطان أو كبر السن أو اضطراباً إلى الاعتكاف والاختفاء ،

أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد ، وقد يعاد البطل إلى الخدمة والإقطاع وقت الحاجة ، ففي سنة ٥٧٧ هـ (أنفق صلاح الدين في البطالين وجردهم إلى الثغور) (٢٠) .

البلايق :

مفردها بلقية أو بليق وهي نوع من الأدب الفكاهي يعرض فيها المنشد بمهنته أو مهنة من يريد مداعبته ، وربما جاءت المداعبة قاسية ؛ ومن أمثال البلايق بلقية ابن مولاها التي أنشدتها أمام السلطان حسن . ومنها : « والقوس عندي في انكسار لا للحصار يصلح لأكديش أو حمار إذا نهق » ، « ورمح أخضر سيسبان بالأسنان نطعن رفاق التركمان ، ما ينخرق .. الخ » . ومن بلقية ابن الحياط التي عارض فيها بلقية ابن مولاها :

« عندي جلود بلا ورق ، كتب عتق من درسها قلبي ، احترق بنار فكر ولي دوا من الصدف على الصدف ؛ تحبيرها عندي سرف ؛ ولي وسادة من حجر نومي هجر ، فكم برأسي من أثر منو ظهر .. الخ » (٢١) .

البلائات :

لعلن المشرقات على الحمامات السلطانية من لفظ بلان بمعنى حمام ؛ وهذه الطائفة من الجوارى اللاتي أكثر منهن سلاطين الممالك (٢٢) .

البيكار :

بمعنى الحرب ، كان السلطان يسأل في توزيع براءات الإقطاع « كم بيكاراً » ؟ رآها المقطع ليستوثق من خبرته الحربية ، وجاء في « التذكرة » المكتوبة عن السلطان علي بن قلاوون التوصية بمساعدة نواب الأمراء ووكلائهم ومتحصل حقوقهم أثناء غياب الأمراء « في البيكار المنصور » (٢٣) .

الثاني والتناء :

وهم المستوطنون المستقرون من أصحاب الضياع ، وقد يتعرض التناء إلى ظلم الولاة والعمال والسلاطين ، ففي عهد معز الدولة البويهى حين أقطع السواد لأنصاره ، (أنت الجوائح على التناء) وقد اشتكى بعض التناء من ظلم

أمير مقطع لعدة بلاد ، وقعت ضيعته في إقطاعه ، فحبسه لتراكم الخراج عليه . وحدث ذلك في عهد عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٢ هـ عن بعض التناء حصلت ضيعتى في إقطاع . . (٢٤)

التجاريد :

مفردها تجريدة بمعنى الحملة الحربية (٢٥) :

التسبب :

رزق الشخص الذى يعطاه نظير قيامه على عمل غير مستديم كعمال المصالح وجباة الخراج ، وإذا أقطع به جهة ليستغلها لا يسمى هذا إقطاعاً وإنما يسمى تسبياً وحوالة ، وذلك يحصل له حين يحل موعد دفع الخراج وموعد تناول رزقه من ذلك ما أمر به الخليفة المعتضد من استخدام (الطبقة الدون) من العساكر وإرسالهم إلى أعمال الخراج لمساعدة في جمع الأموال ، وأمر بأن يسبب بأموالهم على النواحي (٢٦) .

التسعينية :

هم طائفة عسكر الخاصة ، وعرفوا بهذا الاسم في العصر العباسى ، نسبة إلى أن شهرهم ٩٠ يوماً (٢٧) .

التسويغ :

ومعناها الإعفاء من بعض الخراج أو الحقوق الخاصة ببيت المال على ضيعة ، أو الإعفاء من كل الرسوم وقد ورد هذا اللفظ في بعض مقاطعات العباسيين ومجلات الفاطميين .

التشريف :

مجموعة من الملابس الفاخرة يمنحها السلطان ، فمثلاً أرسل الناصر محمد في سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) تشريفاً لابن أبى الفداء صاحب حماة مكوناً من قطعتين : عليا وسفلى من أطلس أحمر وأصفر مزركش وشربوش مكلل باللؤلؤ (٢٨) :

التضمين :

أن يضمن شخص دفع الخراج على جهة معينة بمبلغ معروف يتفق عليه مع أولى الأمر، ويقوم بجمع الخراج كالتزام في العصر العثماني ، ووصف عمل عثمان بن عفان في تصرفه في أرض السواد أنه كان تضميناً لامتليكا، ويرادف أيضاً الإيجار (٢٩) على أن التضمين غير مستحب في الإسلام لأنه ضمان للأموال بقدر معلوم يقتضي الاقتصار عليه وذلك بتمليك الضامن ما زاد ، ويغرم مانقصر ، وهذا مناف لحكم الأمانة فيكون باطلا وقد جاء رجل إلى ابن عباس يتقبل منه إيالة بمائة ألف درهم ، فضربه مائة سوط وصلبه حياً تعذيباً وأدباً (٣٠) .

التقليد والتقاليد :

استخدم هذا اللفظ في الإقطاع ليدل على معنى الاستغلال لا التمليك (٣١) ويشبه التضمين . واستخدمت أيضاً لتدل على معنى التولية على ولاية أو عمل ، ولها أسلوب خاص وافتتاحية خاصة في العهد المملوكي (٣٢) .

الجاهشكير :

موظف في قصر السلطان أو الأمير مهمته تذوق الطعام قبل سيده خشية أن يدس له السم فيه ، ومن الذين شغلوا هذا المنصب بيبرس الذي تسلطن خلال سلطنة الناصر محمد . وهذا الاصطلاح من كلمتين فارسيتين « جاشنا بمعنى الذوق وكير بمعنى المتعاطى » وربما اختصرت إلى الششني (٣٣) .

الجاليش :

بمعنى الراية ومقدم الجيش ، وجرت العادة أن يعلق الجاليش إيذاناً بالسفر في حرب ويستعرض السلطان جيشه ويستمر جاليش معلقاً حتى يخرج السلطان للحرب ؛ وبالمعنى الآخر « جاءت الأخبار أن جاليش عسكر هولاكو ملك التار قد وصل إلى أطراف دمشق ونهبوا البلاد » (٣٤) .

الجامكية :

هي الرواتب المربوطة للشهرا أو أكثر ، وهي الرواتب عامة ؛ وفي القلقشندي

(صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٧) ، أن نفقة ممالك السلطان كانت عبارة عن جامكيات وعلف وكسوة وغير ذلك (٣٥) .

الجشارات :

جشر والجشر إخراج الدواب للرعى ، والجشار صاحب مربع الخيل وخيل محشرة مرعية؛ والجشار مكان الرعى مثلاً « وهجم على جشارهم فأخذ منها من الخيل أربعمئة رأس ومائة من البقر » ومن وصايا أمير أخور « النظر في جميع إصطبلاتنا الشريفة والجشارات السعيدة » وتدل كذلك على الخيول والبقر التي تساق مع الجيش . فمثلاً نهب السلطان غاآن سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠م بلاد حلب ولما توجه إلى دمشق أرسل الله عليه ثلوجاً وأمطاراً » ووقع في خيول عساكره وجمالهم الموتان حتى كانت عدة جشار غازان اثني عشر ألف فرس فلم يبق منها إلا نحو الألفي فرس » (٣٦) .

الجمالة :

هو المال الذي يتناوله من يرتزق على عمل مستديم فرزقه في هذه الحالة يجري مجرى الجمالة، ولا يكون إقطاعاً، فيكون جعل الخراج له في أرزاقه مثل التسبب والحوالة (٣٧) .

الجمدار :

الموظف من الممالك الذي يقوم بمساعدة السلطان أو الأمير في لبس ملابسه من الكلمة الفارسية (جاما بمعنى ثوب ودار بمعنى ماسك) ومن شغلوا هذا المنصب الأمير أقطاي الذي نفاه بيبرس خشية بأسه (٣٨) .

الجنائب :

هي الخيول المسرجة الملجمة التي تسير في موكب السلطان أو الأمير زينة وتفائراً من غير أن يركبها أحد، وهذا مما عابه السبكي على الممالك فذكر : ومن القبايح ركوبهم والجنائب تقاد بين أيديهم مسرجة ملجمة غير مركوبة ، ومعهم في ذلك المحتاج (٣٩) .

الجوشن :

درع من الجلد يلبس حول الجزء الأوسط من الجسم ، وجمعه جواشن . وفي التدريب على الفروسية « كثير من الفرسان يثبون على الفرس وعليهم الدروع أو الجواشن ملبسة » (٤٠) .

الجسون :

والجمع جون : الأدهم من الخيل والإبل ؛ وكان من بين الإصطبلات السلطانية إصطبل لهذا النوع من الدواب (٤١) .

الحراقة :

نوع من السفن الحربية لحمل الأسلحة النارية (٤٢) .

الحرفوش :

جمع حرنفش كغضنفر وهو الحافي الغليظ المهيء للشر والسافل من الناس ، وجاء بصدد بيان حد شارب المسكر من خمر وغيره مثل « الحشيشة التي يأكلها الحرافيش » ومن معانيها الفقراء الذين يقعون فريسة في غالب الأحيان للطواعين وأحداث الغلاء ، جاء في غلاء سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) أن أمر السلطان بيبرس بجمع الحرافيش وتوزيعها على الأمراء وأخذ لنفسه ٥٠٠ حرفوش وأعطى السعيد ابنه ٥٠٠ ونائبه بيبيك ٣٠٠ ووزع الباقي على الأمراء ، ورسم أن يعطى كل منهم في اليوم رطلين خضر ، وهناك عائلة من الشيعة تعرف باسم « بني الحرفوش » نسبة إلى جددهم حرفوش الخزاعي أحد القادة في جيش أبي عبيدة الجراح واستقر في بعلبك حيث صار وبنوه من بعده أصحاب الأمر والنهي حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادي (٤٣) .

الحقوق :

بمعنى زمام البلد ، مثال الجديدة المعروفة بأمر رضوان بالدقهلية من حقوق منية خضر ، وكذلك تل بني تميم بالدقهلية من حقوق القطيعة ، وهكذا ودلت على معنى نوع من الضرائب المقررة على بعض البلاد دون البعض الآخر (٤٤) .

الحلقة :

هى السلاح ، وحدث حين أجلى الرسول من بنى النضير فى سنة ٤ هـ اشترط عليهم أن يخرجوا من بلدهم ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة . . وأطلقت الحلقة على فرقة من المماليك فى العهد الأيوبي والمملوكي (٤٥) . وفريق الحلقة فى الجيش المملوكي أهم فريق حاز الإقطاعات ويتكون من ممالك الأمراء الذين انفصلوا عن إقطاعاتهم بالوفاة أو النفي أو كبر السن ، وجرت العادة أن يضم السلطان هؤلاء المماليك إلى الحلقة ، ولذا كانوا من حيث المرتبة أو المنزلة دون المماليك السلطانية (٤٦) .

الحمايات :

لغويًا : أحمى المكان جعله حمى لا يقرب ، واصطلاحاً : مغارم فرضها السلطان والأمراء المقطعون على العقارات من أراضى ونحوها نظير ما يقومون به من حماية الشخص الذى يدفع هذا المقرر ، وكان يبرس الجاشنكير ونائبه سلاّر قد فرضا كثيراً من هذه الحمايات فألغاها الناصر حين عاد إلى السلطنة وراك البلاد ، ولكنها أعيدت ، ويعتبر برقوق أول من أفرد لها ولغيرها من أبواب الإيراد ديواناً وله موظفون مفرقون بالبلاد يعرفون باسم (أستاذارية الحمايات) . وعلق المقرئى على ذلك بقوله « وهو من أعظم أسباب الخراب » .

حوز :

ما يحوزه ولى الأمر من القطائع والخاص السلطاني ويقال صارت القطيعة حوزاً .

الحوطة :

أى الحجز ، وإيقاع الحوطة هو إيقاع الحجز على مال أو عقار أو محصول ، وفى سنة ٥٧٧ هـ ، خرج أمر صلاح الدين بالحوطة على مستغلات العرب بالشرقية ، ووقعت الحوطة على إقطاع جذام وثعلبة لكثرة حملهم الغلال إلى بلاد الفرنج (٤٧) .

الحياصة :

الأصل الحواصة، وهو سير يشد به حزام السرج، واستعملت بمعنى المنطقة التي يشدها الأمير في وسطه ، وهي من المنح السلطانية، وتكون من الذهب أو الفضة ، بحسب رتبة الأمير فحوائص الأجناد من الفضة ووزنها ٤٠٠ درهم وعمل قلاوون حوائص الأمراء والكبار وتقدر بثلاثة آلاف دينار ولأمراء الطبلخاناه حياصة بمائتي دينار، وحياصة مقدمي الحلقة من ١٥٠-١٧٠ ديناراً وكان الخاصكية يلبسون حوائص من ذهب ، ولهذه الحوائص سوق لبيعها تعرف باسم سوق الحوائصين (٤٨) .

الخبز :

بمعنى إقطاع فيقال خبز فلان أو إقطاع فلان (٤٩) .

الخراج :

ضريبة الأرض ، وأصلها فارسي ، وهو ماوضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها وتقديره موقوف على اجتهاد الأئمة ، وفي لغة العرب اسم للكراء والغلة (٥٠) ويقال إن أول من وضع الخراج وأزال المقاسمة هو أنوشروان على أثر تجوله يوماً قرب بستان لامرأة فسمعها تمنع طفلها عن تناول ثمار حتى يأخذ الملك نصيبه في المقاسمة ، وقد وضع على كل جريب عامر وغامر مما يناله الماء قفيزاً ودرهماً ، وهناك أرض خراجية وهي التي فتحت عنوة ولم يسلم أصحابها فيوضع عليها الخراج ، وحين فتح السواد على عهد عمر واصطفي أموال كسرى وأهل بيته مسح الأرض ووضع الخراج . فثلاً وضع على جريب الرطبة ٥ دراهم و ٥ أقفزة ، جريب الشجر ١٠ دراهم وعشرة أقفزة (٥١) .

الخشداشية :

جمع خشدأش وهو معرب اللفظ الفارسي خواجاتأش أي الزميل . والخشداشية في عصر المماليك هم الأمراء الذين نشأوا بمالك عند سيد واحد فنمت بينهم رابطة الزمالة القديمة ويقابلها في الفرنسية (Camarade) . ومن

القواعد المعروفة عند المالِك أن الأجناد إذا مات أحدهم استولى خشداشيته على موجوده (٥٢) .

الحمس :

هو خمس النىء والغنائم، وهذا من حق ولى الأمر، ومصرفه نص عليه القرآن (واعلموا أنما غنمتم من شىء . .) ، (ما أفاء الله على رسوله . .) ولما كان بعض الخلفاء من بنى أمية لا يضع الخمس حيث نص القرآن فقد كتب عمر بن عبدالعزيز بجمعه مع النىء ليصرف فى مصالح المسلمين عامة (٥٣) ويدل معنى الخمس كذلك فى العهد الأيوبي والمملوكى بصفة خاصة على ما يستأدى من تجار الروم الواردين على الثغر بمقتضى ما صولحوا عليه ، وربما بلغ ما يستخرج منه عما قيمته مائة دينار ما يناهز ٣٥ ديناراً ، ومن كنائس الروم ما يستأدى منه العشر ، إلا أنه لما كان الخمس أكثر معرفة وتداولاً كانت النسبة إليه أشهر واعتبر الخمس من المعاملات السلطانية أو الجهات الديوانية منذ العهد الأيوبي فصاعداً (٥٤) .

الحواجا :

من ألقاب كبار التجار والأعاجم وهو لفظ فارسى (٥٥) .

الخواخق أو الخوانك :

كلمة فارسية معناها « بيت » وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك، وحدثت الخوانق فى الإسلام حوالى القرن الخامس الهجرى حيث يحتل الصوفية للعبادة والتبذل ويسمى رئيس الخانقاه « بالشيخ » أو شيخ شيوخ العارفين . ويعين بتوقيع من السلطان، وأول من لقب بهذا اللقب شيخ خانقاه سعيد السعداء التى بناها صلاح الدين، ولقب الناصر محمد، شيخ الخانقاه التى بناها بسرياقوس سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) بهذا اللقب . ولهذه الخوانق أوقاف للنفقة عايرها فضلا عن مخصصات روادها من الصوفية وللواحد منهم فى اليوم - رطل لحم ضانى و ٤ أرطال خبز ورطل حلوى ورطلان زيت زيتون ، رطلان صابون وفى الشهر ٤٠ درهماً فضة وفى السنة ثمن كسوة وتوسعة فى رمضان

والعبدین ومواسم عاشوراء ورجب وشعبان، وكلما ظهرت فاكهة، صرف لهم مبلغ لشرائها وتبيض قلوبهم في رمضان . وبالخانقاه مخبز ومطبخ وخزائن للسكر والأشربة والأدوية، وبها الطبائعي والجرائحي والكحال ومصلح الشعر . ومن الخوانق المشهورة خانقاه ابن آقوش بناها خارج باب زويلة سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) وخانقاه الأمير يشبك بناها سنة ٧٣٦ هـ (١٣٣٥ م) وخانقاه الوزير مغلطای الجمالی بناها سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وخانقاه برقوق التي بناها سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) وهكذا (٥٦) .

خوند أو خاوند :

لفظ فارسي يطلق على الذكر أو الأنثى بمعنى مالك أو صاحب ومنها خوندکی بمعنى الأكبر واستعملت في عصر المماليك بمعنى الكبير أو صاحب المقام الرفيع ، ولقب به السلطان وزوجاته (٥٧) .

دريستا :

لفظ فارسي بمعنى « كاملا » . فمثلاً أقطع السلطان خليل سنة ٦٩٢ هـ (١٣٩٢ م) الأمير بيسرى الشمسي مائة بنى خصيب دريستا أي بدون استثناء ، وإذا كان في الإقطاع شيء موقوف أو ملك حر لا تذكر هذه الكلمة في منشور الإقطاع (٥٨) .

درك :

لغوياً بمعنى اللحاق ، واصطلاحاً حماية الأطراف أو الثغور في الدولة . ودلت كذلك على معنى المساهمة في الحرب وحماية الأمن الداخلي ، والدرك في نظام الإقطاع المملوكي، من الالتزامات المفروضة على المقطعين من العربان والتركمان والأكراد، ويسجل في ديوان الجيش أمام اسم المقطع إن كان عليه درك أو غيره ، فمثلاً حاز بنو تنوخ العرب إقطاعاتهم نظير دركهم على بيروت، وكان أمراء التركمان في كسروان قد تتركوا ألف رجل إلى قبرص للحرب، وهناك « المتدرك » وهو المستأجر الكبير لأراضي الدولة أو أراضي الخاص السلطاني (٥٩) .

حرمونة :

مركب كبير لنقل الغلال من وإلى الأهرام السلطانية ، وحملتها خمسة آلاف إردب (٦٠) .

دردار :

كلمة فارسية معناها ماسك القلعة أو محافظ القلعة أو مستحفظ القلعة وقد اشتغل نجم الدين أيوب « دردار » على قلعة تكريت من قبل بهروز الخادم في العهد السلجوقي قبيل سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠ م) ولما ارتحل ودخل في خدمة زنكي ، عمل أيضاً « دردار » لقلعة بعلبك (٦١) .

الدستور :

بمعنى الإذن، فمثلاً أعطى السلطان قلاوون في سنة ٦٧٩ هـ (١٢٨٠ م) دستوراً للعسكر الشامية خلال حرب التتر (٦٢) .

الدكة :

تشبه السرير والدكك في المجتمع المملوكي من بين جهاز العرس لبنات الطبقة العليا ، وجرت العادة أن تجهز العروس بسبع دكك عليها دست طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة ، وبالدست سبع قطع كبراها نحو إردب قمح وتختلف عن بعضها من فضة - كفت نحاس - خشب مدهون - صيني - بللور - كداهي - والأخيرة مصنوعة من ورق مدهون من الصين ، ومن الدكك العادية التي يجلس عليها الأمراء والسلاطين ، فمثلاً كان قايتباي يجلس على دكة بالاصطبل عند النظر في المظالم (٦٣) .

الرباط :

لغوياً : ما تربط به الدابة من خيل ونحوه ، ويقال لفلان رباط من الخيل ، واصطلاحاً : الرباطات المبنية للفقراء وتؤدي معنى انتظار الصلاة بعد الصلاة ومن شروط روادها « قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب ومواصلة الليل والنهار بالعبادة وملازمة الأوراد » ويؤدي الرباط ما تؤديه

الخوانق. ولربط أصل يرجع إلى الصفة التي كانت لفقراء الصحابة ومنها ما كان خاصاً بالنساء (٦٤).

رباع :

مساكن تبنى فوق الخوانيت في الأسواق والقيسارات والفنادق ويسكنها العوام (٦٥).

الرزق والأحباسية :

الرزق هي الأطين التي أعطاها الخلفاء والملوك والسلاطين إلى بعض الناس بمقتضى حجاج شرعية أو تقاسيط ديوانية رزقة بلا مال أى بدون مال خراج ، وبمعنى آخر معفاة من الضرائب . وتعرف هذه الأراضي باسم « الرزق » أو « أراضى الرزق » (٦٦) .

وكرثت هذه الرزق خلال عصر المماليك ، وروعى في التوزيع الإقطاعى استثناءها من المساحات المقطعة . كأن يقال مثلاً : بإقليم الشرقية : مدينة الدهتمون من كفور العلاقة مساحتها ٤٩٠ فداناً بها رزق ٦٠ فداناً وهى من إقطاع الأمير يشبك (٦٧) . وطلخا بالغربية مساحتها ٦٢٠ فداناً بها رزق ٢٥ فداناً (٦٨) ، ومساحة أبسوم بالبحيرة ٢٢٨٠ فداناً غير الرزق التي تقدر مساحتها ب ٤٨ فداناً (٦٩) وهكذا في كل الأقاليم (٧٠) . ومعنى الأحباسية حبس هذه الرزق أو غيرها أو وقف ريعها على جهات معلومة محدودة (٧١) على أن منها ما هو ليس موقوفاً فيصرف ريعه للمستحقين أصحابها ، والرزق التي من هذا النوع تنحل بانقراض أصحابها ، ولذلك ارتجع الناصر محمد في روكه الرزق من واضعى اليد عليها ، وهى التي كانت بيد بيبرس الجاشنكير وصحبه (٧٢) . أما الموقوف منها فيصرف ريعه أو يحبس على المساجد وغيرها من الجهات الخيرية وأعمال البر بحسب شروط الواقف (٧٣) .

وقد بلغت الرزق الأحباسية في عهد الناصر محمد ١٣٣ ألف فدان ويشرف عليها دوادار السلطان ومعه ناظر الأحباس الذى يلقب « بناظر الأحباس المبرورة » (٧٤) ولها ديوان يديرها . قيل إن أول من دون ديواناً

للأحباس في عصر الإمام الليث بن سعد؛ إذ أفرد لها ديواناً مستقلاً عن ديوان الجيش (٧٥) وتعرضت هذه الرزق الموقوف منها وغير الموقوف للحل والإقطاع أكثر من مرة خلال عصر المماليك (٧٦).

ووقعت محاولات لحلها في العصر العثماني واستفتى العلماء، ثم استقر الأمر على إبقائها على ما هي عليه دون حل أو إنقاص (٧٧).

الرسناق :

أسماء أماكن أطلقت على أراضي العراق ومثلها طسوج .

الرنك :

لفظ فارسي معناه لون واستخدم بمعنى الشعار أو الشارة التي يتخذها الأمير أو السلطان المملوكي لنفسه وعند تأمير السلطان للأمير علامة على وظيفته في الإمارة .

ويرجع الأصل في الرنوك أو الرموز التي اشتهرت في عصر سلاطين المماليك إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب، حين أمر مملوكه أيبك وعينه جاشنكير، إذ جعل شارة وظيفته المنضدة المدورة وتسمى في المصطلح « خونجا أو خانجا » (٧٨) ولذلك دلت الرنوك في أغلبها على وظيفة صاحبها . ويبين هذا الجدول بعض أصحاب الوظائف ورنوكهم :

صاحب الوظيفة	رنكه	صاحب الوظيفة	رنكه
السلح دار	السيف	البشمقدار	حذاء
الحمدار	البقمجة (٧٩)	أمرأ الحيوش عامة	السيوف
أهبر أخور	نعلة	الطببأدار	طبله وعصا
	الفرس (٨٠)		
الساق	الكأس	الطشتدار	إبريق أو بقمجة
الجوكاندار	العصا والصوبجان	العلمدار	عامان
			وهكذا ...

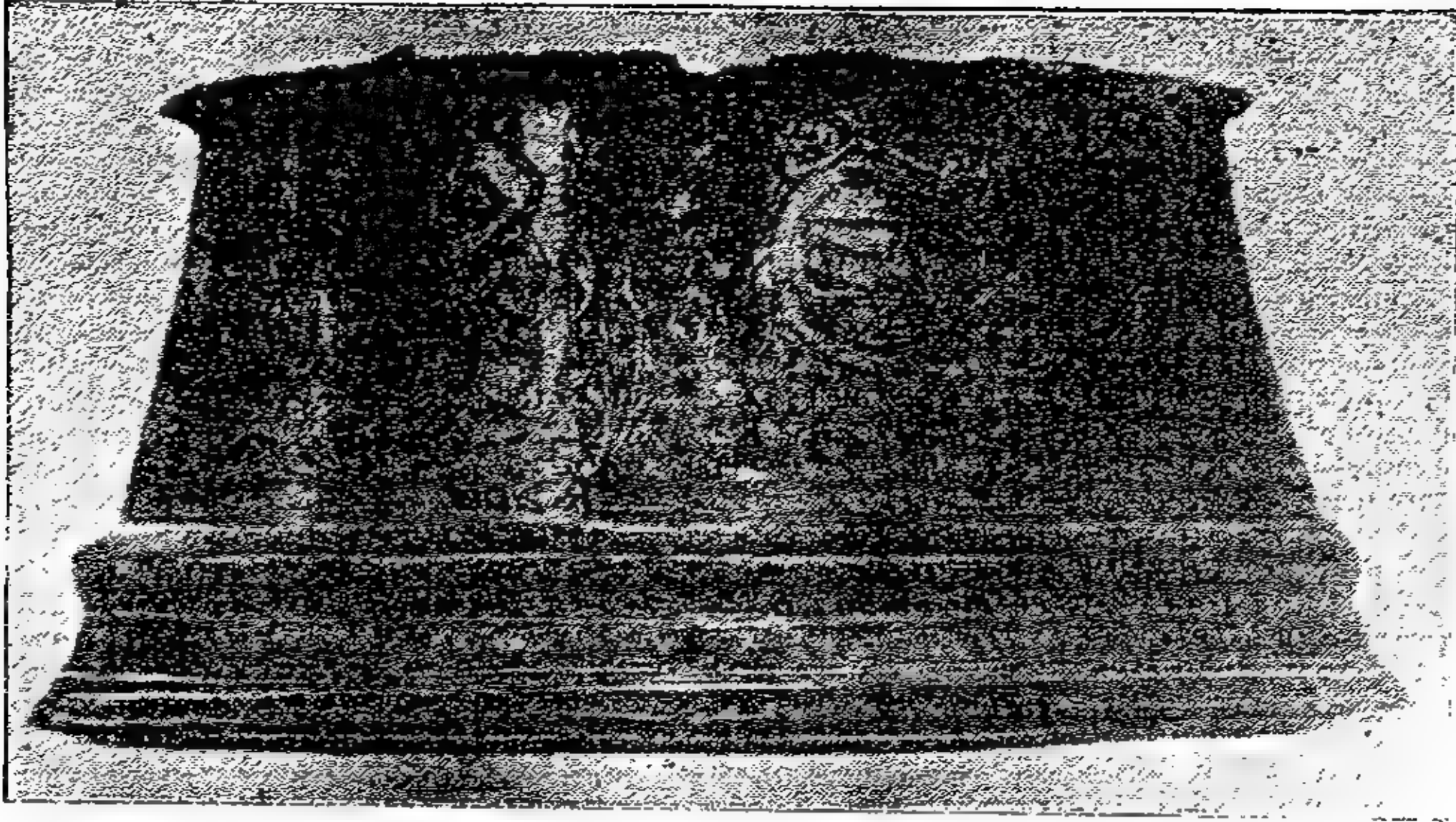
(٢)



(١)



- ١ - رنك السبع للسلطان بيبرس على آنية من الفخار .
٢ - رنك الكأس والدواة على رقبة مشكاة من الزجاج للأمير طغتمش الدوادار ، وهو دوادار
الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ، قتل سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م .
(عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)



قاعدة شمعدان من نحاس ، مفقودة رقبته التي توضع فيها الشمعة ، ويوضع الشمعدان عادة على كرسى خاص في القصر أو المسجد ، وأحياناً يوضع بجانب المرأة . وعلى هذا الشمعدان اسم الأمير بهادر (٩٠ هـ - ١٣٨٨ م) ، وعليه رنك السيف في الشطب .

(عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

(١)



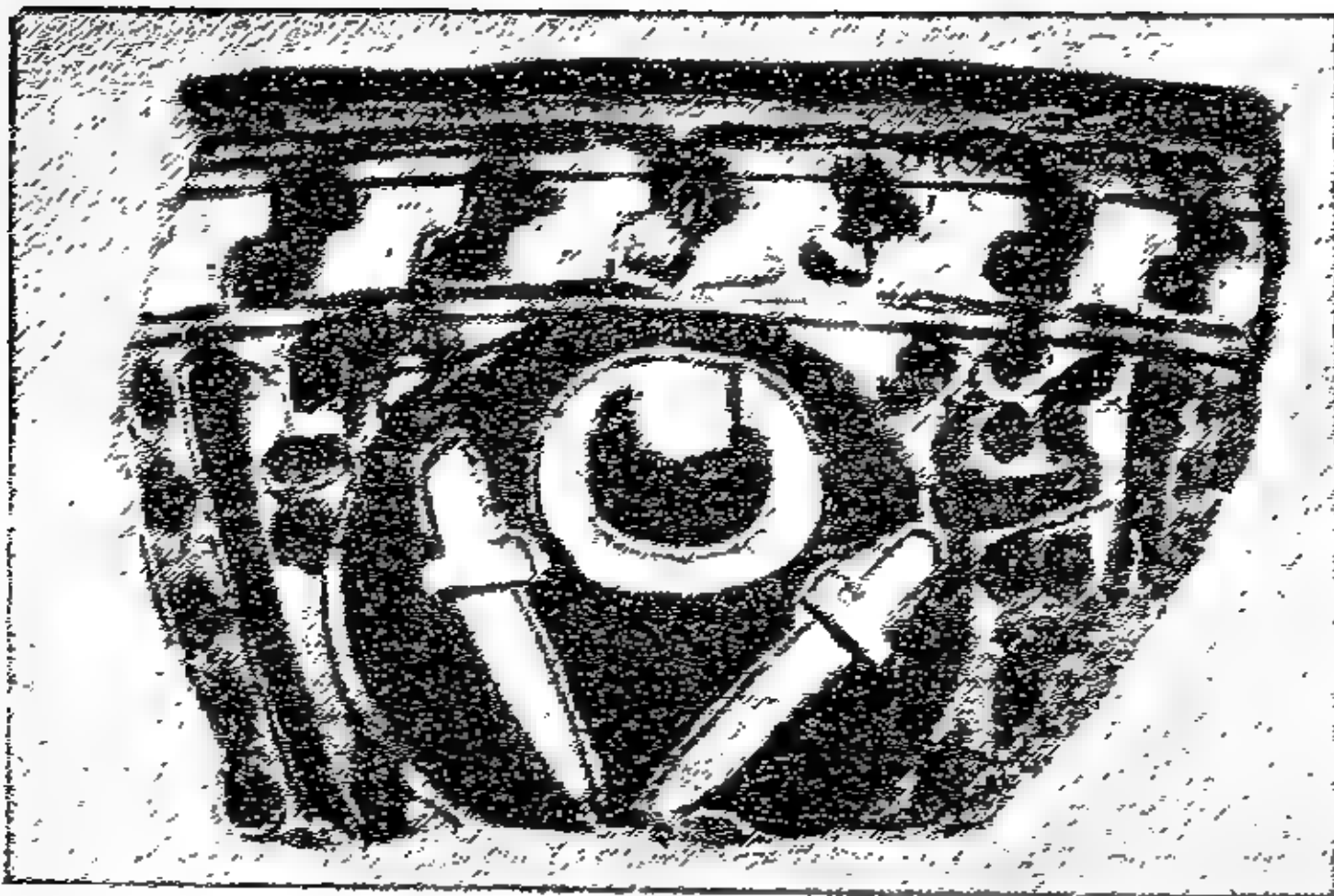
(٢)



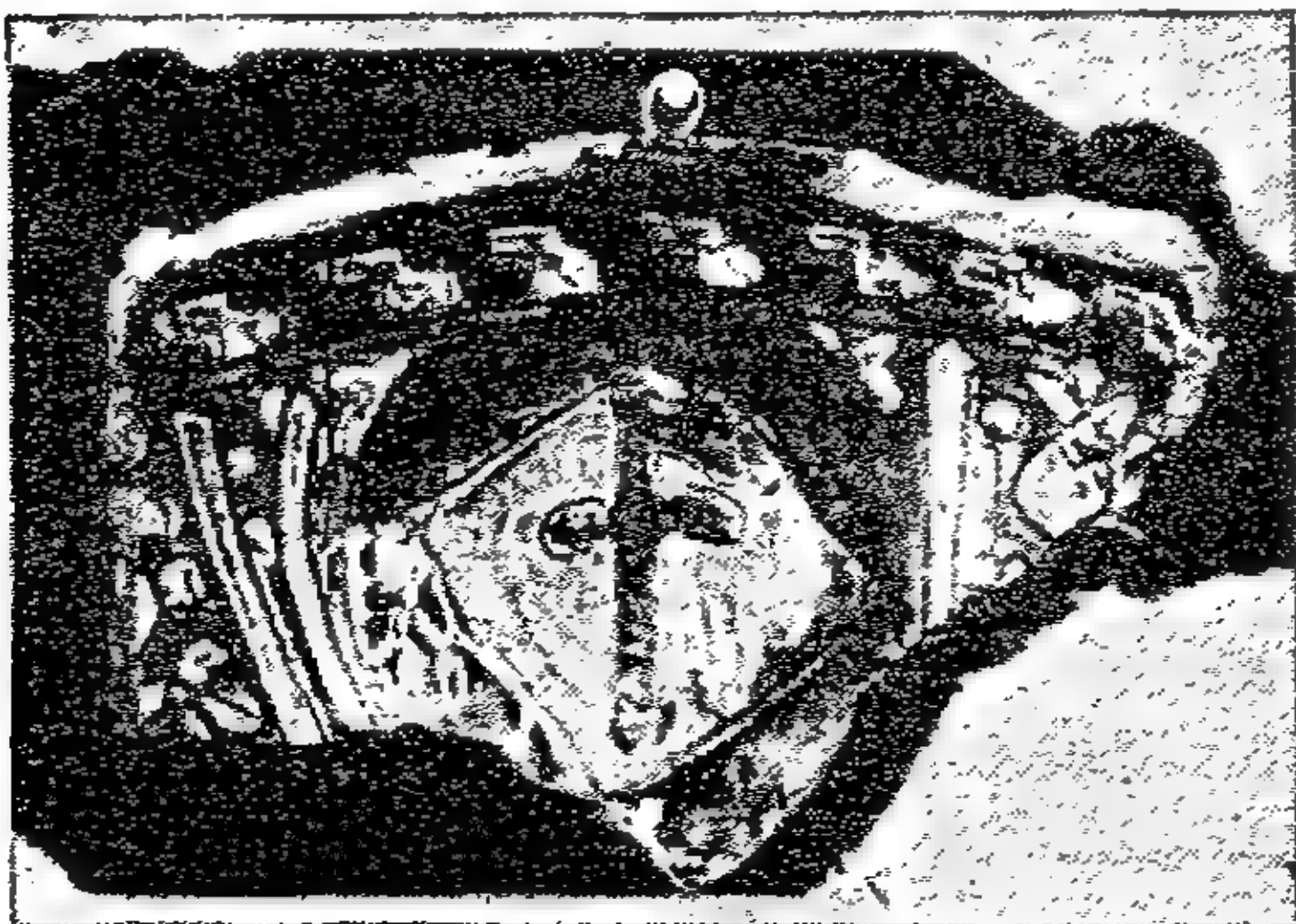
١ - رنك البوق على آنية فخارية وهو شارة الطبلدار أو رئيس المزميرين والمتقرين .

٢ - رنك الصولجان على آنية فخارية شارة الجوكندار

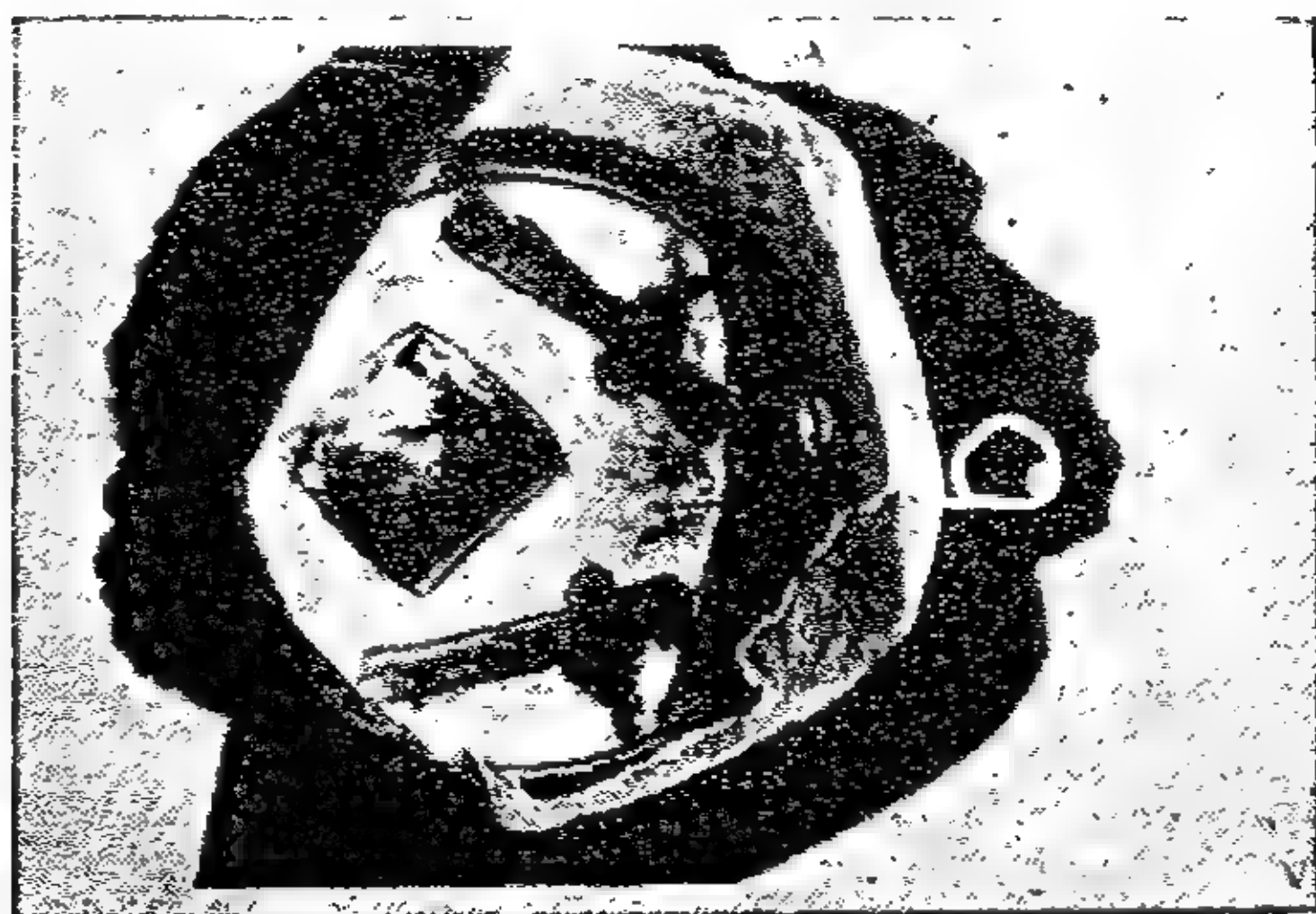
(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)



١ - رنك سيفين وبينهما هلال



٢ - رنك سيف على بقجة



٣ - رنك سيفين بينهما بقجة

السيف عامة شارة الأمرة ،
والهلال رمز للهدف والبقجة
رمز للطشدار

(عن متحف الفن الإسلامى)

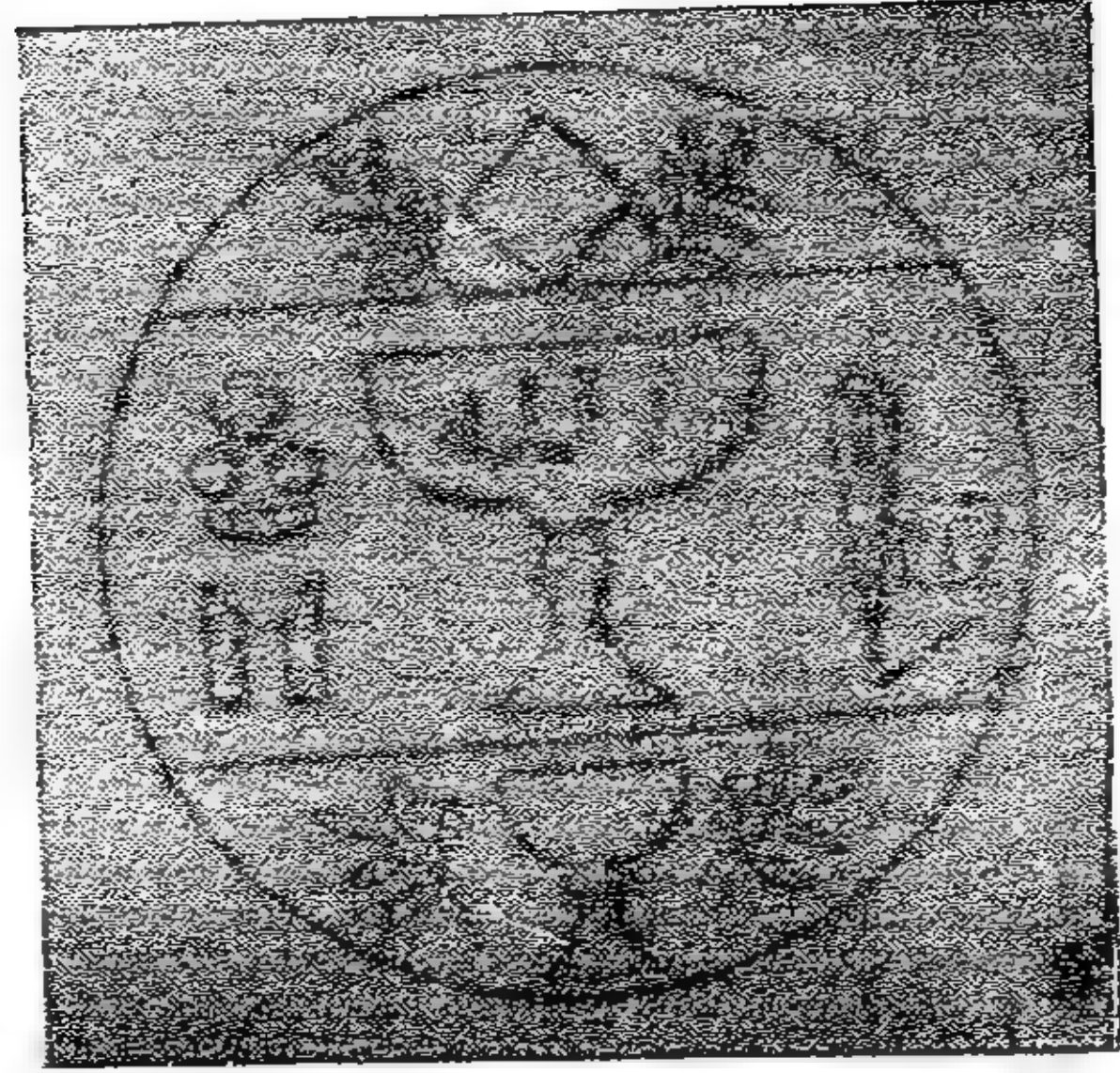


مشكاة موهة بالمينا باسم الظاهر أبي سعيد برقوق ، ويظهر على عنقها رنكه المكتوب داخل
خرطوش مستطيل ، ونصه (عز لمولانا الملك) ، وفي أعلاه (الظاهر) وفي أسفله (عز نصره)
وحول الرنك كتابة نسخية كبيرة نصها (الله نور السموات والأرض ، الآية . . .) ، وعلى
بدن المشكاة كتابة نصها (عز لمولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد ، نصره الله)
(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

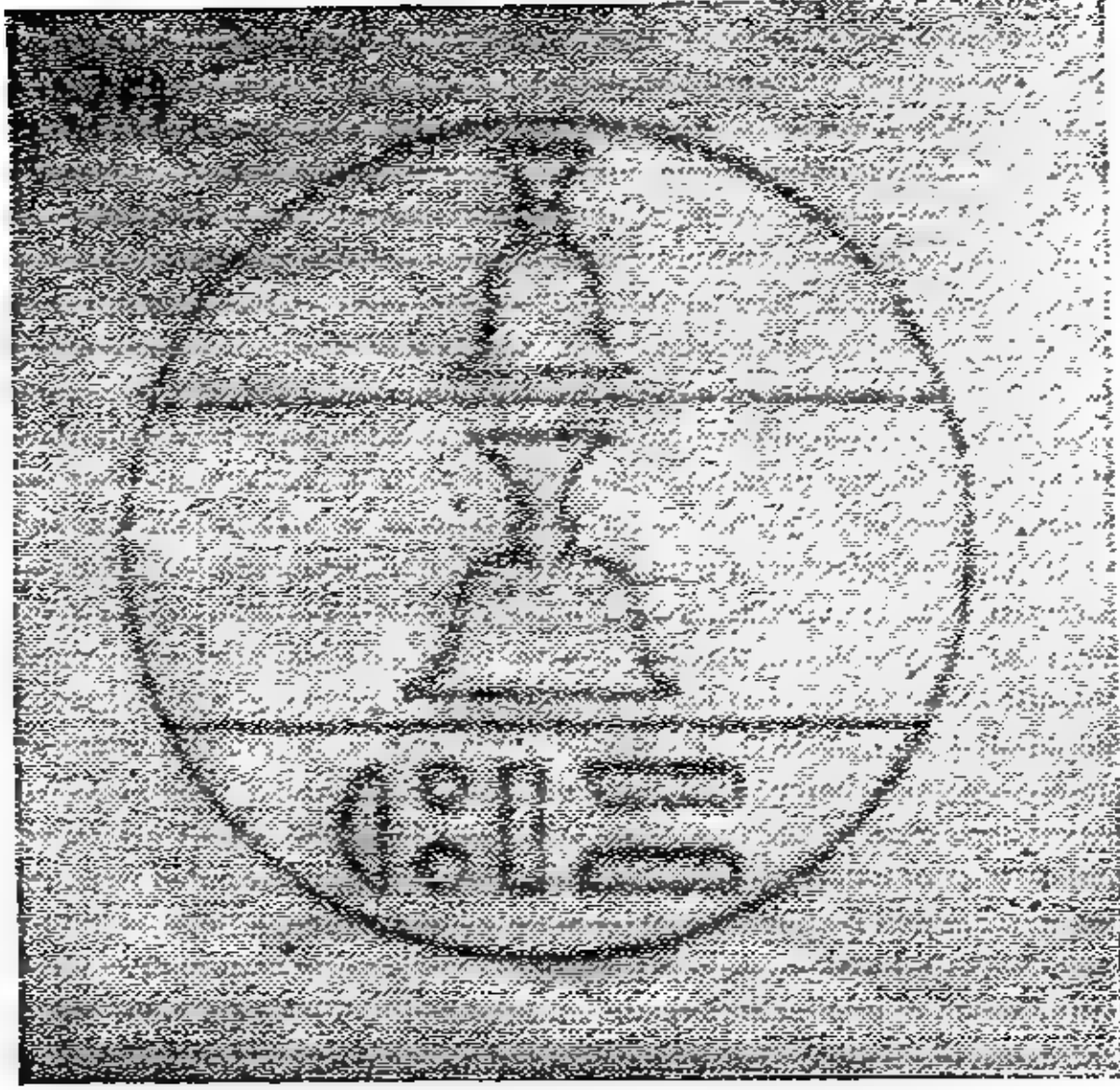


مشكاة عليها كتابة نسخية مموهة بالميناء ، وتظهر على البدن حول الرنك المركب من الدواة يملوها
السيف ، وفي أسفل الدواة رنك الساقى يحيط به قرنا البارود ونص الكتابة : « الله نور
السموات والأرض ، مثل نوره » وتكلمة الآية الكريمة على بدن المشكاة ، وحول عتق المشكاة
كتابة نسخية باسم الأمير قانى باى الجركسى ونصها « مما عمل برسم المقر العالى السيقى قانى باى
الجركسى نضام (خطأ وصحتها نظام الملك) » . (عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

(١)



(٢)



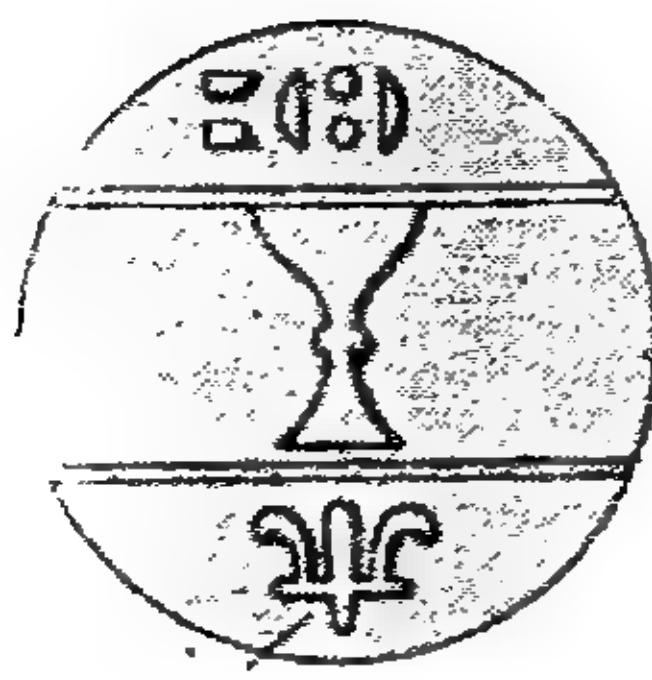
١ - رنك وجد على سبيل في حارة الشرق بدمشق ، ويرى فيه فرعان في أعلا الرنك بينهما بقجة ، وفي الوسط كأس مكتوب عليها (الله) ، وفي الجانب الأيمن قرن بارود ، وفي الجانب الأيسر محبرة ، وفي أسفل الرنك فرعان بينهما كأس .

٢ - رنك الشرقى يونس الدوادار (دوادار برقوق) به كأسان ومحبرة .

(٣)



(٤)



(٥)

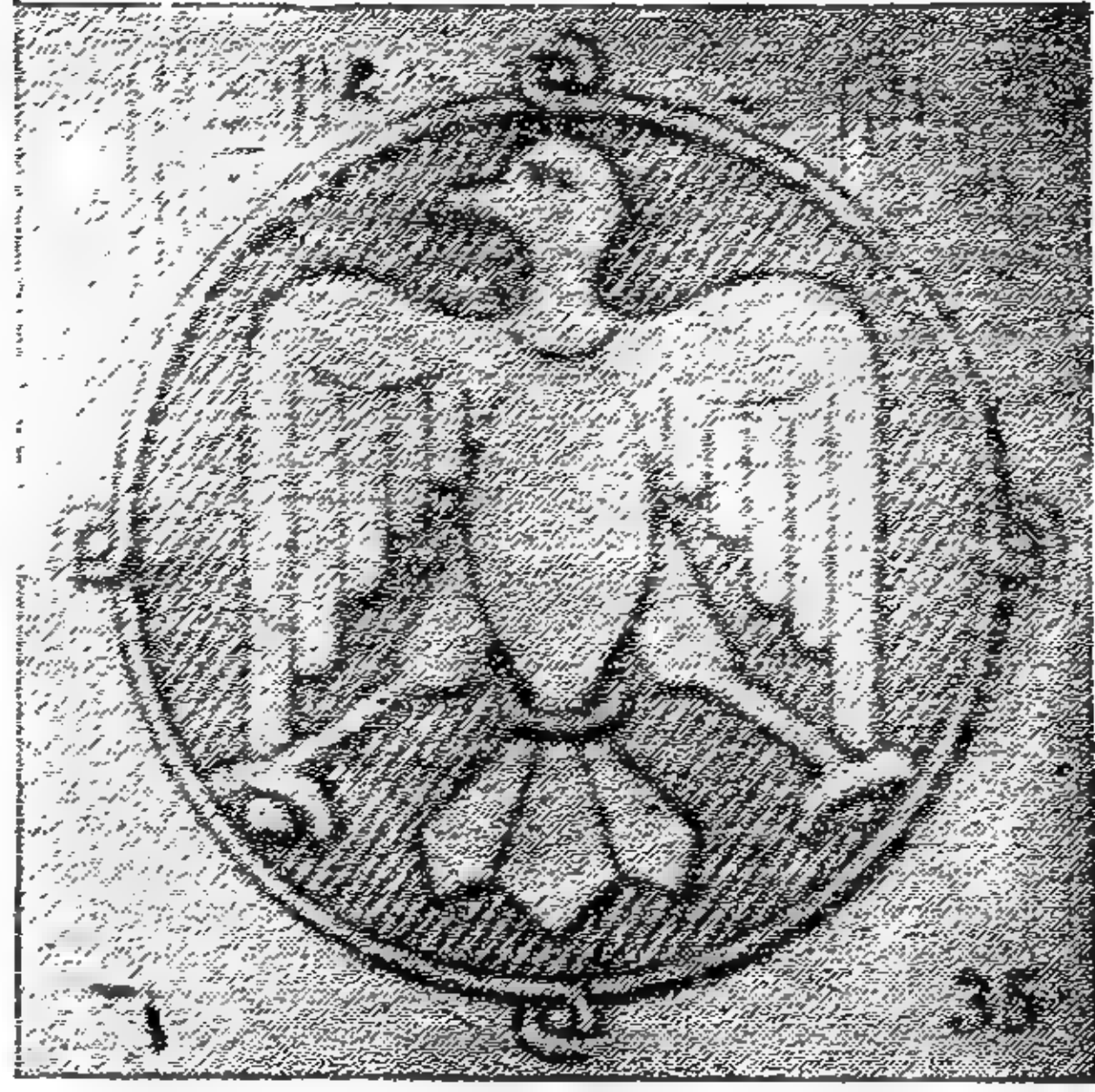


٣ - رنك مركب الأمير سيف الدين طاز في أعلاه محبرة وفي الوسط عصوان للبواو وكرتان بينهما كأس وفي أسفل زهرة الزنبق .

٤ - رنكان بهما ثلاث كنوس وثلاث محابر وزهرة زنبق . وقد وجد رقم ٤ على مثذنة بغزة .

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

(١)



١ - رنك النسر للسلطان إينال

(٢)



٢ - نسر له رأسان نقش على نسيج من الحرير
الأزرق والذهب ووجهه بجانبه عبارة
(عز لمولانا السلطان عز نصره)

(٣)



(٤)



(٥)



(٦)



(٦ ٤ ٥ ٤ ٤ ٣)
بعض أشكال متنوعة
لرنك النسر

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)



حشوة من الخشب مزينة برنك السلطان قانصوه الغورى فى خرطوش على شكل دائرة ، مقسمة إلى ثلاثة أقسام : فى القسم الأول (أبو النصر قانصوه الغورى) ، وفى القسم الأوسط وهو الشطب (عزلمولانا السلطان الملك الأشرف) ، وفى القسم الأسفل (عز نصره) . ويحيط بالرنك زخارف من الأرابسك من فروع وأوراق نباتية ، ويبدو أن هذه الحشوة كانت مستعملة فى أحد جوانب (دكة) للمقرئ فى مسجد أو لكرسى فى قاعة العرش ، وربما للدكة التى كان يجلس عليها الغورى بالحوش فى القلعة . (عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

على أنه ليس من الضروري أن يدل الرنك على وظيفة صاحبه، بل ربما دل على ما يهواه ويتمثله من مثل رنك الأسد ليبرس، ويبدو أنه اتخذ رمزاً للشجاعة وقوة البأس . ومن الرنوك ما يعجب الناس فينقشونها على ثيابهم وأوانيهم ، وربما جعلوها بالوشم على معاصمهم ، ويرجع هذا في أغلب الأحيان إلى سيرة الأمير وحسن معاملته ، مثل رنك الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب دمشق وهو عبارة عن سيف أحمر داخل دائرة ملونة بالأبيض والأخضر، ووضع الرنك على مؤسسة أو ثياب أو سلاح أو مركب يدل على تبعية هذا الملك إلى صاحب الرنك ، وقد هدد خايربك والى مصر من قبل العثمانيين سكان القاهرة في سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م) بأن من لا يستقر في مسكنه سوف يضرب « عليه رنكه فيصير ملكه » (٨١) .

الزعر :

لغويًا الزعارة : شراسة الخلق وزعرور سبي الخلق وفي المصطلح كذلك إذ استعمل هذا في عصر المماليك ليدل على المفسدين وقطاع الطرق واللصوص الذين يتعرضون للمارة ، ولا سيما في الأماكن المهجورة ، يذكر المقرئ عن حكر الأمير أقبغا الكائن في الطريق بين مصر والقاهرة أنه كان مهجوراً « وقد كثر فيه الزعار » وهؤلاء ينشطون في أوقات الفتن وينهبون ما تقع عليه أيديهم (٨٢) .

السراخور :

المشرف على العلف بالإصطبلات السلطانية أو الخاصة بالأمير (من لفظين فارسيين . سرا بمعنى كبير وخور بمعنى العلف) (٨٣) .
السعوط :

لعله مادة مخدرة أو مؤذية كانت توضع في الأنف تعذيباً للمجرمين (٨٤) .

السلارى :

ما ينسب للأمير سلار نائب السلطنة في عهد بيبرس الجاشنكير من

ملابس وأسلحة وآلات خيل وظلت تنسب إليه حتى نهاية عصر المماليك
والأمير سلار ترى من ممالك على بن قلاوون وكانت له ثروة ضخمة (٨٥) .
الشحنجية :

والشحنجية هي رئاسة الشرطة ، ويسمى متوليها صاحب الشحنجة وكان
بهرز الخادم الغنيء صاحب الشحنجة ببغداد بين سنتي ٥٠٢ و ٥٤٠ هـ (١١٠٨
و ١١٤٥ م) (٨٦) وهناك أمثلة كثيرة لمن تولى هذه الوظيفة وما تعرضوا إليه
من نقمة الجماهير أحياناً كما حدث في عهد السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي
إذ ثار أهل همدان على العبيد وقتلوا شحنجة البلد (٨٧) .
الشربوش :

لباس للرأس مثلث يشبه التاج ، ويمنح مع الخلع السلطانية وللشرايش
سوق تعرف باسم (سوق الشرايشين) (٨٨) .
شكارة بذار :

أن تستغل جزءاً من أرض تكون ملكاً لغيرك وغلتها في الغالب قليلة .
وقد ورد في منشور من صاحب صيدا الفرنسي أنه أعطى حجي أحد أمراء
بنى الغرب شكارة بذار وثلاثة أهراء قمح في قرية الدامور ملكاً له ولولده
ولمن يقوم مقامه بتاريخ ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ - ١٢٥٧ م) (٨٩) .
الصفايا :

ما يصطفيه الإمام أو ولي الأمر لنفسه أو لبيت مال المسلمين كصفايا
الرسول (ص) التي حازها بحقه في خمس النوى والغنائم . وكذلك هناك صوافي
عمر بن الخطاب في السواد ولم يقطعها وإنما استصفافها لبيت المال فصارت
في حكم الوقف لا تباع ولا تشتري ولا تورث (٩٠) .
الصفقة :

بمعنى زمام وحقوق ، فشلا بلدة النخلة من صفقة البدرشين بالجيزة وبلدة
العطف من صفقة دهشور ، والغارات من صفقة نهيا وهكذا (٩١) .

الصلة :

هى ما يصل به ولى الأمر من مال أو عقار نظير عمل معين ، ويطلق هذا اللفظ كوصف للإقطاع الذى يمنح للمستحقين وذوى الحاجات وأرباب المصالح ، كما يقال عن أرض تباع (معاوضة) كأن يكون الثمن عوضاً عن العين (٩٢) .

الصوفى :

من التصوف ولبس الصوف ، وقيل نسبة إلى صفة مسجد رسول الله (ص) ، وقيل من الصفاء كما قيل من الصف ، أى أنهم من الصف الأول بقلوبهم وعموماً هم رجال أفرغوا أنفسهم للعبادة والتفقه ، ومن شروط انخراطهم فى هذا المسلك ألا يكون دخولهم الخوانق إلا لسد الرمق للتقوى على العبادة ، وألا يتخذوا من الخوانق كما يقول السبكى « أسباباً » والدلوق المرقعة طرائق للدنيا والزور وأكل الحشيش ، وعلى الصوفى احترام شرط الواقف ، فمثلاً اشترط الأمير شيخو على رواد خانقاه بالصلية ألا يتزوج منهم إلا طائفة حددها من كل مذهب (٩٣) .

الطرخان أو الترخان :

الأمير فى اللغة التركية، أو الأصيل والشرىف، أو اسم للرئيس الشرىف باللغة الخراسانية ، والجمع طراخنة واستعملت فى مصطلح الممالك بمعنى المعزول عن الإقطاع والوظيفة أو المتقاعد عن العمل تجرى عليه الدولة ما يقوم بأوده بقية أيام حياته ، وينطبق على رجال السيف ورجال القلم إلا أنها غلبت على رجال الطائفة الأولى (٩٤) .

الطسوج :

معناه الناحية ، ويؤدى معنى آخر من حيث أنه يساوى (ربح) دائق وهو لفظ معرب (٩٥) .

طُوق :

مكيال أو ما يوضع على الحربان (جمع جريب) من الحراج أو شبه ضريبة معدومة وهو لفظ مولد أو معرب (٩٦) .

الطغراء أو الطغار :

هي علامة ولي الأمر التي توضع على وثائق الإقطاع وهي كلمة أعجمية (٩٧) .

الطين :

الأرض الزراعية التابعة لبلد من البلاد، فيقال مثلاً عن فاقوس المقطعة أنها لم يكن لها طين، وقد رت عبرتها بمبلغ ٣٥٠٠ دينار، وربما جاءت العبرة هذه عن رسوم أخرى على مساكن أو حوانيت أو صناعات وغيرها (٩٨) .

العبرة :

وتعني مقدار الدخل لجهة معينة وهي مثل الارتفاع .

العثمانية :

دلت في عصر المماليك على طائفة من أسرى العثمانيين الذين أسره المماليك في حروبهم ضد الدولة العثمانية على عهد قايتباي وقائده المظفر أزيك – المنسوبة إليه الأزيكية – وكلمة عثمانى الملحقه باسم برقوق ترجع إلى التاجر « الحواجا عثمان » الذي باعه . وفي أوائل العصر العثماني في مصر دلت كلمة « عثمانى » أو عثمانية على أرطال من نحاس أقرها العثمانيون ، وزنة الرطل ٩ دراهم (٩٩) .

العراقة :

لفظ يطلق على طائفة من الجند (من عشرة إلى خمسة عشر رجلاً) تقيم في الثغور أو العواصم على حدود الدولة وتبلغ عدة جند العراقة من عشرة أنفار إلى خمسة عشر نفراً، وقد أمر أبو جعفر المنصور على أثربناء ملطية ومسجدها سنة ١٤٠ هـ الحسن بن قحطبة قائد جند خراسان أن يبنى لكل عراقة بيتين .

مفلان وعلويان فوقهما واصطبل كما بنى لها المسالح ، وأسكن ملطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم على زيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار وأقطع الجند المزارع (١٠٠) .
العشر :

ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم عليها أهلها كأرض العرب وما أسلم عليه أهله أو فتح عنوة وقسم بين الفاتحين (١٠١) وهو الصدقة، ويؤخذ أيضاً من تجار الروم إذا دخلوا بلاد الإسلام ، وتعتبر ضريبة جمركية . ويدفع أيضاً في القطائع التي حيزت تملكاً .
العشران :

جمع عشير، اسم أطلق على بدو الشام وأطلق أيضاً على الدروز (١٠٢) . وعشير الشام فرقتان قيس ويمن ، لا يتفقان قط ، وفي كل قليل يثور بعضهم على بعض وفي سيرة محمد بن قلاوون : ومن جملة رعايا المملكة في الشام قوم جبلية يقال لهم العشير (١٠٣) .
العشير :

اسم أطلق على بدو الشام وأطلق أيضاً على سائر الدروز فثلاث ثارت العشيران ونهبوا نابلس سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) في عهد قلاوون فقمعهم الأمير أيدغدي الصرخدي ، ورتب أميراً بالبلاد الساحلية والغزاوية « لردع العشيران » وأدت هذه الكلمة كذلك معنى الزكاة المفروضة على قطعان العرب والتركمان نسبة للعشر ، وكذلك من معانيها عدد الفرسان المقرر على المقطعين العرب نقلاً عن الأيوبيين . فثلاث أمر السلطان طومان باي سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) بجمع عشرين ألف خيال من العشير من فرسان العرب (١٠٤) .
العياق :

لغوياً العوق : الحبس والتسييط ، والرجل العوق الذي لا خير فيه ، والجمع أعواق ومن يعوق الناس عن الخير ، واصطلاحاً بهذا المعنى كذلك ؛ وأطلقت في عصر المماليك على طائفة من سافل الناس يعتدون على الغير

ويسرون بالمارة ويؤذونهم ، ويشبهون الزعر، ويحدث في بعض الأعياد العامة أن تنشط هذه الطائفة للسخرية والإيذاء كما يقع في عيد النيروز وما يعملونه من موكب يسمى (أمير النيروز) أعضاءه من سافل الناس والعياق يقفون في الطرقات ويتراشون بالماء القذر ويتصافعون بالأنطاع والأخفاف (١٠٥) .
الغيط :

دلت في مصطلح الإقطاع المملوكي على معنى الحديقة أو البستان ، مثلاً سافر الأمير أربك سنة ٨٩٦ هـ (١٤٩٠ م) إلى شبرامنت بالحيزة ، للإشراف على القناطر وإقامة بعض منها فأنشأ لنفسه « غيطاً ومنظرة على بركة هناك » ولما وقع غلاء بالشام سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) أشيع أن عسكر العثمانيين « خرب غيطان الشام ونهب القواكه من فوق الأشجار ، ورعت خيولهم في الغيطان وأكلوا أوراق الشجر » (١٠٦) .
القانون :

بمعنى مساحة فثلاً بلشاشة بالغربية قانونها ٥٣٣ فداناً وكذلك أقطع الناصر محمد زايد القانون سنة (١٠٧) .
القبق :

خشبة بأعلاها دائرة وترمي الرماة بقسيها داخل الدائرة وهم ركوب على ظهور خيولهم ، لإصابة هدف تدريباً على إحكام الرمي ويعرف هذا باللغة التركية باسم القبق ؛ وهناك ميدان القبق خارج القاهرة ، وقام السلاطين وأمراؤهم بهذه الرياضة (١٠٨) .

القرانصة :

ذكر ابن شاهين أنهم طائفة من الأجناد في رتبة أمراء الخمساوات وهم القديموالهجرة والمرشحون للإمرات ، وظلوا بهذا الاسم طول العصر المملوكي والعثماني حتى أن محمد بك أبا الذهب استأدهم مع من استأدى في خيانتهم لعل بك الكبير إذ « جمع القرانصة والذين يظن فيهم النفاق وأسر إليهم أن يرأسوا على بك » (١٠٩) .

قسائم :

يراد بها تعهدات ، فمثلاً حدث في سنة ٨٨٩هـ (١٤٨٤م) أن ضرب السلطان محمد ابن قايتباي ناظر الأوقاف بالمقارع وكتب عليه « قسامة » ألا يعود قط يسعى في نظر الأوقاف ومتى سعى فيه كان دمه هدراً ، ثم سجنه وكتب من هذه « القسامة » أربع نسخ بعث بنسخة إلى كل قاض ، وفي العهد العثماني أخذ المحتسب « قسائم » على التجار ألا يبيعوا ولا يشتروا إلا بالذراع الاستانبولي (١١٠) قصة :

بمعنى الملتمس وهي كذلك من وثائق الإقطاع الأولى مثلاً : شكت امرأة زوجها في « قصة » إلى السلطان قايتباي سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١م) ، وفي نفس السنة سقط نجار كان يعمل في طباق الممالك بالقلعة فوق أولاده وعياله « بقصة » يلتمسون منه شيئاً من الصدقة (١١١) .

قطار :

قطر الإبل يقطرها ، وقطرها قربها إلى بعضها على نسق ، وجاءت الإبل قطاراً ومعناه صفوفاً مقطورة وراء بعضها ، وكثيراً ما قدمت قطر الإبل ضمن التقادم السلطانية (١١٢) .

قن :

القن بالكسر : العبد وجمعه أقنان وأقنة ، وكان الفلاح في عصر الممالك قد نزل إلى هذه الرتبة من الوجهة العملية ، فصار قنا لا يستطيع مفارقة الأرض هو المعبر عنه بالفلاح « القراري » . يقول المقرئ عن فلاحى الإقطاعات : « هو عبد لمن أقطع تلك الناحية إلا أنه لا يرجو أن يباع ولا أن يعتق بل هو قن ومن ولد له كذلك » ومن هرب من الفلاحين يعاد ويلزم « بشد الفلاحة » وهذا شرع الديوان في عرف الممالك ، ويشبه هذا ما وقع في الإمبراطورية الرومانية حيث كان الفلاح مقيداً بالأرض ، فإذا هرب منها أعيد قسراً وسلسل كالعبد ، ويعاقب أشد العقوبة هو ومن سهل له الفرار أو آواه . ومن القواعد التي قررها تيوسوس أحد أباطرة الدولة الرومانية

حين أدخل نظام المزارع الكبيرة في فلسطين هناك لا يستطيع المزارع أن ينتقل حسب رغبته ، سيكون الفلاح مرتبطاً بمالك الأرض ولن يتمكن أحد من إيوائه ، وقد ورث الإقطاع الأوربي هذا المظهر عن الرومان (١١٣) .

كنبوش :

كنبوش بالفتح ، والجمع كنباش : خمار لتغطية الوجه ، وهو من الخلع السلطانية وكنبوش هو البرذعة تجعل تحت السرج ، ومن معانيه أيضاً الغاشية وهي السرج والغطاء المزركش الذي يوضع على ظهر الفرس (١١٤) .

لاءة :

اللاءة هم نواب الكشاف بالأقاليم ويتبع كل كشاف سبعة لاءة لمعاونتهم في إدارة كشوفياتهم (١١٥) .

لالا :

المرابي لولد السلطان وجمعه لالات ، وعادتهم ألا يظهرُوا الأولاد للناس حتى يجاوز سنهم سبع سنوات ، فمثلا توفي الأمير أرغون بن عبد الله سنة ٧٤٨ هـ في خلطة حاجي . وكان الناصر محمد قد جعله لالا لأولاده وخلع السلطان شعبان سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) على طيغا الصفوى واستقر به لالا أخوة السلطان (١١٦) .

ماء الحراج ، ماء العشر :

ماء الحراج من أنهار حفرها الناس كالأنهار التي حفرها الأعاجم . أما ماء العشر فمن أنهار أجراها الله كدجلة والفرات (١١٧) . وكان لنوع الماء الذي يسقى به الأرض أثر في حكم التصرف فيها .

الشاغرة :

هي أن يقيم المقطع الحربي أو المقاتلة أو الحامية على الثغور لحفظها (١١٨) ؛ وقد كان أمراء بني الغرب في بلاد الشوف بלבnaan من الأمراء المقطعين بشرط القيام بالدرك والشاغرة (وربما كانوا لا يعرفون دركاً ولا شاغرة ولا عدة جند

ولم يحرر عليهم عبدة إقطاع ولا غيره ، ثم في دولة الملك العادل نور الدين جعلوا لهم عدة جند . . . (١١٩) .

مثال :

يدل على معنى الأمر العادى أو القرار الذى يصدره السلطان لإنهاء أى خبر بالإضافة إلى دلالة على معنى الوثيقة الإقطاعية . فمثلا وصل في سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) مثال السلطان بالبشارة بالنيل وأن الخليج كسر (١٢٠) .

المخبرة :

هى المزارعة والمقاسمة على نسبة معينة من المحصول (١٢١) .

مرسوم :

بمعنى الأمر السلطانى ، فمثلا ورد مرسوم من السلطان بيبرس بالقبض على بعض الأمراء ، وتدل على أوامر التعيين كما هو فى المراسيم المختلفة لبعض طوائف الموظفين ، مثل مرسوم بطرخانية لبعض من أعفى من وظائفه وإقطاعاته ، وبمعنى نشرة بأى خبر يريد السلطان لإنهاءه كالمثال ، فمثلا لما شئى قايتباى من الكسر الذى ألم بساقه سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) جلس على الدكة وجهاز المراسيم إلى البلاد الحلبية بسلامته من هذا العارض (١٢٢) .

المزر :

شراب مسكر من الشعير أو الذرة ، وكان معروفاً منذ القدم ؛ جاء رجل من اليمن إلى الرسول (ص) وسأله عن شراب يشربونه باليمن يقال له المزر ويتخذونه من الذرة فلما استوضحه الرسول (ص) : « أمسكر هو ؟ قال : نعم . قال الرسول (ص) : كل مسكر حرام » وكان من المسكرات المعروفة فى عصر المماليك . وتعرض للإلغاء والإباحة فى كثير من الأحيان (١٢٣) .

المساحة :

ويقصد بها تقدير الخراج بقدر مساحة الأرض كأن يقول : على كل جريب عامر وغامر فقير ودرهم وهكذا (١٢٤) .

المسالح :

المسلحة قوم في عدة بموضع رصد قد وكلوا به بإزاء ثغر؛ واحد هم مسلحي ، والجمع ، المسالح والمسلحة كالثغر ، والمرقب ، وفي الحديث كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب . ومسلحة الجند خطاطيف لهم بين أيديهم ينفضون لهم الطريق ويتجسسون خيراً لعدو ويعملون عنهم لثلايهم عليهم ، ولا يدعون واحداً من العدو يدخل بلاد المسلمين ، وإن جاء جيش أنذروا المسلمين . والمسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ، وسموا مسلحة لأنهم يكونون ذوى سلاح أو لأنهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب (١٢٥).

المستغلات :

يقول ابن حوقل (ما يجبي لبيت المال من أسواق ومنازل أو طواحين ابتناها الناس في أرض السلطان فيؤدى عنها أجرة (١٢٦)) ، وهذه عرفت بالأحكار في العصر الأيوبي والمملوكي كالقياسر والطواحين وغيرها .

المستوفى :

وهو صاحب ديوان المجلس في العهد الفاطمي والأيوبي ، ويطلب المستخدمين بما يجب عليهم دفعه من الحساب في أوقاته ، ويقيم الجرائد ويقابل بكل ما يرد عليه من حساب ويستوفيه ، وإن أهمل في هذا كله كان عليه درك ذلك جميعه ، ولا يؤخذ بشيء عمل من مجلس خدمته ما لم يكن عليه خطه إما بالمقابلة وإما بالتاريخ (١٢٧) .

المسطور :

بمعنى إيصال أو مستند أو تعهد بدفع دين . اقترض السلطان برقوق سنة ٥٧٩٦ (١٣٩٣ م) مبلغاً من المال من بعض التجار وكتب لهم « مسطوراً » ضمنه فيه الأمير محمود الأستاذار (١٢٨) .

المسموح :

أمر بالإعفاء من التزام أو دين أو مظلمة ، فمثلاً أمر بيمس بإبطال المظالم التي أحدثها قطز ، وكتب بذلك « مسموحاً » قرىء على المنابر (١٢٩) .

المطالبة :

رقعة ترفع بطلب الإقطاع . شاع استخدام هذا اللفظ في العصر العباسي في الدولة الفاطمية ، وتشبه ما عرف باسم (القصة) في العصر المملوكي ومعناها الملتبس بطلب أى شيء ، ولكنها أكثر ما استخدمت لطلب الإقطاع (١٣٠) .

المعاوضة :

معناها البيع (١٣١) .

المعين :

كاتب بين يدي المستوفى (صاحب ديوان المجلس) لمساعدته (١٣٢) .

مفارقة :

مفردها « مفردى » وهم أجناد الحلقة (١٣٣) .

المقورة :

يقصد بها الأماكن والأراضي المتسعة التي لا نبات فيها (١٣٤) .

المكوس وأصلها والمال الهلالى وتطورها :

أصل ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجاراً من المسلمين يأتون أرض الجند فيأخذون منهم العشر ، فكتب إلى أبي موسى الأشعري ، وهو على البصرة أن يأخذ من كل تاجر يمر به من المسلمين من كل مائتى درهم : خمسة دراهم ، ومن تجار العهد (أهل الذمة) من كل عشرين درهماً : درهماً واحداً ، ومن تجار الحرب (لعله دار حرب أى دار الأعداء) من كل عشرة دراهم : درهماً واحداً .

وروى عن عمر كذلك أن ناساً من الشام جاءوا له وقالوا (أصبنا دواباً وأموالاً فخذ منها صدقة تطهرنا بها) فقال : (كيف أفعل ما لم يفعل من كان قبلى . . .) .

وشاور، فقال على بن أبى طالب له : (لابأس به إن لم يأخذه من بعدك) فأخذ عن العبد عشرة دراهم ، وعن الفرس وعن الهجين ٨ دراهم ، وعن البرذون والبغل ٥ دراهم (١٣٥) .

ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب (ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه النجس) (١٣٦) ، (إنه النجس الذى نهى الله عنه) ، وتلا قوله تعالى (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) (١٣٧) .

عرفت هذه المكوس بالمال الهلالى ، وهى عدة أبواب تصرف فيها ولاية السوء شيئاً فشيئاً ، وأول من أحدث مالا فى مصر سوى مال الخراج ، هو أحمد بن محمد بن المدبر لما ولى خراج مصر سنة ٢٥٠ هـ (١٣٨) ، فإنه كان (من دهاة الناس وشياطين الكتاب) فابتدع فى مصر بدعاً صارت مستمرة من بعده لا تنقض ، فأحاط النظرون وحجر عليه بعد ما كان مباحاً لجميع الناس ، وقرر على الكلا الذى ترعاه البهائم مالا سماه (المراعى) وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا سماه (المصايد) - يقول البلوى - (ابتدعه بمصر : النظرون وكان مباحاً لجميع الناس بمصر ، فصير لهم ديواناً مفرداً وعاملاً جلدأ ، يحظر على الناس أن يبيعوه أو يشتروه إلا من جهته ، والمراعى وهى الكلا المباح المطلق التى أنبتها الله عز وجل لعباده ترعاها بهائمهم ، والمصايد وهى ما أطعم الله جل اسمه من صيد البحر ، فلما احتشم ابن مدبر من ذكر المصايد وشناعة القول فيها ، أمر بأن يكتب فى الديوان (خراج مضارب الأوتار ومفارس الشباك وغير ذلك بمصر وله بالشامات أمثال هذا) (١٣٩) ، حينئذ انقسم مال مصر إلى قسمين : خراجى وهلالى : فالخراجى ما يؤخذ مسانحة من الأرض التى تزرع حبوباً ، ومن الخراج غير الأرض التى تزرع

حبوباً ونخلًا وعنباً وفاكهة ، ما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج ، والكشك وغيره من طرائف الريف ، وكثر هذا في العهد المملوكى بصفة خاصة (١٤٠) .

والهلالى هو عدة أبواب مثل هذه التى قرر ابن المدبر وعرف فى زمنه باسم (المرافق والمعاون) (١٤١) وكلها أحدثها ولاية السوء شيئاً بعد شيء (١٤٢) . ولما ولى ابن طولون مصر سنة ٢٥٤ هـ وأضاف إليه الخليفة المعتمد (٢٥٦ هـ - ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢ م) الخراج والثغور الشامية (رغب وتنزه عن أدناس معاون والمرافق وكتب بإسقاطها فى جميع أعماله ، وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار فى كل سنة (١٤٣) . أعيدت الأموال الهلالية فى عهد الفاطميين عندما ضعفت وصارت تعرف باسم المكوس (١٤٤) .

ولما تمكن صلاح الدين من تدعيم ملكه فى مصر والشام أمر بإسقاط المكوس فى مصر والقاهرة ؛ فكتب عنه مرسوماً بذلك . وجملته فى السنة : مائة ألف دينار وتفصيلها :

مكس البهار وعمالته	٣٣٦٤	ديناراً
مكس البضائع والقوافل	٩٣٥٠	»
منفلت البضاعة عن مكس البر الوارد إليها والنحاس —								
والقزدير والمرجان والفاضلات	٥١٩٣	»
الصادر عن الصناعة بمصر	٦٦٦٦	»
سمسرة النمر	٣٠٠٠	»
الفندق بالمنية عن مكس البضائع	٨٥٦	»
رسوم دار النقد	٣١٠٨	»
رسوم الخشب الطويل والملح	٦٧٦	»
رسوم العلب المنسوبة إلى بليس والبورى	١٠٠	»
رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره	٢١٧	»

سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسامرة وعبور الأغنام

بالحيزة.. ٣٣١١ ديناراً

عبور الأغنام والأبقار والكتان بباب القنطرة ١٢٠٠

واجب ما ورد من الكتان الحطب إلى الصناعة ٢٠٠

رسوم واجبات الغلات كالحبوب الواردة إلى الصناعة والمقس والمنية والميسر والتبائن ومغالت جزيرة الذهب وطموه ومنبر الدرج - ٦٠٠٠ دينار.

العرصة والرسناوى بالحيزة ومكس الأغنام ومكس الورق المحلوب للصناعة ورسم التفتيش والحصّة بساحل الغلة والأقوات والرسائل ودار التفاح والرطب بمصر ، والعرضة بالقاهرة ٢٠٠ دينار .

دار الجبن ومشارفة الخزائن ، واجب الحلّى الوارد من الوجه البحرى ، خاتم الشرب والديبى ، مكس الصوف ، الخلفاء الواردة من القبلة ، منفلة

العريف بالصناعة . وحملة البهار والبضائع الوقود والسرقين والطعم بدار التفاح ،

رسوم دار الكتاب ، حماية غلات بالمقس . دار الجبن . معدية المقياس ،

رسوم الحمام بساحل الغلة . واجب الحناء الواردة فى البر . مسلحة شطائف ،

سوق السكرين . رسوم خيمة الحلّى بالشارع ، وسوق وردان ، واجب الفحم

الوارد إلى القاهرة ، معدية الحبس بالحيزة . الخيمة بدار الدباغة ، سمسة الحبس

الحيوشى . دكان الدهن ومعصرة السيرج والحلّ بالقاهرة ، الحلّ الحامض

وما معه ، بيوت الغزل والمصطبة ، ذبائح الأبقار ، سوق السمك بالقاهرة

ومصر ، رسوم الدلالة ، رسوم حماية الصناعتين مربعة العمل ، معادى جزيرة

الذهب ، خاتم الشمع بالقاهرة ، زريبة الذبيحة ، معدية المقياس وإنابة . حمولة

السلجم ، دكة الدباغ ، سوق الرقيق - ٥٠٠ دينار .

معمل الطبرى ، ذبائح الضأن بالحيزة . رسوم ساحل السنط ، تنور الشوى

١٠٠ دينار .

سوق الدواب ، والجمال ، منقعات الخاتم بالشاشين ، بيوت الفروج

٣٠ ديناراً .

رسوم الصبغ والحريز ، وزن الطفل ، معمل المزرو والفاخور (١٤٥) .

على أن المكوس ظلت معروفة بهذا الاسم خلال عصر المماليك كما عرفت وتنوعت أبوابها، منها مكس البضائع، زكاة الدولة، وما كان يجبي إذا حضر مبشر بفتح حصن أو نحوه وما يجبي من أهل الذمة غير الحالية وهو دينار برسم نفقة الأجناد في كل سنة، ومقرر الدينار من التجار عند سفر العسكر وعند وفاء النيل برسم ما يعمل من حلوى، وضمان القراريط من كل ما يباع من الأملاك بنسبة ٢٠ درهماً عن كل ألف درهم حتى ولو تكرّر بيع العقار في الشهر الواحد، ولهذا المكس نظير في الإقطاع الغربي بنسبة $\frac{1}{3}$ من ثمن البيع، وهذه يدفعها للسيد، وما يؤخذ من أهل الشرقية من الخيل والجمال والبقر لمن يسرح للصيد في العباسية، ومنها ما كان مقطوعاً للأمراء والأجناد، وتطور أمرها بين الإلغاء والإقرار، ونظر السلاطين إلى إلغائها كنوع من البر والتقرب إلى الله لمغفرة الذنوب، غير أن الإقرار والإكثار منها كان أقرب إلى الاستمرار (١٤٦).

المنشور :

دل المنشور أحياناً في العهد السلجوقي على كتاب التعيين في المناصب، فمثلاً في عصر السلطان سنجر السلجوقي سنة ٥١٢ هـ - ١١١٨ م كتب منشور للوزير كمال الملك بقريره على الوزارة، ومنشور على بار بتمكينه في الإمارة. ومنشور لأبي القاسم الدركزني بمنصب الطغراء والإنشاء (١٤٧).

المهتار :

لقب أطلق على كبير المشرفين في كل بيت من البيوتات السلطانية « ما عدا الشكارخاناه والإصطبلات » وهو مركب من لفظين فارسيين (٤٠ بمعنى الكبير وتار بمعنى أفعل التفضيل) ، فيكون المهتار بمعنى الأكبر (١٤٨).

المهم والمهمات :

تدل على معنى الحفلات والولائم في المناسبات المختلفة كالزواج والختان ونحوهما. والمهمات الشريفة « هي الحملات الحربية » كلما طرأت ضرورة

لحراسة ثغر من الثغور . فيتعين جماعة من الأمراء والجيش المنصور على الفور (١٤٩) .

نظام الملك :

لقب للقائم بتدبير شئون الملك إذا كان السلطان قاصراً وله التصرف التام في جميع شئون الدولة ، وله أبهة تميزه عن غيره من الأمراء .. وربما ظل مستبداً بالشئون حتى ولو بلغ السلطان سن الرشد، مثل يلغا الخاصكى الذى لقب بهذا اللقب في سلطنة شعبان (١٥٠) .

٢ - بعض اصطلاحات ونظم فى الإقطاع المملوكى

وما يقابلها فى الإقطاع الغربى

- البدل المادى Scutagium or Scutage (١٥١) .
- التنازل عن الإقطاع Renunciation of Fiefs (١٥٢) .
- أجناد الأمراء وأتباع الأتباع Vavassores or Subvassals (١٥٣) .
- أصحاب الجوامك وأرباب الجوامك وأرباب النقود والمكيلات Sodeers (١٥٤) .
- تعويض الخيول النافقة Resror (١٥٥) .
- تقديم الخيول أو ثمنها أو مقرر الفرسان Servicium de Equo (١٥٦) .
- حامل الدرع والزردهكاش Squire (١٥٧) .
- الجنائب Destrier (١٥٨) .
- الحلوان أو رسم دخول الإقطاع (فى المحلولات) Relivium (١٥٩) .
- السخرة الإقطاعية Corvé (١٦٠) .
- الفروسية بأنواعها المختلفة Chivalry (١٦١) .
- الفلاحون القرارية Coloni (١٦٢) .
- القن Villanus or Villein (١٦٣) .
- المصادرة وإيقاع الخوطة على الموجود Forfeiture (١٦٤) .
- إقطاع الحلقة Feodum Loricæ or fief de Hauberk (١٦٥) .
- إقطاع المدن والثغور (لها مقابل الإقطاع الغربى) (١٦٦) .
- عملية الروك (Domesday Survey Norm. Eng.) (١٦٧) .
- مباشرة الإقطاع أو كاتب الأمير أو صاحب ديوان الأمير Reeve or Steward (١٦٨) .
- نفقة التجريدة (لها مقابل فى الإقطاع الغربى) (١٦٩) .

٣ - المقاييس والمكايل والموازين

تختلف المقاييس والمكايل والموازين عن بعضها البعض في جهات مصر المختلفة في العصور الوسطى ، وكذلك خارج مصر ، غير أن جميعها معترف به ، فكل إقليم يتعامل بما اصطلاح عليه منها . يقول ابن الأخوة ، من علماء القرن الثامن الهجرى والرابع عشر الميلادى : لم أسمع أن بلداً وافق رطلها البلد الآخر إلا نادراً ، أو قرية لقرية . . . ، ولكن الأوقية مثلاً ، فى كل مكان ، تعتبر جزءاً من اثنى عشر جزءاً من الرطل ، وإن اختلفت قيمتها من الدراهم .

وكذلك فى المقاييس ، فقد عرف فى مصر مثلاً ، أكثر من ذراع واحد ، فهناك ذراع اليد وذراع القماش ، وهكذا ... ، ولم يوحد الذراع فى مصر إلا فى العصر العثمانى حين تقرر فى عام ٩٢٨هـ - ١٥٢١ م ذراع واحد فرض على الناس استعماله .

وتصحح المكايل والموازين على نماذج لها بدار العيار ، تحت إشراف المحتسب أو نائبه ، ويعتمد ما يصح منها ، والمعروف أن المكايل والموازين لا تباع إلا بهذه الدار ، فيستدعى المحتسب من آن لآخر ، جميع الباعة إليها بصنجهن وأكيالهن لضبط ما قد أصابه من خلل منها أو إلزامهم بشراء غيرها (١٧٠) .

المقاييس

البريد :

يساوى أربعة فراسخ ، وطول الفرسخ ثلاثة أميال وطول الميل ٢٠٠٠ ذراع (١٧١) .

الحريب :

هو المساحة المصطلح عليها في قياس سواد العراق ، ومساحته ٦٠×٦٠ ذراعاً أى ٣٦٠٠ ذراع مربع (١٧٢) .

الذراع :

قدره الفقهاء في الإسلام عامة بـ ٢٤ إصبعاً ٦ شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض ، أو ست قبضات بقبضة رجل معتدل ، كل قبضة أربعة أصابع بالخنصر والبنصر والوسطى والسبابة ، وكل إصبع ست شعيرات معترضات ظهراً لبطن ، وهذا هو المعروف بذراع اليد . ومن الأذرع المعروفة في الإسلام : الذراع العمرية ، وهى الذراع التى وضعها عمر بن الخطاب ، والتى مسح بها أرض السواد ، وقدرها عمر بأن جمع أطول الأذرع الموجودة مع أقصرها وأوسطها وأخذ الثلث وزاد عليه قبضة وإبهاماً قائماً ، ثم ختم طرفها بالرصاص ، وبعث بها إلى حذيفة وعثمان بن حنيف لمسحها بها أرض السواد . وهناك ذراع تعرف باسم ذراع العمل ، وضعت زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان في ولاية زياد بن أبي سفيان على العراق ، فلما أراد زياد قياس أرض السواد ،

جمع ثلاثة رجال (طويل – متوسط – قصير) وأخذ طول ذراع كل منهم وجمع ذلك ثم أخذ ثلثه وجعله لقياس الأرض ، ولذا تعرف هذه الذراع كذلك بالذراع الزيادية ، ظلت هذه الذراع تستعمل في قياس الأرض الزراعية حتى جاء العباسيون فاتخذوا ذراعاً أطول منها ، على أن العباسيين استخدموا أكثر من ذراع ، فهناك الذراع السوداء التي قررت زمن الرشيد ، وسميت كذلك لأنه قلرها بذراع خادم أسود كان على رأسه، والذراع الميزانية التي وضعها الخليفة عبد الله المأمون لذراع البرايد أي المسافات والأنهار والأسواق، وهناك أذرع نسبته إلى الفقهاء مثل اليوسفية نسبة إلى القاضي أبي يوسف ، أول من وضعها ، وهكذا (١٧٣) .

الفدان :

هو وحدة المساحة في غير أرض السواد ، أي في مصر والشام، ومساحته ٤٠٠ قصبة بالحاكمية – نسبة إلى الحاكم الفاطمي – وطول هذه القصبة ٨ أذرع بذراع اليد (١٧٤) ، ، وبلغت مساحة الفدان الجيشى الإقطاعى زمن الأيوبيين والمماليك ٥٩٢٩ متراً مربعاً على حين أن مساحة الفدان الحديث ٨٣ر٤٢٠٠ متراً مربعاً (١٧٥) .

القصبة :

هناك نوعان من القصبات عرفا في مصر في العصور الوسطى : القصبة الحاكمية المذكورة ، والقصبة السندفاوية نسبة إلى مدينة سندفا قرب المحلة الكبرى ، وهى أطول من الحاكمية قليلا .

القفيز :

يساوى ١٠ قصبات مربعة (١٧٦) ، والملاحظ أن القفيز يعتبر كذلك

ضمن الأوزان ، ووزنه في هذه الحالة ٨ أرطال (١٧٧) ، واستخدم أيضاً للدلالة على مكبال عرف في السواد قبل الإسلام باسم « الشابرقان » ، يقول البلاذري : « بلغني أن ذلك القفيز كان مكوكاً عندهم يدعى الشابرقان . . » وعندما مسح عمر السواد ، فرض على كل جريب قفيزاً ودرهماً (١٧٨) .

الملى :

يستعمل في دمشق ومساحته ١٦٠٠ فراع مربع بالقاسمى ، لعله نسبة إلى الفقيه أبى القاسم الزجاجى .

المكايل

الإردب :

يساوى ٩٦ قلدحاً (١٧٩) .

الصاع :

يساوى ٤ أمداد ، ويرى ابن آدم أن الصاع يزن ٨ أرطال (١٨٠) .

الغرارة :

تستعمل في دمشق ، وسعتها ١٢ كيلة (١٨١) ، وقد فرض صلاح الدين على أخيه العادل عندما منحه الإقطاع في ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) بالشام ، أن يحمل إلى القدس في كل سنة عشرة آلاف غرارة (١٨٢) .

القدح :

قدر بالوزن من الحب المعتدل بـ ٢٣٢ درهماً ، وقدره الشيخ تقي الدين ابن رزين عند حديثه عن صاع الفطرة بـ ٣٢٧٦٢ حبة (١٨٣) .

الكر العراقى :

يساوى ٦٠ قفيزاً وبالإردب ٤٠ إردباً وبالقنطار ١٧ قنطاراً بالدمشق وبالكارة ٣٤ كارة ، والكارة تساوى ٥٠ رطلاً بالدمشق (١٨٤) .

المد :

يساوى رطلاً وثلاثاً بالبغدادى ورطلين بالمصرى ، ويعتبر أقل من الربع المصرى (١٨٥) ، وهو عبارة عن ملء كفى الإنسان المعتدل بالحبوب إذا مدهما ، ومن هنا جاءت تسميته « بالمد » وقد جرب الفيروزابادى صاحب القاموس المحيط ذلك فوجده صحيحاً .

المطر :

وجمعه أمطار ، وهو عيار للسوائل وله أصل إغريقي يوازيه ، وباللاتينية Metreta وتختلف سعته باختلاف السوائل ، فطر النيد $\frac{1}{3}$ جالون ومطر الزيت ٥ جالونات (١٨٦) .

المكوك :

ستعمل في حمص وحماة وحلب ويسع المكوك صاعاً ونصفاً (١٨٧) .

الوسق :

يساوى ٦٠ صاعاً (١٨٨) .

الويبة :

تساوى ١٦ قدحاً ، وتساوى ويبة عمر بن الخطاب ٦ أمداد ويلاحظ أن الإردب يساوى في الفيوم ٦ وبيات وفي بعض جهات مصر الأخرى ٢١ ويبة فأكثر (١٨٩) .

الموازين

الأوقية :

تساوى ١٠ دراهم أو ١٢ درهماً (١٩٠) .

الرطل :

يساوى فى مصر (الفسطاط) والقاهرة ١٤٤ درهماً باعتبار الأوقية ١٢ درهماً .

ورطل الإسكندرية ٣١٢ درهماً ، ويساوى رطل دمياط رطلين وثلاثة أرباع الرطل المصرى ، ورطل المحلة رطلاً وثلاثاً بالمصرى ، ورطل سمند رطلاً وسدس بالمصرى وبليس رطلاً وربع بالمصرى وخارج مصر يختلف الرطل من بلد إلى آخر .:

دمشق : رطلها - ٦٠٠ درهم والأوقية ٥٠ درهماً .

حلب : رطلها - ٧٢٠ درهماً .

حماء : رطلها - ٦٦٠ درهماً .

حمص : رطلها - ٧٩٤ درهماً .

غزة : رطلها - ٧٢٠ درهماً .

القدس والخليل ونابلس : رطلها - ٨٠٠ درهم .

الكرك : رطلها - ٩٠٠ درهم .

بغداد : رطلها - ١٣٠ درهماً .

الحجاز : رطلها - ١٢٠ درهماً .

القنطار : يساوى ١٠٠ رطل بالمصرى :

المن : يساوى ٢٦٠ درهماً وبالأوقية ٢٦ أوقية ، وأوقيته تساوى

١٠٠ درهم ، ويستخدم المن لوزن الطيب :

النقود الإسلامية

في الجاهلية :

استخدم العرب في الجاهلية نقود البلاد المجاورة وهي الفرس والروم واستخدموا الدرهم والدينار ، والوحدة في الوزن هي المثلقال ، فإذا كان مصنوعاً من فضة سمي درهماً ، وإذا كان مصنوعاً من الذهب عرف بالدينار ، ولكن أهل مكة بالذات لم يستعملوا هذه العملة وإن استعملها غيرهم من جهات بلاد العرب الأخرى ، وإنما تعامل أهل مكة فيما بينهم بأوزان اصطلاحوا عليها فيما بينهم وهو الرطل وزنته ١٢ أوقية وزنة الأوقية ٤٠ درهماً، وعرف نصف الأوقية باسم (النص) ثم حرف إلى (نش) وأقل وحدة في هذا الوزن هي : (النواة) ووزنها ٥ دراهم (١٩١) .

المثقال والقيراط :

ويهمنا هنا المثقال فيقال إن وزنه قد بلغ كل ٦ مثاقيل عشرة دراهم (١٩٢) ، وفي رواية القلقشندي : كل ٧ مثاقيل عشرة دراهم (١٩٣) ، وكلاهما صحيح ، أما زنة المثقال بالحبة فتساوى ٧٢ حبة شعير ويساوى ٢٢ قيراطاً إلا حبة ، ولم يتغير المثقال أو يختلف في جاهلية ولا في الإسلام (١٩٤) .

في الإسلام :

ولما بعث الرسول (ص) أقر أهل مكة على ذلك وقال : (الميزان ميزان أهل مكة) — وفي رواية ميزان المدينة — وفرض الرسول (ص) من زكاة الأموال فجعل في كل خمس أواق من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم وهي النواة ، وفرض في كل ٢٠ ديناراً نصف دينار (١٩٥) .

وفي خلافة عمر بن الخطاب ضرب الدرهم سنة ١٨ هـ على نقش الكسروية وزاد فيها (الحمد لله) وفي بعضها (محمد رسول الله) وفي البعض الآخر (لا إله إلا الله وحده) وفي أواخر عهد عمر كان وزن كل ١٠ دراهم ٦ مثاقيل .

ولما جاء عثمان ضرب في خلافته دراهم ونقشها (الله أكبر) (١٩٦) .
الدراهم السود :

وفي خلافة معاوية قال له زياد : (إن العبد الصالح أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه صغر الدرهم وكبر القفيز وصارت تؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجند ، وترزق عليه الذرية طلباً للإحسان إلى الرعية ، فلو جعلت أنت عياراً دون ذلك العيار ازدادت الرعية به مرفقاً ومضت لك به السنة الصالحة) ف ضرب معاوية الدراهم السود الناقصة ووزنها ٦ دوانيق ، وضرب زياد وجعل كل ١٠ دراهم ٧ مثاقيل وكتب عليها ، فكانت تجرى مجرى الدراهم ، وضرب معاوية كذلك الدنانير ونقش على الدينار تمثالا متقلداً سيفاً (١٩٧) .

الدراهم المستديرة :

وضرب عبد الله بن الزبير بمكة دراهم مدورة ويعتبر أول من ضرب (الدراهم المستديرة) ونقش على أحد وجهي الدرهم (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (أمر الله بالوفاء والعدل) وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق وجعل كل عشرة منها ٧ مثاقيل - مثل زياد - وأعطاهم الناس في العطاء ، حتى قدم الحجاج العراق من قبل عبد الملك بن مروان فقال : (ما بقي من سنة الفاسق والمنافق شيئاً غيرها) (١٩٨) .

ولما استقر الأمر لعبد الملك بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير فحص عن النقود والأوزان والمكاييل وضرب الدنانير والدراهم سنة ٧٦ هـ وجعل وزن الدينار ٢٣ قيراطاً إلا حبة ووزن الدرهم ١٥ قيراطاً والقيراط أربع حبات وجعل الدانق ٢١ قيراط ، وكتب إلى الحجاج بالعراق أن اضربها قبلك ف ضربها ، ولم ينكر بقايا الصحابة بالمدينة منها سوى نقشها فإن

فيها صورة (١٩٩) وتتش على أحد وجهي الدرهم (قل هو الله أحد) وعلى الوجه الآخر (لا إله إلا هو) وطوق الدرهم على وجهيه بطوق وكتب في الطوقين (ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا) وفي الطوق الآخر (محمد رسول الله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (٢٠٠).
وضرب عمر بن هبيرة في العراق الدراهم الهبيرية، وكانت الهبيرية تساوي ٦ دوانيق .

الحالدية :

وفي عصر هشام بن عبد الملك أمر الخليفة في ١٠٦ هـ خالد بن عبد الله القسري ، ف ضرب (الحالدية) وجعل زنتها ٧ دوانيق ، وبعد عزل خالد القسري سنة ١٢٦ هـ عاد وزن الدرهم إلى ٦ دوانيق في عهد يوسف بن عمر الثقفي .

وبعد مقتل الوليد بن يزيد الخليفة الأموي سنة ١٢٦ هـ ضرب مروان الجعدي سكة جديدة (٢٠١) .
السكة العباسية :

وفي العهد العباسي ضرب السفاح بالأنبار وكتب عليها (السكة العباسية) .
العباسية :

بنفس الوزن وأنقصها المنصور ثلاث حبات وسماها (الدرهم) (٢٠٢) .
أخذت الدراهم تزيد وتنقص في العهود المختلفة ودخلها الغش أحياناً ، وأول من غش الدراهم وضربها زيوفاً عبيد الله بن زياد حين فر من البصرة سنة ٦٤ هـ ثم فشت في الأمصار أيام دولة العجم من بني بويه وبني سلجوق (٢٠٣)



٥ - النقود في مصر الإسلامية

عن الرسول (ص) : « منعت العراق درهما وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها » ، ولما فتحت مصر سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) فرض عمرو بن العاص على القبط من الرجال دينارين عن كل رأس

فجى أول عام ١٢٠٠٠ ر ١٢٠٠٠ ر ١٢٠٠٠ ر ١٦ ستة عشر مليون دينار (٢٠٤) ، وسارت فى مصر سكة بنى أمية والعباسيين حتى جاء أحمد بن طولون ف ضرب دنانير عرفت باسم الأحمديّة نسبة إليه (٢٠٥).
دينار المغز :

وفى العهد الفاطمى ضرب جوهر الصقلى (الدينار المغزى) ونقش فى أحد وجهيه ثلاثة أسطر : دعا فى إحداها الإمام المغز لتوحيد الأحد الصمد وفى السطر الثانى كتب فيه : ضرب هذا الدينار بمصر سنة ٣٥٨ ، وفى الوجه الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين (٢٠٦) وزنة الدينار المغزى ١٥ درهماً وزاد الحاكم فى الوزن سنة ٣٣٩ هـ فبلغ الدينار ٣٤ درهماً ؛ وفى سنة ٥٦٩ ضربت السكة باسم (المرتضى بأمر الله والملك العادل نور الدين محمود ، فرسم اسم كل منهما على وجه) (٢٠٧) .
الأيوبيون – الناصرى :

وبعد موت نور الدين ، ضرب صلاح الدين فى سنة ٥٨٣ هـ الدينار ذهباً مصرى ، وضرب الدرهم الناصرى من فضة خالصة ومن نحاس نصفين بالسوية وظل الأمر على ذلك فى مصر والشام حتى عصر الملك العادل أبى بكر فأبطل الناصرى سنة ٦٢٢ هـ وضرب دراهم مستديرة ثلثاها من فضة والثلث من نحاس ، واستمر حتى آخر العهد الأيوبي (٢٠٨) .

وقد ورثت الدولة المملوكية النقود الإسلامية من درهم ودينار ومثقال غير أن النظام الإقطاعى الذى عمم منذ عهد أساتذة الممالك وهم الأيوبيون ، قضى بالفرقة بين طوائف المقطعين فيما يتعلق بقيمة الدينار الذى يحاسبون على أساسه فى عبر إقطاعاتهم ، فاختلف سعر الدرهم تبعاً لخصيات المقطعين ومراتبهم فى المدرج الإقطاعى (٢٠٩) .

هذا وتعرضت النقود المستعملة فى عصر سلاطين الممالك إلى كثير من التعديلات فى أوزانها وقيمتها مما أضرب بعموم الناس فى أكثر الأحيان، بل كان

من أسباب الغلاء حتى أن السلطان قايتباى تخشى الطريق الذى اعتاد أن يسلكه وسط القاهرة سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) فكان يدخل إلى القلعة من بين التراب حتى لا يشكو الناس له « بسبب الفلوس الجدد » (٢١٠) ، وفضلاً عن هذا التعديل الرسمي ، تعرضت النقود كذلك إلى الغش والزيف فنشطت طوائف « الزغلية » تضرب « الزغل » من النقود (٢١١) . والمهم في هذا الزيف مسئولية بعض السلاطين والأمراء فعد من مساوىء السلطان الغورى « معاملة في الذهب والفضة والفلوس الجدد أنحس المعاملات جميعها » زغل ونحاس وغش لا يحل بها بيع ولا شراء ولا معاملة في ملة من المال فقد قرر على دار الضرب مالا . . . في كل شهر فكانوا يضيفون في الذهب والفضة والنحاس والرصاص جهازاً فكان الأشرفي - أي الدينار - إذا صنى فيه ذهب يساوى ١٢ نصفاً (٢١٢) ، بمعنى آخر يساوى نصف دينار تقريباً ، إذ الأشرفي الصحيح يساوى ٢٥ نصفاً من الفضة (٢١٣) .

ويلاحظ أن الفلوس التي استعملت وقتئذ كانت بالعدد ثم تطور أمرها حتى قومت بالوزن ، فكان كل ٤٨ فلساً عدا تقلر قيمتها بدرهم نقرة ، فلما جاء السلطان كتبغا ، قرر سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) أن يكون الرطل منها وزناً بدرهمين نقرة (٢١٤) .

واحتوى الرطل على عدد من الفلوس تراوح بين ٢٤ ، ٣٦ ، ٤٠ فلساً تبعاً لوزن الفلوس زيادة ونقصاناً . والعادة أن يكون وزن الفلوس مثقالاً (٢١٥) لكنه لم يكن بهذا الوزن دائماً . بل تناقص وزنه في أواخر عصر المماليك حتى قدر كل ١١٨ رطلاً من الفلوس بمبلغ ٥٠٠ درهم (٢١٦) نقرة أي أنقص وزن الفلوس إلى مثقال تقريباً .

ومن الفلوس ما وصف بكلمة « العتق » وهي غير المطبوعة بالسكة السلطانية (٢١٧) ، على خلاف الفلوس « الجدد » المطبوعة بالسكة (٢١٨) . ومن أمثلة الجدد ما ضربه الناصر محمد في ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ - ١٣٢٤ م)

وما ضربه الناصر حسن ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) وجمال الدين محمود الأستادار
في عهد السلطان فرج وكذلك قايتباي سنة ٨٧٩ هـ (١٤٧٤ م) وغيرهم (٢١٩) .
القرطاس :

وهناك نوع من العملة التي استعملت في عصر سلاطين المماليك تسمى
بالقرطاس، ويساوي القرطاس منها ٦ فلوس، وكان هذا سائراً في دمشق إلا أن
الناصر محمد أبطلها في سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) حين ضرب فلوسه الجدد
في مصر، وجعل التعامل في دمشق على أساس ما ضربه من الفلوس الجدد
في مصر، وهذه هي العملة النحاسية (٢٢٠) .
الدرهم النقرة والأبيض :

أما الدراهم فوجد منها أربعة أنواع : أجودها وأعلاها قيمة ما عرف
باسم النقرة ويتكون من فضة ونحاس ووزنه ١٦ قيراطاً أي ينقص عن
المثقال . وقدر كل سبعة مثاقيل بعشرة دراهم وزناً وقيمة هذا الدرهم ٢٤
فلساً ، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية ، ويكون فيها دراهم صحاح
وقراضيات مكسرة ، وقدر وزن الدرهم النقرة بست عشرة حبة خروب،
فتكون معاً خروبين ثم درهم ، والخروبة ثلاث حبات من حب البر
المعتدل (٢٢١) .

الأسود والبندق :

والنوع الثاني من الدراهم ما عرف باسم « الدراهم السود » ويقدر
الواحد منها بثلاث دراهم نقرة وهو قليل الاستعمال ، ورجح أن نعتها بالسود
جاء لتغير لونها لطول الزمن ولذا ميزت الدراهم الجديدة في بعض الأحيان
باسم الدراهم البيض (٢٢٢) ، ومن هذه الدراهم الجديدة أو البيض وكذلك
النقرة ما ضربه السلاطين في العهود المختلفة؛ على أن الدراهم الجديدة تقل عن
الدرهم النقرة ، فمثلاً قدر الدرهم المؤيدي بثلاثة أرباع درهم النقرة (٢٢٣)
وعرفت الدراهم السود كذلك باسم « البغلية » نسبة إلى رجل يهودي كان

يضر بها في فارس يسمى «بغل» وهي على أية حال دراهم أجنبية (٢٢٤). ومن الدراهم الأجنبية الدرهم «البندقي» جاء عن طريق التبادل التجاري مع البندقية وأحضر منه السلطان المؤيد شيخ ورجاله كمية كبيرة في عودته من الشام ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) وهذه هي العملة الفضية (٢٢٥).

الدينار :

وفيما يتعلق بالدينار وهو العملة الذهبية. تعرض كغيره من أنواع العملة إلى التعديل في وزنه والعادة أن يكون مثقالاً، لكن وجد من السلاطين من ضرب دنائير تقل عن المثقال أو تزيد. مثل السلطان فرج بن برقوق إذ تراوحت أوزان الدنائير التي ضربها بين مثقالين ومثقال ونصف مثقال ومثقال وربع مثقال (٢٢٦)، وتبعاً لاختلاف الأوزان ونسبة ما فيها من معادن أخرى غير الذهب اختلفت قيم الدينار من الدراهم التي يقدر بها، فمثلاً قدر دينار بيارس ب ٢٨ درهماً ودينار الناصر ب ٢٥ درهماً من الدراهم الحديدية أو البيض غير النقرة وهكذا (٢٢٧).

أما ما عبر عنه باسم «الدينار الجيشي» فهذه لا حقيقة لها، بل كلمة «جيشي» اصطلاح تعارف على استعماله ديوان الجيش أو ديوان الإقطاعات في إطلاقه على عبرة الإقطاعات وهي لا تعدو أن تكون دنائير عادية، وإن اختلفت أسعارها من الدراهم باختلاف جنسية المقطع ووضعها في المخرج الإقطاعي، والعادة أن يكون سعر هذا الدينار من الدراهم النقرة ١٣ درهماً ونصف ومن الدراهم السود ٤٠ درهماً (٢٢٨)، فمن المقطعين ولعلهم كبار الأمراء من حوسب باعتبار الدينار كاملاً، أي بالسعر المقرر كيفما كان من الدراهم ومنهم من كانت قيمة ديناره نصف دينار، وقدر سعر دينار أجناد الحلقة والممالك السلطانية بعشرة دراهم (٢٢٩) وغلب في عبرة إقطاعات العربان أن يكون دينارهم بقدر $\frac{1}{8}$ دينار (٢٣٠).

الأشرفى :

ومن أسماء الدنانير كذلك « الأشرفيات » أشهرها وأجودها الأشرف البرسبهي نسبة إلى السلطان برسبای تميزاً له عن الأشرفيات المنسوبة لغيره من السلاطين مثل الأشرفى القايتباهى والأشرفى الغورى والأشرفى العثمانى (٢٣١) .

الإفرنتى :

كذلك استعمل فى عصر المماليك الدنانير الأجنبية المعبر عنها بالإفرنتية عن طريق التبادل التجارى على وجه العموم ، ويقدر الدينار منها بسبعة عشر درهماً من الدراهم الحديدية أو البيض ، وتختلف عنها فى أن صور ملوكها منقوشة على وجوهها ، ولذا تعرف أحياناً بالدنانير الصورية .

الدوكات :

أو المشخصة ، وإذا كان ضربها فى البندقية عرفت باسم « الدوكات » (٢٣٢) والسكة السلطانية الإسلامية عامة والمملوكية على وجه الخصوص عبارة عن اسم السلطان ولقبه على أحد وجهى العملة وعلى الوجه الآخر مكان الضرب وتاريخه (٢٣٣) .

وجرت العادة فى عصر المماليك أن يكون على أحد وجهى العملة عبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . وهذه العبارة واضحة فى جميع القطع المعروضة وأضيفت عبارات أخرى إلى هذه العبارة مثل « أرسله بالهدى ودين الحق » (٢٣٤) أو « وما النصر إلا من عند الله » (٢٣٥) وربما أضيفت إلى اسم السلطان ولقبه عبارة « قسم أمير المؤمنين » أو اسم الخليفة نفسه (٢٣٦) . ومن السلاطين من وضع رنكه على عملته مثل بيبرس الذى وضع صورة السبع (٢٣٧) .

ووضع اسم السلطان داخل دائرة أو ما يشبهها على أحد وجهى العملة ، أمر تطير له بعض السلاطين والأمراء والناس ، وذلك من حيث ضيق الدائرة أو اتساعها أو مجرد شكلها ؛ والتفاوت والتشاؤم من طبيعة المجتمع المملوكى ، ومن أمثلة ذلك تطير الناس بفلوس السلطان برقوق التى ضربت ٧٨٩ هـ

(١٣٨٧م) ووضع اسمه عليها داخل دائرة فقال الناس «تدور عليه الدائرة» (٢٣٨) وتطير يوسف ناظر الخاص بدنانير عثمان بن جقمق المعروفة باسم «المناصرة» وقال لمعلم دار الضرب «قد ضيقت على عثمان قوى» ويعلق ابن إياس «فكان الأمر كذلك» (٢٣٩). كذلك تطير السلطان أحمد بن إينال بدرهمه الفضة حين وضع اسمه في دائرة، فأمر معلم دار الضرب بتغيير الشكل وهكذا... (٢٤٠).

وهذه بعض أنواع العملة المنتخبة من العصر المملوكي في عهود مختلفة وملحق بها جدول لشرح كل قطعة على حدة وهي محفوظة بالمتحف الإسلامي بالقاهرة.



١ - دينار ذهب (بيبرس)



٢ - درهم فضة (بيبرس)



٣ - دينار ذهب (قلاوون)



٤ - درهم فضة (قلاوون)



٥ - دينار ذهب (الناصر محمد)

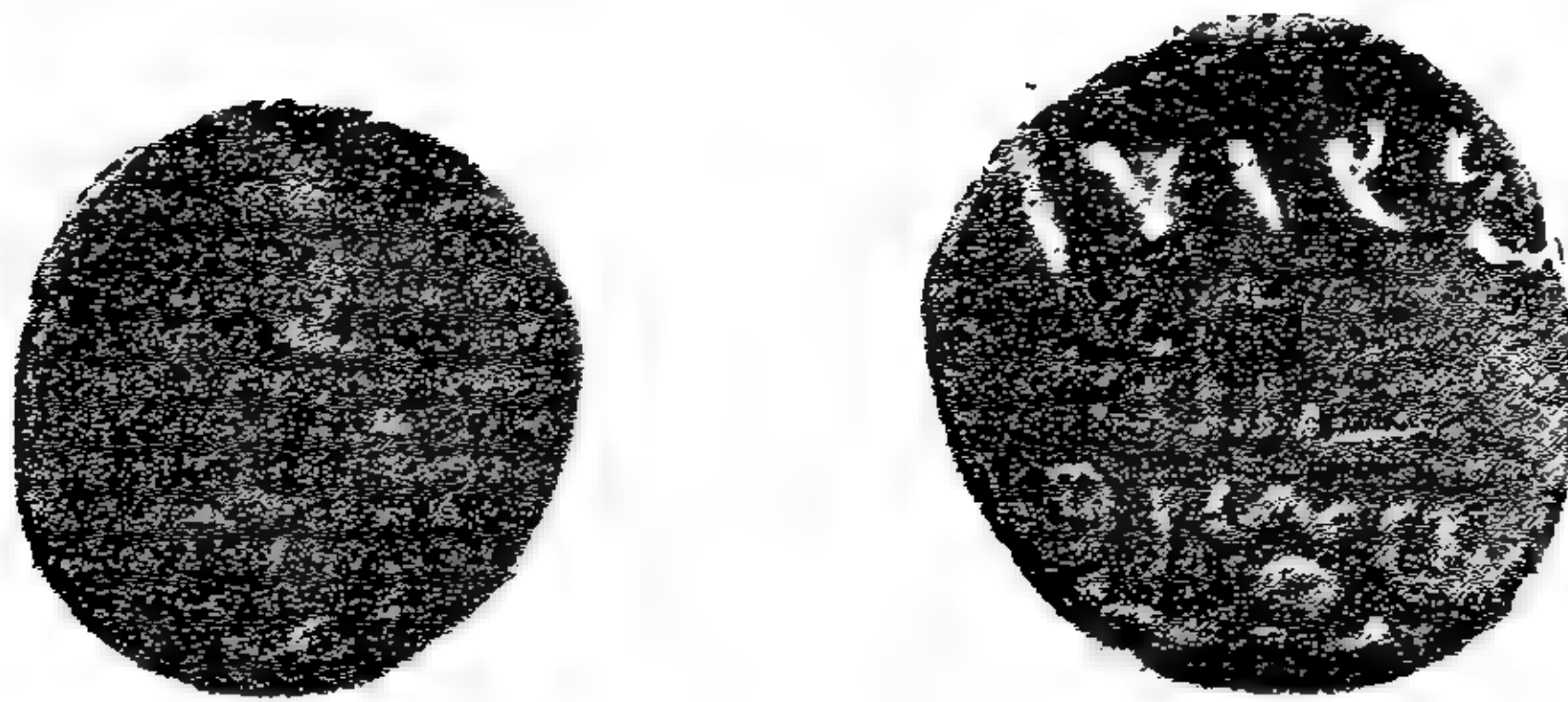


٦ - درهم فضة (الناصر محمد)

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)



٧ - دينار ذهب (برقوق)

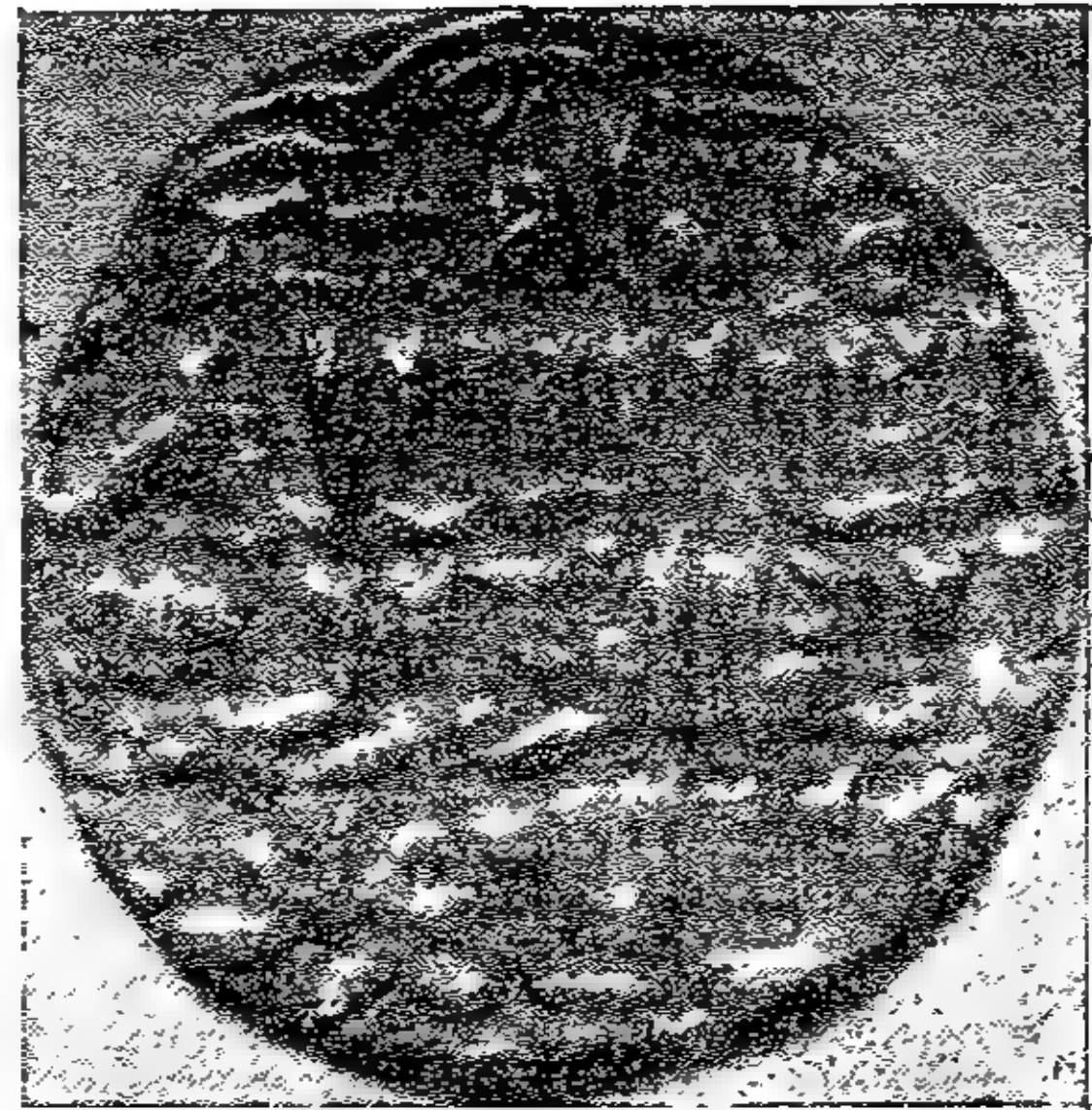
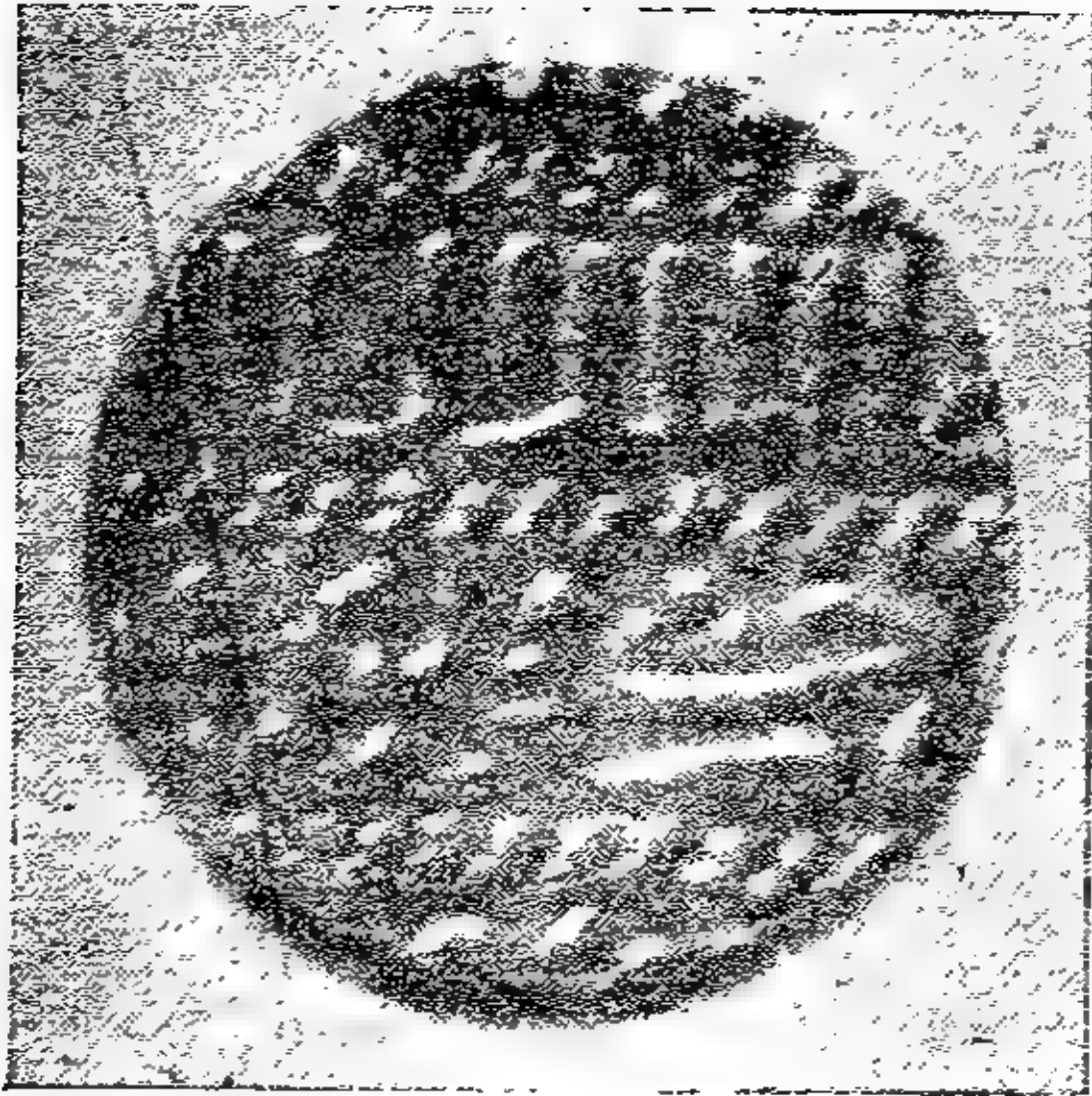


٨ - درهم فضة (برقوق)

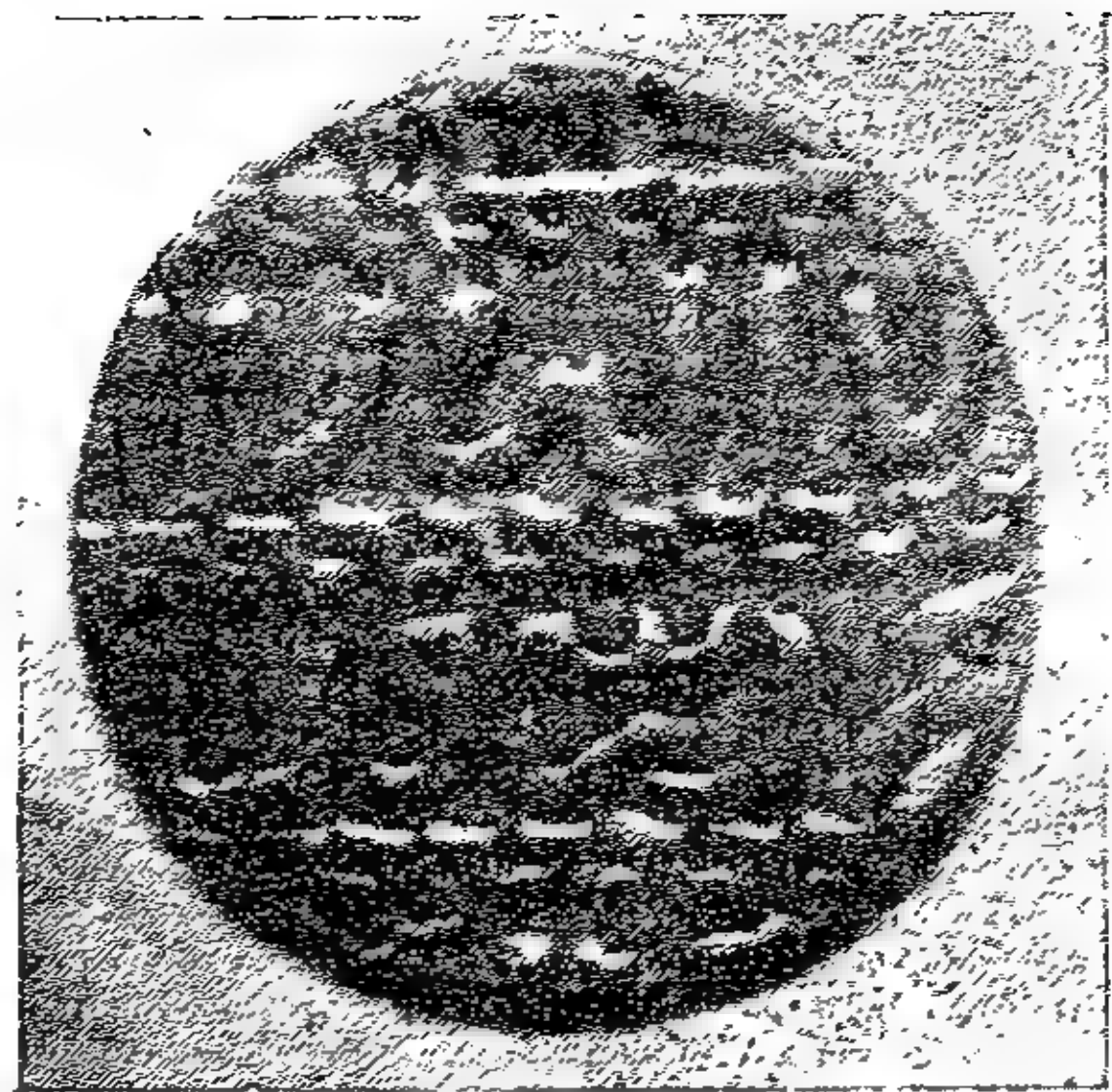
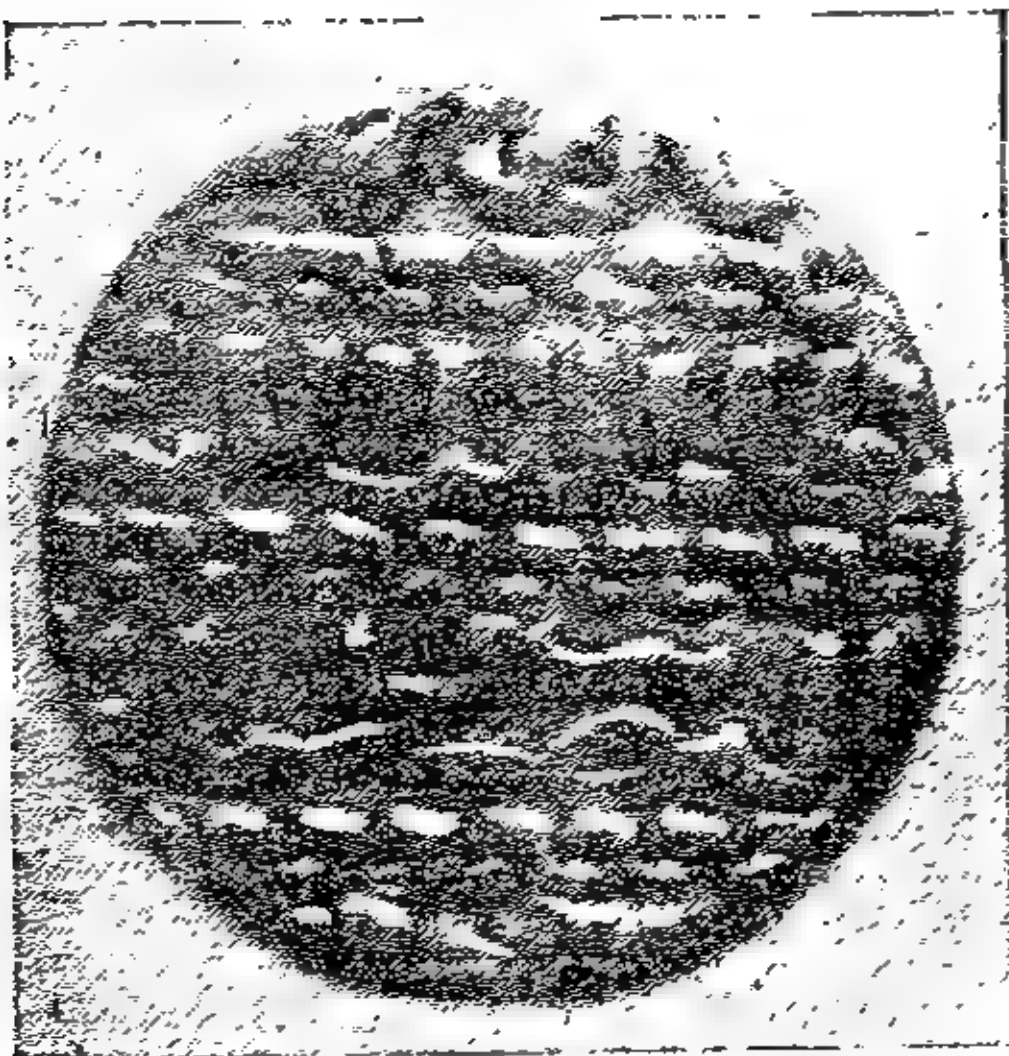


٩ - فلس نحاس (من عملة برقوق)

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

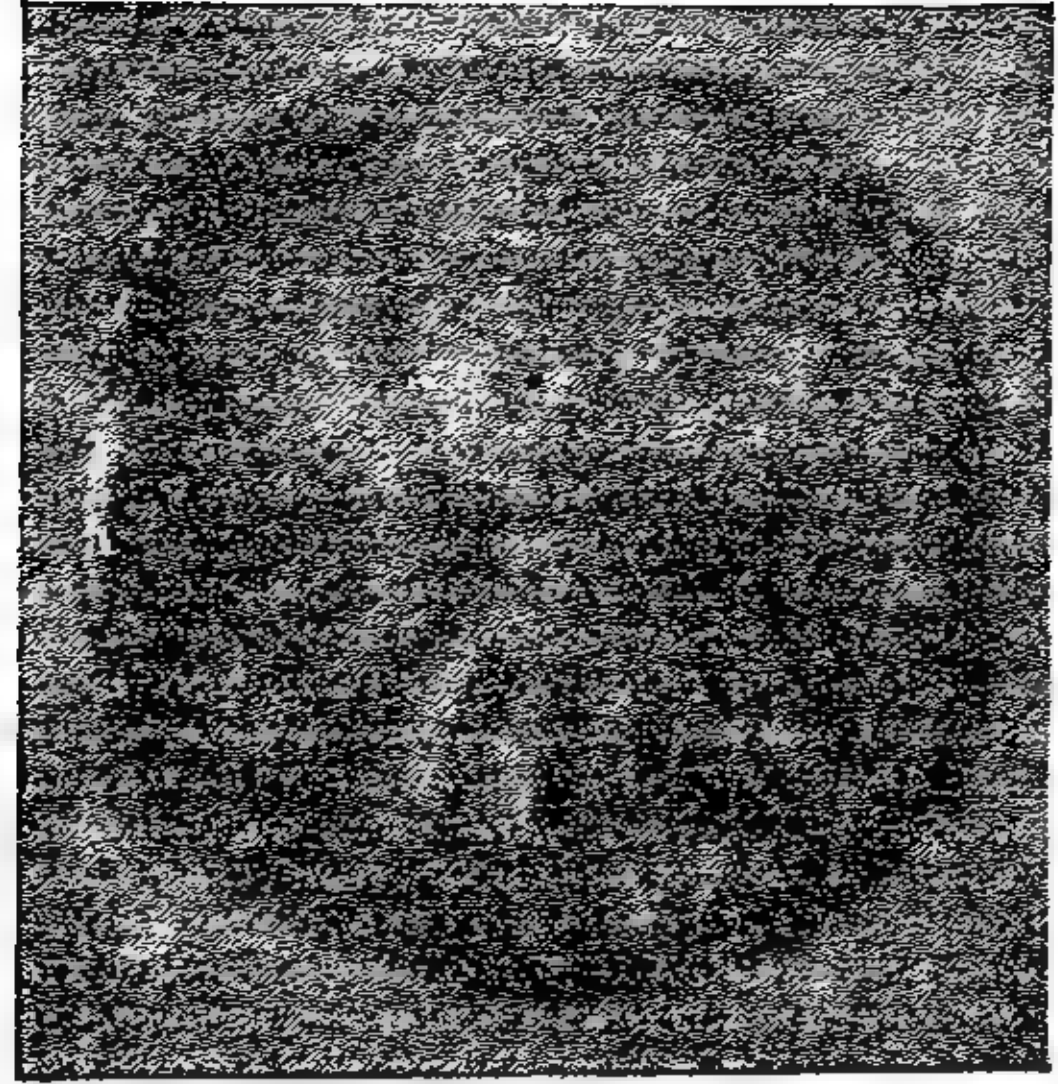
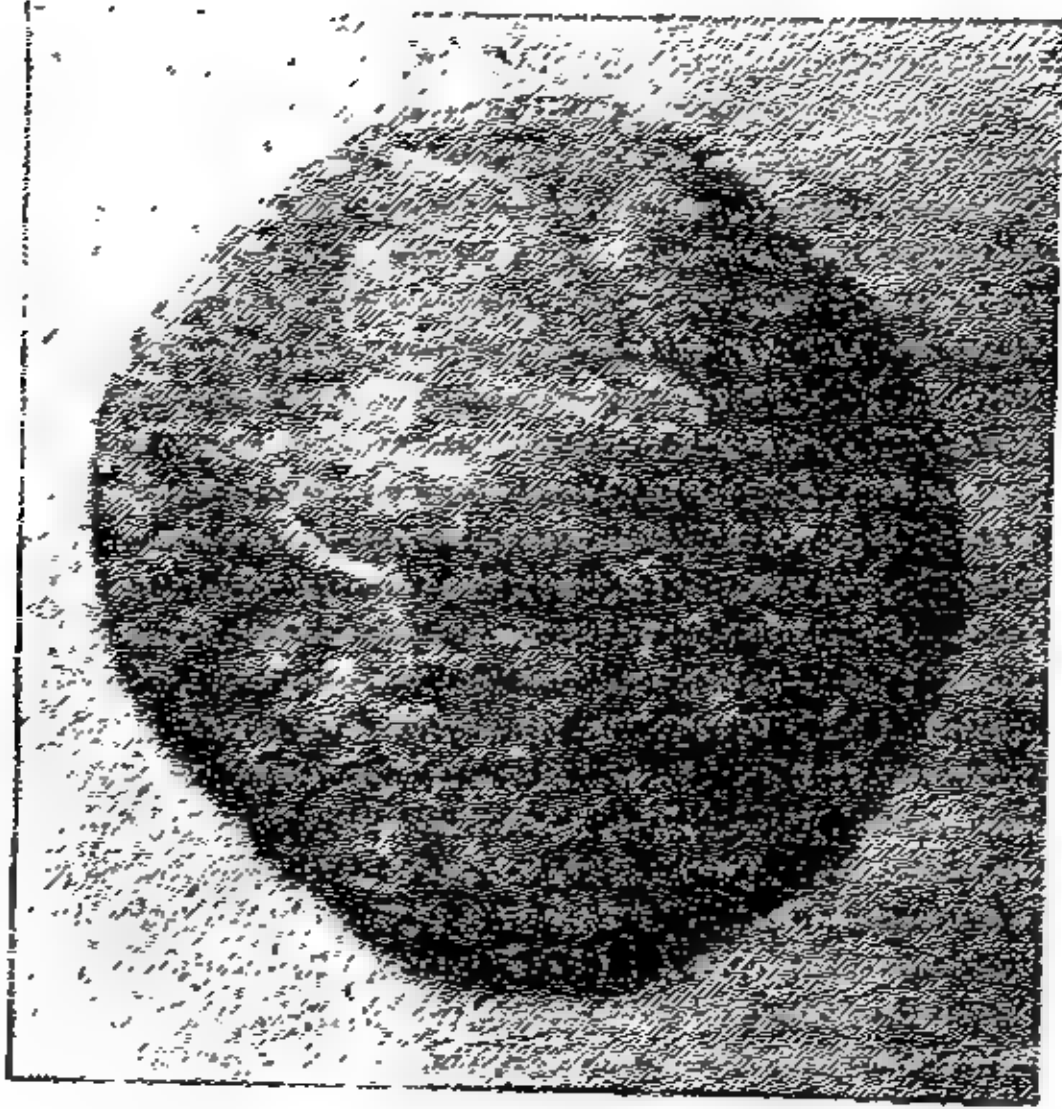


۱۰ - دینار ذهب (برسبای)



۱۱ - دینار ذهب (فرج)

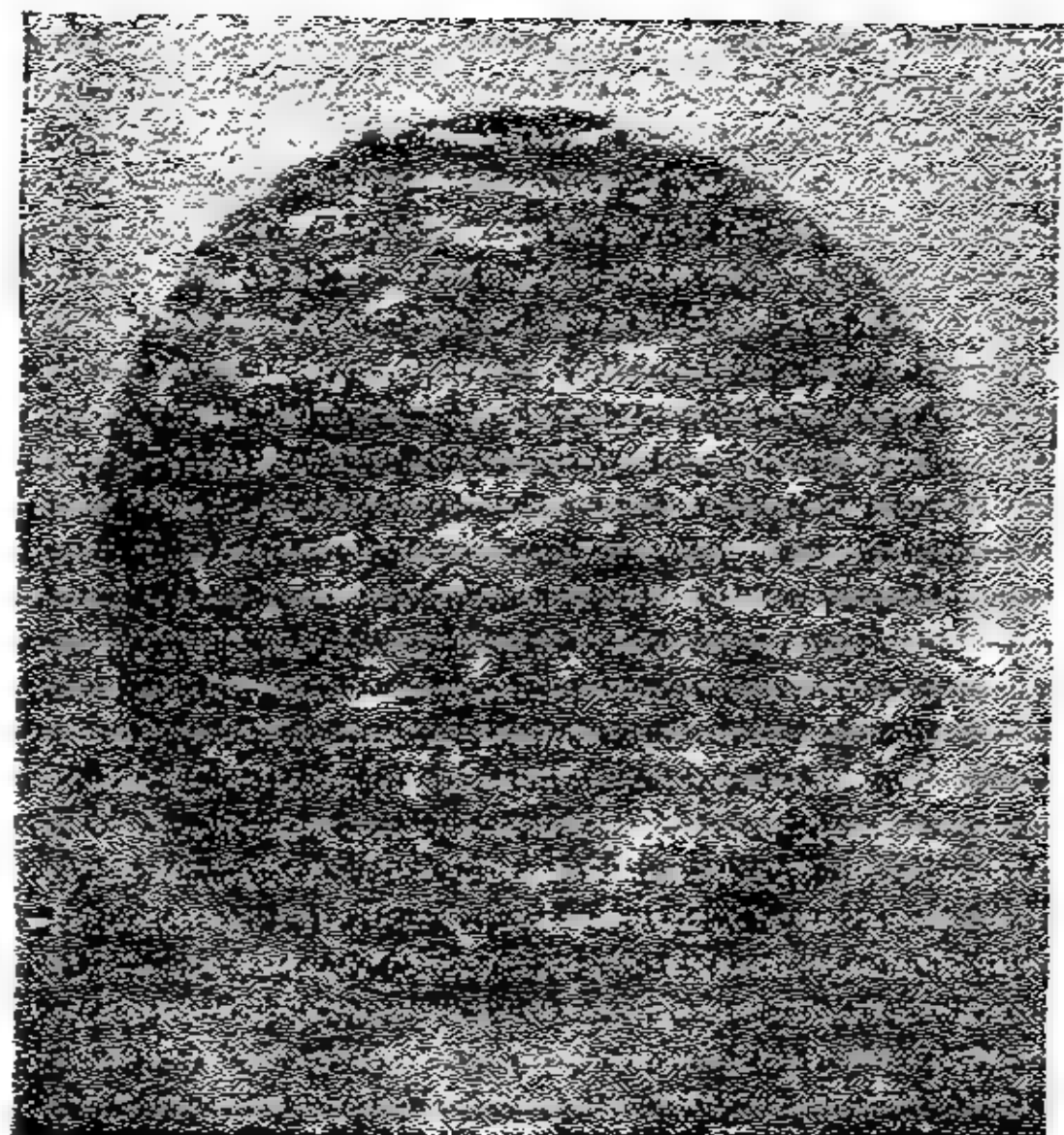
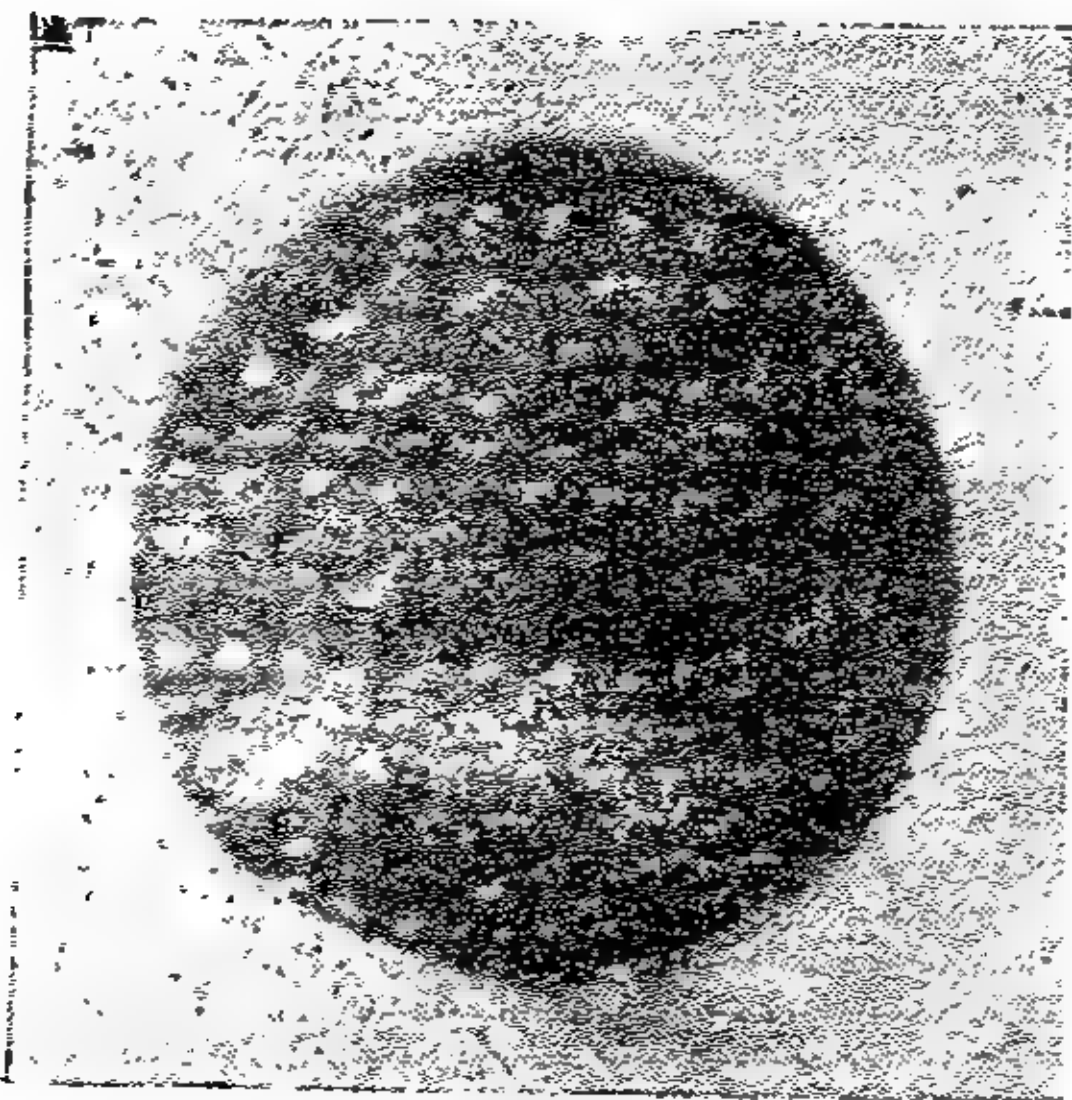
(عن متحف الفن الإسلامی بالقاهرة)



١٢ - درهم فضة (إنال)



١٣ - دينار ذهب (إنال)

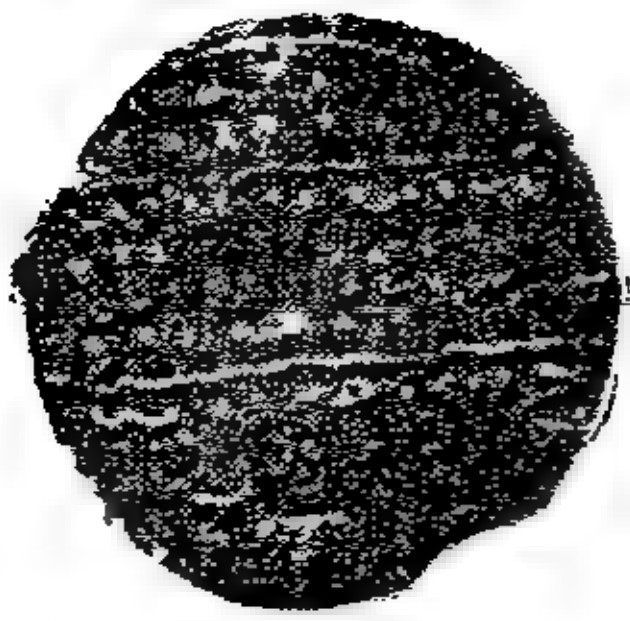


١٤ - دينار ذهب (خشقدم)

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)



١٥ - دينار ذهب (قايتباي) ١٦ - درهم فضة (قايتباي)



١٧ - دينار ذهب (الغوري)



١٨ - فلس (من عملة الغوري)

(عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

جدول لشرح قطع النقود

السكة السلطانية			صاحبها	نوعها	رقم القطعة
هامش القطعة	ظاهرها	وجه القطعة			
هامش الوجه	هامش الظهر				
	(كتابة محوطة) (محو ويظهر فيه) ضرب هذا ..	ضرب بإسكندرية لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	الصالحى السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين قسيم أمير المؤمنين (رنك السبع)	بيبرس	دينار ذهب
القاهرة	-	الإمام المتصر أبو القاسم أحمد بن الأمام الظاهر	الظاهر ركن الدنيا والدين أمير المؤمنين (رنك السبع)	بيبرس	درهم فضة
القاهرة	.. ودين الحق	ضرب بالقاهرة لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	المؤمنين السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى قسيم أمير	قلاوون	دينار ذهب
-	-	لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى	السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى	قلاوون	درهم فضة
-	-	الله وما النصر إلا عند من لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	(الله) وما النصر إلا عند من السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن الملك المنصور	الناصر محمد	دينار ذهب

تابع جدول لشرح قطع النقود

السكة السلطانية		رقم القطعة	نوعها	صاحبها	وجه القطعة	ظاهرها	هامش القطعة	
							هامش الوجه	هامش الظهر
٦	درهم فضة	الناصر محمد	السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ابن الملك المنصور	لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى	—	—	—	—
٧	دينار ذهب	برقوق	(ضرب) بدمشق السلطان الملك (الظاهر) سيف الدنيا والدين برقوق عز الله أنصاره	وما النصر إلا من عند الله (الله) لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين (الحق) (لي) ظهره على الدين كله	—	—	—	—
٨	درهم فضة	برقوق	(السلطان الملك) الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق	لا إله (إلا) الله (محمد) رسول الله أرسله ودين (الحق) ودين (الحق)	—	—	—	—
٩	فلس نحاس	برقوق	الملك (الظاهر) أبو سعيد	الملك (الظاهر) أبو سعيد	—	—	ضرب بدمشق	—
١٠	دينار ذهب	فرج	ضرب بالقاهرة سنة ست السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن الشهيد الملك الظاهر أبو سعيد (برقوق)	لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله	—	—	—	—
١١	دينار ذهب	برسبای	لا إله إلا الله محمد رسول الله	بالقاهرة السلطان الملك الأشرف النصر برسبای عز نصره	—	—	—	—
١٢	درهم فضة	إينال	السلطان الملك الأشرف إينال (داخل دائرة)	(كتابة غير واضحة)	—	—	—	—

تابع جدول لشرح قطع النقود

رقم القطعة	نوعها	صاحبها	السكة السلطانية		
			وجه القطعة	ظاهرها	هامش القطعة
					هامش الوجه هامش الظهر
١٣	دينار ذهب	إينال	السلطان الملك أبو النصر إينال	لا إله إلا الله محمد رسول الله	—
١٤	دينار ذهب	خشقدم	السلطان الملك الظاهر أبو سعيد خشقدم	خرب بالقاهرة لا إله إلا الله محمد رسول الله	—
١٥	دينار ذهب	قايتباي	لا إله إلا الله محمد رسول الله	السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي	—
١٦	درهم فضة	قايتباي	قايتباي (في دائرة)	خرب بالقاهرة (في دائرة)	—
١٧	دينار ذهب	الغوري	السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري	بالقاهرة لا إله إلا الله محمد رسول الله	—
١٨	فلس	الغوري	قانصوه (داخل زخرفة هندسية)	بالقاهرة	—

هوامش الملاحق - القسم الثاني

- (١) السلوك ج١ ص ٤٥ حاشية : ٣ .
- (٢) التنويرى ج٨ ص ٢٧٨ - ٢٨٢ .
- (٣) ذيل تجارب الأمم ص ١٧٣ و ١٧٤ .
- (٤) الماوردى ص ١٨٣ .
- (٥) التنويرى ج٨ ص ٢٨٥ و ٢٩٢ .
- (٦) ضوء السارى ورقة ١٧٤ .
- (٧) يحيى بن آدم ج٣ ص ٦١ - ٧٤ .
- (٨) أقرب الموارد ، السلوك مخطوط ج٣ ص ٤٠٩ ، صبح الأعشى ج٥ ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ وزبدة كشف الممالك ص ١٠٦ و ١٠٧ وخطط ج٢ ص ٢٢٢ ونهاية الأرب ج٨ ص ٢٢١ - ٢٢٨ - أنباء الفجر ج٢ ص ١٤ وحوادث الدهور ج٢ ورقة ٣١٠ ومعيد النعم ص ٣٥ .
- (٩) صبح الأعشى ج٣ ص ٤٩٣ .
- (١٠) ابن ميمى ص ٢٥٨ - ٢٦٠ .
- (١١) الفخرى ص ٢٤٤ - ٢٤٦ والنجوم ج٣ ص ٢٤٦ والسلوك ج١ ص ٢٦ - ٢٧ .
- (١٢) السلوك ج١ ص ٧٥ - ٧٦ .
- (١٣) الدولة السلجوقية ص ٢٦٧ وابن مسكويه ج٦ ص ٩٦ .
- (١٤) الصابى ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .
- (١٥) صبح الأعشى ج٥ ص ٤٥٤ .
- (١٦) القاموس المحيط ، وانظر البلاذرى ص ١٥١ - ١٥٢ .
- (١٧) صبح الأعشى ج٥ ص ٤٧٠ ، معيد النعم ص ١٧٥ القاموس .
- (١٨) النجوم الزاهرة ج٨ ص ٨٧ وحاشية - ١ ، بدائع الزهور ج٣ ص ١٥١ .
- (١٩) صبح الأعشى ج٥ ص ٤٥٩ .
- (٢٠) سلوك ج١ ص ٧٣ وحاشية - ٤ .
- (٢١) المنهل الصافى ج٢ ورقة ٣٠٤ و ٣٠٥ ، النجوم الزاهرة ج١٠ ص ٣١٧ - ٣١٨ السلوك ج٢ ص ٤٨٢ حاشية - ١ .
- (٢٢) زبدة كشف الممالك ص ١٢٢ ، القاموس المحيط .

(٢٣) التيسير والاعتبار ورقة ١٦ ، السلوك ج١ ص ١٠٥ حاشية - ١ ، انظر نسخة التذكرة « بالملاحق » .

(٢٤) ابن مسكويه ج٦ ص ٩٧ ذيل تجارب الأمم ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢٥) زبدة كشف الممالك ص ١٣٦ .

(٢٦) الماوردي ص ١٨٧ ، الصابي ص ١٤ .

(٢٧) الصابي ص ١٣ - ١٤ .

(٢٨) تاريخ أبي الفداء ج٤ ص ٩٢ .

(٢٩) الماوردي ص ١٨٣ .

(٣٠) الماوردي ص ١٦٨ .

(٣١) ضوء الساري ورقة ١٧٣ .

(٣٢) التعريف بالمصطلح الشريف ٨٤ - ٨٧ .

(٣٣) صبح الأعشى ج٥ ص ٤٦٠ .

(٣٤) بدائع الزهور ج١ ص ٩٦ و ج٣ ص ٢٤ ، السلوك ج١ ص ٤٤٣ حاشية - ١

و ٦٩٢ حاشية - ٤ .

(٣٥) السلوك ج١ ص ٥٢ حاشية - ٢ ، النجوم ج٨ ص ٥٠ حاشية - ٢ .

(٣٦) التعريف ص ٩٩ ، السلوك ج١ ص ٤٩٠ حاشية - ٢ و ٩٠٩ حاشية - ١ .

النجوم الزاهرة ج٩ ص ١٦٨ وحاشية ١ و ٢ .

(٣٧) الماوردي ص ١٨٧ .

(٣٨) تاريخ أبي الفداء ج٤ ص ٩٢ .

(٣٩) معيد النعم ص ٦٦ ، خطط ج٢ ص ٩٨ .

(٤٠) آثار الأول بهامش الخلفاء للسيوطي ص ١٧٧ ، السلوك ج١ ص ٥٦٣ و ٨٩٧ .

(٤١) زبدة كشف الممالك ص ١٢٥ ، القاموس المحيط .

(٤٢) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٧٥ حاشية - ١ ، السلوك ج١ ص ٣٠٦ حاشية - ٣ .

(٤٣) حاشية الشرقاوي على شرح التحرير للشيخ زكريا الأنصاري ج٢ ص ٤٩٨ - ٤٩٩

شرح الخطيب ج٢ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، بدائع الزهور ج٢ ص ١٠٣ ، دول الإسلام ص ٢٨ - ٢٩

تاريخ بعلبك ص ٣٢ ، Supplement aux Dictionnaires Arabes .

(٤٤) التحفة السنية ص ٤٧ و ٥١ ، السلوك ج١ ص ٣٨٤ ، بدائع الزهور ص ٦٠

(٤٥) راجع الفصل السادس .

(٤٦) السلوك ج١ ص ٥٤٩ ، صبح الأعشى ج٤ ص ١٥ - ١٦ ، القاموس المحيط .

(٤٧) السلوك ج١ ص ٧١ .

- (٤٨) السلوك ج١ ص ٨٧٥ وحاشية ١ ، النسخة المخطوطة ج٣ ص ٧٥٤ ، التيسير والاعتبار ورقة ٥٢ - ٥٣ ، وأنبياء النمر ج١ ص ١٤٩ ، خطط ج١ ص ١٧٩ ، زبدة الممالك كشف ص ١٢٠ .
- (٤٩) السلوك ج١ ص ٦٥ و ١٣٢ ، صبح الأعشى ج١٣ ص ١٥٣ .
- (٥٠) ومنه قوله الخراج بالضمان وأرض الخراج تتميز عن أرض العشر في الملك والحكم (الموارد ص ١٤٠) .
- (٥١) الأوائل ورقة ٢٣١ ، البلاذرى ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- (٥٢) السلوك ج١ ص ٣٨٨ حاشية ١ - ٤٣٣ حاشية ٣ و ٥١٢ .
- (٥٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٩ .
- (٥٤) ابن ماقى ص ٣٢٦ .
- (٥٥) صبح الأعشى مخطوط ج٣ ورقة ١٢٥ .
- (٥٦) خطط ج٢ ص ٤١٤ - ٤٢٦ ، صبح الأعشى ١١ ص ٣٧٢ - ٣٧٦ .
- (٥٧) السلوك ج١ ص ٢٢٤ حاشية ٢ و ٣٩٠ حاشية ١ ، القاموس الفارسي .
- (٥٨) صبح الأعشى ج١٣ ص ١٥٦ ، السلوك ج١ ص ٨٤٤ حاشية ٧ .
- (٥٩) تاريخ الأعيان ص ٢٣١ و ٢٣٧ ، زبدة كشف الممالك ص ١٣٠ ، السلوك ص ٤٦٥ حاشية ١ .
- (٦٠) زبدة كشف الممالك ص ١٢٢ - ١٢٣ .
- (٦١) سلوك ج١ ص ٤٠ حاشية ٥ ، النجوم الزاهرة ج٥ ص ٧٣ حاشية ١ ج٦ ص ٤ - ٥ .
- (٦٢) تاريخ أبي الفداء ج٤ ص ١٦ .
- (٦٣) خطط ج٢ ص ١٠٥ ، بدائع الزهور ج٢ ص ١٥٤ .
- (٦٤) خطط ج٢ ص ٤٢٧ ، الانتصار ج٤ ص ١٠٢ ، والقاموس المحيط ، ذيل أقرب الموارد .
- (٦٥) الانتصار ج٤ ، خطط ج٢ ص ٨٦ - ٩٤ - ٩٧ - ٩٨ و ١٠٤ و ١٠٧ .
- (٦٦) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٥٣ - ٥٤ الأحكام المرعية ص ٤٨ .
- (٦٧) التحفة السنية ص ١٧ - ١٨ .
- (٦٨) التحفة السنية ص ٨٥ .
- (٦٩) التحفة السنية ص ١١٦ .
- (٧٠) يلاحظ أن أكبر مساحة خصصت للرزق هي : ألفنت بالهناساوية فساحتها ٢٣٧٦ فداناً وكلها رزقة أولاد لاجين الظاهري وماليكه ، وأقل مساحة للرزق هي فدان واحد في جهة البخانس بالغربية، إذ تبلغ مساحتها ٢٠٤ فداناً ، مخصصة للمقطعين والعربان منها فدان واحد رزق. (التحفة السنية ص ١٦١ - ١٦٢ و ٦٥) .
- (٧١) عرف الوقف منذ العهد النبوي فشلا جاء عمر بن الخطاب يوماً إلى النبي (ص) يستأمره

في أرض أصابها بخير وقال : يا رسول الله ، إني أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منه ، قال الرسول (ص) : إن شئت حبست أصلها وتصدقت منها فتصدق بها عمر بمعنى أنه لا تباع رقبته ولا تورث ولا توهب .

نص كتاب وقف عمر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إن حدث به حدث ، أن تمغا وصرمة بن الأكوع والعبد الذي فيه والمائة سهم التي بخير ورقيقه التي فيه والمائة التي أطعم محمد (ص) بالوادي : تليه حفصة ما عاشت ثم يليه ذو الرأي من أهلها ، لا يباع ولا يشتري ، ينفقه حيث رأى من السائل والمحروم وذوي القربى ، ولا حرج على من وليه من أكل أو يأكل أو اشترى رقيقاً منه . (ملحق الأبحر ص ١٨٨ ، درر الأحكام ورقة ٣٠٥ ، بلوغ المرام ص ١٩٦ حاشية - ١) .

(٧٢) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٣ - ٥٤ .

(٧٣) خطط ج ٢ ص ٢٩٥ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٣ - ٥٤ .

(٧٤) صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٨ .

(٧٥) توفى الإمام الليث سنة ١٧٥ هـ (٧٩١ م) (بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ،

الأعلام) .

(٧٦) انظر الفصل الثاني .

(٧٧) عطية الرحمن في صحة أرصاد الجوامك والأطيان ، عبارة عن بحث في شئون الرزق الأحباسية وتاريخها ، وهي الإجابة على الاستفتاء الذي وضعه الشيخ عيسى الصفى مؤلف عطية الرحمن (ص ٢ - ٢٢) ومن المراجع الأخرى التي تعرضت لهذا البحث ، السلوك (مخطوط ج ٣ ص ١٥) ، رسالة في بيان الإقطاعات ومحملها ومن يستحقها ص ٢٣٩ (مخطوط رقم ٣٣ مجاميع دار الكتب) ، بدائع الزهور ج ٣ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، خطط ج ٢ ص ٦ ج ٢ ص ٢٩٦ .

Mayer: Saracenic heraldry pp. 4,15, Artin, Contributions (٧٨)

A L' Étude du Blason en Orient, p. 180. الموارى ص ١٠ - ١١ .

(٧٩) لم يقتصر استعمال البقعة على كونها رمزاً للجندارية وإنما استعملت كذلك في دار الضرب لطبعها على الفلوس الجديدة المضروبة تمييزاً لها عن الفلوس المزيفة حين انتشر ضرب الزغل من النقود ، ومع ذلك قلد المزيغون البقعة وصوروها على فلوسهم المنشوشة (السلوك ج ٢٠٦ - وحاشية ١) .

(٨٠) للكأس أشكال مختلفة ، انظر كتاب : Mayer, Op Cit, p. 31

(٨١) السلوك ج ١ ص ٦٧٢ حاشية ٤ ج ٢ ص ٢١٥ أعيان العصر ج ٤ غير مرقم بدائع الزهور ج ٣ ص ١٧٤ صبح الأعشى ج ٤ ص ٦١ - ٦٢ .

- (٨٢) خطط ج٢ ص ١١٦ ، القاموس المحيط .
- (٨٣) زبدة كشف الممالك ص ١٢٦ ، صبح الأعشى ج٥ ص ٤٦٠ .
- (٨٤) شرح الخطيب ج٢ ص ٢٢٩ .
- (٨٥) بدائع الزهور ج١ ص ١٥٥ .
- (٨٦) السلوك ج١ ص ٣٥ حاشية ١ ص ٤٠ حاشية ٥ ص ٩٧٩ حاشية ٣ .
- (٨٧) نجوم ج٥ ص ٧٣ حاشية ١ ج٦ ص ٤ .
- (٨٨) خطط ج٢ ص ٩٨ - ٩٩ .
- (٨٩) تاريخ بيروت ص ٥٧ - ٥٨ و ٣٤٢ .
- (٩٠) البلاذري ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ، وفاء الوفا ج١ ص ١٥٢ - ١٥٣ و ١٥٦ .
- (٩١) التحفة السنية ص ١٤٠ - ١٤١ و ١٤٤ .
- (٩٢) الماوردي ص ١٨٤ - ١٨٥ .
- (٩٣) بدائع الزهور ج١ ص ٢٠٣ ، خطط ج٢ ص ٤١٤ و ٤١٦ - ٤١٧ ، معيد النعم ص ١٦١ - ١٦٢ و ١٦٤ - ١٦٥ ، السلوك مخطوط ج٢ ص ٢٦٨ .
- (٩٤) النجوم الزاهرة ج١٠ ص ٣١٠ - ٣١١ ، القاموس المحيط ، القاموس التركي .
- (٩٥) الصافي ص ٣٥٨ .
- (٩٦) القاموس المحيط .
- (٩٧) تاريخ بيروت ٢٥ ، صبح الأعشى ج٣ ص ٥٨ و ج١٣ ص ١٦١ - ١٦٢ ، التعريف بالمصطلح الشريف ص ٨٣ - ٨٤ .
- (٩٨) التحفة السنية ص ٣٨ .
- (٩٩) بدائع الزهور ج١ ص ٢٥٩ و ج٢ ص ٢٩٠ .
- (١٠٠) البلاذري ص ١٩١ .
- (١٠١) كرد علي ج٢ ص ٩٥ ، يحيى بن آدم ج٣ ص ٧٨ - ٨٩ ، ملتقى الأبحر ص ٥٥ .
- (١٠٢) انظر ماسبق والسلوك ج١ ص ٦٨٩ حاشية ٣ و ٧٠٠ و ٩٠٢ .
- (١٠٣) تاريخ بيروت ص ٣٥ - ٣٦ حاشية ٩ .
- (١٠٤) السلوك ج١ ص ٦٨٩ حاشية ٣ و ٦٩٩ ، بدائع الزهور ج٣ ص ١٥ و ٩٠ ، تاريخ الفيوم وبلاده ص ١٧٧ - ١٧٨ .
- (١٠٥) بدائع الزهور ج١ ص ٢٦٣ ، القاموس المحيط ، تاج العروس .
- (١٠٦) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٤٤ و ٢٦٧ ج٣ ص ١٤٤ .
- (١٠٧) التحفة السنية ص ٢٧ و ٣٤ و ٧١ و ١٤٧ ، السلوك ج٢ ص ٢٣١ .
- (١٠٨) خطط ج٢ ص ١١١ ، الفروسية غير مرقم انظر صورة القبق .

- (١٠٩) تاريخ الجبرق ج١ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .
- (١١٠) بدائع الزهور ج٢ ص ١٢٣ - ١٢٤ ج٣ ص ٢٧١ .
- (١١١) بدائع الزهور ج٢ ص ١٣٣ ، ١٣٤ صبح الأعشى ج٣ ص ١٥٤ .
- (١١٢) القاموس المحيط .
- (١١٣) معيد النعم ص ٤٤ ، خطط ج١ ص ١٣٨ .
- (١١٤) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٧٦ وحاشية ه ، السلوك ج١ ص ٤٥٢ حاشية ه ، ص ٢١٤ حاشية ه ، صبح الأعشى ج٤ ص ٧ .
- (١١٥) زبدة كشف الممالك ص ١٢٩ - ١٣٠ .
- (١١٦) السلوك مخطوط ج٣ ص ٢٦١ ، زبدة كشف الممالك ص ١١١ ، النجوم الزاهرة ج١٠ ص ٨٥ .
- (١١٧) الماوردي ص ١٧٠ - ١٧١ .
- (١١٨) يحيى بن آدم ج٣ ص ٥٧ ، البلاذري ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .
- (١١٩) تاريخ بيروت ص ٩٦ .
- (١٢٠) تاريخ أبي الفداء ج٤ ص ٨٥ .
- (١٢١) الماوردي ص ١٨٤ ، الاستخراج ورقة ٧ - ١٠ ، كتاب المنية في الفقه في الفتاوى مخطوط ليس مرقم الصفحات .
- (١٢٢) بدائع الزهور ج٢ ص ١٢٨ تاريخ أبي الفداء ج٤ ص ٣١٩ .
- (١٢٣) لباب التأويل في معاني التنزيل ص ١٧٥ - ١٧٦ .
- (١٢٤) الماوردي ص ١٨٦ .
- (١٢٥) لسان العرب .
- (١٢٦) سيد أمير علي ص ١٦٦ .
- (١٢٧) ابن عثاق ص ٣٠١ ، صبح الأعشى ج٤ ص ٤٩٣ .
- (١٢٨) أنباء القمر ج١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
- (١٢٩) دول الإسلام ص ٢٧ .
- (١٣٠) تاريخ بيروت ص ٩١ ، صبح الأعشى ج١٣ ص ١٥٤ .
- (١٣١) الماوردي ص ١٨٤ - ١٨٥ .
- (١٣٢) ابن عثاق ص ٣٠١ ، صبح الأعشى ج٤ ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .
- (١٣٣) خطط ج٢ ص ١١١ .
- (١٣٤) مادة (قور) محيط المحيط .
- (١٣٥) ينكر عبد الله بن عمر هذا عن أبيه فقد قيل له : كان عمر يأخذ من المسلمين العشر ، قال : لا (الخطط ج١ ص ٨٦٦ - ٨٦٧) .
- (١٣٦) المرجع السابق .

(١٣٧) من رسالة كتبها عمر بن عبد العزيز (انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبدالحكم ص٩٦ - ٩٩) .

(١٣٨) ولي ابن المدبر خراج مصر خلال ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر ، ولاية وإقطاعا من قبل الخليفة المستعين بالله ، وقد قبض عليه ابن طولون سنة ٥٢٦٧هـ وحبسه وأخذ أمواله ثم صالحه على ستمائة ألف دينار ، ثم أسقط هذه المكوس (النجوم ج٢ ص٤٣ ، البلوى سيرة أحمد ابن طولون ص٤٣ - ٤٦ و ٧٤ - ٧٩ ، ١٧٥ - ١٧٧) .

(١٣٩) البلوى ص٤٣ ، خطط ج١ ص١٦٧ .

(١٤٠) خطط ج١ ص١٦٧ .

(١٤١) خطط ج١ ص١٦٧ .

(١٤٢) خطط ج١ ص١٦٧ .

(١٤٣) خطط ج١ ص١٦٧-١٦٨ .

(١٤٤) خطط ج١ ص١٦٨ .

(١٤٥) خطط ج١ ص١٦٨ - ١٦٩ .

(١٤٦) خطط ج١ ص١٤٢ - ١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، النجوم الزاهرة ج٣ ص٤٢ ،

سيرة أحمد بن طولون ص٤٣ - ٤٦ و ٧٤ و ٧٩ و ١٧٥ - ١٧٧ ، دول الإسلام ص٢١ ، صبح الأعشى ج٣ ص٤٦٨ و ٤٧١ ، الجواهر الثمين ج٣ ورقة ١٠٨ - ١٢١ ، السلوك مخطوط ج٣ ص١٢٧ و ٧٢ و ٥٢٣ - ٥٢٤ و ٥٣٠ ، بدائع الزهور ج١ ص٢٣٠ و ٣١٦ ج٣ ص ١٠ و ٢٩ ، القول المستطرف ص٨ ، عيون الأخبار غير مرقم ، فتوح النصر ج١ ورقة ١٣٨ و ج٢ ورقة ١٠٨ ، أنباء الغمر ص٧١ ، الأئس الجليل ص١٣٩ ، ١٤٠ ، معيد النعم

ص١٧٤ - ١٨١ ، Evans: Life in Med. France, p: 53

(١٤٧) دولة آل سلجوق ص١١٨ ، انظر أيضا معاني السجل فيما سبق وفي الصيرفي قانون

حيوان الرسائل (نشرة على بهجت ص٨) وأمثلة من نسخ لسجلات مختلفة ص١٨ و ٢٣ و ٣٦ و ٤٠) .

(١٤٨) صبح الأعشى ج٥ ص٤٧٠ .

(١٤٩) زبدة كشف الممالك ص١٣٦ - ١٣٧ .

(١٥٠) شلوات الذهب ج٦ ص٢١٢ .

(١٥١) Ganzhoff: pp., 83 - 83

Ibid., G. 114 (١٥٢)

Ibid., G. 106 (١٥٣)

Ibid., G. 100 (١٥٤)

- La Monte, p. 152 (١٥٥)
 Ganshoff, p. 82 (١٥٦)
 Stephenson, p. 239 (١٥٧)
 Ibid., G 241 (١٥٨)
 Davies, p. 40 (١٥٩)
 Stephenson, p. 260 (١٦٠)
 Evans, p. 38 (١٦١)
 Lot, p. 110 (١٦٢)
 Steph., 220 (١٦٣)
 La Monet, p. 145 ; Davies. p. 714 (١٦٤)
 Ganshoff, p. 105 (١٦٥)
 La Monte, p. 150 (١٦٦)
 Davies, p. 2 (١٦٧)
 Steph., p. 259 (١٦٨)
 La Monte, p. 143 (١٦٩)

(١٧٠) معالم القرية في أحكام الحسبة (الباب التاسع) مخطوط غير مرقم الصفحات ،
 مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٦ ، صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، نهاية الأرب ج٨
 ص ٢٦٩ ، خطط ج٢ ص ٣٤٣ ، بدائع الزهور ج٣ ص ٢٧٠ .

(١٧١) خطط ج١ ص ١١٩ ، ابن مئتي ص ١٢٥ ، وفاء الوفا ج١ ص ١٨٩ .

(١٧٢) الماوردي ص ١٤٦ .

(١٧٣) الماوردي ص ١٤٦ - ١٤٧ ، صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٧ ، ملتقى الأبحر

ص ١٧٥ .

(١٧٤) ابن مئتي ص ٢٥٨ ، ٢٧٩ ، صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٦ .

(١٧٥) ابن عبد الحكم ص ١٣٧ - ١٣٨ ، ابن مئتي ص ٣٣٨ .

(١٧٦) الماوردي ص ١٤٦ .

(١٧٧) الماوردي ص ١٤١ .

(١٧٨) فتوح البلدان ص ١٦٨ .

(١٧٩) صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٥ .

- (١٨٠) الخراج ج٣ ص ٧٩ .
- (١٨١) تاريخ بيروت ص ٨٠ .
- (١٨٢) السلوك ج١ ص ١٩٦ .
- (١٨٣) صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٠ .
- (١٨٤) صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٥ ، النجوم الزاهرة ج٣ ص ٤٩ ، ٢٦٨ .
- (١٨٥) ابن ماقى ص ٢٤١ .
- (١٨٦) ابن ماقى ص ٢٤١ .
- (١٨٧) مسالك الأبصار ج٢ ق ٣ ورقة ٣٧٦ - ٣٧٧ ، السلوك ج١ ص ٤٠٩ حاشية - ٢ ، تاريخ أبي الفداء ج٤ ص ٩٥ ، خطط ج١ ص ١٦٣ .
- (١٨٨) ابن ماقى ص ٣٠٨ .
- (١٨٩) صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٥ ، خطط ج١ ص ١٢٣ .
- (١٩٠) صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٥ .
- (١٩١) المقرئى : النقود الإسلامية ص ٣ (ذكر المقرئى أنواعا من الدراهم وزنة كل نوع منها : الدرهم الطبرى = ٨ دوانيق والدرهم البغلى = ٤ دوانيق ونصف . الدانق = $\frac{2}{8}$ حبة شعير متوسط لم يقشر بحيث يقطع من طرفها ما امتد (انظر أيضا الماوردى ص ١٤٧) .
- (١٩٢) النقود الإسلامية ص ٣ .
- (١٩٣) صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤١ .
- (١٩٤) النقود الإسلامية ص ٤٣ ، القلقشندى ج٣ ص ٤٤٠ .
- (١٩٥) النقود الإسلامية ص ٤ .
- (١٩٦) النقود الإسلامية ص ٥ .
- (١٩٧) يقال إنه وقع دينار ردىء من هذا النوع فى يد شيخ من الجند ، فجاء به إلى معاوية (النقود الإسلامية ص ٥) .
- (١٩٨) نفس المصدر ص ٦ .
- (١٩٩) نفس المصدر ص ٦ .
- (٢٠٠) ذكر الماوردى أن الحجاج كتب عليها (الله أحد الله الصمد) - انظر الأحكام السلطانية ص ١٤٨ ، النقود الإسلامية ص ٧ - ٨ .
- (٢٠١) النقود الإسلامية ص ٩ ، الماوردى ص ١٤٨ .
- (٢٠٢) النقود الإسلامية ص ٩ .
- (٢٠٣) النقود الإسلامية ص ١٠ - ١١ .
- (٢٠٤) النقود الإسلامية ص ١٢ .

- (٢٠٥) النقود الإسلامية ص ١٢ .
- (٢٠٦) النقود الإسلامية ص ١٣ .
- (٢٠٧) النقود الإسلامية ص ١٤ .
- (٢٠٨) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٤ ، النقود الإسلامية ص ١٥ ، ابن ماقى - ص ٣٣٨ - ٣٦٩ .
- (٢٠٩) انظر الفصل التاسع .
- (٢١٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٦٧ ، أنباء الغمر ج ١ ص ٦٦٥ - ٦٦٦ .
- (٢١١) انظر الفصل الثالث عشر .
- (٢١٢) بدائع الزهور ج ٣ ص ٥٩ .
- (٢١٣) سلاطين المماليك ص ٦١ .
- (٢١٤) إغاثة الأمة ص ٧٠ ، Description de L' Egypte, T. XVI P. 292
- (٢١٥) وزن الميثقال ٢٤ حبة خروب أو ٢٤ قيراطا أو من ٧٢ - ٨٤ حبة شعير .
- (٢١٦) الكرمل ص ٧٦ - ٧٧ و ١٥٦ و ١٦١ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٧٦ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٧٧ - ٧٨ ، أنباء الغمر ج ١ ص ٦٦٥ - ٦٦٦ .
- (٢١٧) أبطل السلطان سليم الفلوس العتق ٨٩٢٣ - ١٥١٧ م ، وطومان باى لما يزال إبانته يجالده بالصعيد ، و ضرب فلوسا جددا مطبوعة باسمه ، كل فلسين بدرهم (بدائع الزهور ج ٣ ص ١١٣)
- (٢١٨) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٤ ، الكرمل ص ١٦٨ .
- (٢١٩) السلوك ج ٢ ص ٢٠٦ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .
- (٢٢٠) السلوك ج ٢ ص ٢٠٥ .
- (٢٢١) السلوك ج ١ ص ٤٥ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٤٧ ، ٣٧٦ ، الكرمل ص ١١٧/١١٨ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .
- (٢٢٢) المراجع السابقة . Description p. 286
- (٢٢٣) الكرمل ص ٧٣ .
- (٢٢٤) الكرمل ص ٢٢ .
- (٢٢٥) الكرمل ص ٦٢ .
- (٢٢٦) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٠ - ٤٤١ .
- (٢٢٧) السلوك ج ٢ ص ٣٢٠ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢ .
- (٢٢٨) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٧٦ .
- (٢٢٩) انظر الفصل التاسع .
- (٢٣٠) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

- (٢٣١) سلاطين الماليك ص ٦١ ، بدائع الزهور ج ٣ ص ٢١٥ .
- (٢٣٢) السلوك ج ١ ص ٦٨ وحاشية - ٥ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤١ .
- (٢٣٣) الكرمل ص ١١٨ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٤ .
- (٢٣٤) انظر رقم - ١ من النقود .
- (٢٣٥) انظر رقم - ٥ .
- (٢٣٦) انظر رقم ١ و ٢ .
- (٢٣٧) انظر رقم ١ و ٢ من النقود .
- (٢٣٨) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٦ .
- (٢٣٩) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٦ ج ٢ ص ٣٧ .
- (٢٤٠) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٦ .
-

المراجع

القسم الأول

كتب الفقه والعلوم الدينية

١ - المخطوطات

١ - ابن رجب : (أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أبي العباس أحمد الحنبلي) .

كتاب الاستخراج لأحكام الخراج :

(تصوير شمسى رقم ٦٦ بدار الكتب المصرية) .

٢ - ابن عبد الغنى : (عبد الله الحنفى ، من علماء القرن الثالث عشر الهجرى) .

النور البادى فى أحكام الأراضى .

(فقه حنفى - مخطوط فى مجلدين رقم ٥٦٣ بدار الكتب المصرية) :

٣ - ابن على : (محمد الجعفرى الحنفى)

جواب على سؤال فى الأرض التى أقطعها السلطان أو أرض غيرها ،

إذا زرعها فلاح بطريق شرعى ، مقاسمة بالثلث أو الربع ، فهل يجوز

ذلك ؟ . (فقه حنفى - رقم ٤٨٤ مجاميع بدار الكتب) :

٤ - ابن نجيم : (زين الدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفى المصرى ت ٨٩٧٠هـ

١٥٦٣ م)

١ - رسالة التحفة المرضية فى الأراضى المصرية (رقم ٤٧٩ ، ٣٣٠

مجاميع بدار الكتب) :

ب - رسالة تتعلق بأحكام السياسة الشرعية (رقم ١١٦٠ بالدار .
ج - رسالة في بيان الإقطاعات ومحلها ومن يستحقها (رقم ٣٣ مجاميع
بالدار) .

٥ - السجستاني : (يوسف) :

كتاب المنية في الفقه والفتاوى (رقم ٤٤١ بالدار - غير مرقم الصفحات)

٦ - الرازي : (زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي الحنفي) :
منحة السلوك في شرح تحفة الملوك (مؤلف التحفة هو أبو بكر محمد
محمود العيني الحنفي) . (رقم ٧٢٤ بالدار) .

٧ - ملا خسرو : درر الحكم في شرح عذر الأحكام :
(فقه حنفي رقم ١٨٩ بمكتبة الحرم المكي الشريف) .
(المراجع الآتية مرتبة بحسب عناوينها لعدم وضوح أسماء مؤلفيها) :
٨ - التذكرة : (لأحد فقهاء الحنفية) :

« في تصرف السلطان في الأراضي والبلاد وغير ذلك .. » كتبت
في سنة ٨٦٦ هـ (١٤٦١ م) ورفعت إلى السلطان خشقدم الرومي ..
(رقم ٣٩١ مجاميع بالدار) .

٩ - « رسالة شريفة متعلقة بالجرايات والأطيان المرصدة من بيت المال ،
وعليها أجوبة أرباب المذاهب الأربعة ، ومتعلقة بطين الفلاحة والرزق
أيضاً » :

(رقم ٥٣٠ مجاميع بالدار - وقد عثرت على هذه الرسالة مطبوعة في
كتيب بعنوانها الصحيح ، بمكتبة الحرم المكي الشريف ، ونقلتها وأشرت
إليها في بحث عن التعريف ببعض مخطوطات مكتبة الحرم المكي -
نشر في مجلة الحج التي تصدر بمكة المكرمة في عدد رجب ١٣٧٣ هـ
مارس ١٩٥٤ م - انظر رقم ٤ بالمطبوعات) .

١٠ - شرح فرائض التاج : (فقه حنفي - رقم ٤٨٤ مجاميع بالدار) .

ب - المطبوعات

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - تفسير الجلالين (مصر ١٣٢١ هـ) .
- ٣ - ابن آدم : (يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموي ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م)
كتاب الخراج . (ليدن ١٨٩٥ م) .
- ٤ - ابن الصفتي : (الشيخ عيسى) :
عطية الرحمن في صحة أرصاد الجوامك والأطيان . (في مجلد طبع مصر
١٣١٤ هـ رقم ٣٥٦ بمكتبة الحرم المكي) .
- ٥ - ابن تاج الشريعة : (عبيد الله بن مسعود) :
كتاب مختصر الوقاية في مسالك الهداية (بنربورغ ١٨٩٥ م) .
- ٦ - ابن تيمية : (نقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ت ٧٢٨ هـ /
١٣٢٧ م) :
السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية . (مصر ١٣٢٢ هـ -
رقم ١١٠ بمكتبة الحرم المكي) .
- ٧ - ابن حجر : (الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٧ م) :
بلوغ المرام من أدلة الأحكام .
- ٨ - أبو السعود : (السيد محمد) :
حاشية أبي السعود المسماة : فتح الله المعين على شرح الكنز للعلامة معين
الدين محمد الهروي المعروف بملا مسكين (مصر ١٢٨٧ م) .
- ٩ - أبو يوسف : (يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي ت ١٨٢ هـ /
٧٩٨ م) :
كتاب الخراج (مصر ١٢٨٧ هـ رقم ١٥٢ بمكتبة الحرم المكي) :
١٠ - البيجوري : (الشيخ إبراهيم) :

حاشية البيجورى على شرح العلامة ابن قاسم الغزى على متن أبى شجاع
فى مذهب الشافعى (جزاءن - مصر ١٣٢٨ هـ) .

١١- الجردانى : (محمد بن عبد الله) :

الجواهر اللؤلؤية فى شرح الأربعين النووية (مصر ١٣٣٠ هـ) .

١٢- الحصفكى : (محمد علاء الدين ت ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م) :

كتاب شرح الدر المختار ؛

١٣- الحلبي : (إبراهيم بن محمد ت ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩ م) .:

ملتقى الأبحر (فرغ من تبييضه عام ٩٢٣ هـ) - (فقه حنفى - مصر

١٢٦٣ هـ) .

١٤- الحازن : (علاء الدين على بن محمد ، من علماء القرن الثامن الهجرى)

لباب التأويل فى معانى التنزيل (تفسير فى أربعة مجلدات - فرغ من

تأليفه ٧٢٥ هـ) ، (مصر ١٣٤٩ هـ) :

١٥- الخطيب : (شمس الدين محمد بن أحمد الشرينى ت ٩٧٧ هـ / ١٥٧٠ م)

شرح الخطيب المسمى : الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع (فقه شافعى -

جزاءن - مصر ١٣٤٤ هـ) :

١٦- السيوطى : (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ / ١٥٥٥ م) :

الآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة (مصر ١٣١٧ هـ) :

١٧- الشرقاوى : (الشيخ عبد الله بن حجازى المشهور بالشرقاوى) :

حاشية الشرقاوى على شرح التحرير للشيخ زكريا الأنصارى (فقه

شافعى فى مجلدين - طبع مصر ١٣٠٥ هـ) :

١٨- الشعرانى : (أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن على ت ٩٧٣ هـ /

١٥٦٥ م) .:

الميزان (فقه شافعى فى مجلدين ط مصر ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م)

١٩- الطورى : (محمد بن حسين بن على) :

تكملة البحر الرائق على كنز الدقائق (الجزء الثامن - مصر ١٣١١ هـ
١٨٩٣ م) .

(انظر رقم ٢٣ فيما يلي ...)

٢٠- الغزالي : (الشيخ علي بن أحمد بن نور الدين) :
السراج المنير بشرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير (مصر
١٣١٢ هـ) .

٢١- الغزالي : (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥ هـ /
١١١٠ م) .

كتاب إحياء علوم الدين (في مجلدين - مصر ٢٨٩ هـ و ١٣٤٨ هـ) :

٢٢- الكردي :

تنوير القلوب (فقه شافعي في مجلد) .

٢٣- النسفي : (حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) .

كنز الدقائق (في فروع الحنفية - طبع حجر بالهند رقم ٦٥ بمكتبة
الحرم المكي) .

٢٤- النووي : (محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين ت ٦٧٦ هـ /
١٢٧٧ م) :

أ - متن الأربعين حديثاً النووية (كتيب في ٣٢ صحيفة حديث
الطبع من غير تاريخ) .

ب - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (فرغ من تأليفه عام
٦٧٠ هـ) - (مصر ١٣٢٥ هـ) .

٢٥- بيمس : (الشيخ رضوان العدل) :

روضة المحتاجين لمعرفة قواعد الدين (مصر ١٣٢٣ هـ) .

- ٢٦- علي محفوظ : (الشيخ) :
الإبداع في مضار الابتداع (مصر ١٣٤١ هـ) .
- ٢٧- هيكل : (الشيخ منصور محمد هيكل الشرقاوى الشافعى) :
الكوكب الدرى الرفيع فى حل ألفاظه صلى الله عليه وسلم المسماة :
الجمال البديع على ساكن البقيع (مصر ١٣٤٣ هـ) .
- ٢٨- (وزارة الأوقاف - قسم المساجد) :
كتاب الفقه على المذاهب الأربعة (فى أربعة مجلدات - الجزء الثالث
قسم المعاملات - مصر ١٩٣٥ م) .

القسم الثانى

الكتب التاريخية والجغرافية

١ - المخطوطات

- ١ - ابراهيم الحنبلى^(١) :
شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب (رقم ٢٤٠٣١ بمكتبة جامعة القاهرة).
- ٢ - ابن أبى السرر (السيد محمد ت ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م) :
عيون الأخبار ونزهة الأبصار (فى مجلد رقم ٧٢ بدار الكتب) .
- ٣ - ابن الإخوة (محمد بن محمد بن أحمد ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م) :
معالم القربة فى أحكام الحسبة (مصور رقم ٢٤٠٥٢ مكتبة جامعة القاهرة) .
- ٤ - ابن الإمام (أبو العباس أحمد بن محمد البصراوى من علماء القرن الحادى عشر الهجرى) :
تحفة الأنام فى فضائل الشام (كتبه عام ١٠٠٣ هـ - رقم ١٦٤٣ بدار الكتب وغير مرقم الصفحات) .
- ٥ - ابن الفرات (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤ م) :
تاريخ الدول والملوك (فى ١٨ مجلدأ رقم ٣١٩٧ بدار الكتب) .
- ٦ - ابن الشحنة (محمد الدين أبو الفضائل محمد الحنفى ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) :
أ - روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر (ألفه فى عهد السلطان المؤيد شيخ ، للأمير محمد بن موسى نائب السلطنة بقلعة حلب) ،
(مجلد رقم ٤٥ بدار الكتب - غير مرقم الصفحات) .
ب - عهد للسلطان المؤيد بن إينال (فى مجلد رقم ٥٩ مجاميع بدار الكتب) .

- ٧ - ابن الشماخ (زين الدين عمر بن أحمد الحلبي ت ١٥٢٩/٨٩٣٦ م) :
عيون الأخبار فيما وقع لجامعه في الإقامة والأسفار (في مجلدين رقم
٥٧٠٥ بدار الكتب) .
- ٨ - ابن العميد (المكي جرجس أبو العباس بن العميد ت ١٢٧٣/٨٦٧٢ م) :
تاريخ المسلمين (١٤٥٥) (في مجلد مصور رقم ٥٠١ بدار الكتب (٢) :
٩ - ابن لياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت ١٥٢٤/٨٩٣٠ م) : ١
نزهة الأعمى في العجائب والحكم (في مجلدين رقم ٢٢٩٦٣ بمكتبة جامعة
القاهرة) .
- ١٠ - ابن بهادر (محمد بن محمد بن محمد ت ١٤٧٢/٨٨٧٧ م) :
فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر (جزءان مصور رقم ٢٦١٦٦ بمكتبة
جامعة القاهرة) .
- ١١ - ابن حبيب (الإمام الحسن بن عمر ت ١٣٧٧/٨٧٧٩ م) :
أ - جبهة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار : (رقم ٦١٠
بدار الكتب (٣) .
ب - حرة الأسلاك في دولة الأتراك (١٤٥٦) - (في ثلاثة مجلدات
مصورة رقم ٢٢٩٦١ بمكتبة جامعة القاهرة ورقم ٦١٧٠ بدار الكتب) :
١٢ - ابن حجر (الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢/٨
١٤٤٨ م) :
أ - أنباء الغمر بأبناء العمر (في مجلدين رقم ٤٢٧٦ بدار الكتب) :
ب - رفع الإصر عن قضاة مصر (في مجلد رقم ١٠٥ بدار الكتب) :
١٣ - (أحد تلامذة ابن حجر) :
تاريخ الأمير يشبك الظاهري ورحلته في آسيا الصغرى (اصطحب
المؤلف الأمير في رحلته زمن السلطان قايتباي) ، (مجلد مصور رقم
٢٥٩٢ بدار الكتب) :

- ١٤- ابن حجر (أحمد بن حجر الهيتمي) :
كتاب إخوان الصفا (في مجلد رقم ٢٧٦ بدار الكتب) .
- ١٥- ابن دقماق (غرس الدين إبراهيم بن محمد ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :
أ - نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (في مجلدين رقم ١٧٤٠ بدار الكتب)
ب - الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين (في مجلدين رقم ١٥٨٧ بدار الكتب) :
١٦- ابن سيد الناس (الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد ت ٥٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م)
عيون الأثر في فنون المغازي والشمايل والأثر (رقم ١٧٥ بدار الكتب) .
- ١٧- ابن شاكر (محمد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) :
عيون التواريخ (في مجلد مصور رقم ٩٤٩ بدار الكتب) :
١٨- ابن ظافر (الوزير جمال الدين أبو الحسن علي ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) :
أخبار الدول المنقطعة (رقم ٨٩٠ بدار الكتب) .
- ١٩- ابن قاضي شبة (١٤٥٧) (عبد الوهاب بن محمد ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م)
الإعلام بتاريخ أهل الإسلام (في مجلدين مصور رقم ٣٩٢ بدار الكتب) (٤)
٢٠- ابن منكلي (محمد بن منكلي الداعي من رجال القرن التاسع الهجري) :
التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية (ألفه للسلطان قايتباي سنة ٨٩٥ هـ) ، (في مجلد رقم ٣٦٣٣٧ بمكتبة جامعة القاهرة) .
- ٢١- أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :
أ - حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (في مجلدين رقم ٢٣٩٧ بدار الكتب وقد ذيل فيه على السلوك من ٨٤٠ هـ) .
ب - البحر الزاخر في علم الأوائل والأواخر (في مجلد رقم ٩٣٨ بدار الكتب) .
ج - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (١٤٥٨) :
(في ثلاثة محلدات رقم ١١١٣ ، ٢٣٥٥ بدار الكتب (٥)) :

- ٢٢ - أبو محمد (مصطفى بن حسن بن سنان بن أحمد الحسيني الهاشمي القرشي
ت ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م) :
البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر (في مجلدين رقم ٢ بمكتبة
الحرم المكي ^(٦)) .
- ٢٣ - الأسدى (محمد بن محمد ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م) :
كتاب التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار (في مجلد رقم ٥٤٨٦ بدار
الكتب) .
- ٢٤ - الجزرى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مجد الدين المعروف بالجزرى
الدمشقى ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) :
تاريخ الجزرى (في ثلاثة مجلدات مصور رقم ٩٩٥ بدار الكتب) .
- ٢٥ - الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي
ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :
أ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (وصل فيه إلى سنة
٧٠٠ هـ في ٣٤ مجلداً منها ٢٠ مجلداً مصورة رقم ٤٢ بدار الكتب) .
ب - ذيل تاريخ الإسلام (في خمسة مجلدات مصورة رقم ٣٩٢ بدار
الكتب) .
- ٢٦ - الرماح (بدر الدين بكتوت الرماح الظاهري - أحد رجال الحلقة
المنصورة) :
علم الفروسية وعلاج الدابة (في مجلد مصور رقم ٢٦٣٣٩ بمكتبة
جامعة القاهرة) .
- ٢٧ - الرماح (نجم الدين حسن) :
الفروسية والمناصب الحربية (في مجلد مخطوط رقم ٥٠ بمكتبة الحرم
المكي ، وقد قمت بنسخه وتصويره وترقيمه عام ١٩٥٤ م) .
- ٢٨ - الزكى المغربي الحنبلى من علماء القرن التاسع الهجرى (:

سبك النظائر وكسب الفاخر ونثر الدرر ونظم الجواهر : من سيرة أقباي (٧)
الأسدي الظافر (١٤٦٠) .

(مجلد مصور رقم ٢٥٩٤ بدار الكتب) .

٢٩- ~~مخطوط~~ طي : (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :
تاريخ الملك الأشرف قايتباي المحمودي الظاهري (مجلد رقم ١٥٥٩
بدار الكتب - غير مرقم الصفحات) .

٣٠- الصفدي (أبو الصفا صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) :
أعيان العصر وأعوان النصر (مجلدان رقم ٢٠٢ بمكتبة الحرم المكي -
غير مرقم الصفحات) .

٣١- العسكري (أبو هلال الحسين علي ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) :
الأوائل (فرغ من تأليفه عام ٣٨٩ هـ - رقم ٢٧٥٠ بمكتبة جامعة
القاهرة) .

٣٢- العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
مسالك الأبصار (في ستة أجزاء مصورة رقم ٥٥٩ بدار الكتب) .

٣٣- العيني (الشيخ بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني ت ٨٥٥ هـ /
١٤٥١ م - ١٤٦١ هـ^(٨)) :

السيف المهند في تاريخ الملك المؤيد (مجلد مصور رقم ١٥٨٥ بدار
الكتب) .

٣٤- القدسي (محمد أبو إسحاق الشافعي من علماء القرن التاسع الهجري) :
دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حكم الله الخفية
في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية (فرغ من تأليفه ٨٨١ هـ
ورفعه إلى الأمير يشبك الدوادار زمن السلطان قايتباي (في مجلد رقم
١٠٣٣ بدار الكتب) .

٣٥- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ت ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م) :

صبح الأعشى في صناعة الإنشا (نسخة في ٧ مجلدات مصورة
رقم ١٥١٩ بدار الكتب (٩) .

٣٦- المقدسى (محير الدين العليمى الحنبلى ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م) (١٤٦٢) :
الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل (١٤٦٣) (١٠) :

(مجلد رقم ٩ و ١٠ و ١١ بدار الكتب ورقم ١٢٢ بمكتبة الحرم المكى) :

٣٧- المقرئى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :
١ (السلوك لمعرفة دول الملوك (١٤٦٤) (فى أربعة مجلدات
رقم ٣٥٧٢ ورقم ٤٥٥ بدار الكتب) (١١) .

٢ (المقفى (فى أربعة مجلدات رقم ٥٣٧٢ بدار الكتب) .

٣ (الإعراب فى ذكر من بأرض مصر من الأعراب (فى مجلد
رقم ٥ / ٢٦٢٤٧ بمكتبة جامعة القاهرة)

٤ (إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع
(فى مجلد رقم ٨٨٦ بدار الكتب) .

٥ (كتاب الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك .

(فى مجلد رقم ٢٦٢٤٧ بمكتبة جامعة القاهرة - انظر رقم ٦٥
وفى المطبوعات) .

٦ (ضوء السارى فى خبر تميم الدارى (فى مجلد رقم ٢٦٢٤٧
بمكتبة جامعة القاهرة) .

٣٨- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :

نهاية الأرب فى فنون الأدب (فى ٣٠ جزءاً رقم ٥٤٩ بدار الكتب) :

٣٩- بيارس (اللوادار المنصورى ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م (١٢) :

التحفة الملوكية فى الدولة التركية (فى مجلد رقم ٢٤٠٢٩ بمكتبة جامعة
القاهرة) :

٤٠ - جان تمر (المملوك جان تمر من أركاس من طبقة الزمامية الملكى
الأشرفى) :

تذكرة الملوك إلى أحسن السلوك (رفعه إلى السلطان الغورى فى مجلد
رقم ٢٣٩٨ بدار الكتب) :

(المراجع الآتية مرتبة بحسب عناوينها لعدم وضوح أسماء مؤلفيها)

— تاريخ مصر لأحد أفاضل القرن العاشر الهجرى :

(فى مجلد رقم ٤٠٧٦ بدار الكتب) :

— تاريخ فى أشرف وأمراء مكة :

(فى مجلد رقم ٤٣ بمكتبة الحرم المكى) :

— حجة شراء أبى النصر طومان باى حصنة من أراضى ناحية سرس بالمنوفية
تاريخها ٩٠٦ هـ :

— حجة وقف الأشرف برسباى :

(فى مجلد غير مرقم الصفحات رقم ٣٣٩ دار الكتب) :

— حجة وقف إينال على مدرسته بتاريخ ٨٦٢ هـ :

— مرسوم بعض الملوك الصلاحية فى إلزام أهل الذمة بالشروط التى حددها
أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه . كتب
سنة ٧٥٥ هـ (فى مجلد رقم ٤٣١٤ بدار الكتب) .

ب — المطبوعات

١ — إبراهيم (مغلطاي) :

تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وأمرائها (ويشمل

من ٦٩٠ إلى ٧٤١ هـ) — طبع ليدن ١٩١٩ م .

٢ — ابن أبى الفضائل (المفضل القبطى المصرى) :

المنهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد (ويشمل من ٦٥٨

إلى ٧٤٩ هـ — وترجمة إلى الفرنسية — باريس ١٩١٢) :

٣ — ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) :

الكامل فى التاريخ — بولاق ١٢٧٤ هـ .

- ٤ - ابن الأخوة (محمد بن محمد بن محمد ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م) :
معالم القربة في أحكام الحسبة (نشره المستشرق الإنجليزي روبن لينى) .
- ٥ - ابن الجيعان (شرف الدين أبو البقاء يحيى ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م) :
أ - التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية في مجلد نشره موريتز - بولاق ١٣٩٦ هـ / ١٨٩٨ م .
ب - القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف قايتباى (فى مجلد طبع تورينو ١٨٧٨ م) .
- ٦ - ابن الداية : (أحمد بن يوسف النحاس - القرن الثالث الهجرى) .
الدر المكنون فى حلّ دولة بنى طولون (برلين ١٨٩٤ م) .
- ٧ - ابن الشحنة (قاضى القضاة محب الدين ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) :
الدر المنتخب فى مملكة حلب (طبع بيروت ١٩٠٩ م) .
- ٨ - ابن الشدياق (الشيخ ابن يوسف الشدياق الحلثى المارونى ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م) :
أخبار الأعيان فى جبل لبنان (بيروت ١٨٥٩ م) .
- ٩ - ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) .
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (فى ٨ أجزاء - مصر ١٣٥٠ هـ) .
- ١٠ - ابن الفرات (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) :
تاريخ الدول والملوك (المجلد التاسع فى جزئين نشر الدكتور قسطنطين بالجامعة الأمريكية ببيروت - سنة ١٩٣٦) .
- ١١ - ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) :
ذيل تاريخ دمشق (بيروت ١٩٠٨ م) .
- ١٢ - ابن القيم الجوزية (الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) :
أ - زاد المعاد فى هدى خير العباد (فى أربعة أجزاء - مصر ١٣٣٤ هـ) .

- ب- الفروسية الشرعية النبوية (في مجلد طبع مصر ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م
نشره السيد عزت العطار رقم ٧٠ بمكتبة الحرم المكي) .
- ١٣- ابن الوردي (زين الدين أبو حفص عمر ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) :
تمة المختصر في أخبار البشر (تذييل لأبي الفداء في المختصر - في مجلدين
مصر ١٢٨٥ م) .
- ١٤- ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م) :
بدائع الزهور في وقائع الدهور (في ثلاثة مجلدات - طبع بولاق ١٣١١ هـ
الجزء الناقص ويشمل من سنة ٨٥٧ إلى ٨٧٢ هـ نشره الدكتور محمد
مصطفى - طبع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥١ - الجزء
الرابع نشره الدكتور محمد مصطفى والمستشرق كاله - طبع استانبول
١٩٣١ . والجزء الخامس نشره الدكتور محمد مصطفى - القاهرة ١٩٦١)
- ١٥- ابن حجر (شهاب الدين ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) :
أ - الإصابة في تمييز الصحابة (في أربعة أجزاء في ثمانية مجلدات -
مصر ١٩٢٣ م) .
- ب- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (طبع حيدرآباد
سنة ١٣٤٨ هـ) .
- ١٦- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) :
كتاب المسالك والممالك (طبعه دي غويه - ليدن ١٨٨٩ م) .
- ١٧- ابن خلدون (عبد الرحمن ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) :
تاريخه المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر (مصر ١٢٨٤ م) .
- ١٨- ابن دانيال (محمد بن دانيال بن يوسف الموصلي ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) :
طيف الخيال (نشره جورج يعقوب ١٩١٠ م) .
- ١٩- ابن دقماق (غرس الدين إبراهيم بن أيدير العلاني ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :
الانتصار بواسطة عقد الأمصار (الجزء الرابع والخامس - مصر
١٣٠٩ هـ) .

- ٢٠- ابن سعد (أبو عبد الله محمد ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) :
الطبقات الكبرى (مصر ١٣٥٨ هـ) .
- ٢١- ابن سعيد الأنطاكي (يحيى ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) :
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق (بيروت ١٩٠٥ م) .
- ٢٢- ابن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ت ٨٧٢ هـ /
١٤٦٧ م (١٢) .
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (وهو مختصر كتابه كشف
الممالك - في مجلدين - طبع باريس ١٨٩٤ م) .
وقد نشره بول رافيس .
- ٢٣- ابن شداد (القاضي بهاء الدين ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) :
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (وفي ذيله منتخبات كتاب التاريخ
لصاحب حماة تأليف تاج الدين شاهنشاه بن أيوب) - مصر ١٣٤٦ هـ .
- ٢٤- ابن طباطبا (محمد بن علي) :
الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (مصر ١٩٣٨ م) .
- ٢٥- ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله ت ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) .
أ - فتوح مصر (ليدن ١٩٢٠ م) .
ب - سيرة عمر بن عبد العزيز (مصر ١٣٤٦ م) .
- ٢٦- ابن عبد الظاهر (محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ت ٦٩٢ هـ /
١٢٩٣ م) :
الألطف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية (وهي
سيرة السلطان خليل بن قلاوون) - طبع ليبسك .
- ٢٧- ابن عساكر (أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله ت ٥٧١ هـ /
١١٧٥ م) :
التاريخ الكبير (دمشق ١٣٣١ م) .

٢٨- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي القدسي
ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) :

أ - البداية والنهاية (في ١٣ جزءاً - مصر ١٣٤٨ هـ) .

ب- الاجتهاد في طلب الجهاد (ألفه الأمير منجك اليوسفي نائب
السلطنة بالشام - نشرته جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٣٤٧ هـ) .

٢٩- ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد ت ٤٢٠ هـ / ١٠٣٠ م) :

كتاب تجارب الأمم (ذيله الوزير أبو شجاع محمد بن الحسن الملقب
بظهر الدين الروذاوردي والمتوفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م إذ أضاف إليه
حوادث الفترة ٣٦٩ إلى ٣٨٩ هـ وتليه قطعة من تاريخ هلال الصابئ
إلى ٣٩٣ هـ - مصر ١٣٣٤ م) .

٣٠- ابن ممتي (القاضي الوزير شرف الدين أبو المكارم بن أبي سعيد
ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) :

كتاب قوانين الدواوين (نشره الدكتور عطية سوريال - مصر ١٢٩٩ م)

٣١- ابن هارون (الحسن بن عبدال بن محمد بن عمر بن هرون العباسي
من علماء القرن الثامن الهجري) :

آثار الأول في ترتيب الدول (في مجلد - طبع مصر ١٢٩٥ هـ -
ويوجد كذلك بهامش تاريخ الخلفاء للسيوطي المطبوع في مصر ١٣٠٥ هـ
وقد رفعه مؤلفه إلى السلطان بيبرس الجاشنكير) .

٣٢- ابن هشام (أبو عبد الله محمد عبد الملك ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) :

كتاب سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (القاهرة ١٣٣٢ م) .

٣٣- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧ هـ) :

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (جزءان - نشر الشيال - مصر

١٩٥٣ ، ١٩٥٧ م) .

٣٤- ابن يحيى (الأمير صالح بن يحيى بن الحسين أمير الغرب - من علماء

القرن التاسع الهجري) :

- تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحريين (نشره الأب لويس شيخو اليسوعي - بيروت ١٩٢٧ م) :
- ٣٥- أبو الفداء (إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :
- أ - المختصر في أخبار البشر ، ويعرف بتاريخ أبي الفداء (في أربعة مجلدات القسطنطينية ١٢٨٦ هـ) وفي مجموعة .
- ب - تقويم البلدان (درسدن ١٨٤٠ م) .
- ٣٦- أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغري بردى بن عبد الله الظاهري ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب - وصلت إلى الجزء الثاني عشر ١٩٥٦ م) وتقوم الآن لجنة بنشر الأجزاء الباقية بتكليف من وزارة الثقافة ؛ اشترك المؤلف فيها وأتم تحقيق الجزء الخامس عشر سنة ١٩٦٣ .
- ٣٧- أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن ت ٦٥٥ هـ / ١٢٦٧ م) :
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (مصر ١٢٨٧ م) .
- (يقوم بنشره الآن الدكتور حلمي بدار العلوم) .
- ٣٨- أرتين (يعقوب باشا) :
- الأحكام المرعية في شأن الأراضي المصرية (مصر ١٣٠٦ هـ) .
- ٣٩- الأصفهاني (الفتح بن علي البنداري من علماء القرن التاسع الهجري) :
- دولة آل سلجوق (مصر ١٣١٨ هـ) .
- ٤٠- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) :
- فتوح البلدان (مصر ١٣٥٠ هـ) .
- (طبعة حديثة صدرت لهذا الكتاب للدكتور المنجد بالجامعة العربية في ثلاثة أقسام بدأها عام ١٩٥٦ م) .
- ٤١- البلوي (أبو محمد عبد الله بن محمد الزيني) :
- سيرة أحمد بن طولون (نشره كرد علي - دمشق ١٣٥٨ هـ) .

- ٤٢- الجبرتي (عبد الرحمن) :
عجائب الآثار في التراجم والأخبار (مصر ١٣٢٢ هـ)
- ٤٣- الحريري (سيد علي الحريري) :
الأخبار السنية في الحروب الصليبية (مصر ١٩١١ م) .
- ٤٤- الحلبي (علي بن برهان الدين ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م) :
إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام :
(ويعرف بالسيرة الحلبية - مصر ١٢٩٢ هـ) .
- ٤٥- الحمزاوي (الشيخ حسن العلوي) :
مشارك الأنوار في فوز أهل الاعتبار (وبهامشه رسالة الصبان المعروفة
باسم : إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل بيته الطاهرين) -
مصر ١٣٠٣ هـ) .
- ٤٦- الخطيب (الحافظ أبو بكر أحمد علي الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ /
١٠٧٠ م) :
تاريخ بغداد أو مدينة السلام (مصر ١٣٤٩ هـ) .
- ٤٧- الدينوري (أحمد بن داود أبو حنيفة ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) :
الأخبار الطوال (مصر) .
- ٤٨- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) :
معيد النعم ومبيد النقم (مصر ١٣١٧ هـ) .
- ٤٩- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت ٩٠٢ هـ /
١٤٩٦ م) :
أ - الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع (في ١٢ جزءاً - مصر
١٣٥٤ هـ (١٤)) .
- ب - التبر المسبوك في ذيل السلوك (في مجلد - بولاق ١٨٩٦ م) .
- ٥٠- السمهودي (جمال الدين أبو المحاسن عبد الله ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (مصر ١٣٢٦ هـ) .

- ٥١- السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) :
الروض الأنف والمشروع الروي في تفسير ما اشتمل عليه حديث
السيرة واحتوى (مصر ١٣٣٢ هـ) :
- ٥٢- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :
أ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (مصر ١٣٢٧ هـ) :
ب - تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله (مصر ١٣٥١ هـ) :
(له ترجمة إنجليزية) :
- ٥٣- الصائبي (هلال أبو الحسن ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) :
تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (بيروت ١٩٠٤ م) :
- ٥٤- الصفدي (فخر الدين أبو عثمان النابلسي الصفدي كان يعيش في القرن
السابع الهجري) :
تاريخ القيوم وبلاده (مصر ١٣٠٦ هـ) .
- ٥٥- الصيرفي (تاج الرياسة أبو القاسم علي بن منجب ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) :
قانون ديوان الرسائل (نشره علي بهجت - مصر ١٩٠٥ م) .
- ٥٦- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) :
تاريخ الأمم والملوك (طبعة دي غويه - ليدن ١٨٨١ م) .
- ٥٧- العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
أ - التعريف بالمصطلح الشريف (مصر ١٣١٢ هـ) :
ب - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الجزء الأول - تحقيق أحمد
زكي باشا - مصر ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م) .
- ٥٨- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :
صبح الأعشى في صناعة الإنشا (في ١٤ مجلدات - طبع دار الكتب) :
- ٥٩- الكرمل (الأب أنستاس) ناشر :
النقود العربية وعلم النميات (مصر ١٩٣٩ م) :
- ٦٠- الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) :
كتاب الولاية والقضاة (مصر) .

٦١- الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصرى ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٧ م) :

الأحكام السلطانية (مصر ٢٩٨ هـ) :

٦٢- المقدسى (القاضى محير الدين أبو اليمن عبد الرحمن العليمى ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١ م) :

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (مصر ١٢٨٣ هـ) :

٦٣- المراكشى (محيى الدين أبو محمد عبد الواحد بن على التميمى) من علماء القرن السابع الهجرى :

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب (فرغ من إملائه ٦٢١هـ - مصر ١٣٣٢ هـ) .

٦٤- المقرئ (أحمد بن محمد ت ١٠٤١هـ / ١٦٣٣ م) :

نفع الطيب غصن الأندلس الرطيب (مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) :

٦٥- المقرئ (تقي الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١ م) :

١ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (نشر وتحقيق الدكتور زيادة - مصر ١٩٣٦ م وما بعدها) :

ب- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمصار (طبعة النيل فى ٤ مجلدات ١٣٢٤ هـ - طبعة بولاق فى مجلدين ١٢٧٠ هـ ونشر جاستون فييت G. Wiet ضمن مجموعة Memoirs وفى مجلدين ترجمة كاترمير Quatrimère

ج- البيان والإعراب عن بأرض مصر من الأعراب (جوتنجن) :

د - إغاثة الأمة بكشف الغمة (نشر زيادة والشيال - مصر ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠ م) :

هـ - رسالة فى النقود الإسلامية (القسطنطينية ١٢٩٨ هـ) :

و- كتاب الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك (نشر

الشيال - مصر ١٩٥٥) :

- ٦٦- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) :
نهاية الأرب فى فنون الأدب (نشر دار الكتب المصرية - وصلت إلى
الجزء الثامن عشر) .
- ٦٧- الهوارى (حسن محمد) :
رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية (مصر) .
- ٦٨- حسن إبراهيم (الدكتور) :
تاريخ الإسلام السياسى (ج ٢ - مصر ١٩٤٥) .
- ٦٩- دحلان (أحمد بن زينى دحلان ت ٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م) :
خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام (مصر - مكتبة الحرم المكى) :
- ٧٠- زامباور (المستشرق) :
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى (ترجمة المرحوم
الدكتور زكى حسن وآخرين - فى مجلدين - مصر ١٩٥١ م) .
- ٧١- زيادة (الدكتور محمد مصطفى) :
أ - بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ الممالك (مجلة كلية الآداب
م ٤ ح ١ مايو ١٩٣٦ م - ص ٧٩ - ٧٤) .
ب - المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى (مصر
١٩٤٩ م) .
ج - حملة لويس التاسع على مصر فى المنصورة (مصر ١٩٦١ م) .
- ٧٢- زينب العاملى (السيدة زينب بنت على بن حسين عبد الله العاملى السورية)
الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور (بولاق ١٣١ - م) .
- ٧٣- سيد أمير على :
مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى (ترجمة رياض وأفت - مصر
١٩٣٨ م) .
- ٧٤- طرخان (الدكتور إبراهيم على) :
١ - مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة - مصر ١٩٦٠

ب- المسلمون في فرنسا وإيطاليا (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة
١٩٦٤ م) .

٧٥- طه حسين :

الفتنة الكبرى - عثمان ج ١ (مصر ١٩٤٧ م) .

٧٦- طوسون (الأمير عمر) :

مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن (مصر ١٩٣١ م) .

٧٧- عبد الرازق الظاهر : الإقطاع والديوان في العراق (مصر ١٩٤٦ م)

٧٨- غربال (الأستاذ محمد شفيق) :

مذكرات في تاريخ التحرير الاقتصادي في أوروبا (معهد الدراسات
العليا ١٩٤٧ م) :

٧٩- فشر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (ترجمة زيادة والعدوى)
(مصر ١٩٤٢) .

٨٠- كرد علي (محمد) :

الإسلام والحضارة العربية (مصر ١٣٤٥ هـ / ١٩٣٦ م) .

٨١- كوبلاند (جورج) :

الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا (ترجمة الدكتور زيادة -
مصر ١٩٤٦ م) .

٨٢- كوبلاند وفينو جرادوف :

الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا (ترجمة الدكتور زيادة -
مصر ١٩٥٨ م) :

٨٣- مشرفة (الدكتور عطية مصطفى) :

نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين (مصر ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م) :

٨٤- مكسيموس :

تاريخ الحروب المقدسة المدعوة حرب الصليب (ترجمه عن الفرنسية
كيريو كيريو مكسيموس مظلوم - أورشليم ١٨٦٥ م) :

٨٥- هيكل (الدكتور محمد حسين) :

حياة محمد (مصر ١٩٤٧ م) :

٨٦- ولفنسون (أبو فؤيد) :

تاريخ اليهود في بلاد العرب (مصر ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م) :

القسم الثالث

المعاجم والمجلات

أ- المعاجم :

- ١ - أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد .
- ٢ - الأعلام للزركلي .
- ٣ - الدليل الجغرافي (مصلحة المساحة) .
- ٤ - الذيل على المعاجم العربية لدوزي .
- ٥ - أساس البلاغة للزنجشري .
- ٦ - القاموس التركي .
- ٧ - القاموس الجغرافي لمؤلفه محمد رمزي (طبع دار الكتب من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٨ م) .
- ٨ - القاموس الفارسي .
- ٩ - القاموس المحيط للشيرازي .
- ١٠ - القاموس المحيط للفيروزابادي .
- ١١ - تاج العروس من جواهر القاموس .
- ١٢ - تاج اللغة للهوريني .
- ١٣ - دائرة المعارف الإسلامية .
- ١٤ - دائرة المعارف للبستاني .
- ١٥ - قاموس جغرافي للقطر المصري لإدارة التعداد بنظارة المالية (١٨٩٩ م) ،
- ١٦ - كتاب الجبال والأمكنة والمياه للزنجشري .
- ١٧ - لسان العرب لابن منظور .

- ١٨- محيط المحيط .
١٩- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لياقوت، وهو عبارة
عن تلخيص لمعجم البلاد .
٢٠- معجم البلدان لياقوت :

ب - المجلات :

- ٢١- مجلة التمدن الإسلامى (م ١٢ الجزءان ٣٦ ، ٣٧ - صفر ١٣٦٦ هـ) :
(عدد خاص بالاشتراكية الإسلامية)
٢٢- مجلة الرسالة العدد الممتاز رقم ٣٠٠ فى ٣ مارس ١٩٤١ م .
بحث عن الرنوك للدكتور محمد مصطفى ص ٢٦٨ - ٢٧١ .
٢٣- مجلة المستمع العربى (مقال عن الإقطاع فى الشرق) .
٢٤- مجلة كلية الآداب (مايو ١٩٣٦ م) .

هوامش المراجع العربية

- (١) تحقيق اسم المؤلف للدكتور محمد مصطفى زيادة (مجلة المجمع العلمي بدمشق ج ٦٣ ج ٤ في مقال عنوانه : الشاميون والتاريخ - أبريل ١٩٤٣ م) .
- (٢) انظر رقم ٢ في المطبوعات فيما يلي .
- (٣) ورد عنوان هذا الكتاب أحيانا باسم « درة الأسلاك في ملك الأتراك » « الأعلام » .
- (٤) ابن قاضي شعبة نسبة إلى شعبة والسويداء بالشام (عن الصفدي) .
- (٥) تقوم دار الكتب الآن بنشره ، وقد نشرت الجزء الأول منه .
- (٦) ورد اسم هذا الكتاب « العيلم الزاخر في الأوائل والأواخر » (الأعلام) .
- (٧) أقباي هذا هو ابن عبد الله الطويل والى غزة والأعمال الساحلية على عهد قايتباي .
- (٨) المنيى أصله من حلب ومولده في عينتاب ، فنسب إليها ، ولى الحسبة في مصر بعد المقرئ وصار مقربا من المؤيد (الأعلام) .
- (٩) انظر رقم : ٥٨ من المطبوعات .
- (١٠) توجد نسخ مطبوعة لهذا الكتاب في نسخة في مجلدين تحت أرقام ١٠ ، ١١ « ٨٣٩ ، ٨٦٣ بدار الكتب وتحت رقم ١٢٢ بمكتبة الحرم المكي ^١ .
- (١١) القسم الثاني من مخطوطة السلوك يوجد بمكتبة الحرم المكي ويبدأ من سنة ٥٧٦٢ هـ وينتهي سنة ٨٨٤٤ هـ أي قبل وفاة المؤلف بستة وهو خط نسخ جميل عليه آثار القدم (انظر المطبوعات) .
- (١٢) المنصوري نسبة لسلطان المنصور قلاوون ، وقد شغل المؤلف وظيفة نيابة السلطنة زمن الناصر محمد بن قلاوون ^٢ .
- (١٣) ابن شاهين أمير مصرى من أولاد الناس ولى حكم الإسكندرية فترة ، وتولى إمارة الحج سنة ٨٤٠ هـ - ١٤٧٦ م زمن الملك برسباي ، كما تولى إمارة الكرك وصفد وغيرها .
- (١٤) لهذا الكتاب مختصر يسمى : البدر الطالع مختصر الضوء اللامع لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن محمد المتوفى المتوفى ٩٣١ هـ (الأعلام) .

القسم الرابع

المراجع الأجنبية

- 1.—Abel, Le R.P.P. : Géographie de la Palestine, 2 Vol., Paris, 1936-1938.
- 2.—Abody, J.T. : Feudalism, Its Rise, Progress and Consequence, Lond., 1890.
- 3.—Albon, Marquis d' : Cartulaire Général de l'Ordre du Temple, 1119-1150, Paris, 1913-1922.
- 4.—Barker, E. : The Crusades, Lon., 1929.
- 5.—Boissonnade, P. : Du Nouveau sur La Chanson de Roland, Paris, 1923.
- 6.—Boutaric, E. : Le Régime Féodal, Son Origine et son Etablissement et particulièrement de l'immunité (R. Q. H. T. XVIII, 1875).
- 7.—Bréhier, L. : L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, Paris, 1921.
- 8.—Brooke, Z.N. : A History of Europe, 911-1198, Lond., 1928.
- 9.—Cahen, cl. : La Syrie du Nord à l'époque des Croisades, Paris, 1940.
- 10.—Calmette, J. : La Société Féodale, Paris, 1927.
- 11.—Cartellieri, O. : The Count of Burgundy (Studies in History of Civilization), Lond., 1929.
- 12.—Chalandon, F. : Histoire de la Première Croisade, Paris, 1925.]
- 13.—Chew, H.M. and Latham, L.C. : Europe in the Middle Ages, 814-1494, Lond., 1930.
- 14.—Conder, C.R. : The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099-1291, A.D., Lond., 1897.
- 15.—Davies, R.H.C. : A History of Medieval Europe, Lond., 1958.

- 16.—Davies, R.T. : Documents Illustrating the History of Civilization in Medieval England, 1066-1500, Lond., 1936.
- 17.—Deanesly, M. : A History of Early Medieval Europe, 476-911, Lond., 1956.
- 18.—Delaville Le Roulx, (J.) : 1 - Les Hospitaliers en Terre Sainte et à Chypre, Paris, 1904. 2 - Cartulaire Général de l'Ordre des Hospitaliers de Saint-Jean de Jerusalem, Paris, 1894-1906, 4 vol.
- 19.—Deschamps, P. : Les Chateaux des Croisés en Terre-Sainte, Paris, 1934.
- 20.—Dodu, G. : Histoire des Institutions monarchiques dans le Royaume Latin de Jerusalem, Paris, 1894.
- 21.—Dow, E.W. : Feudal Regime, N.Y., 1902.
- 22.—Dozy, R.P.A. : Histoire des Musulmans d'Espagne, Leiden, 1932.
- 23.—Dussaud, R. et (autres) : La Syries Antique, Médiévale Illustrée, Paris, 1931.
- 24.—Dutaillis, C.P. : The Feudal Monarchy in France and England in the 10th to the 11th Century, Lond., 1936.
- 25.—Evans, J. : Life in Medieval France, Oxf. 1929.
- 26.—Eyre, E. (Edit.) : European Civilization, Its Origins and Development, Oxf., 1935.
- 27.—Fisher, H.A.L. : A History of Europe, Lond., 1930.
(انظر رقم ٧٨ بالمراجع العربية)
- 28.—Ganshoff, F.L. : Feudalism, Lond., 1950.
(ترجم الدكتور حسن حبشي هذا الكتاب حديثاً)
- 29.—Goubert, P. : Byzance avant l'Islam, Paris, 1951.
- 30.—Grousset, R. : Histoire des Croisades et du royaume France de Jerusalem, Paris, 1931-1936.
- 31.—Guilhiermoz, P. : Essai sur l'origine de la Noblesse en France au Moyen Age, Paris, 1902.
- 32.—Hagenmeyer : Chronologie de la Première Croisade, Paris, 1902.

- 33.—Helen, G. : Rural Conditions in the Kingdom of Jerusalem during the 12th and 13th Centuries, Philadelphia, 1903.
- 34.—Huart, C. : Histoire des Arabes, Paris, 1912.
- 35.—Jarret, Major H. S., (Translator) : History of the Caliphs by Siouty, Calcutta, 1891.
- 36.—La Monte, J.L. : (1) Chronologie de l'Orient Latin, Paris, 1906, 2 Vol. (2) Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100-1291, Cambr. Mass., 1932.
- 37.—Lane-Poole, St. : The Muhammadan Dynasties, Paris, 1925.
- 38.—Lot, F. : (1) The End of the Ancient World and the Beginning of the Middle Ages, Lond., 1931. (2) Les Invasions Germaniques, Paris, 1935.
- 39.—Malcolm, J. : History of Persia, Lond., 1829.
- 40.—Mayer, L. A. : (1) Mamluke Costume, Geneve, 1932. (2) Saracenic Heraldry, Lond., 1933.
- 41.—Muir, W. : The Mamluke or Slave Dynasty of Egypt, 1250-1517, Lond., 1896.
- 42.—Munro, D.C. : The Kingdom of the Crusaders, N.Y., 1936.
- 43.—Nizam Al Mulk : Siasset Nameh. (Trad. Ch. Schefer, Paris, 1891-1893).
- 44.—Orton, P. : (1) Outline of Med. History, Cambr., 1942. (2) A Hist. of Europe from 1198 to 1378, Lond., 1951.
- 45.—Painter, S. : A History of the Middle Ages, N.Y., 1954.
- 46.—Poliak, A. N. : (1) Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and Lebanon, 1250-1900, Lond., 1939. (2) The Ayyubid Feudalism (J.R.A.S., 1939). , ~~██████~~ ~~██████~~.
(J.R.A.S., 1939). (3) Les Revoltes Populaires en Egypte à l'Epoque des Mamlukes et leur causes Economiques (Extrait de la revue des Etudes Islamiques, 1934)
- 47.—Quatrimère, M., (Traducteur) : Hist. des Sultans Mamluks par Makrizi, Paris, 1837.
- 48.—Reid, J. S. : The Municipalities of the Roman Empire, Cambr., 1918.

- 49.—Rey, E.G. : Les Colonies Franques en Syrie aux XIIe et XIIIe siècles, Paris, 1833.
- 50.—Richard, J. : (1) Le Comité de Tripoli sous la dynastie Toulousaine, Paris, 1945. (2) Le Royaume Latin de Jerusalem Paris, 1953.
- 51.—Risler, J.C. : La Civilization Arabe, Paris, 1955.
- 52.—Runciman, S. : (1) Byzantine Civilization, Lond., 1948. (2) A History of the Crusades, 3 Vol., Lond., 1954.
- 53.—Sanaullah, M. Fadil : The Decline of the Seljuqid Empire, Calcutta, 1936.
- 54.—Schlumberge, G. : Renaud de Chatillon, Prince d'Antioch, Seigneur de la Terre d'Outre Jourdain, Paris, 1933.
- 55.—Sée, H. : Les Classe rurales et le régime dominal en France au Moyen Age, Paris, 1901.
- 56.—Seignobos, M.C. : L'Europe Féodale (H.G.T. II), Paris, 1893.
- 57.—Setton, K.M. (Editor-in-Chief) : A History of The Crusades
 Vol. I : The First Hundred Years, edited by Marshall W. Baldwin, Philadelphia, 1955.
 Vol II. : The Later Crusades, 1189-1311, edited by Robert Lee Wolf.
 Vol. III : The Fourteenth and Fifteenth Centuries, edited by Harry W. Hazard.
 Vol. IV : Civilization and Institutions, edited by Jeremiah O'Sullivan.
 Vol. V : Influence and Consequences, with Genealogies and Bibliography, edited by Gray C. Boyce.
- 58.—Sobernheim, M. : Ikt'a (Enc. of Islam, Vol. II), Leyden, 1927.
- 59.—Stenton, F.M. : The Firs Century of English Feudalism, 1066-1166, Oxf., 1932.
- 60.—Stephenson, C. : Medieval Feudalism, N. Y., 1942.
- 61.—Stevenson, W.B. : The Crusaders in the East, Cambr., 1907

- 62.—Stuart, D. M. : Chivalry and Social Life in the Middle Ages, Lond., 1927.
- 63.—Stubbs, W. : Select Charters, Oxf., 1921.
- 64.—Tousson, O. : La Géographie de l'Egypte à l'Epoque Arabe, Le Caire, 1928.
- 65.—Vinogradoff, P. : (1) Feudalism (C. Med. H. Vol. III).
(2) Villainage in England, Oxf., 1892. (3) English Society in the 11th Century, Oxf., 1908. (4) The Growth of the Manor, Lond., 1911.
- 66.—Wiart, R. : Essai Sur la Precaria, Paris, 1894.
- 67.—Wiet, G. : (1) Catalogue du Musée Arabe, "Lampes et Bouteilles verre Emeillé", Le Caire, 1929.
(2) L'Egypte Arabe (Hist. de la Nation Egyptienne, T. I), Paris, 1937.
- 68.—Ya'coub Artin : Contribution à l'Etude du Blason en Orient, Lond., 1902.

المحتوى

صفحة

مقدم : ناستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة	٦-٥
مدخل	١٥-٧

الفصل الأول

الإقطاع في بلاد الشرق الأوسط

الدولة البويهية والإقطاع الحربى - السلاجقة والإقطاع الحربى -
مقارنة بين نظام الملك والملك وليام الفاتح - التوزيع الإقطاعى
الحربى بين أمراء الجيش السلجوقى - إقطاع قسم الدولة آق
سنقر - التوزيع الإقطاعى بين أبناء الأسرة السلجوقية المالكة -
الدولة الزنكية والإقطاع الحربى - إقطاعات نجم الدين
وأسد الدين فى الدولة الزنكية - الدولة الأيوبية والإقطاع
الحربى - توزيع أراضى مصر لأول مرة إقطاعات بين السلطان
وأمرائه وأجناده - بعض إقطاعات أمراء البيت الأيوبى -
بعض إقطاعات الأمراء والأجناد - خلفاء صلاح الدين
والتوزيع الإقطاعى الحربى - الصالح نجم الدين أيوب وإنشاء
فرقة المماليك البحرية الصالحية - الدويلات الصليبية بالشام
والإقطاع الأوربى - مدى سريان الإقطاع فى بلاد الشرق
الأوسط

٥٨-١٧

الفصل الثانى

السلطين الممالك والإقطاع

الأرض للسلطان وجنوده - أقسام الأراضى - القاعدة العامة
 فى التوزيع الإقطاعى - الأسباب العامة فى التوزيع الإقطاعى :
 تغير السلطان - عرض الجيش - الحاجة إلى المال وحل بعض
 الأوقاف الإسلامية والذمية وإقطاعها - اتساع رقعة الأرض -
 إقطاع التملك . الأسباب الثانوية فى التوزيع الإقطاعى - قدم
 لاجئ سياسى - هواية السلطان وشرهه - المراعى والمعادن
 وإقطاعها - إقطاع المكوس - إقطاع الهدية والضيافة والزكاة -
 الجزية وإقطاعها ٩٠-٥٩

الفصل الثالث

الروك

إعادة التوزيع الإقطاعى العام وعوامله : العامل المالى
 والاجتماعى - العامل الاقتصادى - العامل السياسى - أشباهه
 فى الغرب الإقطاعى - عملية الروك : الفحص النظرى والقياس -
 تفصيل أنواع الأراضى - القائمون بهذه العملية فى عصر
 الممالك - التعديلات المختلفة بمقتضى الروك : فى قاعدة
 التوزيع الإقطاعى العامة - فى العبرة - فى نوع الإقطاع
 وأماكنه - النظائر فى الغرب - تحويل السنة الحراجية.. ... ١١٤-٩١

الفصل الرابع

الأوراق التى تصدر بصدد التوزيع الإقطاعى

الإدارة الإقطاعية : ديوان الجيش وتسجيل البيانات -
 الأوراق التى يصدرها ديوان الجيش : المثال - المربعة . ديوان

الإنشاء والأوراق التي تصدر عنه : المنشور الإقطاعي وكيفية	
صدوره - رتب المناشير - المناشير الطارئة - طريقة كتابة	
المنشور - توقيع السلطان بعلامته - الطغرى السلطانية وموضعها	
من المنشور - تحليل المناشير - حفل توزيع البراءات الإقطاعية	
في مصر وخارجها - الجريدة الإقطاعية - الإفراج عن	
الإقطاعات	١٤٠-١١٦

الفصل الخامس

أرباب الإقطاع

رجال السيف : السلطان وأبناؤه وإقطاعاتهم - الجيش	
المملوكي وأقسامه : الحلقة وإقطاعاتها - الممالك السلطانية	
وجوامكهم والجهات المخصصة لها - نظائر هذه الطائفة في	
الإقطاع الغربي - ممالك الأمراء وإقطاعاتهم - العربان	
وإقطاعاتهم - التركمان والأكراد وإقطاعاتهم - رتب الجيش	
المملوكي وعبرة إقطاع كل رتبة أو إمرة - نظام الترقية -	
أرباب الإقطاع من غير رجال السيف : بعض رجال القلم -	
أرباب الحرف	١٨٤-١٤١

الفصل السادس

الواجبات والحقوق الإقطاعية

دراسة الواجبات والحقوق الإقطاعية من الجانبين الأدبي	
والمادى - يمين الولاء للسلطان القائم والزيادات المناسبة فيه -	
الوصايا - مدى الوفاء وحوادث الخنث ونظائرها في الغرب .	
أعمال الدرك ومهمة العربان والتركمان - خيول البريد -	
الالتزام المالى - مساهمة المقطعين في الأعمال العامة - التقادم	

العامة والطارئة - حقوق صاحب الإقطاع : الألقاب والمكاتب	
التكريمية وشارات التشريف والطبول التي تدق بباب كل أمير	
بحسب مرتبته - الوظائف التي تؤهل لها إمرات أصحاب الإقطاع -	
الإطلاقات والمخصصات - نفقات سلطانية أخرى لحائري	
الإقطاعات - المسامحات	٢٢٨-١٨٥

الفصل السابع

الإدارة المحلية للإقطاعات

خصائص الإدارة المحلية وما يميزها عن قرينتها في الإقطاع	
الغربي - إجراءات التسليم للإقطاع - محضر التسليم ومحتوياته -	
فحص أراضي الإقطاعات - توزيع البذور على الفلاحين -	
قوانين الفلاحة - المقاسمة والإيجار - البحوث الفقهية حولها -	
اختلاف قيمة الإيجار - الأراضي المضمنة والمفصولة في	
الإقطاع بين الشرق والغرب - طرق الزراعة ونظام الحقلين -	
الرى وتنظيمه والحسور السلطانية والبلدية والترع - ربط	
الخراج ونوعه - أنصبة الفلاحين - نظام استغلال الفلاحين	
للمراعى المقطعة - تخزين المحاصيل في الشون والأهراء -	
الفلاح والقرن في الشرق والغرب... ..	٢٦٠-٢٢٩

الفصل الثامن

المناقلات الإقطاعية

الخصائص الجوهرية في مناقلات الإقطاع وسلطة ولي الأمر ،	
بين الشرق والغرب - الصور المختلفة لانتقال الإقطاع : انتقال	
إقطاع السلطنة أو الخاص الشريف لكل سلطان جديد -	
مناقلات عامة يجريها السلطان لعوامل سياسية - مناقلات	

خاصة تم بين المقطعين أنفسهم بالمقايضات أو التنازل أو البيع
 نظير مبالغ من المال - ديوان البدل ومهمته في هذا الصدد -
 المهيسون - الأوراق التي تكتب بصدد المناقلات الإقطاعية -
 تغير حالة الإقطاع نفسه - زيادة الإقطاع أو انتقاصه -
 الطرخانيات وصورها - الغزل عن الإقطاع - البطالون -
 الانتقال بعد الوفاة ونظام الوراثة في الشرق والغرب -
 المحلولات من الإقطاعات وإقطاعها - المحاسبات عند الإقطاع -
 الحلوان في الإقطاع المملوكي ونظيره في الغرب ٢٦١-٢٩٤

الفصل التاسع

المجتمع الإقطاعي

خصائص المجتمع الإقطاعي - طبقاته - وصف الحياة الخاصة
 للطبقة الأولى : السلطان في آدرة الشريفة - حريم السلطان
 وأبنائه - من صور البذخ الإقطاعي - ملحقات القصر
 السلطاني وهي البيوتات ، من شرايخانه وطشتخانه ونحوهما -
 الأمراء في قصورهم وروعة مجالسهم ومواكبهم - الطبقة
 الثانية وهي طبقة رجال القلم ومنزلتهم - نظرة التبرك بهم
 وتمييز الأشراف بزي معين - استشارة السلاطين لهم . أرباب
 الحرف وطوائفهم المختلفة من بياض العامة إلى الخرافيش
 أو الزعر أو العياق - استئداء أولى الأمر لهم في الفتن -
 الثورات الشعبية - الأزياء المميزة لكل طبقة - أزياء أهل
 الذمة - أزياء النساء - وسائل التسلية - الأعياد والحفلات
 العامة والخاصة - التعليم ونظرة المالك له - أحداث
 الأغنية والأوبئة ووسائل علاجها - جرائم المجتمع الإقطاعي

المملوكى . وسائل العقاب من تعذيب وتجريس وتوسيط -
مظاهر الكراهة بين العرب والمماليك وأثرها - بعض جرائم
أخرى - نظام القضاء ٢٩٥-٣٨١

الملاحق

القسم الأول

١ - بعض ما كان يكتب فى أوراق التوزيع الإقطاعى

أولاً : - الدولة النورية :

١ - منشور نور الدين محمود الملك العادل لكرامة بن بختر ٣٨٥

ثانياً : - الدولة الأيوبية :

١ - منشور صلاح الدين لجمال الدين بن حجب بن

كرامة بن بختر ٣٨٦

٢ - نسخة توقيع بإقطاع العادل أبى بكر كتبها له صلاح

الدين الأيوبى سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) ٣٨٦-٣٨٩

٣ - نسخة توقيع بإقطاع كتب بها الأمير طراً على الدولة

الأيوبية ، ودخل فى خدمتها ٣٩٠-٣٩١

٤ - نسخة توقيع بإقطاع فى العهد الأيوبى لأحد الأمراء

الصغار ، وهى أقل مرتبة من النوعين السابقين ٣٩١-٣٩٣

٥ - منشور من الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز سلطان

دمشق ، لجمال الدين حجب بن نجم الدين محمد بن

حجب أحد أمراء الغرب فى ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م ٣٩٣

ثالثاً : - المغول :

١ - منشور هولاكو إلى جمال الدين حجب المذكور

سابقاً فى ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ٣٩٤

رابعاً : - عصر المماليك :

أ - الإيمان :

١ - نسخة يمين شريف يستحلف بها للمبايعة العامة

وتتضمن الولاء للسلطان والطاعة وأداء الالتزامات

الواجبة... .. ٣٩٥-٣٩٦

٢ - الزيادات التي تضاف إلى هذه اليمين :

نواب القلاع ٣٩٦-

الدوايرية وكتاب السر ٣٩٧-٣٩٨

النواب... .. ٣٩٨

ب - الوصايا :

وصية نائب السلطنة ٣٩٩

» أستاذ الدار أو الأستاذار ٣٩٩

» مقدم المماليك ٤٠١

» أمير آخور ٤٠٢

» أمير عرب ٤٠٤

» مقدم الأكراد ٤٠٥

» مقدم التركمان ٤٠٦

» والى حرب ٤٠٧

» أتابك المجاهدين وهو رئيس طائفة الإسماعيلية... ٤٠٨

ج - القصص :

قصة تظلم بسبب الإقطاع ٤١٠

د - المناشير الإقطاعية

النوع الأول من المناشير :

أ - مناشير أولاد الملوك

١ - نسخة منشور كتب بها عن الملك المنصور قلاوون

٤١١ إلى ابنه الناصر محمد... ..

ب - مناشير الأمراء مقدمي الألف : :

١ - نسخة منشور للأمير بيدرا أستاذار الملك المنصور قلاوون ٤١٢

٢ - نسخة منشور للأمير سعد الدين بن الخطيرى ... ٤١٣

٣ - نسخة منشور لعلاء الدين أيدغمش أمير آخور الناصر

محمد ٤١٤

٤ - نسخة منشور للأمير شمس الدين سنقر ... ٤١٦

٥ - » » » خاص ترك ... ٤١٧

٦ - » » » جمال الدين آقوش ... ٤١٨

نماذج مناشير أصحاب الألقاب المختلفة من مقدمي الألف :

٧ - نسخة منشور لمن لقبه سيف الدين... .. ٤٢٠

٨ - نسخة منشور لمن لقبه شمس الدين... .. ٤٢١

٩ - نسخة منشور لمن لقبه صلاح الدين ... ٤٢٣

مناشير أمراء الطبلخاناه :

١ - نسخة منشور كتب بها لبعض الأمراء ... ٤٢٤

٢ - نسخة منشور لمن لقبه زين الدين ... ٤٢٥

٣ - نسخة منشور لمن مات أبوه... .. ٤٢٦

النوع الثاني من المناشير :

أ - مناشير أمراء العشرات

١ - نسخة منشور للأمير عشرة ... ٤٢٧

٢ - » » » » ... ٤٢٧-٤٢٨

صفحة

ب - مناشير أبناء الأمراء الذين أمروا في حياة آبائهم :

ثلاث نسخ لمناسير من هذا النوع ٤٢٨-٤٣١

النوع الثالث من المناشير :

١ - منشور لأمر عرب ٤٣٢

٢ - مناشير آل تنوخ ٤٣٣-٤٣٧

ج - من كتب إقطاع التملك :

١ - مكتوب جامع بالتمليك لبعض أمراء الظاهر بيبرس ٤٣٨-٤٤١

٢ - ملخص تقليد بتمليك قلعة الصبيبة للأمر بدر الدين

بيدرا زمن السلطان خليل بن قلاوون ٤٤١-٤٤٢

د - بعض أوراق التنظيم الإقطاعي :

١ - خلاصة مرسوم شريف بإخراج المعرة وضواحيها عن

حماه وإضافتها إلى حلب ٤٤٣

٢ - ملخص نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية إلى العربية

أو السنة الخراجية إلى الهلالية ، زمن السلطان حسن ٤٤٤-٤٤٥

٣ - ملخص نسخة تذكرة سلطانية تكتب لنائب السلطنة

عند سفر السلطان إلى خارج البلاد ٤٤٦-٤٥٠

هـ - المسامحات :

١ - ملخص نسخة مرسوم شريف بالمسامحة بالبواقي في ذمم

الجند والرعايا بالشام زمن الناصر محمد ٤٥١

٢ - نسخة مسموح عن الناصر محمد للأمير بكتاش الفخرى ٤٥٢

٣ - ملخص نسخة مسامحة بمكوس على جهات مستقبحة

بالمملكة الطرابلية - زمن الناصر محمد ٤٥٢

و - من كتب المناقلات الإقطاعية :

« طرخانيات أرباب السيوف »

١ - نسخة مرسوم شريف بطرخانية لأمر من المرتبة الأولى ٤٥٥

٢ - نسخة مرسوم طرخانية من المرتبة الثانية ... ٤٥٧

« طرخانيات أرباب الأقلام »

٣ - نسخة طرخانية عن الناصر محمد للقاضي قطب الدين

ابن المكرم أحد كتاب الدرج ... ٤٥٨

ز - كتب مختلفة :

١ - ملخص تقليد من الناصر محمد بتولية المؤيد اسماعيل

أبي الفداء نيابة السلطنة بحماه ... ٤٦٠

٢ - ملخص مرسوم بعض الملوك الصلاحية في إلزام أهل

الذمة بالشروط الشرعية التي حددها أمير المؤمنين

سيدنا عمر بن الخطاب ... ٤٦١

٣ - نسخة طغرى السلطان المملوكي التي تصدر بها

المكاتبات للملوك الكفار ... ٤٦٣

القسم الثاني

١ - قاموس الألفاظ الاصطلاحية ... ٤٧٠

٢ - بعض اصطلاحات ونظم في الإقطاع المملوكي وما يقابلها

في الإقطاع الغربي ... ٥١١

٣ - المقاييس والمكايل والموازن ... ٥١٢

٤ - النقود الإسلامية ... ٥١٩

٥ - النقود في مصر الإسلامية .. ٥٢١

الخرائط

- خريطة أسفل الأرض (الوجه البحرى) بما استقر عليه التقسيم
فى الروك الناصرى إلى عهد السلطان شعبان بن حسين... ١٠٩

الصور

- ١ - علامة السلطان الناصر محمد على المناشير الإقطاعية ... ١٢٦
- ٢ - طغرى بألقاب السلطان الناصر محمد ... ١٢٨
- ٣ - « « « شعبان بن حسين ... ١٢٨
- ٤ - صورة القبقق والرماح ... ٣١٨
- ٥ - صورة السلطان قايتباى ... ٣٤٧
- ٦ - صورة السلطان الغورى ... ٣٤٩
- ٧ - صورة السلطان طومان باى ... ٣٥١
- ٨ - بعض رنوك الممالك ... ٤٨٦
- ٩ - بعض النقود من عصر الممالك ... ٥٣٢-٥٢٨

الجدول

- ١ - جدول بالعبارة الإقطاعية للديار المصرية زمن الناصر أبى المظفر صلاح الدين الأيوبى ... ٣٤ - ٣٥
- ٢ - جدول بما استقر عليه التقسيم الإدارى والتوزيع الإقطاعى بمقتضى الروك الناصرى ... ١٠٨-١٠٧
- ٣ - جدول ببعض الإقطاعات ومساحاتها وعبراتها وأسماء مقاطعها ... ١٦٨-١٦٧
- ٤ - جدول ببيان رتب الأمراء والوظائف التى تؤهل لها إمرة الأمير واختصاصاتها ... ٢١٣-٢١٠

صفحة

- ٥ - جدول بأسماء من ثوفى من سلاطين المماليك على
عروشهم ، ومن خلع أو سجن أو استغنى ومن قتل ... ٣٥٦-٣٥٣
- ٦ - جدول بأسماء سلاطين المماليك فى الدولتين : الأولى
والثانية ... ٣٥٩-٣٥٧
- ٧ - جدول بأسماء خلفاء بنى العباس فى مصر.. ... ٣٦٢-٣٦٠
- ٨ - جدول بشرح قطع النقود الواردة.. ... ٥٣٦-٥٣٤

المراجع

- ١ - القسم الأول : كتب الفقه والعلوم الدينية ...
- أ - المخطوطات ... ٥٤٧
- ب - المطبوعات ... ٥٤٩
- القسم الثانى : الكتب التاريخية والجغرافية :
- أ - المخطوطات ... ٥٥٣
- ب - المطبوعات ... ٥٥٩
- القسم الثالث : المعاجم والمجلات.. ٥٧١
- القسم الرابع : المراجع الأجنبية ... ٥٧٤
- المحتوى : ... ٥٧٩

مهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

— ٩٢ —

التأليف (٦٦)

التاريخ [٨]

القاهرة

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

— ٨٨ —

التأليف	(٦٢)
الأدب	[٥٢]

القاهرة
١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

فرع مصر - ١٩٦٨

المكتبة العربية

تصدرها

وزارة الثقافة

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية



التمن ١٢٠ قرش